مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الإنسانية، م٩، ص ص ١ - ٢٨٠ بالعربية، ص ص ١-٦٥ بالإنجليزية (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ردمد ٠٩٨٩ - ١٣١٩

مجلة
جامعة الملك عبد العزيز
الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ٩

١٤١٦هـ

١٩٩٦م

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبد العزيز
جدة

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م٩ ، ص ص ١ - ٢٨٠ بالعربية ، ص ص ١-٦٥ بالإنجليزية (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ردمد ٠٩٨٩ - ١٣١٩
رقم الإيداع : ١٤/٠٢٩٤

مجـــلة
جامعة الملك عبد العزيز
الآداب وَالعلوم الإنسَانية

المجـلد ٩

١٤١٦هـ

١٩٩٦م

مَركز النشـر العلميّ
جامعـة الملك عبـد العزيـز
ص ب ١٥٤٠ ـ جـدة ٢١٤٤١
المملكة العربية السعودية

المحتـــــويات

« القســـم العـــربي »

﴿ القســـم الإنجلـــيزي ﴾

■ لغــــــة

■ عام

● مجلة سنوية تصدرها الجامعة في مجالات الآداب والعلوم الإنسانية وينشرها مركز النشر العلمي بالجامعة. يُقبل للنشر فيها البحوث المبتكرة، مقالات المراجعة، خطابات إلى المحرر، وعرض الكتب. ترسل المواد إلى :

رئيس هيئة التحرير : كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك عبد العزيز – ص . ب ٩٠٣٢ جدة ٢١٤١٣ – المملكة العربية السعودية

● لا تنشر المواد إلا بعد التحكيم ● المواد المقدمة للنشر يجب ألا يكون قد سبق نشرها أو مقدمة للنشر في جهة أخرى، وإذا قبلت للنشر، لا يسمح بنشرها بنفس الشكل وبأية لغة في أية جهة أخرى إلا بتصريح كتابي من رئيس هيئة التحرير .

■ التقديم للنشر

● تقدم المواد من أصل وصورتين باللغة العربية أو الإنجليزية منسوخة على الآلة الكاتبة على مسافتين وعلى وجه واحد فقط، وعلى ورق مقاس A4، مع ترك بوصة لكل هامش، مرقمة ترقيما مسلسلا بما في ذلك الأشكال والجداول . ● يشترط أن تقدم المستخلصات، والهوامش، والجداول، والتعليق على الأشكال والمراجع في صفحات مستقلة

■ الكتابة

● يبوب المقال على النحو التالي .

١ - عنوان المقال ويكون مختصرا ومعبرا عن مضمون المقال ٢ – اسم المؤلف (المؤلفين) . ٣ – عنوان المؤلف (أو المؤلفين بنفس الترتيب) . ٤ – المستخلص لايتجاوز مائتي كلمة . ٥ – المتن : ويُقسم إلى عناوين رئيسة محددة وفق المنهج البحثي المتبع (على سبيل المثال، المقدمة، التجارب، النتائج، المناقشة، الاستنتاجات، المراجع، الملاحق)، مع مراعاة أن تكون العناوين الفرعية ذات المستوى الواحد مكتوبة بالطريقة نفسها

● يكون لكل بحث مستخلصان أحدهما بالعربية والآخر بالانجليزية، ويتبع في كتابتهما القواعد الدولية لكتابة المستخلصات على ألا يتجاوز عدد كلمات أي منهما ٢٠٠ كلمة، يراعى أن يتضمن المستخلص أهم الحقائق والاستنتاجات، وأن يكون مستقلا بذاته ويغني عن قراءة المقال ● يستخدم النظام المتري والاختصارات المقننة (SI) ● التذييلات : تكون مرقمة ترقيما مسلسلاً خلال المتن وعند الإشارة إلى مرجع للمرة الأولى يكتب كاملا على أن يكون المدخل بالاسم الأول متبوعاً باسم العائلة عند تكرار الإشارة إلى المرجع نفسه تستخدم اصطلاحات الإحالة المقننة لايغني ذكر المراجع كاملة في التذييلات عن إعداد مراجع كاملة في نهاية المتن ● يجوز أن يستخدم المؤلف، بدلاً من التذييلات، نظام اسم/تاريخ/صفحة في المتن، وعليه في هذه الحالة مراعاة القواعد المتبعة في هذا المنهج . ● المراجع : ترتب هجائياً حسب اسم عائلة المؤلف، تكون جميع العناصر البيليوجرافية للمرجع كاملة، مع اتباع القواعد الدولية لكتابتها، تكتب جميع أسماء المؤلفين، ولا يقبل «وآخرون» . يجب التأكد من أن جميع المراجع الواردة بالمتن مذكورة بالقائمة، كما أنه يجب ألا تكون هناك مراجع بالقائمة لم يشر إليها في المتن

■ الجداول

● ترقم الجداول ترقيما مسلسلاً خلال المتن، ويكون لكل منها عنوانه أعلى الجدول، ومصدره أسفله ● تحدد أماكن الجداول في هامش المتن ● يراعي سبق كتابة الأرقام تحت بعضها البعض

■ الأشكال

● تقدم في علاقة منفصلة مع مراعاة عدم طيها ● يشار إلى مواضع الأشكال في هامش المتن أو لصق صورة منها في أماكنها المحددة بالمتن ● تقدم الأشكال الخطية مرسومة بالحبر الصيني على ورق كلك أو لماع مقاس ١٢×١٨ سم أو أضعافه أو أنصافه، مع مراعاة سمك الحروف والرموز والخطوط . ● تقدم الصور الظلية (الفوتوغرافية) من نسخ أصلية مطبوعة على ورق لماع مقاس ١٣×١٨ سم أو أضعافه أو أنصافه . ● لاتقبل الصور الملونة إلا إذا كان للون دلالة علمية

■ تجارب الطبع

● يراجع المؤلف تجربتي الطبع الأولى (سلخ) والثانية (صفحات)، على ألا تستغرق المراجعة أكثر من ٧٢ ساعة . ● ولا يجوز له الإضافة أو الحذف أو التعديل وخاصة على التجربة الصفحات

■ المستلات

● يحصل مؤلف (مؤلفو) كل بحث على ٥٠ مستلة من كل بحث بدون مقابل ● يتحمل المؤلف (المؤلفون) بتكاليف مازاد على ذلك طبقا لما يقرره المركز، وعلى المؤلف (المؤلفين) طلب المستلات الإضافية قبل الإحالة للطبع ويكون السداد مقدما .

بسم الله الرحمن الرحيم

■ الاشتراك السنوي ■

■ داخل المملكة ٥ ريالات سعودية
■ خارج المملكة ٥ دولارات أمريكية

■ البيع والاشتراك ■

مركز النشر العلمي - جامعة الملك عبد العزيز

ص. ب. ١٥٤٠ - جدة ٢١٤٤١ - المملكة العربية السعودية

■ التبادل ■

عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك عبد العزيز

ص. ب. ٣٧١١ - جدة ٢١٤٨١ - المملكة العربية السعودية

مطابع جامعة الملك عبد العزيز

اجتمـــاع

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآدب والعلوم الإنسانية ، م٩ ، ص ص ٣-٥٨ (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م)

عمل المرأة وأثره على بعض وظائفها الأسرية

محمد سعيد الغامدي

أستاذ مساعد بقسم الاجتماع - كلية الآداب

جامعة الملك عبدالعزيز - جـــدة - المملكة العربية السعودية

المستخلص . تهدف هذه الدراسة لمعرفة بعض الآثار المترتبة لخروج المرأة السعودية للعمل على أدوارها كأم ومربية للأطفال ، ودورها كربة بيت ، ثم دورها كزوجة ، وقد اعتمد الباحث على عدة نظريات من أهمها النظرية البنائية الوظيفية في فهم دور ومشاركة المرأة خارج المنزل . وقد تم جمع بيانات هذه الدراسة من خلال الاستبانة لعينة بلغ حجمها ٤٠٠ امرأة سعودية عاملة متزوجة من المؤسسات الحكومية وغير الحكومية التي توجد بها أقسام خاصة بالنساء في مدينة جدة . وقد كشفت هذه الدراسة عن بعض هذه النتائج ، والتي من أهمها : أن خروج المرأة للعمل لم يؤثر تأثيراً سلبيًا كبيراً على دورها التربوي تجاه أبناءها من حيث تنشئتهم الاجتماعية والتربوية . أما من حيث دورها كمربية بيت فقد كشفت هذه الدراسة تأثير ذلك الدور سلبًا بخروجها للعمل ، فلم تعد تقوم بكثير من وظائفها المنزلية ، والتي تعد من الأعمال الطبيعية للمرأة في المجتمع . أخيراً أوضحت الدراسة بأن خروج المرأة للعمل قد أدى إلى تغير في نظرتها إلى حجم الأسرة ، وعدد الأطفال المرغوب في إنجابهم ، فهي تميل إلى إنجاب عدد قليل من الأطفال .

المقـــــدمة

منذ نشأة المجتمع البشري والمرأة تقوم بدورها مع الرجل في المجتمع ، والذي يعتبر من الأدوار الرئيسية التي تؤثر في نموه وتطوره . فمن خلال مشاركتها في ميادين الحياة المختلفة - سواء داخل البيت أو خارجه - فهي تساهم في تنمية المجتمع وتطوره في المجالات الاجتماعية والاقتصادية . وقد كان دور المرأة في السابق ينحصر بشكل كبير في القيام بأعمال المنزل ، والتي تعتبر ضرورة لاغنى عنها لبقاء النظام الأسري واستمراره في أداء وظائفه داخل المجتمع . ولم يبرز خروج المرأة للعمل مقابل أجر رسمي كظاهرة اجتماعية اهتم بها علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا إلا في السنوات القريبة الماضية ، نظرًا لتزايد أعداد العاملات خارج المنزل ، وظهور بعض المشكلات والآثار المترتبة على ذلك . ولقد كان لكل من التغير الاقتصادي والتطور التكنولوجي الذي عاشته معظم المجتمعات الإنسانية في العصر الحاضر أثر واضح في زيادة الفرص الوظيفية وفتح مجالات عديدة للعمل . مما أدى إلى إتاحة الفرصة للمرأة بأن تكون لها مشاركة في هذه المجالات .

ولاشك أن المجتمع العربي السعودي شهد ويشهد تنمية شاملة ، وتطوراً اقتصاديًا وحضاريًا في كافة المجالات . ومن أبرز هذه المجالات ، المجال التعليمي ، الذي شهد إنشاء أعدادًا كبيرة من المدارس والمؤسسات التعليمية المختلفة للجنسين ، إضافة إلى الزيادة المضطردة في أعداد الطلبة والطالبات في مراحل التعليم ، ونتيجة لهذا التحول والتطور دخلت المرأة السعودية ميدان العمل في مجالات متعددة ، ومن أبرزها مجال التعليم ، الذي يستحوذ على الغالبية العظمى من العاملات ، لذلك فإن خروج المرأة السعودية للعمل يعتبر من أهم مظاهر التغير والتحول التي يمر بها المجتمع . وبما أن خروج المرأة يترتب عليه كثير من الآثار المرتبطة بأدوارها ووظائفها داخل أسرتها ، لذا فإن هذه الدراسة تحاول رصد بعض الآثار المترتبة على خروج المرأة المتزوجة للعمل على بعض أدوارها كأم ومربية للأطفال ، على دورها كربة بيت ، ثم دورها كزوجة ومنجبة للأطفال .

هدف الدراسة

ظاهرة خروج المرأة السعودية للعمل ظاهرة حديثة، تحتاج إلى مزيد من الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية لمعرفة طبيعتها وتحليل أبعادها وآثارها الاجتماعية، وهذه الدراسة تقع ضمن هذا السياق، لذلك فهي تسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:

١ - التعرف على الآثار المترتبة على خروج المرأة للعمل على التربية والتحصيل الدراسي للأبناء.

٢- الكشف عن الآثار المترتبة على خروج المرأة للعمل، وتأثير ذلك على أدائها لبعض الواجبات المنزلية التي هي من اختصاص المرأة.

٣- محاولة التعرف عما إذا كان خروج المرأة للعمل قد غير بعض اتجاهاتها وتصوراتها حول حجم الأسرة وعدد الأطفال والأخذ بوسائل تنظيم الأسرة.

تساؤلات الدراسة

لما كانت الدراسة تهدف أساسًا إلى الكشف عن الآثار المترتبة على خروج المرأة المتزوجة للعمل خارج المنزل، فإن الباحث وضع بعض التساؤلات تتحقق من خلال الإجابة عليها أهداف الدراسة. وهذه التساؤلات هي:

١- هل خروج المرأة المتزوجة للعمل يؤثر سلبًا في تربيتها لأبنائها، وفي تحصيلهم الدراسي؟

٢- هل يؤدي خروج المرأة المتزوجة للعمل إلى تقصيرها في واجباتها المنزلية؟

٣- هل أدى خروج المرأة المتزوجة للعمل إلى تغير اتجاهاتها ومواقفها تجاه تنظيم النسل وتحديد عدد الأطفال؟

منهج الدراسة

الدراسة العلمية لابد أن تعتمد على منهج علمي أو أكثر من أجل أن يستطيع

الباحث تحقيق الغرض والهدف من دراسته . وهذه الدراسة تم الاعتماد على بعض المناهج العلمية المعروفة من التراث العلمي الاجتماعي ، ومنها :

١ - *المنهج التاريخي*

لقد استفاد الباحث من استخدام المنهج التاريخي من أجل إعطاء صورة واضحة عن تطور الظاهرة المدروسة باعتبار أن هذا المنهج وسيلة علمية عن طريقها نستطيع أن نعرف نشأة الظاهرة ، ومراحل تطورها ، وتغيرها خلال فترات تاريخية مختلفة [١] .

٢ - *المنهج الوصفي*

يعتبر هذا المنهج من المناهج الرئيسة المستخدمة في البحوث الاجتماعية لأنه يهدف إلى جمع الحقائق والبيانات عن ظاهرة أو موقف معين مع محاولة تفسير هذه الحقائق والمعلومات تفسيراً كافيًا [٢] ، وبناء على ذلك فإن هذا المنهج القائم على المسح الاجتماعي قد وظفه الباحث في جمع البيانات في مجتمع الدراسة ، ومن ثم وصفها وتحليلها وتفسيرها بغرض الوصول إلى نتائج مرتبطة بموضوع الدراسة .

٣- *المنهج الإحصائي*

يعتبر هذا المنهج من المناهج الرئيسة في الدراسات الاجتماعية ، ولاسيما فيما يتعلق بالدراسة الميدانية [٣] . وقد استفاد الباحث من هذا المنهج في عرض ومعالجة البيانات الميدانية ، ومن ثم إجراء التحليلات الإحصائية المطلوبة .

أدوات جمع البيانات

اعتمد الباحث في جمعه للمادة العلمية للظاهرة المدروسة على الكتب ذات العلاقة بموضوع الدراسة ، والدراسات السابقة حول موضوع عمل المرأة بصفة عامة ،

---

(١) عبدالباسط محمد حسن ، *أصول البحث الاجتماعي* ، مكتبة وهبة ، القاهرة (١٩٨٨) ص٢١٤ .

(٢) عبدالباسط محمد حسن ، *المرجع السابق* ، ص٢١٣ .

(٣) حسين عبدالحميد رشوان ، *العلم والبحث العلمي - دراسة في مناهج العلوم* ، ط٣ ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، ١٩٨٧ ، ص٢٠٤ .

سواء ذلك في المجتمع السعودي أو في بعض المجتمعات الأخرى ، وكذلك عن طريق الإحصاءات والوثائق الرسمية حول تعليم المرأة وعملها في المجتمع السعودي .

أما الأداة الثانية والرئيسة في جمع المعلومات في هذا البحث فهي الاستبانة ، وهي وسيلة علمية يمكن عن طريقها الحصول على معلومات من مجموعة من الأفراد حول موضوع أو مشكلة معينة (١) ، وقد قام الباحث بتصميم الاستبانة التي تضمنت مجموعة من الأسئلة تتلاءم مع إطار البحث وتخدم أغراضه ، وتجيب على أهدافه وتساولاته . وقد تم عرض صحيفة الاستبانة بصورتها الأولية على بعض أساتذة قسم الاجتماع من أجل التأكد من صلاحيتها للتطبيق ، وقد كان لهم بعض الآراء والملاحظات حول بعض الأسئلة ، حيث تم حذف وإضافة وتعديل وصياغة بعض الأسئلة حتى وصلت الاستبانة إلى صورتها النهائية .

وقد احتوت على أربعة أقسام أساسية : القسم الأول ، ويضم مجموعة من الأسئلة عن البيانات الأساسية مثل العمر والدخل والمستوى التعليمي ونوعية المهنة . القسم الثاني يحتوي على مجموعة من الأسئلة تدور حول عملها كأم وعلاقته بأبنائها من حيث التربية والتنشئة والتحصيل الدراسي ، القسم الثالث يضم مجموعة من الأسئلة تدور حول عمل المرأة ودورها كربة بيت . أما القسم الرابع فيحتوي على عدد من الأسئلة التي تدور حول عمل المرأة وعلاقته بحجم أسرتها وسلوكها الإنجابي .

حجم العينة وكيفية اختيارها

حرص الباحث على أن تكون عينة الدراسة ممثلة تقريبًا لمجتمع البحث ، ومختارة وفقًا للأسس المنهجية العلمية ، هذا وقد بلغ حجم العينة (٤٠٠) امرأة عاملة ومتزوجة تم اختيارهن من جميع المؤسسات والمصالح الحكومية وغير الحكومية التي يوجد بها أقسام خاصة بالنساء ، وقد اتبع الباحث في أسلوب اختيار مفردات العينة أسلوب العينة العمدية Pruposive sample ، وذلك لعدم إمكانية الحصول على معلومات أو بيانات إحصائية دقيقة حول مجتمع الدراسة من بعض المؤسسات والمصالح المدروسة . وقد

(١) محمد علي محمد ، *البحث الاجتماعي* ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٥ ، ص٣٥٠ .

حدد الباحث شرطين اثنين في أفراد العينة وهما :

١- أن تكون المرأة العاملة سعودية .

٢- أن تكون متزوجة ولديها أطفال .

مصطلحات الدراسة

هناك بعض المصطلحات التي تضمنتها هذه الدراسة والتي لابد من إعطاء تعريف موجز لكل واحد منها :

١- العمل work ، هو مجهود إرادي عقلي أو بدني يتضمن التأثير على الأشياء المادية وغير المادية ، لتحقيق هدف اقتصادي مفيد ، كما أنه وظيفة اجتماعية تتحقق فيها شخصية الفرد (١) .

٢- الأم العاملة working mother ؛ هناك تعريفات عديدة للمرأة العاملة ، فهناك من يعرف المرأة العاملة بأنها المرأة التي تعمل خارج المنزل وتحصل على أجر مادي مقابل عملها . وهي التي تقوم بدورين أساسيين في الحياة . دور ربة البيت ودور الموظفة (٢) . ويمكن تعريف الأم العاملة بأنها المرأة التي تعمل خارج نطاق الأسرة سواء في مؤسسات القطاع الحكومية أو الخاص لتحقيق هدف وبجهد مبذول في وقت محدد مقابل الأجر المادي الذي تقدمه جهة العمل عند العمل (٣) . أخيراً هناك تعريف يشير إلى الأم العاملة بأنها المرأة التي تعمل بأجر خارج بيتها فتبذل جهداً بدنيًا لخلق منفعة اقتصادية أو زيادة منفعة لشيء موجود ، وتقوم في نفس الوقت بأدوارها الأخرى كزوجة وكأم وكمديرة بيت (٤) .

٣- ربة البيت house wife ؛ هي المرأة المسؤولة عن القيام بالأعمال المنزلية ، أو

(١) **أحمد زكي بدوي** ، معجم *مصطلحات العلوم الاجتماعية* ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص٢٣٦ .
(٢) **كاميليا إبراهيم عبدالفتاح** ، *سيكولوجية المرأة العاملة* ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص١١٠ .
(٣) **علي عبدالعزيز العبد القادر** ، اتجاهات طالبات جامعة الملك فيصل نحو عمل المرأة السعودية ، مجلة *العلوم الاجتماعية* ، المجلد ١٣ ، العدد ١ ، ١٩٩٥ ، ص١١٥ .
(٤) **محمد بيومي علي حسن** ، *الاتجاهات النفسية للشباب السعودي نحو عمل المرأة* ، مركز النشر العلمي ، جامعة الملك عبدالعزيز ، جدة ، ١٩٨٧ ، ص١٦ .

المشرفة على من يقوم بتلك الأعمال من الخدم وغيرهم [١] . ويمكن تعريف ربة البيت بأنها المرأة التي تعمل في البيت ولاتتقاضى أجرًا ، عما تقوم به من أعمال تخص أسرتها ، والتي تتطلبها الحياة اليومية تبعًا للمستوى الاجتماعي للأسرة ، وتتضمن هذه الأعمال العناية بالمنزل ، والطهي ، وغسيل الملابس ، ورعاية الأطفال بما فيه التربية والتنشئة الاجتماعية [٢] .

٤- الدور role : يعرف الدور بأنه الوجه الديناميكي أو السلوكي للمكانة الاجتماعية التي يشغلها الإنسان ، بمعنى أداء الفرد للواجبات المرتبطة بالمكانة الاجتماعية التي يتمتع بمميزاتها وحقوقها [٣] . ويمكن تعريف الدور أيضًا بأنه مجموعة الأعمال التي يتوقع المجتمع من الشخص أن يقوم بها تجاه أشخاص آخرين نظرًا لاحتلاله مكانة اجتماعية معينة [٤] . فالمرأة سواء أكانت عاملة أو ربة بيت أو أم تشغل مكانة اجتماعية معينة ، وتقوم بدور معين بحكم شغلها هذه المكانة أو المنزلة ، فالمجتمع يتوقع منها القيام بمجموعة من الواجبات تجاه عملها بحكم تمتعها بحقوقها في مجال عملها ، إذا كانت تعمل خارج نطاق أسرتها . أما إذا كانت ربة بيت أو أم فهي أيضًا تقوم بدور معين بحكم شغلها هذه المكانة ، والمجتمع يتوقع منهاأيضًا القيام بمجموعة من الواجبات والأعمال تجاه منزلها وأفراد أسرتها بحكم تمتعها بحقوقها كربة بيت وأم .

٥- التربية education : تعني جميع العمليات التي يتم بواسطتها تنمية قدرات الشخص واتجاهاته وأشكال سلوكه الأخرى ، وتنظمه القيم الإيجابية التي يؤكد عليها المجتمع الذي ينتمي إليه ، وتقدم هذه العمليات التربوية بشكل غير مقصود وغير رسمي من قبل الأسرة ، وهي تتمثل في اختيارات الأبوين وتفضيلاتهم للأنماط السلوكية والثقافية والاجتماعية [٥] .

---

(١) **Ann, Oakley,** *House wife,* Allen , London , 1974 , p. 1.

(٢) **علية حسن حسين** ، *ربة البيت – دراسات أنثروبولوجية في المجتمع الكويتي* ، رقم ٤ ، جامعة الكويت ، الكويت ، ١٩٨٦ ، ص٩٥ .

(٣) **محمد فؤاد حجازي** ، *البناء الاجتماعي* ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص٧٨ .

(٤) **علية حسن حسين** ، *مرجع سابق* ، ص٦٦ .

(٥) **نادية عمر الجولاني** ، *علم الاجتماع التربوي* ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٣م ، ص٢٧٦ .

٦- الإنجاب fertility : ويقصد به العدد الفعلي من المواليد الأحياء . ودراسة الإنجاب في العلوم الاجتماعية تتضمن بالضرورة دراسة العوامل (الاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية ، والنفسية) المؤثرة فيه ، ولاسيما بما يتعلق بالمرأة باعتبارها وعاء الحمل وحاملة الجنين [1] . ومن العوامل المؤثرة في الإنجاب كما دلت على ذلك الدراسات الاجتماعية والسكانية ، خروج المرأة للعمل خارج منزلها بشكل منتظم ومقابل أجر معين . هذا العامل هو محور هذه الدراسة .

المرأة في الثقافات الإنسانية المختلفة

لم تحظ المرأة في الثقافات والمجتمعات القديمة بمكانة مرموقة ، وإنما كانت مخلوقًا ناقصًا مهضوم الحقوق ، ولم تكن مساهمتها يعترف بها أو تقدر من قبل تلك المجتمعات ، كما أشارت إلى ذلك بعض الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية . وسوف أتحدث في الفقرة التالية عن المرأة في بعض المجتمعات القديمة قبل الإسلام مثل : اليونان - الصين - الهند - العرب .

أ- مكانة المرأة عند اليونان

كانت مكانة المرأة الاجتماعية في المجتمع اليوناني وضيعة وأدنى من مكانة الرجل الاجتماعية ، وكانت المرأة في تلك الفترة محرومة من الثقافة ، ولاتساهم في الحياة العامة بقليل ولاكثير ، بل كانت مهمتها تنحصر في تحقيق مطالب الزوج وإنجاب الأطفال [2] . فالمرأة عند اليونان لم تساهم مساهمة فعالة في شؤون المجتمع ، وإنما وظيفتها كما يراها أرسطو أحد المفكرين اليونانيين هي تربية الأولاد ، والعناية بشؤون المنزل ، والطاعة التامة لزوجها [3] .

وبرغم تقدم الثقافة والعلوم في اليونان إلا إن البنت كانت محرومة منها تقريبًا .

---

(١) عباس فاضل السعدي ، الإنجاب في العراق - دراسة في الانتشار المكاني ، مجلة *جامعة الملك سعود* ، مجلد ٤ ، الآداب (١) ، ١٩٩٢ , ص ص : ٢٧٣-٢٧٦ .

(٢) عبدالرب نواب الدين ، *عمل المرأة وموقف الإسلام منه* ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المدينة المنورة ، ١٩٨٧ ، ص٢٩ .

(٣) مصطفى الخشاب ، *دراسات في الاجتماع العائلي* ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص١٦ .

وإنما يقتصر تعليمها فقط على الأعمال المنزلية وخدمة البيت والأمومة والحضانة وغير ذلك من الأمور المتعلقة بشؤون المنزل (١) . كما نجد أن أفلاطون أحد المفكرين الاجتماعيين اليونانيين يؤكد على أن الرجال أرقى منزلة من النساء، وأنهن لسن قادرات على العمل وإنما يستطعن أن يساهمن بالأعمال البسيطة التي لاتحتاج إلى مهارات أو تعليم (٢) .

ب - عند الرومان

اهتم المفكرون في الحضارة الرومانية بشؤون الأسرة وبالأخص قضية المرأة باعتبارها عنصراً مهمًا في قيام أسرة سوية يستمد منها المجتمع قوته واستقراره . ولهذا فقد وضعوا بعض القوانين التي تنظم شؤون الحياة العامة وشؤون الأسرة من حيث سلطة رب الأسرة والعلاقات الزوجية ومكانة ونشاط المرأة (٣) .

ولكن بالرغم من ذلك كله، كانت مكانة المرأة وضيعة واعتبرت مخلوقة لخدمة الدار، فلم تحظ بقدر كبير من التعليم والتثقيف، وإنما كانت تدرب على كيفية خدمة المنزل وبعض الأعمال البسيطة كالغزل والنسيج (٤) .

ج - المرأة في الحضارة الصينية

من خلال استعراض وضع المرأة في الحضارة الصينية نجد أنها قد نالت نصيبًا من الاحترام والتقدير، وتبوأت مكانة اجتماعية طيبة، وذلك باعتبار أن المرأة مع الرجل يشكلان المحور الأساسي الذي يقوم عليه أي نظام اجتماعي سليم، فقد اعتبرت المرأة محور الأسرة لأنها مصدر وجودها وسلطانها، ولأن الناس في بداية تلك الحضارة كانوا يعرفون من خلال أمهاتهم (٥) . أما عن مشاركة المرأة في ا لحضارة الصينية فلم تتعد

---

(١) **علي عبدالواحد وافي**، *المرأة في الإسلام*، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت) .
(٢) **عمر رضا كحالة**، *المرأة في القديم والحديث*، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩، ص١٧١ .
(٣) **مصطفى الخشاب**، *مرجع سابق*، ص٢٥ .
(٤) **عمر رضا كحالة**، *مرجع سابق*، ص١٨٣ .
(٥) **فاطمة عمر نصيف**، *حقوق المرأة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة*، تهامة للنشر، جدة، ١٩٩٢، ص١٥ .

الخدمة في إطار المنزل ، لهذا فقد كانت تتعلم وتتدرب على الخدمة المنزلية طوال فترة حياتها (١) .

د- المرأة في الحضارة المصرية القديمة

تميزت الأسرة في مصر القديمة باستقرارها وتماسكها نتيجة لالتصاقها بالعمل الزراعي ، فوجود هذا النوع من النشاط أثر على وضع ومكانة المرأة في ذلك المجتمع ، وأصبحت تشارك في العمل الزراعي ، وتبيع وتشتري ماتنتجه الأرض من المحاصيل الزراعية(٢) ، لقد أعطت الحضارة المصرية القديمة المرأة مكانة مرموقة ، وأعطتها الاستقلالية داخل أسرتها ، ومنحتها حرية الخروج إلى الأسواق ، والعمل بالتجارة وإدارة الأموال والعقارات المتعلقة بأسرتها (٣) . كما تشير بعض الدراسات الاجتماعية أيضًا إلى حصول تطور في مركز المرأة في مصر القديمة ، فلم تعد وظيفتها الإنجاب فحسب ، بل كانت لها مساهمة فعالة في الحياة العامة الاجتماعية والثقافية ، وفي مجال التشريع وسن القوانين المتعلقة بشؤون السياسة والمجتمع ، وقد كانت لسيدات الأسر المالكة - بالأخص - الصدارة والوصاية وتولي شؤون الحكم (٤) .

هـ- المرأة في الديانة اليهودية

تنظر اليهودية المحرفة إلى المرأة نظرة دونية وكانت في مستوى العبيد ووالدها وزوجها يتحكمان فيها وبجميع أمورها ، بل إن والدها يحق له بيعها وهي طفلة إذا أراد ذلك (٥) . وقد حرمت الديانة اليهودية المحرفة المرأة من إيجاد شخصية مستقلة لها ، بل جعلتها بدون إرادة ، ولاتستطيع أن تتصرف في أمر من أمورها ، فهي تابعة للرجل يتصرف فيها كيف شاء ، وكان عملها مهما بلغت ثروتها ومكانتها مقتصرًا على الأعمال

---

(١) **Goode, William,** *World revolution and family patterns,* the Free Press, New York, 1963, p. 271.

(٢) **كاميليا إبراهيم عبدالفتاح** ، *مرجع سابق* ، ص٤٢ .

(٣) **أحمد طه محمد** ، *المرأة المصرية بين الحاضر والماضي* ، مطبعة دار التأليف ، مصر ، ١٩٧٩ ، ص١٨ .

(٤) **مصطفى الخشاب** ، *مرجع سابق* ، ص١٠ .

(٥) **أحمد عبدالعزيز الحصين** ، *المرأة العربية ومكانتها في الإسلام* ، مطابع المختار الإسلامية . القصيم ، ١٩٨١ ، ص١٥ .

المنزلية فقط [١] .

و- المرأة في الديانة المسيحية

لم تحظ المرأة لدى أتباع الديانة المسيحية المحرفة بأهمية كبيرة ، ولم تلق من الاهتمام والحقوق إلابقدر بسيط جداً ، بل قد اعتبرت أنها المسؤولة عن انهيار المجتمع ، وانهيار النظام الاجتماعي لأي مجتمع . أما وظيفتها الأساسية فهي خدمة الرجل والعمل داخل المنزل ، وليس لها الحق في المشاركة خارج نطاق منزلها ، وإنما تلك المشاركة مقتصرة على الرجال فقط ، وهذه المكانة الممتهنة والدور الاجتماعي الهامشي للمرأة عند أتباع الديانة المسيحية في الماضي كانت بخلاف تعاليم المسيحية الحقة التي أعطت كل ذي حق حقه سواء أكان رجلاً أم إمرأة ، كما قد أعطت المرأة أيضًا حق المشاركة في الحياة العامة في المجتمع ، بل المشاركة في نشر الدعوة المسيحية ، وإسهامها فيها بالجهد والمال [٢] .

ز - المرأة عند العرب قبل الإسلام

كانت المرأة في هذه الفترة مهانة ومضطهدة ولم يكن لها أي مكانة مقارنة بالرجل بل إن الأنثى كانت تعتبر من سوء الطالع بالنسبة للرجل ، ولذلك كان يتشاءم عند ولادتها ، وربما يئدها خشية العار أو الفقر . وقد صور القرآن الكريم كراهية الرجل للأنثى قبل الإسلام فقال تعالى : ﴿ وإذاَ بُشِّرَ أحَدُهُم بالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسوداً وَهُوَ كَظيمٌ ، يَتَوَارَى منَ القَوْمِ مِن سُوءِ مَابُشِّرَ به أيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أمْ يَدُسُّهُ في التُّرابِ ، ألا سَاءَ ما يَحْكُمُونَ ﴾ [٣] .

هذه الصورة التي كانت عليها المرأة العربية في العصر الجاهلي عمومًا ، فهي لم تحظ بمكانة اجتماعية عالية ، ولم يكن لها في الغالب المشاركة في الحياة العامة

---

(١) عبدالله الخريجي ، *علم الاجتماع الديني* ، رامتان ، جدة ، ١٩٩٥ ، ص٩٥ .
(٢) محمود عبدالسميع شعلان ، *نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام - دراسة مقارنة* ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، الجزء الأول ، ١٩٨٣ ، ص١٨١ .
(٣) سورة *النحل* . الآية (٥٨ ، ٥٩) .

في المجتمع [١] .

هذه بعض سن الصور الاجتماعية لما كانت عليه المرأة من وضع اجتماعي محدود ، ومكانة اجتماعية غير مرموقة ، ومشاركة محدودة ، لاتخرج عن نطاق دورها كأم ومربية ومسؤولة عن شؤون البيت فقط . هذه الأوضاع التي كانت تعيشها المرأة في الحضارات السابقة قد حرمتها من المشاركة في ميادين العمل المختلفة وفقاً لاختلاف الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والحضارية لكل حضارة سن تلك الحضارات .

مكانة المرأة في الإسلام

لقد جاء الإسلام بتغيرات كبيرة وجوهرية في الحياة العامة للمجتمع ، وفي كل نظمه الاجتماعية ، وتظهر تلك التغيرات بصورة واضحة في الحياة الاجتماعية ، وبالذات مايخص المرأة ، أي في وضعها الإنساني ، فهي كالرجل في الإنسانية وفي مكانتها الاجتماعية في المجتمع . وكذلك حقها في التعليم وحقها في العمل في الحدود التي رسمها لها ذلك النظام الاجتماعي المقدس الذي يؤثر في المجتمع وفي نظمه وظواهره ، كما ينظم ويحدد سلوكيات أفراده ويضبط تصرفاتهم [٢] . لقد أعطى الإسلام المرأة اعتباراً اجتماعياً وإنسانياً مميزاً عن بقية الحضارات والثقافات ، وجعلها تتبوأ مكانها الحقيقي في المجتمع كإنسان له مكانته ودوره في الحياة ، ولتكون عنصراً فعالاً ومشاركًا في قضايا المجتمع المختلفة ، كما أعطى الإسلام المرأة حقها في الحياة ، الذي جعله الله حقًا لكل البشر ، فألغى كل الأفعال والأعمال التي كان يمارسها الرجال في الجاهلية ضد المرأة ، فحارب التشاؤم بها ، والحزن لولادتها ، كما ألغى وأدها واعتبره أمرًا شنيعًا كبيراً يرتكبه الأب ضد البنت لكونها أنثى سوف تجلب له العار والفقر كما يتصور ، ولهذا قال تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ [٣] . ولقد منح الإسلام الفتاة الحرية الكاملة في إبداء رأيها حول المتقدم للزواج منها ، وليس من حق

---

(١) **فاطمة عمر نصيف** ، *مرجع سابق* ، ص٤٨ .

(٢) **عبدالله الخريجي** ، مرجع *سابق* ، ص ٤٧٧ .

(٣) سورة *التكوير* ، الآية (٨ ، ٩) .

الأسرة - بما فيها الوالدين - إرغامها على القبول بالزواج من شخص لاترغبه[١]. كما نجد في الإسلام منح المرأة الأهلية الكاملة في التملك والتصرف فيما تملكه من أموال وعقارات، وكذلك حقها الكامل في مهرها. وحق هذه الملكية ثابت بالنصوص الشرعية سواء في القرآن الكريم أو السنة المطهرة، يقول الله تعالى ﴿ وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[٢]. كما تتضمن الحقوق المالية التي حفظها الإسلام للمرأة كالنفقة التي جعلها من واجبات الرجل سواء أكان زوجًا أم أبًا أو غيره من الأقرباء الشرعيين، كما أقر الإسلام للمرأة حق الميراث حسب مكانتها في النظام الأسري سواء أكانت زوجة أم أُم أو أخت أو بنت. وهذه الأحقية في الميراث جعل مكانتها تعلو وتسمو في المجتمع بخلاف ماكانت عليه عند الشعوب القديمة التي كانت لاتورث النساء، ولاتعترف بحقوقها المالية، ولاتمنحها حق التملك مما آل إليها من ورث أو غيره[٣].

تعليم المرأة في الإسلام

لقد كانت المرأة في الحضارات القديمة كما سبق أن أشرنا إلى ذلك محرومة من التعليم والثقافة، أما في الشريعة الإسلامية فقد أعطتها الحق في التعلم والتزود من مصادر المعرفة بالطرق التي ترتضيها ثقافة المجتمع الإسلامي، لأن الإسلام يحث على العلم ويرغب فيه للرجال والنساء على حد سواء، وذلك لأن العلم في الإسلام يحتل مكانة سامية ورفيعة، وبناء على هذه المكانة، فإن العلماء يحتلون منزلة عالية في المجتمع لقوله تعالى ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[٤]. الآية ولقد اعتبر طلب العلم في الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة

---

(١) ابتسام عبدالرحمن حلواني، *عمل المرأة السعودية ومشكلات على طريق العطاء*، عكاظ للطباعة والنشر، جدة، ١٩٨٧، ص٢٩.

(٢) سورة *النساء*، الآية (٣٢).

(٣) فاطمة عمر نصيف، *مرجع سابق*، ص١٩٠

(٤) سورة *المجادلة*، الآية (١١).

لقول الرسول صلى الله عليه وسلم [طَلَبُ العِلْم فَرِيضَةَ عَلَى كُل مُسْلِم][(١)] والحديث يتضمن بالضرورة المسلمة أيضًا ، لأن الخطابَ عام ولايقتصر على الرجال فقط وإنما يشمل النساء ، لأن المرأة والرجل في دين الله وعلمه سواء [(٢)] .

وبما أن المرأة تشكل نصف المجتمع ، فعليها مسؤولية كبيرة للنهوض بأسرتها ومجتمعها الذي تعيش فيه ، فهي بلاشك أحد عنصري النظام الأسري الذي يتلقى فيه الطفل مباديء الحياة ، ويتعلم من خلاله عادات وتقاليد مجتمعه عن طريق مايسمى بالتنشئة الاجتماعية ، وقد أدت المرأة في بداية العصر الإسلامي دورًا مهمًا في مجال الثقافة الإسلامية ، ولاسيما في رواية الحديث الشريف من أمثال أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . كما برزت أيضًا نساء أخريات في مجال الفقه وفي مجال التاريخ والأدب والشعر وغيره [(٣)] .

عمل المرأة في الإسلام

الإسلام دين إيمان وعمل ، ولقد حث على العمل والجد والإجتهاد سواء أكان ذلك للرجل أم للمرأة ، بل نجده قد اعتبر العمل أمرًا عظيمًا ، فجعل له مكانة كبيرة ، واعتبره من أنواع العبادات التي يقوم بها الإنسان طالما أن نوعية العمل تقع في الإطار المشروع الذي سمح به المجتمع للأفراد ، ولهذا نجد أن الحث على العمل قد ورد في القران الكريم كما في قوله تعالى ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [(٤)] .

ولم يقتصر حث الإسلام على العمل لفئة الرجال فقط ، وإنما يشمل النساء أيضًا باعتبار أن النساء يمثلن عنصرًا مهمًا في بناء المجتمع ونمائه وتطوره في كافة المجالات ، فلهذا نجد أن الإسلام يمنح المرأة حق العمل لكمال أهليتها لذلك . فنجد أن للمرأة الحق أن تبيع وتشتري ، وأن تعمل وتضطلع بالوظائف والأعمال المشروعة التي تتمكن من

---

(١) *سنن ابن ماجه* ، مجلد ١ ، ص٨٠ .

(٢) **إبراهيم الجوير** ، *عمل المرأة في المنزل وخارجه* ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٩٩٥ ، ص٦٩ .

(٣) **فاطمة عمر نصيف** ، *مرجع سابق* ، ص ص : ١٠٢ - ١٠٣ .

(٤) سورة *التوبة* ، الآية (١٠٥) .

أدائها ولاتخالف طبيعتها ، ولقد كان للمرأة في أوائل المجتمع الإسلامي الأثر الفعال في شؤون المجتمع ، وذلك من خلال مشاركتها وعطائها في الكثير من الأعمال المشروعة والمتاحة أمامها في ذلك الوقت ، فقد مارست التجارة مثل السيدة خديجة رضي الله عنها ، كما كان لها المشاركة الفعالة في مجالات التمريض والقيام بأعمال الإسعاف للرجال أثناء القتال ، فقد ثبت أن بعض النساء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كن يستأذن للخروج مع الجيش الإسلامي من أجل مداواة الجرحى ، والقيام بأعمال المساندة للجيش فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يسمح بذلك [١] .

وهكذا فقد منح الإسلام المرأة مكانة اجتماعية عالية ، وأعطاها حقوقها كاملة ، فقد أباح لها حق التملك والإرث وحقها على طلب العلم بل جعله فريضة ، لأن الإسلام لايريد أن تكون المرأة جاهلة بل يريدها متعلمة مثقفة تستشعر كل جوانب قضايا مجتمعها ، كما أشرنا سابقًا بأن الإسلام سمح للمرأة بالعمل ولم يحرم عليها أي مهنة أو عمل مشروع طالما أن تلك المهنة أو العمل المشروع من الأمور المشروعة النافعة ، ويتناسب مع ظروفها كامرأة مسلمة .

الإطار النظري

يمكن أن يفهم دور ومشاركة المرأة من خلال بعض النظريات والآراء التي قدمها بعض المنظرين والمفكرين الاجتماعيين ، وتقوم هذه النظريات والآراء على فكرة أساسية وهي عمل مقارنة للتفرقة بين الأدوار التي تقوم بها المرأة والأدوار التي يقوم بها الرجل من خلال الأنشطة المنزلية والمرتبطة دائمًا بالمرأة والأنشطة العامة المرتبطة بالرجل .

ومن خلال اتجاه البناء الوظيفي الذي يمثل أحد الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع ، والذي يتمثل في آراء المنظر الاجتماعي (بارسونز) يتضح أن تقسيم العمل القائم على أساس الجنس إلى أدوار محددة للذكر وأخرى للأنثى هو أمر طبيعي وأساسي في استقرار المجتمع واستمراره ، فالأم لها دور أولي وأساسي داخل الأسرة ،

---

(١) البهي الخولي ، *الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة* ، ط٣ ، الكويت ، (د.ت) .

وهو القيام بتنشئة الأطفال ورعايتهم ، والقيام بالأعمال المنزلية ، ومحاولة تخفيف حالة الضيق والإحباط ، وبعض المشاعر السلبية لدى أفراد الأسرة ، ولاسيما الزوج الذي يتمثل دوره الرئيسي في القيام بالأعمال المهنية في المجتمع ، فهو المسؤول عن إعالة أسرته وتصريف أمورها الخارجية ، ولهذا فهو يحتل الرئاسة في الأسرة ، وتحدد مكانة الأسرة على أساس مكانة الزوج المهنية ، والتي يحتلها نتيجة قدرات وإنجازات فردية تحدد بدورها مكانة الأسرة في البناء الاجتماعي . وبما أن الزوج يقوم بالأعمال المهنية التي هي المصدر الأساسي للمكانة الاجتماعية والاقتصادية ، فإنه المسؤول عن اقتصاد الأسرة ومعيشتها . أما دور الزوجة الاقتصادي في الأسرة ، فهو دور ثانوي غير أساسي ، لأن دورها الحقيقي هو الإنجاب والتنشئة الاجتماعية والتي سوف تعود بالنفع على أفراد الأسرة وعلى المجتمع ككل . هذا التصنيف في الأدوار في رأي (بارسونز) القائم على أساس الجنس ، هو الذي يؤدي إلى جو عائلي مستقر وخال من التوترات والصراعات ، وعدم وجود ذلك التحديد في الأدوار لايشكل خطراً فقطَ على مستوى النسق الأسري ، وإنما يهدد النسق الاجتماعي ككل [١] .

كما نجد المفكرين الاجتماعيين أوجيست كونت وهربت سبنسر من رواد النظرية العضوية الوضعية الاجتماعية ، يقدمان أيضًا تصنيفات لأدوار المرأة والرجل بحيث تقوم المرأة بالوظائف المنزلية والتربوية من رعاية للزوج ، ورعاية للطفل ، وغرس الفضائل الأخلاقية ، وتثبيت الروح الاجتماعية فيه ، وتعويده على أن يكون مواطنًا فاضلاً ، بينما مهمات الرجل العمل والكسب خارج نطاق الأسرة في أوجه أنشطة الحياة العامة في المجتمع بما لديه من امتيازات تجعله متفوقًا على المرأة [٢] .

وفي المقابل هناك بعض الاتجاهات والآراء من بعض المفكرين الاجتماعيين الذين يؤكدون أن تخصيص أدوار معينة للمرأة وأخرى للرجل ليست نتاج عوامل بيولوجية ، وإنما هو نتيجة عوامل ثقافية واجتماعية تختلف من مجتمع إلى آخر ، ومن خلال

---

(١) **Talcott Parsons,** *The Isolated Conjugal Family in Sociology of the Family* . Aderson, New York, Penguin Books, 1982 , p. 186 .

(٢) مصطفى الخشاب ، *مرجع سابق* ، ص ص : ٣٢-٣٧ .

التنشئة الاجتماعية التي تختلف من مجتمع إلى آخر يتدرب الأطفال وينشأون على الأدوار التي يقومون بها في مستقبل حياتهم ، ويؤكد بعض هؤلاء المفكرين أن العوامل البيولوجية لم تحدد عبر التاريخ طبيعة ونوعية الأنشطة والأدوار التي تقوم بها المرأة ، فقد وجد في بعض المجتمعات القديمة أن المرأة كانت تقوم بأعمال يقوم بها الرجل مثل الصيد والجمع وغيرها ، بينما احتلت المرأة في بعض المجتمعات الحديثة مناصب هامة أيضًا ، وشاركت في أعمال كثيرة ومختلفة في المجتمع [١] .

الدراسات السابقة

لقد تزايدت الدراسات الاجتماعية حول عمل المرأة خارج نطاق منزلها ، وهذا التزايد جاء نتيجة للإقبال المستمر والمتنامي في المشاركة في سوق العمل من قبل النساء ، وكثير من هذه الدراسات ركزت حول معرفة مدى مشاركة المرأة في القوى العاملة في المجتمع ، وما مدى تأثير الخروج لذلك العمل على حياة المرأة نفسها ، وعلى أسرتها ، ثم محاولة معرفة الدوافع وراء خروجها . إلا أن الدراسات الاجتماعية حول تأثير خروج المرأة للعمل على بعض وظائفها أو أدوارها كربة بيت أو أم مربية للأبناء وصاحبة دور فعال ورئيسي في التنشئة الاجتماعية ، ومالها من دور في السلوك الإنجابي المؤثر في حجم الأسرة ، فإن هذا النوع من الدراسات مازال محدودًا في المجتمع العربي السعودي ، ولهذا جاءت هذه الدراسة كمحاولة لمعرفة ما هو التأثير الذي أحدثه خروج المرأة السعودية إلى ميادين العمل المختلفة التي أتاحها لها المجتمع ، ولاسيما في السنوات الأخيرة . وسأحاول التطرق إلى بعض الدراسات المتاحة والتي لها صلة بموضوع الدراسة .

فبالنسبة للآثار الناتجة عن خروج المرأة للعمل على أطفالها تشير بعض الدراسات لوجود الآثار السلبية والإيجابيةعلى وضع الأطفال النفسي والاجتماعي . فعلى مستوى الآثار السلبية تشير بعض الدراسات إلى أن الأطفال يتأثرون لغياب الأم ، وقد يتعرضون لبعض الإحباطات النفسية ، والتوتر والقلق ، كما أن الأم العاملة تشعر

Anne, Oakley, *Sex , Gender and Society,* Temple Smith, London , 1972 , p. 128 . (١)

بالتقصير تجاه العناية بأبنائها من حيث التربية والتنشئة الاجتماعية [١] . كما يشير بعض الاجتماعيين أن خروج المرأة للعمل يؤدي إلى وجود آثار سلبية على الأبناء لأن غياب الأم ولفترة ربما تكون طويلة بعيدة عن أطفالها يؤدي إلى ضعف عاطفة الأمومة لديها ، ويضعف العلاقة الحميمة بينها وبين أطفالها ، كما أن العمل قد جردها من الارتباطات التي كانت بينها وبين هؤلاء الأطفال [٢] . ويشير أحد الباحثين الاجتماعيين إلى أن معدل الانحرف للأحداث يكون مرتفعًا لدى أطفال الأسر التي تعمل فيها الأم مقارنة بأطفال الأسر التي تبقى فيها الأم داخل المنزل دون عمل خارجي [٣] . وتؤكد بعض الدراسات أن من أهم الآثار السلبية لعمل الأم والتي قد يتأثر بها الأبناء هو عدم تقديم الرعاية والعناية الكاملة لهم ، وأنه بسبب غياب الأم عن البيت ، ولاسيما لفترات طويلة ورجوعها من عملها مرهقة ومتبعة ، فإنها لاتستطيع مشاركة أطفالها أمورهم التربوية والاجتماعية والترفيهية ، وبالتالي لايتوفر لمثل هؤلاء الأبناء الجو الاجتماعي النفسي المريح الذي لاشك في أنه يؤثر على حياتهم وتنشئتهم [٤] . كما تؤكد دراسة أخرى بوجود علاقة سلبية بين خروج الأم للعمل ، وتقديم الرعاية الكاملة لأبنائها ، ولاسيما فيما يتعلق باحتياجات النمو ، فغياب الأم عن الأطفال في السنوات الأولى من أعمارهم يقلل من فترات الرضاعة الطبيعية ، ويقلل من فائدتها الغذائية ، كما أن خروج الأم للعمل وما يسببه من إرهاق نفسي وجسدي لها ، وعدم قدرتها بإيفاء متطلبات أسرتها من زوج وأبناء وبيت يجعلها متوترة وعصبية ، وبالتالي لاتستطيع إعطاء أطفالها الوقت الكافي للرضاعة الطبيعية والتغذية السليمة . وتشير الدراسة أيضًا إلى أن النمو النفسي والاجتماعي السليم قد لايتوفر لدى أبناء المرأة العاملة نظرًا لرغبة الأم العاملة في الإنجاب في سن متأخرة ، وتناقص عدد مرات الإنجاب ، وكذلك المباعدة الطويلة في

---

(١) إبراهيم الجوير ، مرجع *سابق* ، عمل المرأة في المنزل وخارجه ، ص١٠٧ .

(٢) علي عبدالرزاق جلبي ، *علم اجتماع الصناعة* ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ . ص٤٥ .

(٣) عبدالله الخريجي ، *علم الاجتماع العائلي مع دراسة للأسرة في الإسلام* ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص٣٥١ .

(٤) منى يونس ، اعتراضات المرأة العاملة على العمل ، *مجلة العلوم الاجتماعية* ، المجلد الخامس عشر ، العدد الرابع ، الكويت ، ١٩٨٧ ، ص ص : ٢٠٦- ٢٢٨ .

الإنجاب ، مما قد يؤدي إلى حرمان الطفل من رفقة متقاربة معه في السن ، مما قد يؤثر ذلك في أنماط السلوك النفسي والاجتماعي للطفل (١) . ومن خلال دراسة أخرى اتضح أن خروج الأم للعمل له آثار تربوية واجتماعية سيئة على الأطفال ، ولاسيما في السنوات الأولى من أعمارهم ، لأن الأم العاملة تتخلى عن دورها في الإشراف والتربية للخادمة أو المربية التي تقوم بدور الأم البديلة ، والتي عادةً تكون قادمة من بيئة ثقافية مختلفة عن مجتمعنا السعودي ، ونظرًا لبقاء الأطفال معها لفترات طويلة أثناء غياب الأم لفترات طويلة أثناء غياب الأم فإنهم يكتسبون كثيرًا من عاداتها وتقاليدها ، والتي تحاول أن تنشئهم وتربيهم عليها ، بل ربما تقودهم أو تعودهم على السلوك الانحرافي (٢) . ونتيجة لخروج الأم للعمل ، وما قد يترتب عليه من مشكلات نفسية واجتماعية على شخصية الأبناء ، فإن بعض الدراسات تشير إلى أن الأمهات قد شعرن بالقلق وعدم الارتياح النفسي لترك الأبناء ولفترة طويلة ، وبالتالي يحاولن التعويض عن غيابهن بأن يكن أمهات صالحات وقدوة مثلى للأبناء ومنحهم مزيدًا من الحب والعطف و الحنان (٣) .

أما على مستوى الآثار الإيجابية لعمل المرأة على أبنائها ، فقد أكدت بعض الدراسات أن الأم العاملة لديها اتجاهات إيجابية نحو أبنائها ، ونحو أمو متها من حيث تعويد الأطفال على النظام والاعتماد على النفس والاستقلال التدريجي ، كما أن الأم العاملة تستخدم وسائل متعددة وحديثة في تربية وتنشئة أبنائها (٤) . كما تشير دراسة أخرى إلى أن المرأة العاملة تقبل على أبنائها بشوق ولهفة من أجل تعويضهم عن الوقت الذي قضته بعيدًا عنهم ، كما أن إحساس المرأه العاملة بذاتها يكون أكثر نضجًا من

---

(١) **ليلى سليمان محمد** ، *أثر عمل المرأة على تنشئة الأبناء* ، المجلة العربية ، العدد ٢ ، ١٤٠٨هـ .

(٢) **آمال السايس** ، *المرأة الحضرية العاملة في المهن العليا والتوافق الاجتمعي* ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الاجتماع - جامعة الملك عبدالعزيز ، جدة ، ١٩٩٢ ، ص١٦٧ .

(٣) **A.E. Siegel,** and **M.B. Hass,** the working mother: a review of research, *Child Development,* September **34** (3): 513-543 1963 .

(٤) **L.W. Hoffman,** Effects of motehr èmployement of the child, *Child Development,* Vol. **32:** 179, 1963.

غيرها ، ومن هنا فهي تعكس هذا الإحساس الناضج والإحساس بالنجاح على أطفالها فتجدهم يشعرون بالإطمئنان ، كما أن علاقاتهم بوالديهم تكون قوية ، يحسون بأنهم محبوبون ومرغوب فيهم من قبل الوالدين . كما أكدت هذه الدراسة أن أبناء الأم العاملة أكثر ارتباطًا بالواقع العملي من غيرهم ، لما تمنحه الأم العاملة لأبنائها من خبرات ومهارات اكتسبتها باتصالها الدائم والمباشر بالعالم الخارجي [١] .

ومن خلال دراسة أخرى اتضح أن درجة التوافق عند أبناء العاملات يرتفع أو يزيد بشرط أن لايزيد وقت عملهن عن خمس ساعات في اليوم ، بينما هذا التوافق يقل عند أبناء العاملات اللاتي يتغيبن عن منازلهن مدة تزيد عن ثمان ساعات ، كما أظهرت هذه الدراسة بأن أبناء العاملات أكثر طموحًا من غيرهم [٢] .

وتؤكد دراسة أخرى أن أبناء العاملات أفضل من أبناء غير العاملات في السلوك الاجتماعي السليم نتيجة للطرق التربوية السليمة التي يتلقاها أبناء النساء العاملات سواء من خلال الأمهات اللاتي اكتسبن تلك الخبرة التربوية من الاحتكاك بزميلات أخريات في محيط العمل ، أو في المراحل التعليمية السابقة ، كما يكسبن الأبناء ذلك السلوك الاجتماعي السليم من خلال اختلاطهم بأقرانهم في دور الحضانة في مرحلة ماقبل الدراسة ، ونتيجة لوسائل التربية التي توفرها دور الحضانة ورياض الأطفال ، والتي تحرص الأم العاملة نتيجة لوعيها ونضجها وإدراكها التام بإلحاق أبنائها بمثل تلك المؤسسات لما لها من أهمية في تربية وتشكيل شخصية الأطفال [٣] .

أما خروج المرأة للعمل وتأثيره على دورها كربة بيت ، فتشير بعض الدراسات إلى تعرض المرأة العاملة لصراع في أدوارها كعاملة وكربة بيت ، ونتيجة لهذا فإنها لاتستطيع أن تقوم بأدوارها كاملة ويصبح لديها نوع من التشتت وسوء التنظيم [٤] . كما

---

(١) **كاميليا إبراهيم عبدالفتاح** ، *مرجع سابق* ، ص ٢٨٥ .

(٢) **بثينة قنديل** ، *رسالة مقارنة بين أبناء المشتغلات وغير المشتغلات من حيث نواحي شخصيتهم* ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص٢٢٢ .

(٣) **محمود منسي** ، عمل الأم والسلوك الاجتماعي للأبناء - دراسة مقارنة ، *مجلة العلوم الاجتماعية* ، **المجلد السادس عشر** ، العدد الرابع ، ١٩٨٨ ، ص ص : ٨٩ - ١٠٣ .

(٤) **محمد سلامة آدم** ، صراع الدور لدى المرأة المصرية العاملة ، *الكتاب السنوي لعلم الاجتماع* ، **العدد الثاني** ، دار المعارف ، ١٩٨١ ، ص ص : ١٤٣ - ١٤٦ .

تؤكد دراسة أخرى بأن خروج المرأة العاملة يفقدها القدرة على قيامها بأدوارها التقليدية داخل المنزل ، وبالتالي فهي تلجأ إلى الاعتماد على الخادمات للقيام بالأعمال المنزلية [١] . ومن خلال دراسة أخرى اتضح أن هناك علاقة سلبية بين خروج المرأة للعمل وقيامها بشؤون منزلها لازدياد وجود الخدم في منازل الأسر التي يوجد بها نساء عاملات للقيام بالأعباء المنزلية نظراً لعدم قدرة النساء العاملات القيام بتلك الأعباء ، إما بسبب الإرهاق والإجهاد الذي تتعرض له من جراء عملها خارج المنازل أو بسبب كثرة الأشغال المنزلية التي تتطلب جهداً كبيراً [٢] .

وكشفت دراسة أخرى بأن المرأة العاملة تعاني من التوتر النفسي نتيجة مشاركتها في ميادين العمل المختلفة خارج نطاق أسرتها ، وبالتالي فإنها تعاني من صراع الأدوار وعدم قدرتها على التوفيق بين أدوارها المتعددة كربة بيت وأم وعاملة ، إلا أن الناحية الاقتصادية تلعب دوراً مهماً في تخفيف حدة هذه الصراعات في أدوار المرأة ، وذلك بتوفير الخدم والوسائل الأخرى التي تساعد الزوجة على القيام بالأعمال المنزلية [٣] .

وفي مقابل هذا تؤكد بعض الدراسات أن خروج المرأة للعمل لم يؤد إلى آثار سلبية على دور المرأة داخل المنزل ، رغم خروجها للعمل ، فإنها مازالت تقوم بوظائفها داخل أسرتها وبدون تقصير . فهناك دراسة تشير إلى أن خروج المرأة القطرية من المنزل لم يؤد إلى إضعاف دورها كأم وربة بيت وإنما جعلها أكثر قدرة على القيام بأعبائها المنزلية والأسرية على حد سواء [٤] .

أما على مستوى أثر عمل المرأة على حجم أسرتها ودوره في السلوك الإنجابي ، فقد كشفت جميع الدراسات حول هذا الموضوع سواء في المجتمعات الغربية الصناعية

---

(١) ناصر ثابت ، *المرأة والتنمية والتغيرات الاجتماعية المرافقة - دراسة اجتماعية ميدانية على عينة من العاملات بدولة الإمارات العربية المتحدة* ، ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٣ . ص ص : ٢١٠ - ٢١٥ .

(٢) **Salwa Alkhateeb,** *Female Employment and Commitement in Saudi Arabia,* Unpublished, Ph.D. thesis, University College London, 1987, pp. 252-308.

(٣) فاطمة أحمد خفاجي ، *الصحة النفسية* ، دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية ، ١٩٨٩ ، ص١٣٧ .

(٤) جهينة سلطان العيسى ، نظرة المرأة القطرية العاملة لذاتها ، *المجلة العربية للعلوم الإنسانية* ، مجلد ٨ ، العدد ٢٣، ص ص ٧٨-١٠٤ .

أو في المجتمعات النامية على أن عمل المرأة يلعب دوراً أساسيًا في حفظ معدلات الخصوبة ، وأن المرأة العاملة تحاول أن تحد من حجم عائلتها من خلال إنجاب عدد محدود من الأطفال ، فقد أكدت دراسة أجريت في بعض المجتمعات الغربية على وجود علاقة قوية بين عمل المرأة وانخفاض معدلات الخصوبة في تلك المجتمعات [(١)] . كما أن هناك بعض الدراسات التي أجريت في بعض المجتمعات النامية تؤكد على وجود علاقة عكسية بين عمل المرأة وبين مستوى الخصوبة في تلك المجتمعات ، فالمرأة العاملة تفضل عدداً محدوداً من الأطفال ، وبالتالي فإن أسرة المرأة العاملة تتميز بصغر الحجم [(*)] .

خروج المرأة للعمل ودوافعه

أوضحت كثير من الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية المتعددة أن وضع المرأة ومشاركتها في الأنشطة الاقتصادية المختلفة خارج نطاق أسرتها يختلف من مجتمع إلى آخر ، وذلك بحسب الأطر الثقافيه لكل مجتمع ، وبحسب مكانة المرأة في المجتمع ، ونظرة المجتمع إليها ، وقد أشرنا في الفقرة السابقة أن المرأة في المجتمعات التي كانت

---

(١) **Judith Bake,** Demographic Science and the Redirection of Population Policy, In: *Population Studies, selected essays and research,* ed. **Kenneth, C.W.,** Chicago, Rand McNally, 1971, pp. 378-400.

(*) انظر في ذلك :

(١) **Constania Safilio- Rothschild,** *The Status of Women and Ferility Trends in Third World 1970-90 Decade,* New York, Population Council, 1985.

(٢) **Mead Cain,** *Women's Status and Fertility in Developing Countries: Som Prefence and Economic Security,* working papers, No.110, 1984 New York, Population council.

(٣) **وداد سليمان مرقس** ، *العوامل الاجتماعية المؤثرة في خصوبة المرأة العاملة* ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

(٤) **عباس فاضل السعدي** ، مقاييس الخصوبة وتباينها الإقليمي في العراق ، *مجلة العلوم الاجتماعية* ، **المجلد** ١٧ ، العدد ٣ ، ١٩٨٩ ، ص ص : ٢٦٥-٣٠١ .

(٥) **كايد أبو صبحه**، أنماط الخصوبة في المدن الأردنية وبعض العوامل المؤثرة فيها . *المجلة العربية للعلوم الإنسانية* . **المجلد** ٩ ، العدد ٣٣ ، ١٩٨٩ ، ص ص : ١٢٩ - ١٦١ .

(٦) **عثمان الحسن محمد** ، الخصوبة البشرية في الأردن ومحدداتها الاجتماعية والاقتصادية والفيزيولوجية ، *مجلة كلية الآداب* ، جامعة *الملك سعود* ، **المجلد** ١٣ ، العدد ١ ، ١٩٨٦ ، ص ص : ١٩١ - ٢٢٤ .

قبل الإسلام لم يكن لها وضع اجتماعي مناسب في المجتمع ، كما أن مشاركتها في أوجه أنشطة العمل المختلفة كانت محدودة ، ولاتقدر بأي قيمة تذكر ، وحينما جاء الإسلام سمح للمرأة بالمشاركة في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وجعل لتلك المشاركة قيمة دينية واجتماعية عالية ومقدرة من قبل المجتمع ، ثم بعد ذلك كان للمرأة على مر العصور مشاركة متفاوتة من وقت إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر ، إلا أن حدوث الثورة الصناعية في المجتمعات الغربية التي أثرت بدورها في أسلوب الحياة ، قد أحدثت تغيرات اجتماعية على مكانة المرأة ودورها في مختلف الطبقات في تلك المجتمعات . ففي الطبقات العليا زادت الثورة الجديدة من وقت الفراغ لدى المرأة ، بينما عانت المرأة في الطبقات العاملة من ظروف اقتصادية صعبة ، دفعت بها للخروج للعمل في المناجم والمصانع في ذلك الوقت ، وفي ظروف عملية صعبة مالبثت أن تحسنت وتحسنت معها مكانة المرأة العاملة تدريجيًا في ذلك الوقت (١) . وإضافة إلى الثورة الصناعية ، فإن قيام الحربين العالميتين كان لهما أثر قوي في خروج النساء للعمل في المجتمعات الغربية من أجل بناء وإعادة تعمير مادمرته الحرب ، وكذلك من أجل إعالة أنفسهن وأسرهن بعد ما فقدن أزواجهن أو من كان يقوم بتلك الوظيفة تجاههن (٢) .

ولقد تأثر دور المرأة في الولايات المتحدة الأمريكية ، بما تأثرت به المرأة في المجتمعات الغربية ، فقد كان دور المرأة في المجتمع الأمريكي سابقًا داخل المنزل ولم تشارك في مجالات العمل خارجه ، ولكن بعد التغير الذي حصل في نوعية النشاط الاقتصادي ، وتحوله من نشاط اقتصادي زراعي إلى نشاط صناعي تجاري ، وتأثر المجتمع بالحروب العالمية والأهلية بدأت المرأة تشارك في مجالات العمل المتاحة لقاء أجر معين ، فقد شاركت في مجالات التدريس ، والقيام ببعض الأعمال الكتابية والسكرتارية ، وفي مجالات الصناعة الخفيفة ، كما شارك عدد قليل منهن في مجال

---

(١) كاميليا إبراهيم عبدالفتاح ، *مرجع سابق* ، ص ٥٠ .

(٢) **Michael Haralumbos,** *Sociology Themes and Perspectives,* University Tutorial press, Britain 1980, p. 380 .

الطب والقانون وغيرها [١] .

أما على مستوى الدول النامية بما فيها الدول العربية فلم يكن للمرأة دور ومشاركة خارج نطاق أسرتها إلا في عهد قريب ، حيث كان دورها يتمركز داخل منزلها كربة بيت ، أو ساتقوم به من مشاركة بسيطة في الأنشطة الزراعية ، أو الرعوية ، وفي الأنشطة الصناعية الخفيفة كصناعة المنسوجات أو الأشياء التقليدية البسيطة إلى أن استقلت بعض هذه الدول وحاولت إيجاد حلول لمشاكلها التي ظهرت بعد حصولها على الاستقلال ، كما أن اكتشاف بعض الثروات الطبيعية في بعض المجتمعات ، وبالتالي تغير مسار اقتصاد تلك المجتمعات ، وما حدث بعد ذلك من تنمية شاملة في كافة المجالات ، ولاسيما في مجال تعليم المرأة لكافة المستويات ، ثم مالحق بعد ذلك من تنمية شاملة في كافة المجالات ، ثم مالحق بعد ذلك سن تطور صناعي ، ونهضة حديثة عاشتها كافة مجتمعات الدول النامية تقريبًا ، كل هذه العوامل وغيرها أدت إلى خروج المرأة للعمل في مجالات مختلفة ، أوجدتها التنمية والتحديث التي عاشتها وتعيشها كثير من المجتمعات سواء الغربية أو الشرقية منها [٢] . وعمومًا نستطيع أن نقول إن التغيرات والتحولات التي واجهتها وتواجهها كثير من المجتمعات بصفة عامة قد أدت إلى حدوث تغير في النظام الأسري ، بصفة عامة وفي دور ومكانة المرأة بصفة خاصة ، فقد أدى هذا التغير إلى تقليص وظائف الأسرة التي تقوم بها ، وذلك بنقل معظم هذه الوظائف إلى المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في المجتمع ، وهذا بلاشك خفف كثيراً من الأعباء والمسؤوليات التي كانت تقوم بها المرأة في المنزل ، ودفعها إلى الاتجاه إلى العمل خارج البيت [٣] . إضافة إلى ذلك فإن التقدم الصناعي والتكنولوجي دفع المرأة إلى المشاركة في ميادين العمل المختلفة ، وأخذت هذه المشاركة تزداد مع مرور الوقت ، فوجود الأجهزة والمعدات التكنولوجية الحديثة في المنزل سهلت الأعمال المنزلية

---

(١) **Robert Smuth,** *Women and Work in America* , New York, Sochochen books, 1971, p.26 .

(٢) **سهير لطفي علي** ، دراسة سوسيولوجية لدور المرأة في عملية التنمية المجتمعية في العالم النامي مع إشارة لمصر ، في كتاب المرأة والتنمية في الثمانينات ، *بحوث ودراسات* ، جامعة الكويت ، *المجلد الأول* ، ١٩٨٢ ، ص ص : ١٠-١١ .

(٣) **محمد عاطف غيث** ، *التغير الاجتماعي والتخطيط* ، دار المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٦٦ ، ص ٨٥ .

للمرأة، كما وفرت الوقت لها للخروج للعمل خارج نطاق أسرتها [١] .

أما عن دوافع خروج المرأة للعمل، فقد ذكرت بعض الدراسات أن هناك مجموعة من العوامل تختلف باختلاف المجتمعات، فهناك العامل الاقتصادي الذي يعتبر في كثير من المجتمعات من أهم العوامل التي دفع بالمرأة للخروج للعمل من أجل حاجة المرأة لكسب قوتها أو حاجة الأسرة للاعتماد على دخل المرأة، كما أن تطور السلوك الاستهلاكي للأسرة، وتعدد حاجات أفرادها، وزيادة طلباتها كان لابد من الإيفاء بهذه المتطلبات، وذلك عن طريق زيادة دخل الأسرة من خلال عمل المرأة من أجل مساهتمها في رفع مستوى معيشة الأسرة، وهذا العامل يظهر بشكل واضح كقوة دافعة لخروج المرأة للعمل في المجتمعات الغربية [٢] . وربما يكون الدافع لخروج المرأة للعمل هو الرغبة في تأكيد الذات والرغبة في إثبات القدرة على الإنتاج والمشاركة البناءة في المجتمع . كما أن جو العمل وما يؤديه للمرأة من توسيع في آفاقها، وتنمية مقومات شخصيتها ومهاراتها عامل أخر في خروجها للعمل . كما أن الرغبة في خدمة المجتمع والمشاركة في عمليات التنمية وشغل وقت الفراغ، وتوظيف واستثمار الشهادة العلمية التي تحصلت عليها، والرغبة في الاستقلال الاقتصادي والتحرر من التبعية والسيطرة للرجل، كل هذه العوامل وغيرها دفعت بالمرأة للخروج للعمل [٣] .

عمل المرأة في المجتمع السعودي

إن دور المرأة السعودية يختلف باختلاف الظروف الاقتصادية والاجتماعية المحيطة بها، وكذلك بحسب نوعية المجتمع الذي تنتمي إليه (بدوي - ريفي أو حضري) . ولقد كان للمرأة السعودية مشاركة محدودة في الأنشطة الاقتصادية في المجتمع الذي تعيش فيه، ففي المجتمع البدوي كان للمرأة مشاركة في جميع الأنشطة

---

(١) إحسان محمد الحسن، *العائلة والقرابة والزواج - دراسة تحليلية في تغير نظم العائلة والقرابة والزواج في المجتمع العربي*، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م، ص٨٩ .

(٢) **M. Griffiths,** Can we Stil Afford Occupational Segregation, *in: Women and the Work Place,* **M. Blaxall,** and **B. Reagan,** ed. The University of Chicago Press, 1976, p. 241.

(٣) كاميليا إبراهيم عبدالفتاح، *مرجع سابق*، ص ص : ٢٧٥ - ٢٨٥ .

الاقتصادية الرعوية كرعي الأغنام والجمال ، وصناعة بعض الألبان المشتقة من حليب تلك البهائم ، كما كانت المرأة البدوية تعمل في صناعة غزل الصوف اليدوي الذي يستخدم في صناعة ما يحتاجه مجتمعها المحلي ، ثم تسويق مايزيد إلى مجتمعات بدوية أخرى [١] . كما كان للمرأة البدوية مشاركة فعالة في القضايا الاجتماعية المتعلقة بأسرتها أو بمجتمعها ، فقد كان يؤخذ رأيها من قبل زوجها في اختيار المكان المناسب للهجرة التي هي سمة من سمات المجتمع البدوي حيث يتنقل أفراده من مكان إلى آخر بصورة مستمرة ودائمة ، وذلك بحثًا عن مكان أفضل يتوافر فيه الماء والكلأ . إضافة إلى ذلك فقد كانت المرأة البدوية مسؤولة عن تربية ورعاية أبنائها ، وربما تولت أيضًا إدارة شؤون أسرتها ولاسيما في غياب زوجها ، ولكن بعد مشروعات التوطين الضخمة التي تمت في المجتمع السعودي من أجل انتقال البدو من البادية واستقرارهم في الهجرى والقرى ، فقد أدت بلا شك إلى تقليص عدد السكان الذين مازالوا يعيشون الحياة البدوية ، كما أدت أيضًا إلى حدوث تغير كبير في دور المرأة ومركزها ، وكذلك مشاركتها في مجالات متعددة خارج نطاق أسرتها ومجتمعها المحلي [٢] .

أما دور وعمل المرأة في المجتمع الريفي ، فلاشك أن المجتمع الريفي يعتبر جزءاً مهمًا من المجتمع السعودي الكبير حيث إن كثيراً من القبائل قد استقرت في مناطق ريفية يتوافر بها الماء ، وفي المناطق الصالحة للزراعة التي تعتبر المهنة الرئيسة لسكان المجتمع الريفي ، ولهذا فالعائلة الريفية بجميع أفرادها تعمل في الأرض الزراعية وتحصل على كل ماتحتاجه من المأكل والملبس ، فلديها الاكتفاء الذاتي لكونها وحدة اقتصادية منتجة أكثر من كونها وحدة استهلاكية ، ودور المرأة في المجتمع الريفي دور نشط وبارز ، فهي تقوم بدورها الأساسي في المجتمع وهو ر عاية الشؤون المنزلية ، وتربية الأبناء ، كما تساهم بفعالية في النشاط الزراعي ، فتقوم بحرث الأرض وري المزارع والحصاد ، كما تقوم بدور آخر في الحياة الاقتصادية حيث تقوم بتربية الحيوانات

---

(١) **محمد علي قطان** ، *الدراسات الاجتماعية في المجتمعات البدوية* ، دار البلاد ، جدة ، ١٩٨٠ ، ص٦٩ .

(٢) **عبدالله الخريجي** ، *نظم المجتمع الإسلامي مع التطبيق على المجتمع السعودي* ، رمتان ، جدة ، ١٩٨٣ ، ص١٤٥ .

المختلفة من أجل زيادة دخل الأسرة ، كما كانت المرأة الريفية تبيع المحصول الزراعي بجانب ماتنتجه أيضًا من منتوجات ومصنوعات يدوية تقليدية كالسلال والملابس الصوفية وآنية الفخار وغيرها . وتتم تلك العملية التجارية في الأسواق المحلية الأسبوعية ، والتي يختلف يوم انعقاده باختلاف المجتمعات الريفية ، مع حدوث التغيرات التنموية في المجتمع السعودي ، فقد انخفضت مشاركة المرأة الريفية في النشاط الاقتصادي الزراعي بشكل كبير ، وذلك بسبب الظروف الاقتصادية التي أسهمت في اختفاء دورها في مظاهر ذلك النشاط . إضافة إلى التعليم الذي فتح أمام المرأة آفاقًا جديدة لم تكن موجودة من قبل (١) .

أما دور ومشاركة المرأة في المراكز الحضرية في السابق ، فقد كان دورها محدودًا مقتصرًا على الأعمال المنزلية والعناية بالأطفال ، فالمجالات أمام المرأة للمشاركة في المناطق الحضرية كانت معدومة وغير متوافرة ، فمشاركتها لاتتعدى محيطها الأسري ، فهي لم تعط الحرية للمشاركة كحال المرأة الريفية والبدوية ، ولكن بالرغم من ذلك كان هناك بعض النساء الحضريات يعملن في خياطة بعض الملابس ، ومن ثم بيعها إلى نساء الحي اللآتي يسكن فيه ، كما كن يصنعن بعض المصنوعات الخفيفة داخل المنزل وتسويقها من خلال البائعات المتجولات اللاتي كن يمارسن مهنة التجارة في الأسواق الصغيرة داخل المراكز الحضرية . كما مارست المرأة الحضرية في السابق مهنة التدريس والتعليم آن ذلك (٢) ، غير أن هذه المشاركة كانت بشكل غير منتظم ، حيث كانت السيدات اللواتي يحسن القراءة والكتابة يقمن بتعليم الأطفال مباديء القراءة والكتابة ، ولاسيما حفظ القرآن الكريم من خلال الدروس التي يعقدنها في منازلهن (٣) .

أما دور المرأة السعودية في المشاركة خارج نطاق محيط أسرتها في جميع أعمال

---

(١) **سعيد فالح الغامدي**، تغير الأدوار في الأسرة الريفية - دراسة في منطقة الباحة ، *مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية : جامعة الملك عبدالعزيز* ، **مجلد ٢** ، جدة ، ١٩٨٩ ، ص ٢٠ .

(٢) **Almana Aisha,** *Econmic Development and It's Impact on the Status of Women in Saudi Arabia,* unpublished, Ph.D. Thesis, University of Colorado, Boulen, 1981, p. 36 .

(٣) حكمت عرابي ، *المرأة المتعلمة في المجتمع السعودي : تأثيرها وتأثرها بالتغير الاجتماعي والتحديث الثقافي* . جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص٤٩ .

التنمية وبشكل منظم ، فلم يتضح إلا في عهد قريب ، أي بعد اكتشاف البترول الذي أدى إلى تغيرات اقتصادية واجتماعية كبيرة ، وقد اتخذت الدولة في المجتمع العربي السعودي أسلوب التنمية الشاملة من أجل توجيه مسارات التنمية إلى أهدافها المنسقة والمتوازنة لكافة فئات المجتمع ، بل إن التنمية في المجتمع السعودي جعلت من العنصر البشري هدفًا رئيسيًا لها ، باعتباره العامل الأساسي والمحرك للتنمية في المجتمع ، وعملية التنمية الناجحة تلك التي ترتبط بالرجل والمرأة وبدور كل منهما من خلال تنظيم اجتماعي يستطيع توظيف كل الطاقات البشرية من الجنسين . ولاشك أن الدور التنموي لكل من الرجل والمرأة يتأثر بحسب المستوى التعليمي الذي يتحصلان عليه . ومن هذا المنطلق فإننا إذا تتبعنا نشأة تعليم الفتاة في المجتمع السعودي لوجدناه أنه قد بدأ ووصل إلى مرحلة متقدمة في فترة وجيزة . فتعليم الفتاة لم يبدأ بصفة رسمية إلا عام ١٣٨٠هـ بإنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات وافتتاح ١٥ مدرسة ابتدائية موزعة على المدن الرئيسة في المملكة [١] . ونتيجة للتوسع الضخم في المصروفات المالية من قبل الدولة تجاه التعليم الخاص بالفتيات ، ونتيجة أيضًا للإقبال الهائل من قبل المواطنين على تعليم بناتهم ، حدث تطور هائل في عدد المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات ، بالإضافة إلى التطور الذي شمل المعاهد ذات التخصصات المختلفة والكليات التربوية والمتوسطة في مختلف مناطق المملكة . ولقد جاء التعليم الجامعي تتويجًا ونتيجة حتمية لانتشار التعليم ، ففتحت الجامعات السعودية أبوابها لاستقبال الفتيات السعوديات اللاتي أنهين المرحلة الثانوية ، وفي كافة التخصصات العلمية والنظرية [٢] . وكنتيجة للتوسع الكبير في مجالات التعليم الحديث أمام النساء أصبحت الفتاة السعودية حريصة على الإلتحاق بالتعليم ومواصلة الدراسة حتى المراحل الجامعية والعليا ، وهذا بلاشك زاد من وعيها وفتح أفاقًا جديدة أمامها ، وهي الفرص المناسبة لها للمشاركة في مجالات عديدة في المجتمع خارج نطاق

---

(١) وزارة المعارف ، *فصول في تعليم الفتاة في المملكة العربية السعودية* ، مركز المعلومات الإحصائية والتوثيق التربوي ، ١٩٨٢ . ص٢٧ .

(٢) وزارة التخطيط ، *خطة التنمية الخامسة* ١٩٩٠-١٩٩٥م . مطابع وزارة التخطيط ، الرياض .

أسرتها ، كما أن التعليم قد أوجد فرصًا عديدة للعمل بدلاً من الزواج [١]. كذلك كان للتعليم أثر واضح في تخلي المرأة عن كثير من المناشط الاقتصادية التقليدية التي كانت تقوم بها سواء في المجتمع البدوي أو الريفي ، ولكن يظهر ذلك بصورة واضحة في المجتمع الحضري ، حيث إن الفتيات في المراكز الحضرية قد حصلن على شهادات علمية عليا ، ثم اتجهن إلى العمل للمشاركة في تنمية المجتمع ، وعبر مجالات جديدة فتحت أمامهن كالطب والتدريس والتمريض والإشراف الاجتماعي والأعمال التجارية المتاحة لهن . ومع مرور السنوات وازدياد عدد الخريجات السعوديات في مختلف الجامعات والمعاهد والكليات ، وفي مختلف التخصصات العملية والنظرية إزدادت نسبة النساء السعوديات في القوى العاملة في المجتمع السعودي ، وأصبحن يشكلن عنصراً ضرورياً وفعالاً في عملية التنمية التي يعيشها المجتمع . أما المجالات التي أتيحت للمرأة السعودية للعمل بها فهي مختلفة ومتنوعة ، إلا أنها تتلاءم مع طبيعتها كإمرأة مسلمة وتتمشى مع قيم وتقاليد المجتمع ، ويعتبر القطاع الحكومي الجهة الرئيسة المستقطبة للمرأة السعودية العاملة ، وقد بلغ نسبة العاملات في هذا القطاع (٩٠٪) من حجم العمالة النسائية في المجتمع [٢] . ومن أبرز مجالات العمل في القطاع العام مجال التعليم الذي يستوعب أكبر عدد من العمالة النسائية السعودية سواء على مستوى التعليم الجامعي كما في الجامعات السعودية ، ويتميز مجال التعليم بتهيئة الفرص الوظيفية ذات الدخل المناسب بعيداً عن الاختلاط بالرجال ، واقتصار التدريس على الفتيات فقط . وفي مجال الرعاية الاجتماعية شاركت المرأة السعودية وبشكل فعال سواء عن طريق المؤسسات التابعة لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية أو عن طريق الجمعيات النسوية الخيرية ، كما شاركت المرأة السعودية في مجال الصحة عن طريق المستشفيات والمستوصفات كطبيبة وممرضة وإخصائية اجتماعية . وأيضًا هناك مشاركة للمرأة السعودية في مجال الإعلام كصحفيات ومذيعات وكمعدات برامج أطفال وغيرها . كما أن للمرأة السعودية مشاركة في

---

(١) **Soraya Al-Torki,** Family organization and women's and women's in urban Saudi Arabian society , *Journal of Anthropological Research,* **33:** 283, 1977.

(٢) *نشرة ديوان الخدمة المدنية* ، ١٩٩٤م .

مجال الجمارك كمفتشات جوازات للنساء في المطارات السعودية ، هذا بالإضافة إلى مشاركتها ومساهمتها في بعض المصالح الحكومية الأخرى .

أما على مستوى القطاع الخاص فقد شاركت المرأة السعودية من خلال عملها في البنوك النسائية التي انتشرت في جميع أنحاء المملكة ، كما برز العديد من النساء السعوديات لمزاولة الأعمال التجارية في أسواق النساء خاصة ، أو من خلال فتح مشاغل لتصميم وحياكة الملابس النسائية ومزاولة بعض الأعمال التجارية الخاصة بالمرأة .

وبالرغم من المشاركة والمساهمة الفعالة التي أحرزتها المرأة السعودية في بعض مجالات العمل ، والتي أدت إلى تنمية المجتمع بشكل عام وتنمية موارد أسرتها الاقتصادية بشكل خاص ، إلا أن هذه المشاركة من قبل المرأة السعودية مازالت محدودة في بعض المجالات ، وهذا ربما يؤدي إلى قصور في عمليات التنمية الشاملة في المجتمع .

أما عن دوافع خروج المرأة السعودية للعمل . فكما سبق أن أشرنا إلى أن هناك مجموعة عوامل اقتصادية واجتماعية وثقافية دفعت بالمرأة للخروج للعمل اختلفت من مجتمع إلى آخر ، وذلك بحسب ظروف المجتمع الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، هذه العوامل السابقة الذكر يمكن أن تكون تقريبًا هي المحرك والدافع للمرأة السعودية للخروج للعمل في المجالات المتاحة أمامها ، فهناك الدافع الاقتصادي ، وهناك الرغبة في الحصول على مكانة اجتماعية من خلال العمل ، والحصول على خبرات معينة ، وشغل وقت الفراغ ، وتحقيق الذات ، والواجب الوطني [١] . كذلك جو العمل المتاح أمام المرأة السعودية الذي يتميز بالمحافظة على كرامتها وحرمتها . وحاجة نساء المجتمع إلى عمل المرأة السعودية لتحل محل الرجل الذي يؤدي وجوده إلى الاختلاط غير المرغوب شرعًا وعرفًا دفعها أيضا إلى الخروج للعمل ، كما أن التنمية الشاملة في كافة المجالات في

---

(١) **Bahry Louay,** The new Saudi women, *The Middle East Journal,* **36:** 508, 1982.

المجتمع السعودي تتطلب مشاركة المرأة السعودية للعمل ، هذه العوامل وغيرها قد دفعت بالمرأة السعودية للعمل خارج المنزل [١] .

الدراسة الميدانية

منطقة الدراسة

أجريت هذه الدراسة في مدينة جدة التي تعتبر من أهم المدن السعودية من حيث الموقع الجغرافي والتجاري ، حيث تقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر في منطقة تلتقي عندها طرق المواصلات البرية والبحرية ، فهي أقرب نقطة بحرية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، مما جعلها البوابة الرئيسة للقادمين لهاتين المدينتين المقدستين من جميع أنحاء العالم ، كما تعتبر مركزًا تجاريًا هامًا بالنسبة للملكة ، حيث تعتبر الميناء الأول على البحر الأحمر الذي تأتي عن طريقه نسبة كبيرة من جملة الواردات إلى المملكة . وقد عرفت جدة الاتصال بالعالم الخارجي منذ زمن بعيد نظرا لموقعها الجغرافي المميز الذي جعل منها همزة وصل مع العالم الخارجي من خلال قدوم الحجاج عبرها ، أو من خلال الهجرة الخارجية التي توافدت أولاً على مدينة جدة [٢] . وقد نمت المدينة نمواً سريعًا ولاسيما في العقود الثلاثة الأخيرة ، وارتبط ذلك بتوظيف عائدات النفط في تنمية المدن السعودية بما فيها جدة بسبب موقعها كميناء ، وبسبب مكانتها التجارية . وواكب هذا النمو في المدينة زيادة في حجم السكان وتنوع أنشطتهم ، وانتشار التعليم بكافة مراحله للجنسين ، بالإضافة إلى تنوع واختلاف مجالات العمل أمام الخريجين والخريجات من المؤسسات التعليمية المتنوعة سواء الموجودة في مدينة جدة أم تلك المتوافرة في أنحاء مناطق المملكة المختلفة . ولقد كان لهذا التطور في مجال التعليم بالنسبة للفتاة أثر في خروجها للعمل في المجالات التعليمية الخاصة بالنساء ثم في مجالات العمل الأخرى

---

(١) **علي العبد القادر** ، اتجاهات طالبات الملك فيصل نحو عمل المرأة السعودية ، مجلة *العلوم الاجتماعية* ، **مجلد ٢٣** (العدد الأول) : ١٢٣ . ١٩٩٥ م .

(٢) **فاطمة عبدالعزيز الحمدان** ، *دراسة أيكولوجية على متغيرات النمو السكاني بمدينة جدة* ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٩٨٧ ، ص ص : ٣٠-٣١ .

سواء تلك المرتبطة بالمؤسسات الحكومية أو المؤسسات الخاصة (البنوك النسائية - مدارس النساء الخاصة) أو في الأعمال التجارية كالأسواق الخاصة بالنساء والتي كان افتتاحها لأول مرة في مدينة جدة عام ١٤٠٦هـ[(١)] .

مناقشة وتحليل بيانات الدراسة

من خلال عرض وتحليل البيانات المرتبطة بموضوع الدراسة التي اشتملت عليها الدراسة الميدانية ، فإننا سوف نتطرق إلى خمسة جوانب رئيسة هي :

١- البيانات الأساسية للعينة وتشمل الخصائص الديموجرافية والاجتماعية للمبحوثات .

٢- عمل المرأة ودورها كأم ومربية من حيث تربية وتنشئة اطفالها .

٣- عمل المرأة ودورها الأسري كربة منزل من حيث قيامها بالأعمال المنزلية .

٤- عمل المرأة ووظيفة الإنجاب أو السلوك الإنجابي من حيث نظرتها لبعض القضايا المرتبطة بفكرة تنظيم الأسرة .

٥- عمل المرأة ورأي الزوج فيه من حيث القبول والرفض له .

١- البيانات الأساسية : الخصائص الديموجرافية والاجتماعية للمبحوثات

يوضح الجدول رقم (١) توزيع أفراد العينة حسب فئات العمر ، ونلاحظ في هذا الجدول أن النسبة الكبرى (٦١,٣٪) من المبحوثات تقع أعمارهن مابين الخامسة والعشرين إلى الخامسة والثلاثين ، وهي سن مناسب لأن الدراسة الميدانية قد أجريت على عينة من النساء السعوديات العاملات والمتزوجات ولديهن أطفال كما أشرنا سابقًا ، وهذا يعنى أن كثيرًا من النساء العاملات قد أنهين بعض المراحل التعليمية .

---

(١) **سميرة سعد الدين المغربي** ، *عمل المرأة ونمط السلطة - دراسة ميدانية للأسرة السعودية في مدينة جدة* ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الملك عبدالعزيز - قسم الاجتماع ، جدة ، ١٩٨٧ ، ص ٩٠ .

جدول رقم (١) توزيع أفراد العينة حسب العمر

العمر	التكرار	النسبة
من ١٥ - ٢٠ سنة	١٤	٣,٥
من ٢٠ - ٢٥ سنة	٥٢	١٣,٠
من ٢٥ - ٣٠ سنة	١٠٥	٢٦,٣
من ٣٠ - ٣٥ سنة	١٤٠	٣٥,٠
من ٣٥ - ٤٠ سنة	٦٢	١٥,٥
أكثر من ٤٠ سنة	٢٧	٦,٧
المجموع	٤٠٠	٪١٠٠

وعملن لسنوات معينة ، مما سوف يكون له أثر في معرفة مدى تأثير خروج المرأة للعمل على الجوانب المدروسة في الحياة الأسرية للمرأة . أما النساء اللاتي تزيد أعمارهن عن خمس وثلاثين سنة من أفراد هذه العينة فقد بلغت نسبتهن (٢٢,٢٪) ، وهن يمثلن الرعيل الأول ممن التحقن بالتعليم ، ولاسيما خارج المملكة ، كما ذكر بعضهن ذلك أثناء الدراسة الميدانية ، ثم خرجن للعمل حينما كان هناك فرص وظيفية محددة أمام المرأة . وتشكل النساء اللاتي تقع أعمارهن مابين الخامسة عشرة إلى الخامسة والعشرين في هذه العينة (١٦,٥٪) وهي أقل نسبة ، وكما ذكرنا سابقًا بأن هذه العينة من النساء المتزوجات ولديهن أطفال وعاملات في نفس الوقت ، فإننا نفهم من هذا أن الزواج في هذه المرحلة العمرية بدأ يقل تدريجيًا ، ولاسيما في المناطق الحضرية من المجتمع كمدينة جدة ، وهذا ما تؤكده بعض الدراسات (١-٤) .

(١) **أبو بكر باقادر** ، بنية الأسرة العربية - دراسة تطبيقية على مدينة جدة ، محاضرات النادي الأدبي الثقافي . جدة ، ١٩٨٤ .

(٢) **سعيد فالح الغامدي** ، التراث الشعبي في القرية والمدينة . دار العلم والنشر ، جدة ، ١٩٨٥ .

(٣) **إبراهيم مبارك الجوير** ، تأخر الشباب الجامعي في الزواج ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٩٩٥ .

(٤) **سامية الخشاب** ، الفتاة المعاصرة والزواج - دراسة ميدانية على المجتمع السعودي ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

جدول رقم (٢) توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي

المستوى التعليمي	التكرار	النسبة
غير متعلمة	٩	٢,٢
تقرأ وتكتب	١٧	٤,٣
ابتدائي	٤٠	١٠,٠
متوسط	٥٥	١٣,٨
ثانوي	٨٢	٢٠,٥
جامعي	١٧٥	٤٣,٧
دراسات عليا	٢٢	٥,٥
غير ذلك	-	
المجموع	٤٠٠	١٠٠٪

يتضح من الجدول رقم (٢) والذي يتعلق بتوزيع المبحوثات وفقًا لمستوياتهن التعليمية ، أن اللاتي لم يتلقين تعليمًا نظاميًا قد بلغت نسبتهن (٦,٥٪) من عينة الدراسة يمثلن فئة الأميات ، وفئة من يعرف القراءة والكتابة ، وهي نسبة صغيرة تمثل ربما اللاتي لم تسمح ظروفهن بالالتحاق بالمؤسسات التعليمية المختلفة في المجتمع ، وقد بلغت نسبة مم تلقين تعليمًا عامًا من خلال المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية (٤٤,٣٪) من عينة الدراسة . أما من حصلن على شهادة جامعية فما بعدها فقد بلغت نسبتهن (٤٩,٢٪) ، وهي تمثل أعلى نسبة من عينة الدراسة . ونلاحظ من خلال الجدول السابق أن هناك إقبالاً على التعليم من الفتاة السعودية ولاسيما بعد انتشار المؤسسات التعليمية المختلفة إيمانًا منها بأهمية التعليم وبالدور الذي يلعبه في اكتسابها الخبرات ، وفي تنامي وعيها الاجتماعي والاقتصادي . ولاشك أن تعليم الفتاة له ارتباطه الوثيق بعملها خارج المنزل، بل يعتبر دافعًا قويًا ومتطلبًا أساسيًا للعمل خارج المنزل الذي تسعى المرأة لاستثمار المؤهل الدراسي فيه ، وتحقيق المنافع الاجتماعية والاقتصادية المترتبة عليه [1] .

(١) علي العبد القادر ، مرجع سابق ، ص١٢٢ .

جدول رقم (٣) توزيع أفراد العينة حسب المهنة

المهنة	التكرار	النسبة
معلمة	٢٣٨	٥٩,٥
طبيبة	٣٢	٨,٠
موظفة إدارية	٦٩	١٧,٢
ممرضة	١٥	٣,٨
إخصائية اجتماعية	٢٦	٦,٥
مستخدمة	١٣	٣,٣
مربية أطفال	٧	١,٧
غير ذلك	-	-
المجموع	٤٠٠	٪١٠٠

كما ذكرنا سابقًا بأن عينة هذه الدراسة من النساء العاملات ، وبالتالي فإن جدول رقم (٣) يكشف لنا توزيع أفراد عينة الدراسة وفقًا لنوع المهنة التي يمارسنها ، حيث نجد أن النسبة العظمى من أفراد العينة (٥, ٥٩٪) يعملن في القطاع التعليمي النسائي كمعلمات ، باعتبار أن العمل في مجال التعليم بالنسبة للمرأة من أكثر المجالات قبولاً لدى أفراد المجتمع لأنه يتناسب مع القيم والمبادئ الثقافية للمجتمع ، كما أن هذا النوع من العمل يحقق دخلاً مرتفعًا مقارنةً مع كثير من المهن الوظيفية المتوافرة أمام المرأة ، كما أن هذا النوع من العمل مرتبط بدوام واحد يهيء الفرصة أمام المرأة لكي توفق بين أدوارها المختلفة كإمرأة عاملة وأم وربة بيت . أما اللاتي يعملن كموظفات إداريات فقد بلغت نسبتهن (٢, ١٧٪) من عينة الدراسة ، وأكثر هذه الوظائف المرتبطة بالمؤسسات التعليمية الخاصة بالنساء . أما اللاتي يعملن في مجال التطبيب والتمريض فقد بلغت نسبتهن (٨, ١١٪) من سجموع العينة ، فيما جاء في المرتبة الرابعة اللاتي يعملن في مجال الخدمة الاجتماعية كإخصائيات اجتماعيات ، سواء في المجال الصحي أو مجالات الخدمة الاجتماعية التابعة لوزارة العمل والشؤون الإجتماعية والمؤسسات الخيرية التابعة لها . كما يوضح لنا الجدول السابق أيضًا أن نسبة (٣, ٣٪) من عينة الدراسة سن اللاتي يعملن في مهن وظيفية بسيطة كمستخدمات أو فراشات ، وهؤلاء

من اللاتي لم يحصلن على مؤهل تعليمي مناسب ، وإنما خرجن للعمل من أجل ظروفهن الاقتصادية الخاصة بهن وبأسرهن . أخيراً نجد أن نسبة (٧ , ١٪) فقط من عينة الدراسة ممن يعملن كمربيات أطفال في بعض دور الحضانة التابعة للمؤسسات التربوية الحكومية والخاصة . ومن خلال هذا الجدول نستطيع أن نؤكد أنه على الرغم من حداثة عمل المرأة السعودية وخاصة في بعض المجالات كمجال الطب والتمريض وبعض المهن الأخرى ، إلا أنه يتضح أن هناك إقبالاً من المرأة السعودية المتعلمة للعمل والمشاركة في المجالات المتاحة أمامها والتي تتفق مع قيم المجتمع وتقاليده ، وهذا نوع من التغير الذي يشهده المجتمع في الآونة الأخيرة .

جدول رقم (٤) توزيع أفراد العينة حسب الدخل الشهري

الدخل الشهري	التكرار	النسبة
أقل من ٢٠٠٠ ريال	٢٤	٦,٠
من ٢٠٠٠-٤٠٠٠ ريال	٧٤	١٨,٥
من ٤٠٠٠-٦٠٠٠ ريال	١٨٣	٤٥,٧
من ٦٠٠٠-٨٠٠٠ ريال	٩٦	٢٤,٠
من ٨٠٠٠-١٠٠٠٠ ريال	١٧	٤,٣
أكثر من ١٠٠٠٠ ريال	٦	١,٥
المجموع	٤٠٠	٪١٠٠

باستقراء الجدول رقم (٤) الذي يوضح توزيع المبحوثات حسب الدخل الشهري ، اتضح أن غالبية المبحوثات وبنسبة (٧ , ٦٩٪) يبلغ متوسط دخلهن الشهري من ٤٠٠٠ إلى أقل من ٨٠٠٠ ريال . وهن اللاتي حصلن على مؤهلات تعليمية عالية ويعملن في مجال التدريس أو التطبيب ، وهذان المجالان يوفران أجوراً مرتفعة للعاملات في المجتمع السعودي . أما من يبلغ متوسط دخلهن الشهري من ٢٠٠٠ إلى أقل من ٤٠٠٠ ريال فقد كانت نسبتهن (٥ , ٢٤٪) . وأخيراً نسبة (٨ , ٥٪) بلغ متوسط دخلهن الشهري أكثر من ٨٠٠٠ ريال . هذا التفاوت في متوسط الدخل الشهري لأفراد العينة يرجع إلى اختلاف وتنوع المهن اللاتي يمارسنها .

جدول رقم (٥) توزيع أفراد العينة حسب عدد الأبناء

عدد الأبناء	التكرار	النسبة
طفل واحد	١٠٩	٢٧,٣
طفلان	١٣٨	٣٤,٥
ثلاثة أطفال	٨٣	٣٤,٥
أربعة أطفال	٦١	١٥,٢
خمسة أطفال فأكثر	٩	٢,٣
المجموع	٤٠٠	٪١٠٠

العينة التي اشتملت عليها هذه الدراسة من النساء المتزوجات واللاتي لديهن أبناء ويعملن خارج المنزل ، وبالنظر في عدد أبناء المبحوثات ، فإن الجدول رقم (٥) يوضح لنا أن النسبة الكبرى من أفراد العينة (٨ , ٦١٪) لديهن طفل أو طفلين ، وربما يرجع هنا إلى تأخرهن في الزواج من أجل مواصلة التعليم أو إلى تغير قيمة الإنجاب نتيجة للتعليم والخروج للعمل . أما من لديهن ثلاثة أو أربعة أطفال فقد بلغت نسبتهن (٩ , ٣٥٪) من مجموع العينة . وأخيراً نجد في الجدول السابق أن نسبة (٣ , ٢٪) من المبحوثات لديهن أكثر من خمسة أطفال وربما هؤلاء يمثلن النساء المتزوجات في سن مبكرة .

٢- *عمل المرأة والجانب التربوي كأم ومربية لأطفالها*

كما أشرنا سابقاً بأن خروج المرأة للعمل ليس قضية شخصية تعنيها بمفردها فقط وإنما هي قضية لها ارتباط وآثار بجوانب عديدة تتعلق بالمجتمع أو بأسرتها كإمرأة عاملة ، ومن هذه الجوانب ، الجانب التربوي داخل الأسرة والتي تقوم فيه المرأة بدور أساسي وحيوي تجاه أبنائها . ولاشك في أن العناية بالأطفال ورعايتهم وتربيتهم من أهم الوظائف التي تقوم بها الأسرة ، لأن الطفل منذ لحظة ولادته يتأثر بالجماعة التي يعيش فيها ، وبالتالي فإن سلوكه الاجتماعي يتشكل من خلال التفاعل الاجتماعي مع أفراد أسرته ، ومن خلال عملية التنشئة الاجتماعية ، ويلعب الوالدان وبصفة خاصة الأم دوراً هاماً في إكساب الطفل ثقافة المجتمع بكل مافيها من قيم وعادات وتقاليد ومعايير

اجتماعية [١] . كما أن الجانب التربوي الذي تقوم به الأسرة وخاصة الوالدين ، والذي يتضمن متابعة دروس الأبناء وتحصيلهم الدراسي له الأثر الأكبر في تحصيلهم الدراسي باعتبار أن الأسرة مؤسسة تربوية تسعى إلى رعاية ومتابعة الأبناء دراسيًا ، وقد أثبتت بعض الدراسات أن متابعة واهتمام الأسرة وخاصة الأم له الأثر الكبير في تحصيلهم الدراسي ، وفي زيادة الفهم والاستيعاب لديهم ، وذلك من خلال توفير البيئة الصحية الملائمة للأبناء للتحصيل والاستذكار [٢] . والجانب أو الدور التربوي الذي تقوم به الأم تجاه أبنائها قد يتأثر سلبًا أو إيجابًا بخروج الأم للعمل كما أشرنا إلى ذلك في استعراضنا للدراسات السابقة . ولمعرفة ماهو الأثر الذي يتركه خروج الأم للعمل على التحصيل الدراسي للأبناء وعلى الإشراف على تربيتهم ، وكذلك على تنشئتهم ، فقد سألنا أفراد العينة بعض الأسئلة التي تدور حول هذا الجانب ، والتي سوف نستعرضها في الجداول التالية :

يوضح الجدول رقم (٦) أن هناك نسبة (٥ , ٧٥٪) من المبحوثات لديهن أطفال ملتحقون بمراحل تعليمية مختلفة تتـــراوح مابين الحضانة ورياض الأطفال ، وكـذلك المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية . أما المرحلة الجامعية فقد ذكر عدد بسيط جدًا من المبحوثات للباحث بأن لديهن أبناء في المرحلة الجامعية . أما اللاتي ليس لهن أطفال ملتحقون بأي مرحلة من المراحل التعليمية فقد بلغت نسبتهن (٥ , ٢٤٪) كما يوضحه الجدول السابق ، وربما هذه النسبة من اللاتي تزوجن حديثًا ولديهن أطفال في مراحل عمرية صغيرة لايستطعن الحاقهم بأي مرحلة من المراحل التعليمية المتوفرة .

جدول رقم (٦) توزيع أفراد العينة بحسب ما إذا كان لديهن أطفال يذهبون إلى المدرسة

وجود أطفال يذهبون إلى المدرسة	التكرار	النسبة
نعم	٣٠٢	٧٥,٥
لا	٩٨	٢٤,٥
المجموع	٤٠٠	١٠٠٪

(١) محمود منسي ، مرجع سابق ، ص٨٩ .
(٢) فتحية حسين القرشي ، *العوامل الأسرية المؤثرة على التحصيل الدراسي للطالبات* ، رسالة ماجستير غير منشورة . كلية الآداب – قسم الاجتماع ، جامعة الملك عبدالعزيز ، جدة ، ص ١٨٣ ، ١٩٩٠ .

أما من يتولى رعاية هؤلاء الأبناء الذين لايذهبون إلى أي مؤسسة تعليمية أثناء غياب الأم عن المنزل ، فإن الجدول التالي يوضح ذلك :

جدول رقم (٧) توزيع أفراد العينة بحسب من يتولى رعاية الأطفال أثناء غيابهن عن المنزل

الذين يتولون الرعاية	التكرار	النسبة
أحد الأقرباء	٦٦	٦٧,٣
الخادمة	١١	١١,٢
المربية	٢١	٢١,٤
الزوج	-	
الجيران	-	
أخرى تذكر	-	
المجموع	٩٨	١٠٠٪

يوضح لنا الجدول رقم (٧) أن النسبة الكبرى من المبحوثات (٦٧,٣٪) ذكرن أن أحد أقربائهن يتولى رعاية أبنائهن أثناء خروجهن للعمل ، وعادة تكون الأم أو الأخت ، وفي حالات قليلة تكون أم الزوج ، وهذه دلالة على وجود العلاقات والتكاتف وتقديم المساعدات بين الأقرباء في مجتمع البحث ، ولاغرابة في ذلك فكل القيم الدينية والثقافية والاجتماعية تدعو إلى وجود التكاتف والعلاقات الحميمة بين الأقرباء في المجتمع . أما نسبة (٢١,٤٪) أشرن إلى أن الخادمة هي التي تقوم برعاية أبنائهن أثناء خروجهن للعمل . على الرغم من اعتقادهن من وجود بعض الآثار السلبية لذلك ، والتي تتمثل في عدم وجود النظافة الشخصية للأبناء ، أو تعليمهم بعض العادات والتقاليد السيئة أو الإهمال في تقديم وجبات الطعام في وقتها .

أما من يتولى الإشراف على استذكار ومراجعة الأبناء لدروسهم ، فإن الجدول رقم (٨) يوضح ذلك .

حيث تبين أن أعلى نسبة بواقع (٥٠,٣٪) تتولى الأم وحدها مسؤولية مراجعة دروس الأبناء باعتبارها أكثر التصاقًا بالأبناء من غيرها ، وبالتالي فإن كثيرًا من مسؤوليات

جدول رقم (٨) توزيع أفراد العينة بحسب من يتولى الإشراف على استذكار الأبناء لدروسهم

الذي يتولى الإشراف على استذكار الأبناء لدروسهم	التكرار	النسبة
الزوج	٣٤	١١,٣
الزوجة	١٥٢	٥٠,٣
الاثنين معًا	٧٣	٢٤,٢
معلم أو معلمة خاصة	٢٣	٧,٦
المربية	٦	٢,٠
أحد الأقرباء	٤	١,٣
أخرى تذكر	١٠	٣,٣
المجموع	٣٠٢	٪١٠٠

الرعاية والتربية للأبناء تقع على عاتق الأم، ولاسيما في السنوات الأولى للأطفال [١]. كما نجد أن نسبة (٢٤,٢٪) من المبحوثات ذكرن أن متابعة ومراجعة الأبناء لدروسهم تكون من اهتمام ومسؤولية الأم والأب معًا، تلي هذه النسبة نسبة (١١,٣٪) من أفراد العينة ذكرن أن الآباء هم الذين يتولون مراجعة ومتابعة الأبناء لدروسهم، وهذا يعكس تغير بعض المفاهيم حول مسؤولية الأب داخل الأسرة، والتي بدأت تتحول من رئاسة للأسرة واتخاذ القرارات فقط إلى المشاركة الفعلية في كثير سن قضاياها ووظائفها الداخلية. كما يوضح الجدول السابق أن نسبة (٧,٦٪) من المبحوثات أشرن إلى متابعة استذكار الأبناء لدروسهم تتم من خلال معلم أو معلمة خاصة، ثم نسبة (٣,٣٪) ذكرن أن الأبناء يقومون بمراجعة واستذكار دروسهم دون مساعدة من أحد، بينما نسبة (٢٪) أوضحن أن المربيات هن اللاتي يتولين الإشراف على استذكار الأبناء لدروسهم، وأخيرًا نجد أن نسبة (١,٣٪) فقط من أفراد العينة ذكرن أن أحد أقربائهن يقومون بمراجعة ومتابعة الأبناء لدروسهم ولاسيما أثناء مواسم الإمتحانات.

(١) **T. Lidz,** Family organization and personality structure, *in* **Bell** and **Vogl,** *A Modern Introduction to the Family.* The Free Press, 1968.

ونتيجة للإشراف والمتابعة المستمرة لاستذكار الأبناء لدروسهم من قبل الوالدين وخاصة الأم كما رأينا من الجدول السابق ، فإن التقدير الذي حصل عليه الأبناء كان بين الامتياز والجيد جدًا كما هو موضح في الجدول التالي .

جدول رقم (٩) توزيع أفراد العينة بحسب التقدير الذي حصل عليه الأبناء في المدرسة

التقدير	التكرار	النسبة
امتياز	١٥٤	٥١,٠
جيد جدًا	١٢٣	٤٠,٧
جيد	٢٣	٧,٦
مقبول	٢	,٧-
المجموع	٣٠٢	٪١٠٠

من خلال استقراء الجدول رقم (٩) يتضح لنا أن نسبة (٧, ٩١٪) من المبحوثات ذكرن أن أبناءهن قد حصلوا في دراستهم على تقدير ممتاز أو جيد جدًا وهذا إشارة على أن عمل المرأة لم يؤثر تأثيرًا سلبيًا على التحصيل الدراسي للأبناء في مجتمع الدراسة ، بينما نجد أن نسبة (٣, ٨٪) من أفراد العينة ذكرن أن التقديرات التي حصل عليها أبنائهن في تحصيلهم الدراسي يتراوح مابين جيد ومقبول ، وربما هؤلاء الأبناء لم يحصلوا على الرعاية والمتابعة من قبل الأسرة في استذكار ومراجعة دروسهم لكون الوالدين غير متعلمين تعليمًا كافيًا يجعلهم قادرين على مراجعة الدروس للأبناء . هذا التحصيل المتميز لأبناء النساء العاملات إنما جاء نتيجة لاكتسابهن الخبرات التربوية من جراء التعليم ، وكذلك من محيط العمل الذي يعملن به ، ولاسيما من يعمل منهن في قطاع التعليم ، والذي يمثل المجال الأكثر استيعابًا للعمالة النسوية ، هذه الخبرات قد وظفت في متابعة ومساعدة الأبناء في استذكار دروسهم من خلال الوقت الذي يقضينه مع الأبناء ، والذي يصل إلى حد ست ساعات فأكثر ، كما هو موضح في الجدول رقم (١٠) .

جدول رقم (١٠) توزيع أفراد العينة بحسب مقدار الوقت الذي يقضينه مع أبنائهن

مقدرار الوقت	التكرار	النسبة
ساعة واحدة		
ساعتان	٤٥	١٤,٩
ثلاث ساعات	٨٨	٢٩,١
أربع ساعات	٩٩	٣٢,٨
خمس ساعات	٥٣	١٧,٦
ست ساعات	١٤	٤,٦
أكثر من ست ساعات	٣	١,٠
المجموع	٣٠٢	٪١٠٠

من مطالعة الجدول رقم (١٠) نجد أن النسبة الكبرى (٩ , ٦١٪) من المبحوثات يقضين مابين ثلاث إلى أربع ساعات يوميًا مع الأبناء في تربيتهم ومتابعة دروسهم ، بينما أشارت نسبة (٢ , ٢٣٪) من المبحوثات بأنهن يقضين مع أبنائهن ما بين خمس إلى ست ساعات فأكثر ، أما (٩ , ١٤٪) من المبحوثات فيقضين في متابعة أمور الأبناء الدراسية مايعادل ساعتين يوميًا .

وعما إذا كان خروج الأم للعمل يؤثر على المستوى التحصيلي للأبناء ، فإن الجدول رقم (١١) يوضح ذلك .

حيث تبين لنا أن خروج الأم للعمل يؤثر تأثيرًا إيجابيًا على التحصيل الدراسي للأبناء فنجد أن نسبة (٣٦٪) قد وفرن بعض الوسائل التي من الممكن أن تحسن من المستوى الدراسي للأبناء ، وذلك من خلال توفير وسائل تعليمية إضافية كالمدرس الخاص ، أو بتوفير أشرطة تعليمية يستفيد منها الأبناء ، وهذا لم يكن يتحقق لولا وجود الدخل من العمل الذي يعملن به . أما نسبة (٥ , ٢٨٪) ذكرن بأن العمل ولاسيما في مجال التدريس قد أكسبهن الخبرات والتجارب التربوية ، مما كان له الأثر الإيجابي في تعليم أبنائهن ، وبالتالي في تحسين مستواهم الدراسي . تلي هذه النسبة نسبة (٣ , ١٥٪) ذكرن أن خروجهن للعمل ساعد الأبناء على الاعتماد على أنفسهم في الاستذكار وأداء

جدول رقم (١١) توزيع أفراد العينة بحسب ما إذا كان ذهابهن للعمل يؤثر على المستوى التحصيلي للأبناء (*)

مجالات التأثير	التكرار	النسبة
عدم اجتيازهم للمراحل التي هم بها	٢٦	٤,٨
حصولهم على تقديرات غير مرضية	٤٧	٨,٧
الإهمال في أداء الواجبات	٣٦	٦,٦
الاعتماد على أنفسهم في الاستذكار وأداء الواجبات	٨٣	١٥,٣
دخلك وفر لهم وسائل تعليمية إضافية (مدرس خاص - الانضمام لمجموعات التقوية - الأشرطة التعليمية)	١٩٥	٣٦,٠
عملك أكسبك الخبرة في مجال تعليم الأطفال	١٥٤	٢٨,٥
المجموع	٥٤١	١٠٠٪

الواجبات . وعلى الرغم من وجود هذه الآثار الإيجابية المترتبة على خروج المرأة للعمل على المستوى الدراسي للأبناء ، فإن نسبة (٢٠,١٪) وكما هو موضح في الجدول السابق ذكرن بأن خروجهن للعمل كان له آثار سلبية على الأبناء ، تتمثل في عدم اجتيازهم للمراحل التعليمية أو ربما حصولهم على تقديرات غير مرضية . أو ربما عدم أدائهم للواجبات المدرسية ، وذلك لعدم وجود المتابعة من قبل الأم لانشغالها وغيابها عن المنزل .

ولمعرفة ما إذا كان خروج المرأة للعمل يؤثر على علاقتها مع أبنائها ، فإن الجدول رقم (١٢) يوضح ذلك .

يكشف لنا الجدول رقم (١٢) أن خروج المرأة للعمل في مجتمع الدراسة لم يؤثر تأثيرًا بالغًا في العلاقة التي تربطها مع أبنائها ، لذا نجد أن نسبة (٩٠,٦٪) لم يذكرن أي أثر سلبي في علاقتهن بأبنائهن ، وربما يرجع ذلك إلى الوعي الكامل لدى النساء العاملات في معرفة تهيئة الجو المناسب للأبناء للتعبير عن الذات وإبداء الرأي والمناقشة . إضافة إلى معرفتهن بالطرق الصحيحة في معالجة مشكلات الأبناء . ولكن

(*) متعدد الإجابات .

جدول رقم (١٢) توزيع أفراد العينة بحسب ما إذا كان خروجهن للعمل أثر على علاقتهن بأبنائهن (*)

جوانب التأثير	العدد	النسبة
عدم احترام الأبناء لك	٨	١,٩
عدم طاعتهم لك في توجيهاتك	١٣	٣,٠
انتفاء علاقة الصداقة بينك وبينهم		-
عدم اللجوء إليك في حل مشكلاتهم	١٩	٤,٥
لاشيء مما سبق	٣٨٥	٩٠,٦
المجموع	٤٢٥	٪١٠٠

على الرغم من هذا نجد أن (٩,٤٪) ذكرن أن الخروج للعمل أثر تأثيرًا سلبيًا في علاقاتهن بأبنائهن سواء تمثل ذلك في عدم وجود الاحترام لهن، أم عدم طاعتهن في بعض الأمور . أو في عدم اللجوء إليهن في حل المشكلات التي ربما تعترضهم .

عمومًا نستطيع أن نؤكد ومن خلال استعراضنا للجداول السابقة بأن خروج الأم للعمل لم يؤثر تأثيرًا سلبيًا على دورها التربوي تجاه أبنائها، فهي مازالت الشخص ذو التأثير البالغ في تنشئتهم الاجتماعية، وفي إشباع حاجاتهم النفسية والاجتماعية والتي تؤدي بالتالي إلى تشكيل شخصياتهم وتأهيلهم ليكونوا قادرين على تحمل مسؤولياتهم في المستقبل، كما أن خروج الأم للعمل لم يمنعها من تقديم الرعاية النفسية والعاطفية التي تتم من خلال توفير المناخ المناسب للأبناء، كما يتضح من العرض السابق أيضًا أن الأمهات العاملات قد اكتسبن كثيرًا من الخبرات المتعددة مما يجعلهن يستخدمن طرق ووسائل تربوية حديثة في تربية وتنشئة أبنائهن، كما ساعدت هذه الوسائل في متابعة واستذكار الأبناء لدروسهم مما جعلهم يحققون تقديرات عالية في مراحلهم الدراسية المختلفة .

٣- *عمل المرأة والجانب الأسري أو دورها كربة منزل*

ينطوي هذا الجانب على المواقف المختلفة التي يظهر فيها دور المرأة كربة بيت من

(*) متعدد الإجابات .

حيث القيام بالأعمال المنزلية المختلفة ومدى تأثير خروج المرأة للعمل في تقليص دورها بالقيام بهذه الوظائف المنزلية . ففي الماضي وانطلاقًا من مبدأ تقسيم العمل بين الجنسين فقد كانت المرأة تقوم بجميع الأعمال المرتبطة بالأسرة داخل المنزل ، إلا أن خروجها للعمل قد أدى إلى تقصيرها في أدائها لبعض الأعمال المنزلية المنوطة بها . وذلك لعدم قدرتها في التوفيق بين الوظائف المنزلية وبين العمل خارج المنزل (١) .

ولمعرفة أثر خروج المرأة للعمل في القيام ببعض وظائفها المنزلية والتي تحظى بقيم اجتماعية وثقافية عالية في مجتمع الدراسة ، فقد سألنا مفردات العينة عن كيفية أداء بعض الأعمال المنزلية ، فكانت الإجابة على النحو التالي :

جدول رقم (١٣) توزيع أفراد العينة بحسب من يقوم بتجهيز وجبات الغداء للأسرة

الذي يقوم بتجهيز وجبة الغداء	العدد	النسبة
الخادمة	٨٩	٢٢,٢
إحدى القريبات	٢٨	٧,٠
الزوجة بعد عودتها من العمل	٢٠٢	٥٠,٥
الشراء من المطاعم	٨١	٢٠,٣
الزوج		-
الأبناء		-
المجموع	٤٠٠	١٠٠٪

يبين الجدول رقم (١٣) كيفية تجهيز وجبات الغداء للأسرة ، اتضح أن نسبة (٥٠,٥٪) من المبحوثات يقمن بأنفسهن بتجهيز وجبة طعام الغداء بعد عودتهن من العمل لحرصهن بتوفير النظافة اللازمة في إعداد الطعام ، وربما استجابة أيضًا لمطالب أزواجهن بالقيام بذلك . بينما نسبة (٢٢,٢٪) من عينة البحث ذكرن أن الخادمة هي التي تقوم بتجهيز وإعداد وجبة الغداء للأسرة لعدم توافر الوقت لهن أو لرجوعهن

(١) **C. Holahan** and **L. Gilbert,** Inter role conflict for working women: Career versus jobs, *Journal of Applied Psychology,* **64:** 68-90, 1979.

متعبات ، وبالتالي لايستطعن القيام بتحضير وتجهيز وجبة الغداء . في حين نجد أن نسبة (٣, ٢٠٪) أشرن بأن وجبة الغداء يتم شراؤها من المطاعم لعدم قدرتهن على إعدادها بالمنزل ، ولعدم وجود من يساعدهن في ذلك ، وأخيراً نجد أن نسبة (٧٪) من عينة البحث أوضحن بأن إعداد وجبة الغداء يتم عن طريق إحدى القريبات .

أما عن القيام بوظيفة تنظيف وترتيب المنزل ، وكذلك غسل وكي ملابس الأسرة ، فإن الجدول رقم (١٤) يوضح ذلك .

يكشف لنا الجدول رقم (١٤) أن النسبة الكبرى (٥, ٨٥٪) ذكرن أن الخادمة هي التي تقوم بهذه المهمة ، أما مشاركة الزوجة في أداء هذه الوظيفة بعد خروجها للعمل ، فقد أصبحت محدود جداً ، حيث إن نسبة (٨٪) من المبحوثات يقمن بأنفسهن بأداء هذه

جدول رقم (١٤) توزيع أفراد العينة بحسب من يتولى ترتيب وتنظيف المنزل وغسل وكي ملابس أفراد الأسرة

الذي يقوم بالعمل	التكرار	النسبة
الخادمة	٣٤٢	٨٥,٥
الزوجة	٣٢	٨,٠
إحدى القريبات	-	-
أفراد الأسرة جميعًا	١٠	٢,٥
أخرى تذكر	١٦	٤,٠
المجموع	٤٠٠	٪١٠٠

الوظائف . أما نسبة (٥, ٢٪) من عينة الدراسة ذكرن أن جميع أفراد الأسرة بما فيهم الآباء والأبناء يساهمون في أداء هذه الأعمال نظراً لعدم وجود خدم بالأسرة ولعدم استطاعة الزوجة القيام بمفردها بهذه المهام ، لما يسببه هذا العمل من إرهاق وتعب يتعذر عليها القيام بمثل هذه الأعمال بعد رجوعها للمنزل . وأخيراً نجد أن نسبة (٤٪) من عينة الدراسة ذكرن بأن غسل وكي ملابس أفراد الأسرة لاتتم داخل المنزل ، وإنما في المغاسل التجارية ، وهذا دلالة على انتقال بعض الوظائف التي كانت تقوم بها الأسر في السابق إلى بعض المؤسسات المختلفة والتي أنشئت نتيجة لتطور المجتمع وتقدمه .

إن عدم قيام المرأة العاملة لبعض الأعمال المنزلية يفسر وجود النسبة الكبرى من الخدم لدى أسر المبحوثات ، كما هو مبين في الجدول رقم (١٥)

جدول رقم (١٥) توزيع أفراد العينة بحسب وجود خادمة

الإجـــــابة	التكرار	النسبة
نعم	٣٤٢	٨٥,٥
لا	٥٨	١٤,٥
المجموع	٤٠٠	٪١٠٠

فمن خلال مطالعة الجدول رقم (١٥) يتضح أن النسبة العظمى من عينة الدراسة (٥ , ٨٥٪) لديهن خادمات في المنزل من أجل مساعدتهن في الأعمال المنزلية . أما نسبة (٥ , ١٤٪) فليس لديهن خادمات ، وذلك ربما يرجع لأسباب اقتصادية تمنع أن يكون لديهن خادمات .

نستنتج من الجداول السابقة أن الجانب الأسري الذي تقوم فيه المرأة بدور ربة البيت قد تأثر سلبًا بخروجها للعمل ، وبالتالي فهي لم تعد تقوم بكثير من الوظائف المنزلية ، والتي كانت تُعَد من الأعمال الطبيعية للمرأة في المجتمع . إن تقصير المرأة العاملة في مسؤولياتها تجاه المنزل نتيجة لعدم قدرتها في التوفيق بين دورها كربة بيت ودورها كعاملة تواجه نوعًا من صراع الأدوار ، مما قد يؤثر على نفسيتها وعلى حياتها الزوجية والعملية .

٤- *عمل المرأة ووظيفة الإنجاب*

كما سبق وأن أشرنا بأن خروج المرأة للعمل من العوامل الرئيسة التي تؤدي إلى صغر حجم الأسرة ، كما أن الأدوات التي تساعد على إنجاب عدد قليل من الأطفال أكثر انتشارًا بين النساء العاملات ، ولمعرفة ماهو تأثير خروج المرأة للعمل على السلوك الإنجابي وعلى حجم الأسرة المرغوب في مجتمع الدراسة ، فإن الجدول رقم (١٦)

يوضح ذلك .

جدول رقم (١٦) توزيع أفراد العينة بحسب إذا كن استخدمن وسيلة من وسائل تنظيم النسل

الإجـــــابة	التكرار	النسبة
نعم	٢٨٩	٩٧,٣
لا	١١	٢,٧
المجموع	٤٠٠	١٠٠٪

حيث تبين لنا أن النسبة العظمى (٣ ,٩٧٪) من عينة الدراسة يستخدمن وسيلة من وسائل تنظيم النسل ، أما نسبة (٧ ,٢٪) من المبحوثات فذكرن بأنهن لم يستخدمن أي وسيلة من شأنها أن تؤدي إلى تأخر أو المباعدة بين مرات الإنجاب .

هذا الإنتشار الواسع في استخدام وسائل تنظيم النسل في مجتمع الدراسة يعود بالدرجة الأولى إلى خروجهن للعمل لكون كثرة الإنجاب من أهم معوقات اشتغال المرأة خارج منزلها ، كما أن عملها يتطلب خروجها من المنزل ، ولذلك فهي تفضل عمل فترات للمباعدة بين عدد مرات الإنجاب ، وذلك عن طريق استخدام وسائل منع الحمل حتى تحافظ على صحتها ، وحتى لاتطول فترة غيابها عن العمل ، كما أن المرأة العاملة لديها أدوار متعددة تقوم بها في حياتها ، فهي تجمع بين العمل والمنزل والأطفال ، وهذا يتطلب منها جهود مضنية تجعلها تتجه إلى تقليص حجم أسرتها . وهذا ماسيوضحه الجدول التالي رقم (١٧) .

يتضح من خلال الجدول رقم (١٧) بأن هناك اتجاهًا لدى النساء العاملات عينة هذه الدراسة نحو الميل للأسر ذات الحجم الصغير ، حيث تبين أن نسبة (٣ ,٦٠٪) من المبحوثات ذكرن بأن العدد الأمثل من الأطفال للمرأة العاملة هو مابين طفلين إلى أربعة أطفال ، لأن الحمل والولادة وتربية الأطفال عبء ثقيل من الصعب على المــرأة العاملة القيام به مع عدد كبير سن الأطفال ، ولاسيما أنها تجمع بين العمل والمنزل ، وذلك يتطلب مجهودًا كبيرًا جعلها تفضل إنجاب عدد قليل من الأطفال . كما أن الخوف والقلق ينتاب الأم العاملة من عدم كفاءتها في رعاية أطفالها الرعاية الصحية والكاملة ،

جدول رقم (١٧) توزيع أفراد العينة بحسب رأيهن في العدد المفضل للأبناء للأسرة العاملة

العدد المفضل للأبناء	التكرار	النسبة
من ٢ إلى ٤	٢٤١	٦٠,٣
من ٥ إلى ٧	١٢٣	٣٠,٧
من ٨ إلى ١٠	٣٢	٨,٠
أكثر من ١٠ أبناء	٤	١,٠
المجموع	٤٠٠	٪١٠٠

لذا فإنها تفضل إنجاب عدد قليل من الأطفال حتى تستطيع أو تتمكن من تربيتهم وتنشئتهم على الوجه الأكمل والصحيح . كما أن المرأة العاملة قد يكون خروجها للعمل بدافع اقتصادي ، لذلك فهي وأسرتها بحاجة إلى ذلك المردود ، وبالتالي فهي لاتنجب كثيراً من الأطفال حتى لايشكلون عبئًا اقتصاديًا على الأسرة لاتستطيع عنده توفير المستوى المعيشي المطلوب لأفرادها . أما من يرغب من أفراد العينة في إنجاب مايقارب من ست أطفال فقد بلغت نسبتهن (٣٠,٧٪) في حين يرى (٩٪) من العينة أن العدد الأمثل من الأبناء للمرأة العاملة يتراوح مابين ٨ إلى ١٠ أطفال .

هذا الاتجاه نحو الميل إلى إنجاب عدد قليل من الأطفال يعتبر مؤشراً من مؤشرات التغير الاجتماعي والثقافي في القيم والمعايير الاجتماعية المرتبطة بالإنجاب في مجتمع الدراسة .

وتأسيًا على ماسبق ذكره ، يمكن القول أن الجدولين السابقين كشفا عن ميل النساء العاملات في مجتمع الدراسة إلى إنجاب عدد قليل من الأبناء من أجل إعطائهم رعاية وعناية أكثر في ظل توزيع مجهوداتهن بين مسؤوليات متعددة تجاه العمل والمنزل والأطفال ، كما تبين مما سبق أيضًا أن القول والأخذ بفكرة تنظيم النسل والإقبال على وسائل تنظيم النسل من أهم الآثار المترتبة على خروج المرأة للعمل .

٥- *عمل الزوجة ورأي الزوج فيه*

يعتبر عمل المرأة في المجتمع السعودي أحد مظاهر التغير التي تميز بها المجتمع

نتيجة للتغير الاقتصادي والثقافي، كما يعتبر أيضًا من المواضيع المثيرة للجدل، وهناك آراء واتجاهات متناقضة ومتضاربة نحو عمل المرأة يمكن تصنيفها في ثلاثة اتجاهات [١].

الاتجاه الأول، ويعبر عن الرفض لعمل المرأة باعتبار أن المرأة خلقت من أجل عملها الأساسي ووظيفتها الحقيقية التي تتمثل في قيامها بالأعمال المنزلية، والقيام على شؤون الزوج وتربية وتنشئة الأطفال. ويرتكز هذا الاتجاه على فرضين أساسين هما طبيعة المرأة وتكوينها البيولوجي والنفسي يمنعها من عملها خارج نطاق بيتها. إضافة إلى ظروفها الاجتماعية والنفسية التي تحول دون عملها خارج منزلها. وخروج المرأة للعمل سن وجهة نظر أصحاب هذا الاتجاه يترتب عليه آثار سلبية تتمثل في تفكك الأسرة. كما يترتب عليه أيضًا الإهمال في إدارة شؤون المنزل، وفي تربية ورعاية الأبناء، مما قد يؤدي إلى الاضطراب النفسي والانحراف.

الاتجاه الثاني. وعبر عن التأييد التام لعمل المرأة انطلاقًا سن المساواة الكاملة بين المرأة والرجل في كل شؤون الحياة بما فيها العمل في أي مجال تريده وترغبه دون شرط أو قيد، بل إن عمل المرأة من وجهة نظر أنصار هذا الإتجاه ضرورة أجتماعية واقتصادية لابد منها في هذا العصر. وينطلق هذا الاتجاه من فكرة أن المرأة تمثل نصف المجتمع، وبما أن المجتمع يعاني من نقص كبير في الأيدي العاملة فلابد إذن للمرأة من المشاركة في عملية تنمية المجتمع عن طريق مساهمتها ومشاركتها في ميادين العمل المختلفة، طالما قد تلقت التعليم والتدريب لذلك.

وخروج المرأة للعمل من وجهة نظر المؤيدين لهذا الاتجاه في المجالات المتعددة والمختلفة سوف يترتب عليه آثار إيجابية سواء على المرأة نفسها أو علي أسرتها أو على المجتمع ككل، فسوف يقلل من الاعتماد على الأيدي العاملة الوافدة، كما أنه يساعد المرأة على التغلب على مشكلة الفراغ ويشعرها بأهمية الوقت واستغلاله بشكل مفيد، ويعمل أيضًا على زيادة دخل الأسرة ورفع المستوى المعيشي لها. وقد يحقق خروج

---

(١) صالح حمد العساف، *المرأة الخليجية والعمل في مجال التربية والتعليم*. العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٦، ص٥٧.

المرأة للعمل خارج منزلها إكسابها خبرات ومهارات تجعلها أقدر على تحمل مسؤولياتها وأداء واجباتها .

الاتجاه الثالث . يعبر هذا الاتجاه عن التوازن والتوسط بين الاتجاهين السابقين ويرتكز هذا الاتجاه على مبدأ حق المرأة في العمل في المجالات التي تتناسب مع أنوثتها ولاتتعارض مع القيم الإسلامية والمعايير الثقافية للمجتمع . ويقوم هذا الاتجاه على فكرة تقسيم العمل بين الرجل والمرأة في ميادين العمل بما يتفق مع التكوين البيولوجي والنفسي لكل جنس . وعليه فإن أنصار هذا الاتجاه يرون أن على المرأة أن تشارك في تنمية مجتمعها في أعمال تتناسب مع أنوثتها وطبيعتها وبما تقتضيه حاجة المجتمع لذلك [١] .

وبالنظر في سوقف الأزواج من عمل زوجاتهم في مجتمع الدراسة فهذا سيوضحه الجدول رقم (١٨) .

جدول رقم (١٨) توزيع أفراد العينة بحسب ما إذا كان الزوج راضٍ عن خروجها للعمل

رضا الزوج عن الخروج للعمل	التكرار	النسبة
نعم	٣٤٤	٨٦,٠
لا	٥٦	١٤,٠
المجموع	٤٠٠	١٠٠٪

يبين لنا الجدول رقم (١٨) أن النسبة الكبرى (٨٦٪) من عينة الدراسة ذكرن أن أزواجهن راضين عن عملهن خارج المنزل ، طالما أن هذا العمل لايتعارض مع القيم الإسلامية والاجتماعية والثقافية للمجتمع ، كما أن أسباب رضا الزوج عن عمل الزوجة خارج المنزل ربما يحققه من مساهمة اقتصادية في دخل وميزانية الأسرة ، أو بما يحققه من مكانة اجتماعية عالية للأسرة في المجتمع ، أو لاعتقاده بأن خروجها للعمل سوف يكسبها خبرات ومهارات تجعلها أكثر تفهمًا لأدوارها وتحملاً لمسؤلياتها . أما من ذكرن بأن أزواجهن غير راضين عن عملهن خارج المنزل فقد بلغت نسبهن (١٤٪) من مجموع عينة الدراسة ، وربما تقصير الزوجة في القيام بالأعمال المنزلية أو في رعاية

(١) **صالح حمد العساف** ، *المرجع السابق* ، ص ص ٦٢ - ٦٩ .

وتربية الأطفال سبب من أسباب عدم الرضا ، ولكن أمام الحاجة الاقتصادية للأسرة سمح الزوج لزوجته للعمل خارج المنزل من أجل الاستفادة من دخلها الاقتصادي لمواجهة متطلبات الحياة .

المراجـــــــع

أولاً : المراجع العربية

آدم ، محمد سلامة ، صراع الدور لدى المرأة المصرية العاملة ، *الكتاب السنوي لعلم الاجتماع* ، **العدد الثاني** ، القاهرة ، دار المعارف . ١٩٨١م .

بدوي ، أحمد زكي ، *معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية* ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٧م .

ثابت ، ناصر ، *المرأة والتنمية والتغيرات الاجتماعية المرافقة - دراسة اجتماعية ميدانية على عينة من العاملات بدولة الإمارات العربية المتحدة* ، الكويت ، ذات السلاسل ، ١٩٨٣م .

جلبي ، علي عبدالرزاق ، *علم اجتماع الصناعة* ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٣م .

الجوير ، إبراهيم مبارك ، *عمل المرأة في المنزل وخارجه* ، *الرياض* ، *مكتبة العبيكان* ، ١٩٩٥م .

الجولاني ، نادية عمر ، *علم الاجتماع التربوي* ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٣م .

حجازي ، محمد فؤاد ، *البناء الاجتماعي* ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٢م .

الحسن ، إحسان محمد ، *العائلة والقرابة والزواج - دراسة تحليلية في تغير نظم العائلة والقرابة والزواج في المجتمع العربي* ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٨١م .

حسن ، عبدالباسط محمد ، *أصول البحث الاجتماعي* ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٨م .

حسن ، محمد بيومي ، *الاتجاهات النفسية للشباب السعودي نحو عمل المرأة* ، جدة ، جامعة الملك عبدالعزيز ، مركز النشر العلمي ، ١٩٨٧م .

حسين ، عليه حسن ، *ربة البيت - دراسات أنثروبولوجية في المجتمع الكويتي* ، الكويت : جامعة الكويت ، ١٩٨٦م .

الحصين ، أحمد عبدالعزيز ، *المرأة العربية ومكانتها في الإسلام* ، القصيم ، مطابع المختار الإسلامية ، ١٩٨١م .

حلواني ، ابتسام عبدالرحمن ، *عمل المرأة السعودية ومشكلات على طريق العطاء* ، جدة ، عكاظ للطباعة والنشر ، ١٩٨٧م .

الحمدان، فاطمة عبدالعزيز، *دراسة أيكلوجية على متغيرات النمو السكاني بمدينة جدة*، جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م.

خفاجي، فاطمة أحمد، *الصحة النفسية*، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م.

الخريجي، عبدالله محمد، *علم الاجتماع الديني*، جدة، رامتان، ١٩٩٠م.

الخريجي، عبدالله محمد، *علم الاجتماع العائلي مع دراسة للأسرة في الإسلام*، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٨١م.

الخريجي، عبدالله محمد، *نظم المجتمع الإسلامي مع التطبيق على المجتمع العربي السعودي*، جدة، رامتان، ١٩٨٣م.

الخشاب، مصطفى، *دراسات في الاجتماع العائلي*، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨١م.

الخولي، البهي، *الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة*، الكويت، ١٩٨٤م.

رشوان، حسين عبدالحميد، *العلم والبحث العلمي - دراسة في مناهج العلوم*، ط٣، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٧م.

السايس، آمال، *المرأة الحضرية العاملة في المهن العليا والتوافق الاجتماعي*، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الاجتماع، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، ١٩٩٢م.

السعدي، عباس فاضل، *الإنجاب في العراق - دراسة في الانتشار المكاني*، *مجلة جامعة الملك سعود*، ١٩٩٢م.

سنن ابن ماجه، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٢م.

شعلان، محمود عبدالسميع، *نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام - دراسة مقارنة*، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، المجلد رقم (١) ١٩٨٣م.

عبدالفتاح، كاميليا إبراهيم، سيكولوجية *المرأة العاملة*، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٤م.

العبد القادر، علي عبدالعزيز، *اتجاهات طالبات جامعات الملك فيصل نحو عمل المرأة السعودية*، مجلة العلوم الاجتماعية، ٢٣، ١١٣-١٥١، ١٩٩٥م.

عرابي، حكمت، *المرأة المتعلمة في المجتمع السعودي: تأثيرها وتأثرها بالتغير الاجتماعي والتحديث الثقافي*، القاهرة، جامعة عين شمس، ١٩٨٢م.

العساف، صالح حمد، *المرأة الخليجية والعمل في مجال التربية والتعليم*، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٩٨٦م.

عليْ ، سهير لطفي ، دراسة سوسيولوجية لدور المرأة في عملية التنمية في العالم النامي مع إشارة لمصر ، في : *كتاب المرأة والتنمية في الثمانينيات ، بحوث دراسات* ، يحيى فايز الحداد ، الكويت : المجلد رقم (١) ، ١٩٨٢م .

العيسى ، جهينة سلطان ، نظرة المرأة القطرية العاملة لذاتها ، *المجلة العربية للعلوم الإنسانية* ، ٨ . ٧٨-١٠٥ ، ١٩٨٨م .

الغامدي ، سعيد فالح ، تغير الأدوار في الأسرة الريفية - دراسة في منطقة الباحة ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبدالعزيز ، جدة ، ١-٣٢ ، ١٩٨٩م .

غيث ، محمد عاطف ، *التغير الاجتماعي والتخطيط* ، الإسكندرية ، دار المعارف ، ١٩٦٦م .

القرشي ، فتحية حسين ، *العوامل الأسرية المؤثرة على التحصيل الدراسي للطالبات* ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - قسم الاجتماع - جامعة الملك عبدالعزيز ، جدة ، ١٩٩٠م .

قطان ، محمد علي ، *الدراسات الاجتماعية في المجتمعات البدوية* ، جدة ، دار البلاد ، ١٩٨٠م .

قنديل ، بثينة ، *دراسة مقارنة بين أبناء المشتغلات وغير المشتغلات من حيث نواحي شخصياتهم* ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة عين شمس ، ١٩٦٤م .

كحالة ، عمر رضا ، *المرأة في القديم والحديث* ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٩م .

المغربي ، سمير سعد الدين ، *عمل المرأة ونمط السلطة - دراسة ميدانية للأسرة السعودية في مدينة جدة* ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الاجتماع ، جامعة الملك عبدالعزيز ، جدة ، ١٩٨٧م .

محمد ، أحمد طه ، *المرأة المصرية بين الحاضر والماضي* ، مصر ، مطبعة دار التأليف .

محمد ، محمد علي ، *البحث الاجتماعي* ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥م .

منسي ، محمود ، عمل المرأة والسلوك الاجتماعي للأبناء - دراسة مقارنة ، مجلة *العلوم الاجتماعية* ، ١٦ ، ٨٩-١٠٥ ، ١٩٨٨م .

نصيف ، فاطمة عمر ، *حقوق المرأة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة* ، جدة ، تهامة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٢م .

نواب الدين ، عبدالرب ، *عمل المرأة وموقف الإسلام منه* ، المدينة المنورة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ١٩٨٧م .

نشرة ديوان الخدمة المدنية ، ١٩٩٤م .

وزارة المعارف، *فصول في تعليم الفتاة في المملكة العربية السعودية*، مركز المعلومات الإحصائية والتوثيق التربوي، الرياض، ١٩٨٢م.

وزارة التخطيط، *خطة التنمية الخامسة ١٩٩٠-١٩٩٥م*، الرياض، مطابع وزارة التخطيط، ١٩٩٠م.

يونس، منى، اعتراضات المرأة العاملة على العمل، *مجلة العلوم الاجتماعية*، ٤، ٢٠٩-٢٣٠، ١٩٨٧م.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

Anne, Oakley, *Sex, Gender and Society*, Temple Smith, London, 1972.

Anne, Oakley, *Housewife*, Allen Lane, London, 1974.

Bahry, Louay, The new Saudi women, *The Middle East Journal*, **36**(4): 502-515.

Goode, William, *World Revolution and Family Patterns*, The Free Press, New York, 1963.

Griffiths, M., Can we still afford occupational segregation. *In:* **Blaxallem** and **B. Reagan** (ed.) *Women and Work Place*, The University of Chicago Press, 1976.

Haralambos, Michael, *Sociology Themes and Perspectives*, University Tutorial Press, Britain, 1980.

Hoffman, L.W., Effects of mother employment on the child, *Child Development*, **32:** 174-193 (1963).

Holahan, C. and **Gilbert, L.,** Inter role conflict for working women: Career versus jobs, *Journal Applied Psychology*, **64:** 86-90 (1979).

Judith, Blake, Demographic science and the redirection of population policy. *In:* **Kenneth, C.W. Chicago** and **Rand Mcnally,** (ed.) *Population Studies, Selected Essays and Research*, 1971.

Al-Khateeb, Salwa, *Female Employment and Family Commitment in Saudi Arabia*, unpublished Ph.D. Thesis, University College, London, 1987.

Al-Mana, Aisha, *Economic Development and its Impact on the Status of Women in Saudi Arabia*, unpublished Ph.D. Thesis, University of Colorado, 1981.

Lids, T., Family organization and personality structure, *In:* **Bell** and **Vogl** (ed.) *A Modern Introduction to the Family*, The Free Press, 1968.

Parson, Talcott, The isolated conjugal family, *In:* **M. Anderson** (ed.) *Sociology of the Family*, New York, Penguin Book, 1982.

Siegel, A. and **Hass, B.,** The working mother, A review of research, *Child Development*, **34**(3): 513-543, 1963.

Smuth, Robert, *Women and Work in America*, Sochocken Book, New York, 1971.

Al-Torki, Soraya, Family organization and women's power in urban Saudi Arabian society, *Journal of Anthropological Research*, **33:** 277-288 (1977).

The Effect of Woman Work on her Family's Functions

MOHAMMED S. AL-GHAMDI
Assistant Professor, Department of Sociology, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

ABSTRACT. This study aims at discovering some of the effects of the Saudi Woman's work on her roles as "a Mother, house maker and a wife. The researcher depends on various theories. Most important among these is the Structural Functional Theory in understanding the contribution of women outside the house.

The data were collected through a questionnaire distributed to a sample of about 400 Saudi working women from the governmental and non-governmental establishments that include sections for women in Jeddah city. This study produced a number of results. Most important among these are: having a job does not affect negatively a woman's function regarding bringing up her children, and socializing them.

As for her role as a house maker the study revealed a negative effect. Because she has a job she is unable to carry out many of her house functions which are considered to be part of the natural duties of a woman in the society.

Finally, the study shows that having a job leads to a change in her view towards the family size (regarding the number of children). Working women are interested in giving birth to a fewer number of children.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الانسانية ، م٩ ، ص ص ٥٩ - ٩٤ (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)

مستخدمو الهيروين من الإنحراف المبكر إلى إدمان المخدر
(دراسة ميدانية لبعض نزلاء مستشفى الأمل بجدة)

إسماعيل عبدالحميد سعيد و يحيى تركي الخزرج

قسم الاجتماع - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبدالعزيز - جدة - المملكة العربية السعودية

المستخلص : تهدف هذه الدراسة الميدانية إلى تحديد العوامل الاجتماعية والبيئية التي تساعد على تعاطي الهيروين في مجتمع البحث، كما تحاول الدراسة الكشف عن العوامل التي ترتبط بمادة الهيروين كمادة مفضلة للتعاطي . وقد اعتمد الباحثان عند إجراء الدراسة الميدانية على المقابلات المعمقة لسبعين حالة من مدمني الهيروين بمستشفى الأمل بجدة . في الفترة مابين ١ / ٦ / ١٩٩٥ م وحتى نهاية ١٥ / ٩ / ١٩٩٥ م .

أظهرت النتائج بأن العوامل الاجتماعية المتردية من حي ومسكن في سنوات الطفولة والمراهقة ، والشكل العام الذي اقترب في مفهومه من الأسرة المصدعة ، وما نجم عنه من ضعف في الرقابة الأسرية ، وعدم الحث على الالتزام بالمثل الدينية ، الأمر الذي انعكس على مستوى الممارسة العبادية للمبحوثين عند وصولهم لمرحلة المراهقة والشباب إضافة إلى تردي الأوضاع الدراسية وتفاقم الأوضاع السلوكية ودخولهم في انحرافات خلقية ساعد في اتجاه الأشخاص إلى تعاطي المخدرات .

وعندما بدأ الهيروين يجد طريقه في مجتمع الدراسة أخذت فئات التعاطي تتحول تدريجيًا نحو تعاطي الهيروين ، وساهمت بدورها في شيوعه ، كما ساعدت بعض العوامل الأخرى مثل ندرة بعض المواد المخدرة والمعلومات الوهمية عن خصائص الهيروين ، بالإضافة إلى قوة وسرعة مفعوله في انتشاره في مجتمع الدراسة بين فئات المبحوثين .

مقدمة

شاع استخدام المخدرات في الآونة الأخيرة بشكل ملفت للنظر في العديد من دول العالم . وصاحب هذا الانتشار ظهور أنواع جديدة من المواد المخدرة ، أشد تأثيراً وأسرع

إدمانًا وانتشارًا في مختلف فئات المجتمع . وأصبح تعاطي المخدرات يشكل معضلة رئيسية لكافة المجتمعات . ويعد الهيروين أحد أشد أنواع المخدرات خطورة وشيوعًا في الوقت الحاضر . ورغم المحاولات الجادة التي تقوم بها الدول ، إلا أن هناك زيادة في أعداد متعاطي الهيروين والكوكايين بشكل خاص . وقد وصلت هذه الزيادة إلى الحد الذي بات يمثل مصدرًا للقلق والفزع في العديد من الدول . فقد ارتفعت الكميات المضبوطة من الهيروين في بعض دول أوروبا فيما بين الفترة ١٩٨٨ - ١٩٩١ م إلى مايزيد عن طن في كل عام (١) .

وتعتبر ظاهرة تعاطي الهيروين حديثة العهد في المجتمع السعودي ، حيث لم تظهر الإشارة إليه في الإحصاءات الرسمية إلا في نهاية النصف الثاني من عقد الثمانينيات . حيث بلغت الكميات المضبوطة منه في عام ١٩٨٦ م (٥ , ٢٥) كيلو جراما . وارتفعت الكميات بشكل ملحوظ في الأعوام ١٤٠٧ - ١٤١١ هـ . وسجل عام ١٤١٠ هـ أكبر كمية يتم ضبطها حيث بلغت (١٧٤ , ١٩٤) كيلو جراما (٢) .

ونظرًا لما تمثله هذه الظاهرة من خطورة على حياة المتعاطي وتهديدًا لأمن المجتمع ، فقد تم اتخاذ التشريعات القاضية بتطبيق عقوبة الإعدام على المهربين . كما تم اتخاذ الإجراءات الوقائية الرامية إلى التعريف بأضرار المخدرات والخطة العلاجية الهادفة إلى مساعدة من وقعوا تحت تأثير هذا النوع من المخدر في مجتمع الدراسة ، وذلك للحد من تفاقم الظاهرة (٣) .

وعلى الرغم من الجهود المبذولة في سبيل احتواء الظاهرة ، إلا إنه يمكن القول أن عقار الهيروين أكثر أنواع الإدمان شيوعًا بين المترددين على مستشفيات الأمل بالمملكة، نظرًا لارتفاع سراجعي المستشفى بهدف العلاج (٤) .

ولعل مما ساعد على نمو الظاهرة ، التحولات التي شهدها مجتمع البحث خلال الثلاثين السنة الماضية ، والتي مر خلالها بالعديد من المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية

---

(١) **مصطفى كاره** ، المخدرات والانحراف ، *المجلة العربية للدراسات الأمنية* ، الرياض ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، المجلد التاسع ، العدد السابع عشر ، ١٩٩٤ ، ص ٨٢ .

(٢) **راجع وزارة الداخلية** ، *الكتاب الإحصائي السنوي للأعوام* ، من ١٩٨٦ - ١٩٩١ م .

(٣) **وزارة الإعلام** ، *المخدرات الخطر والمقاومة* ، الرياض ، مؤسسة الجزيرة الصحفية ، د . ت ، ص ص ٥٠ -٥٧ .

(٤) **أمان محمود** ، الأداء المعرفي لدى مدمني الهيروين والكوكايين ، *المجلة العربية للدراسات الأمنية* ، الرياض المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، المجلد الثامن ، العدد الخامس عشر ١٩٩٣ ، ص ٨٣ .

والثقافية ، والتي تمثلت في الهجرتين الداخلية والخارجية ، الأمر الذي أفضى إلى ظهور بعض الظواهر كتركز العديد من السكان في المدن بعد أن كانوا موزعين في القرى. إضافة إلى الاحتكاك بمجموعة كبيرة من العمالة الوافدة ، والتي تنتمي إلى ثقافات مختلفة ، والتي أثرت بلا شك على طبيعة الحياة الاجتماعية ، وأدت إلى بروز بعض الظواهر السلبية كظاهرة تعاطي المخدرات .

أهمية الدراسة

يرتبط نجاح البرامج العلاجية للإدمان إلى حد كبير بمدى التعرف على طبيعة العوامل ذات الصبغة الاجتماعية ، والعوامل المرتبطة بطبيعة المادة التي تعمل على زيادة التعاطي. والبرامج العلاجية تصبح هادفة إذا صاحبها نشاط يرتكز على أسس علمية يحد من فعالية العوامل المشجعة على الاستخدامات غير المشروعة للمخدر . ومن هذا المنطلق يمكن النظر إلى الأهمية المجتمعة للدراسة الحالية في كونها محاولة لتقديم تفسير لطبيعة تكوُّن الظاهرة في مجتمع البحث والوقوف على العوامل المجتمعة الدالة على تكوينها .

بالإضافة إلى ماسبق يمكن القول بأن مجتمع الدراسة شهد تطوراً ملحوظًا في الأبحاث والندوات حول ظاهرة تعاطي المخدرات . إلا أن المتتبع لهذه الدراسات يلحظ افتقاراً شديدًا في الأبحاث التي تتناول مادة الهيروين بشكل خاص . فعلى حد علم الباحثين لا يوجد سوى دراستين فقط ، وكلاهما لا تتناول موضوع العوامل المؤدية إلى تعاطي الهيروين [١] . الأمر الذي يجعل من البحث الراهن ضرورة يفرضها التنوع عند إجراء البحوث الاجتماعية .

أهداف الدراسة

من خلال تتبع المراحل المبكرة لحياة مدمني الهيروين ، تهدف الدراسة إلى تحقيق هدف أساسي يتعلق بمعرفة مدى مساهمة العوامل الاجتماعية والمتمثلة في الحياة الأسرية ، والمدرسية ، والسلوكية ، والممارسة الدينية ، والانحرافات السابقة لتعاطي المخدر في الاتجاه إلى تعاطي الهيروين .

---

(١) الدراسات التي تناولت موضوع الهيروين في مجتمع البحث :
- **أمان محمود** ، *الأداء المعرفي لدى مدمني الهيروين والكوكايين بمستشفيات الأمل بالمملكة العربية السعودية* ، الرياض .
- **أحمد فاضل الجمعان** ، *المخدرات وارتكاب الجريمة* ، الرياض ، ١٩٨٩ .

كما تهدف الدراسة إلى تحقيق هدف فرعي يتمثل في معرفة العوامل التي ترتبط بمادة الهيروين كمادة مفضلة للتعاطي .

أسئلة الدراسة

انطلاقًا من الأهداف السابقة ، تسعى الدراسة إلى تقديم إجابات لمجموعة التساؤلات الآتية :

١ - ماهي العوامل الاجتماعية الدافعة لتعاطي الهيروين ؟

وإجابة هذا السؤال يقتضي البحث في عدة أسئلة فرعية تتضمن التالي :

أ - ماهي طبيعة الحياة الأسرية بين فئات المبحوثين ؟

ب - ماهو الدور الذي تمثله طبيعة الحياة المدرسية والسلوكية في الاتجاه إلى تعاطي الهيروين ؟

ج - ماهو حجم الالتزام الديني بين فئات المبحوثين ؟

٢ - ماهي العوامل المرتبطة بطبيعة مادة الهيروين ، والتي تعمل على زيادة الاتجاه نحو تعاطيه ؟

التفسيرات النظرية للتعاطي

تدل نتائج الدراسات والبحوث على أن مشكلة تعاطي المخدرات بصفة عامة ، وتعاطي الهيروين بصفة خاصة مشكلة متعددة الأسباب والمظاهر . ويحفل التراث النظري لسببية استخدام المخدر بالعديد من التفسيرات من مختلف التخصصات . فمن وجهة نظر علماء الأدوية وعلماء وظائف الأعضاء ينصب الاهتمام على الآثار التي يحدثها المخدر ، أو العقار في الجسد وفي أجهزة جسم المدمن . وفي العادة إذا اعتاد الجسم على هذه الحالة الجديدة يشعر بالضيق والعجز إذا عاد إلى حالته الطبيعية بالتوقف عن المخدر [١] ومع أن هذه الآثار مرحلة لاحقة للتعاطي إلا إنها تمثل بعد حدوثها دافعًا أساسيًا للاعتماد على المخدر والرغبة في تناوله .

ومن وجهة النظر النفسية تتعدد التفسيرات باختلاف المدارس في علم النفس . فتعاطي المخدرات حسب النظرة التحليلية يخدم الحاجات الداخلية التي تعكس صراعات

---

(١) **عبدالمجيد منصور** ، *الإدمان أسبابه ومظاهر الوقاية منه* ، الرياض ، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، ١٩٨٦ ، ص ٨٣ .

نفسية لا شعورية . وتعتبر المخدرات إحدى الوسائل التي تخلص الفرد سن الصراعات الداخلية [١] وتختلف النظرة النفسية لعلماء الطب النفسي حول تفسير تعاطي المخدرات عن وجهة النظرة التحليلية . حيث يركز الاهتمام لدى علماء الطب النفسي على الشخصية المميزة لمتعاطي المخدرات ، والتي توصف عادة على أنها ناقصة غير ناضجة ومستسلمة واتكالية [٢] ، وأهم مايميز هذا الاتجاه هو الاعتقاد بوجود شخصية إدمانية تحمل سمات شخصية تعمل بمثابة مسببات للإدمان .

وتدل الدراسات الطبية على أن العديد من مدمني المخدرات لديهم العديد من المشاكل النفسية الحادة [٣] ، ولعل أهم العوامل النفسية في الإدمان من وجهتي نظر الطب العقلي والعلاج النفسي المعاصرين هو الاكتئاب ، وما يلازمه من توتر وإحساس بمواجهة الضغوط الخارجية . والدافع للإدمان هو درء أحاسيس الاكتئاب [٤] وثمة وجهة نظر أخرى تتمثل في آراء أصحاب الاتجاه الإنساني الذي يستند إلى مسلمات النظرية السلوكية ، ونظرية التحليل النفسي ، وتكون لدى أصحاب هذا الاتجاه المحددات الحاسمة للسلوك الإنساني هي الخصائص الداخلية كالخبرة والإرادة وعمليات اتخاذ القرارات الواعية والمنطقية . ويركزون في اهتماماتهم على الدور الإيجابي للإنسان . والتأكيد على فردية الإنسان وجوانب الصلاح لديه . وقد استخدمت مسلمات وأساليب الاتجاه الإنساني بنجاح في العديد من برامج الوقاية في تعاطي المخدرات [٥] .

وتختلف وجهة النظر الاجتماعية عن وجهات النظر السابقة ، حيث يستند علماء الاجتماع في تحليلهم للظاهرة على دور العمليات الاجتماعية والظواهر المجتمعية عند

---

(١) **جمال الخطيب** ، سيكولوجية تعاطي المخدرات ، *المجلة العربية للدراسات الأمنية* ، **المجلد الثامن** ، العدد الخامس عشر ، الرياض ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، ١٩٩٢ ، ص ٣٤ .

(٢) **R.Haskell , & I. Yablonsky** , *Criminology : Crime and Criminaltiy* , Chicago Rand Mc Nally College Pubishing Company , 1978 , p . 314 .

(٣) **M .Plant** , Drugs In Perspective , London , Hodder & Stoughton , 1987 , p . 36 .

(٤) **حمد المرزوقي وآخرون** ، *ظاهرة إدمان المخدرات في مجتمع الإمارات العربية المتحدة* ، الرياض ، مركز أبحاث مكافحة الجريمة ، ١٩٩٥ ، ص ٤٣ .

(٥) **جمال الخطيب** ، *مرجع سابق* ، ص ٣٥ .

تعاطي المخدرات ، ويعتبرون أن الأوضاع الاجتماعية بما يستجد بها من متغيرات ثقافية واقتصادية تلعب دوراً جوهرياً في السلوك الإنساني .
وقد تشكلت العديد من النظريات التي تبحث في أسباب الأنحراف بصفة عامة ، وتعاطي المخدرات بشكل خاص ، من منطلقات بيئية اجتماعية كالقوى الاجتماعية ، والطبقة الاجتماعية ، والإحباطات التي تنجم عن عدم القدرة على تحقيق الأهداف الشرعية بطرق شرعية ، والطرق التي تؤدي إلى تعلم الإنحراف في البيئة والحي ، والتي تنتقل فيه قيم الإنحراف من جيل لآخر ، والثقافة الفرعية التي تملك معاييراً وقيماً خاصة بها ، والتي تختلف عن قيم المجتمع ، بالإضافة إلى الإحباطات الناجمة من الظروف الحياتية الفقيرة (١) . ويمكن تفسير الإدمان من الوجهة الاجتماعية على أنه نتيجة ضغوط المجتمع المتمثل في الفقر ، والأسر المفككة ، والفراغ الخالي من الأهداف ، وضغط جماعات الأصدقاء ، ومسايرة الثقافات الفرعية (٢) . وتعتبر النظريات الاجتماعية التي تؤكد على قوة تأثير الوسط الاجتماعي والأسري على تكوين السلوك المنحرف بين أوساط الشباب من النظريات الأكثر علاقة في تفسير ظاهرة الإدمان ، حيث تُرجع عوامل تعاطي المخدرات إلى الفشل في التنشئة الاجتماعية من قبل الأسرة المصدعة broken family بسبب ماتتسم به من سمات كالشجار الذي يحدث بين الوالدين ، ومماينتج عنه من قلق في نفوس الأبناء ، وإدمان أحد الوالدين على المخدرات ، وفقدان أو غياب أحد الوالدين ، وضعف الوازع الديني والأخلاقي لأرباب الأسر ، والضعف الحاد في الموارد الاقتصادية للأسرة ، وسوء معاملة الأبناء والتفريط في المعاملة سواء بالحب أو القسوة (٣) .
كذلك تعد نظرية الضبط الاجتماعي من النظريات التي ألقت الضوء على كيفية تعلم الأفراد لكي يكونوا متوافقين من القواعد المعيارية ، ومتى يتم الخروج عليها إلى

---

(١) **F.Adler,G.Mueller and W.Laufer**,*Criminology*,New York,McGraw. Hill,Inc,1991, p. 79.
(٢) **أحمد الجمعان** ، *المخدرات وارتكاب الجريمة : دراسة ميدانية* ، بحث ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٩٨٨ ، ص ٨٨ .
(٣) **سعود التركي** ، العوامل المؤدية إلى تعاطي المخدرات والمنظور الإسلامي لمواجهتها ، *مجلة الإمام محمد بن سعود الإسلامية* ، **العدد الأول** ، ١٩٨٩ ، ص ٤٥٤ .

الانحراف وتعاطي المخدرات . ونظرية الضبط الاجتماعي تسلم بأن المخدرات تُغري حتى الأطفال ، وبأن المضاربات والسرقات والتغيب عن المدرسة والفشل الدراسي وشرب الخمر على سبيل المتعة كلها مظاهر جذابة للمراهقين والشباب . والأحداث البالغون يتوافقون مع القانون كرد فعل لقوى ضابطة معينة في حياتهم ، ويصبحون مجرمين إذا غابت أو فقدت هذه القوى (١) . والضبط الاجتماعي يرتكز على التقنية والاستراتيجية التي تحكم السلوك الإنساني ، والتي تؤدي إلى توافق وإطاعة لقواعد المجتمع ، وهذه نتيجة تأثير الأسرة والمدرسة والمعتقدات الدينية والقيم والأخلاق . وكلما كانت روابط الإنسان بالوالدين والمعتقدات الدينية والمدرسيةقوية كلما قل احتمال انتهاكه لقواعد المجتمع (٢) .

الدراسات السابقة

العوامل المؤدية إلى تعاطي الهيروين مناقشة نظرية

أصبح من المؤكد لدى الباحثين في مجال التعاطي والإدمان أنه لم يتم اقتراح عامل واحد يمكن أن يعزى إليه السبب في الاتجاه إلى المخدرات ، ولكن تشترك عدة عوامل مختلفة في إحداث الظاهرة . ويصنف سويف (٣) مجموعة العوامل في ثلاث عوامل رئيسية ، يتضمن كل عامل مجموعة من العوامل الفرعية . ١ - عامل الشخص : ويتضمن العوامل البيولوجية والنفسية أي العوامل الخاصة بالمتعاطي . ٢ - عامل المادة المتعاطاة : وتضم عدداً من العوامل كالوفرة والثمن وقواعد التعامل . ٣ - العوامل البيئية : وتشمل الحضارة وآليات المجتمع والأسرة والأقران والدعامات الثانوية . وعند الحديث عن العوامل الخاصة بتعاطي الهيروين يتعين البحث في عوامل ذات علاقة بطبيعة المادة نفسها وطبيعة الأشخاص الذين تدفعهم الظروف الخاصة بهم للاتجاه إلى هذا النوع من المخدرات . وتعد محاولة تحديد العوامل الخاصة بتعاطي الهيروين عملية ذات مغزى علمي ومجتمعي . تساهم إلى حد كبير في إنجاح عملية العلاج والعمليات الوقائية في المجتمع .

---

(١) **F.Adler, G.Mueller and W.Laufer,** *Op.cit.*, p.157.

(٢) *Ibid.*, p.158.

(٣) **مصطفى سويف** ، المخدرات والمجتمع ، الكويت ، عالم المعرفة ، ١٩٩٦ ، ص ٦٩ .

وبمراجعة نتائج الدراسات السابقة يمكن تحديد هذه العوامل على النحو التالي :

١ - التعاطي المسبق لأنواع من المخدرات والإنحرافات السابقة ، حيث تؤكد معظم الدراسات على أن العديد من المدمنين لمادة الهيروين بدأوا باستعمال أنواع من المخدرات البسيطة قبل استخدامهم للهيروين [١] . وتشكل دراسة سمسون بلندن الصورة التي تكونت عن النموذج الخاص بمتعاطي الهيروين على أنه شخص ترك المدرسة وهو في الخامسة عشرة من عمره ، وبدأ بتعاطي المخدرات وهو في سن السادسة عشرة ، وبدأ بتعاطي الهيروين في التاسعة عشرة من عمره [٢] . ويشير تصنيف رونزافيل للطرق التي يتم بها الاتجاه إلى المواد الأفيونية إلى أن المتعاطين هم الأشخاص الذين لهم خلفيات إجرامية قبل مرحلة الاتصال بالعقاقير ، والذين يمثل لهم تعاطي المخدرات استمراراً لهذه الخلفية الإجرامية [٣] . كذلك بينت دراسة للاتجاهات المتغيرة لإساءة استعمال الهيروين في الهند على أن جميع من شملتهم الدراسة كانوا يدخنون سجائر التبغ ، وأن من أهم العوامل التي أسهمت في زيادة الاتجاه إلى الهيروين إساءة استعمال الشباب والطلبة خارج المدرسة للحشيش والكحول [٤] . وأوضحت دراسة مسحية عن المخدرات في بريطانيا أن متعاطي الهيروين يميلون لأن يكونوا الأشخاص الذين بدأوا تعاطي المخدرات في مراحل مبكرة من أعمارهم ، أما الذين بدأوا في سنوات متأخرة فإنهم يميلون لأن يكونوا أقل اندفاعا لتعاطي المخدرات القوية [٥] . كما يؤكد بيرسون Pearson [٦] . أنه من الشائع أن مدمني الهيروين جربوا أنواعًا مختلفة من المخدرات قبل أن يحاولوا تناول الهيروين . وعليه

---

(١) **C. Bozza** , *Criminal Investigaion* , Chicago, Nelson-Hall , 1978, p.323.

(٢) **ر . رويرتسون** ، *الهيروين والأيدز* ، ترجمة يوسف مخائيل أسعد ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٩ ، ص١٢ .

(٣) **كلاكات فار** ، أسلوب حياة وعادات استعمال العقاقير بين طلاب المدارس الثانوية ، نشرة *المخدرات* ، **المجلد السابع والثلاثون** ، العددان (٢)،(٣) ، إبريل ، سبتمبر ، الأمم المتحدة ، نيويورك ، ١٩٨٥ ، ص ١٣٠ .

(٤) **م . اديتيانجي و س . ساكسنيا** ، الاتجاهات المتغيرة لإساءة استعمال الهيروين في الهند - تقديرات تستند إلى سجلات العلاج ، نشرة *المخدرات* ، **المجلد السابع والثلاثون** ، العدد (٢)،(٣) . إبريل - سبتمبر ، الأمم المتحدة ، نيويورك ، ١٩٨٥ ، ص ٢٨ .

(٥) **S.Caplin and S.Woodword**,*Drug Watch*, London, Corgi Bools , 1986 , p.13.

(٦) **G.Pearson**,*The New Herion Users*,Oxford,Basil Blackwell,1987, p.13.

يمكن القول بأن تعاطي الهيروين يسبقه مرحلة من تعاطي أنواع من المخدرات البسيطة . وإذا استمر الشخص في التعاطي فإنه سوف يتحول إلى مادة الهيروين التي تتوافر بين فئات المتعاطين ، وهذا يقودنا بدوره إلى العامل الآخر .

٢ - عامل الوفرة والثمن وندرة بعض المواد الأخرى ، إن توافر المخدرات أو الهيروين شرط ضروري لظهور مجموعة من المتعاطين لها [١] . وتبين دراسة أجريت في الهند أن الزيادة في استعمال الهيروين هو تزايد الكميات المتاحة من الهيروين في البلدان المجاورة ، وتأثير ذلك على الهند بصورة مباشرة [٢] . كما تتأثر عملية استخدام الهيروين بالإضافة إلى تواجده بظروف العرض والطلب ، والتي تتأثر بدورها بعوامل أخرى كالوفرة والثمن وندرة بعض المواد المخدرة ، فتوافر الهيروين في أسواق البيع وزيادة الإقبال عليه يساعد على خفض أسعاره لتصبح معقولة وممكنة لمن يتعاطونه . ومما يساعد على زيادة الطلب هو ندرة أو اختفاء بعض المواد المخدرة ، وتحول فئات تعاطي المخدرات إلى تعاطي الهيروين . وفي هذا الشأن يذهب سويف إلى أهمية الحد من الطلب لمواجهة مشكلة المخدرات بصفة عامة . ويؤكد على ذلك . بمثال تواجد الهيروين والكوكاكين وانتشارهما بين قطاع من المصريين في أوائل العشرينيات من هذا القرن . وقد صاحب هذا الانتشار انتعاش اقتصادي استفاد منه كبار ومتوسطو الملاك الزراعيين ، وحين عم الكساد البلاد في مصر ، وانتشرت البطالة جعل مجموع المصريين عاجزين عن شراء الهيروين والكوكايين لانخفاض دخولهم . ولم يكن هناك طلب كاف مما ساهم في خفض سوق ترويج المادتين [٣] .

وفي المقابل يرى صفوت درويش ويسري ياقوت أن التحول الظاهر لتجار المخدرات التقليدية (الحشيش والأفيون)إلى تجارة الهيروين في الثمانينيات كان نتيجة طبيعية ليقابل تحول مدمني المخدرات خصوصًا الأفيون إلى إدمان الهيروين مع المدمنين الجدد [٤] . وفي سري لانكا تؤكد الدراسات أن من أسباب انتشار الهيروين هو رخص

---

(١) **ر. روبرتسون** ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .
(٢) **م. اديتانجي وس. ساكسينا** ، مرجع سابق ، ص ٢٨ .
(٣) **مصطفى سويف** ، الطريق الآخر لمواجهة مشكلة المخدرات : خفض الطلب ، القاهرة ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٩٠ ، ص ٨ .
(٤) **صفوت درويش، ويسري ياقوت**، الهيروين دعوة إلى الموت، القاهرة، مطابع جريدة السفير، ١٩٨٥، ص٩٨ .

سعره [١] . ومما يؤكد على أهمية اختفاء أو ندرة بعض المواد المخدرة ، والتحول إلى تعاطي الهيروين التقارير الواردة في بورما ، والتي لفتت الانظار إلى الاضطراد في تزايد إساءة استعمال الهيروين ، ويُرجع خانت السبب في ذلك إلى ندرة وجود الأفيون بالإضافة إلى تدفق الهيروين [٢] . بالإضافة إلى ماسبق يوضح بيرسون أنه في داخل دائرة الأصدقاء ، والذين كونوا نمط استخدام لمخدرات غير مشروعة يمثل الهيروين البديل الأول في حالة عدم توافر المخدر الشائع الاستخدام لأي سبب من الأسباب [٣] .

٣ - عامل جماعات الأصدقاء والمعلومات غير الدقيقة عن آثاره ، يتطلب تعاطي الهيروين تعلم بعض الأساسيات لكيفية التعاطي ، والتي بدورها تتطلب طرفًا آخر للمساعدة في عملية التعلم أو القيام بها ، وقد سبقت الإشارة إلى أن الغالبية من متعاطي الهيروين كانت لهم تجارب لأنواع مختلفة من المخدرات . ويمكن القول بأن الاستمرار في الظروف الاجتماعية والنفسية ، والتي شجعت على تعاطي المخدرات تزداد تفاقمًا بالاستعمالات المتكررة ، والتي تعمل بدورها على زيادة القلق والاكتئاب [٤] . وزيادة تدهور الحالة النفسية والاجتماعية ، مما يهيئ المتعاطي إلى مزيد من الارتباط بجماعات المخدرات ، والعمل على تكوين صداقات داخل جماعات التعاطي . الأمر الذي يهيئ المتعاطي تدريجيًا إلى قبول أنواع أخرى من المخدرات كالهيروين . ومن خلال الاتصال بهذه الفئات المنحرفة ، والتي تعد جماعات مرجعية ، يتم تعلم طرق تعاطي الهيروين ، وكيفية استخدام الأدوات الضرورية اللازمة لتناوله .

وعن أهمية دور الأصدقاء يؤكد بيرسون أن دور الأصدقاء لا يغفل في شيوع الهيروين ، فبسؤال مستخدمي الهيروين عن الكيفية التي حصلوا بها عليه ، تكون الإجابة دائمًا واحدة ، وهي أنه قدم لهم من قبل الأصدقاء [٥] . كذلك دلت نتائج مسح

---

(١) **م. مينديس** ، إدمان الشباب على الهيروين ظاهرة جديدة في سري لانكا ، *نشرة المخدرات* ، **المجلد السابع والثلاثون**، العددان (٢)، (٣) إبريل - سبتمبر ، ١٩٨٥ ، الأمم المتحدة ، نيويورك، ص ٣٥ .

(٢) **يو. خانت** ، الإجراءات الرامية إلى منع إساءة استعمال العقاقير بين الشباب في بورما ، والحد منها ، *نشرة المخدرات* ، **المجلد السابع والثلاثون** ، العددان (٢)، (٣) ، إبريل - سبتمبر ١٩٨٥ ، الأمم المتحدة - نيويورك ، ص ٩٧ .

(٣) **G. Pearson**, *Op.cit.*, p.ll.

(٤) **جمال الخطيب** ، *مرجع سابق* ، ص ٣٠ .

(٥) **G. Pearson**, *Op.cit.*, p.ll.

المخدرات في بريطانيا أن الذين قدم لهم الهيروين بواسطة الأصدقاء ٦٤٪ ، و٨٪ أقارب ، و٢٨ ٪ بواسطة بائع (١) ، كما أن المعلومات غير الدقيقة عن حقيقة مفعوله وخطورة آثاره تعد عاملاً في انتشاره بين جماعات التعاطي . حيث يعتقد البعض بفائدته في تنشيط القدرة الجنسية ، وزيادة فترة الاتصال للعملية الجنسية ، وهو اتجاه خاطئ (٢) ، ويعتقد البعض الآخر من المتعاطين بأنه لا يؤدي إلى الإدمان لو استخدم عن طريق التدخين (٣) ، وهو اعتقاد خاطئ بالطبع ، ويمكن القول بأن معظم فئات الشباب الصغار الذين جربوا الهيروين لديهم شبه معلومات أو لا توجد أية معلومات عما سوف يؤدي إليه استخدام الهيروين من الآلام في فترات زوال المخدر (٤) .

إضافة إلى ماسبق ، هناك عوامل أخرى وعديدة تندرج في الآتي : الرغبة في التخلص من الإرهاق والتعب . فالمعروف عن الهيروين أنه مسكن قوى وقاتل للآلام ، والتعرض لثقافات خارجية ، والرغبة في الهروب من الواقع ، ومحاكاة الآخرين ، والحصول على البهجة واللذة التي يقدمها المخدر . ولا يمكن إغفال الظروف المجتمعية والنفسية التي سبقت الإشارة إليها كعوامل أساسية في تكوين مشكلة التعاطي والإدمان . ونشير في هذا الصدد باختصار إلى التصورات الأربعة التي قدمها جيمس ويلسون James Wilson ، والتي تفسر ظاهرة تعاطي الهيروين في المجتمع الأمريكي .

١ - حركة الشباب المنادية بممارسة الحرية الشخصية على كل المستويات

٢ - ازدياد الدخل الفردي خلال فترة الازدهار التي حدثت في الستينيات .

٣ - حرب فيتنام ، والتي كانت فرصة مناسبة للجنود الأمريكيين للحصول على الهيروين والإمكانية التي يقدمها في تخفيف حياة الملل والخوف وتدني المعنويات .

٤ - استمرار انهيار التركيبة الاجتماعية بين أوساط العائلات ذات الأصول الإفريقية التي تتميز بتدني مستوى الدخل والنتائج المترتبة على هذه الأوضاع كحل للفرد الذي تشكو بيئته من ضعف التضامن الاجتماعي (٥) .

---

(١) **S. Caplin** and **W.Woodward,** *Op.Cit.*, p.35.

(٢) صفوت درويش ، يسري ياقوت ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

(٣) **M.Gossop**, *Living with Drugs* . London,Wildwood,1988,p.152 .

(٤) **M. Manning** . *The Drugs Menace* , London Columdus Books , 1988 ,p.76 .

(٥) **J.Wilson**,*Thinking About Crime*,New York,Basic Book,1983,p.198.

الإجراءات المنهجية

تنتمي الدراسة الحالية إلى طائفة الدراسات الاستطلاعية الوصفية التي تهدف إلى الكشف عن مجموعة العوامل التي تحدد طبيعة تكون موضوع البحث ، وهي جزء من دراسة ميدانية مطولة لعدة مواضيع تتعلق بمستخدمي الهيروين .

وقد اعتمد الباحثان عند إجراء الدراسة الميدانية على :

١ - المقابلات المعمقة : وقد أعد لموضوع البحث الراهن استمارة شملت مجموعة من الأسئلة تغطي عدة جوانب .

أولاً : الخصائص العامة للمبحوثين .

ثانيًا : الخصائص العامة والشكلية لعائلات المبحوثين ، طرق المتابعة في تربية الأبناء والممارسة الدينية للوالدين ، وكيفية حث الأبناء على أداء الصلوات .

ثالثًا : معلومات تتعلق بالحياة المدرسية والسلوكية .

رابعًا : معلومات تتعلق بمستوى الممارسة الدينية من المراحل المبكرة ، والتعاملات داخل العائلة .

خامسًا : معلومات تتعلق بالانحرافات السابقة وأنواع المخدرات المتعاطاة ، ومدة التعاطي ، وأسبابه .

سادسًا : معلومات تتعلق بمادة الهيروين والعوامل الدافعة إلى التعاطي مع ترك الفرصة للمبحوثين لإعطاء مزيد من التفصيل في الاتجاهات التي تخدم هدف البحث .

٢ - الملاحظة المباشرة : لجأ الباحثان إلى أسلوب الملاحظة غير المقننة لمراقبة سلوكيات المبحوثين مع بعضهم البعض في أماكن تلقيهم للعلاج ، ولمعرفة نوعية السلوكيات التي يتصفون بها ، وكيف ينظر المتعاطون إلى ظروف انخراطهم في الهيروين بين بعضهم البعض ، ولمعرفة مزيد من المعلومات حول مادة الهيروين .

وقد قام الباحثان بإجراء الدراسة الميدانية سويًا ، حيث تمت مقابلة كل حالة على انفراد لمدة ثلاث ساعات ونصف الساعة على ثلاث فترات قام خلالها أحد الباحثين باستيفاء أسئلة الاستمارة ، وعمد الآخر إلى كتابة وتدوين كل مايسرده متعاطي الهيروين ، ومن ثم توجيه بعض الأسئلة لاستكمال بعض المواضيع التي تتطلب مزيدًا من التفصيل .

عينة الدراسة

شملت الدراسة متعاطي الهيروين بمستشفى الأمل بجدة بالمملكة العربية

السعـودية، حيث أمكن مـقابلة سبـعين حالة من مـجمـوع تسـعين حـالة تتلقى العـلاج للتخلص من إدمان الهيروين ، وذلك وقت إجراء الدراسة . وقد أجريت الدراسة في الفترة مابين ١-٦-١٩٩٥ وحتى نهاية ١٥-٩-١٩٩٥ م .

جدول رقم (١) الخصائص الأولية للمبحوثين (العمر والمستوى التعليمي)

	العمر					المستوى التعليمي				
العينة	٢١ - ٢٦	٢٧ - ٣٣	٣٤ - ٤٠	٤١ - ٤٦	المجموع	ابتدائي	متوسط	ثانوي	جامعي	المجموع
العدد	٧	٤٣	٥١	٥	٧٠	٣١	٢٣	٢٣	٢	٧٠
النسبة	١٠٪	٦١,٤٪	٢١,٤٪	٧,٢٪	١٠٠٪	١٨,٥٪	٤٥,٧٪	٢٣,٩٪	٢,٨٪	١٠٠٪

جدول رقم (٢) الخصائص الأولية للمبحوثين (الحالة الاجتماعية والعمل والدخل أثناء العمل)

العينة	الحالة الاجتماعية				العمل			الدخل أثناء العمل				
	أعزب	متزوج	مطلق	المجموع	يعمل	لايعمل	المجموع	أقل من ٢٥٠٠	٢٥٠٠ - ٥٠٠٠	٥٠٠٠ - ٨٠٠٠	أكثر من ٨٠٠٠	المجموع
العدد	٣٠	٢٥	١٥	٧٠	٥١	٥٣	٧٠	١٠	٢٤	٢٠	١٠	٦٤ *
النسبة	٤٢,٩٪	٣٥,٧٪	٢١,٤٪	١٠٠٪	٢١,٤٪	٧٥,٧٪	١٠٠٪	١٥,٦٪	٣٧,٥٪	٣١,٣٪	١٥,٦٪	١٠٠٪

* مجموع من كان يعمل ويحصل على دخل ٦٤ ، و٦ عاطلون .

الجدول رقم (١) و (٢) يوضحان الخصائص العامة للمبحوثين . والملاحظ في الجدول رقم (١) أن فئة الأعمار خلت من الذين تقل أعمارهم عن ٢١ عامًا ، ويرجع ذلك إلى أن تعاطي الهيروين يسبقه تعاطي أنواع شتى من المخدرات ، كما سيتضح من الدراسة لاحقًا . بالإضافة إلى أن تجربة العلاج عادة تتأتى متأخرة .

كـما يلاحظ في الجـدول رقم (٢) ارتفـاع نسـبـة الذين لا يعـملون (٧, ٧٥٪) ، ويرجع ذلك إلى أن النسبة الغالبة منهم فقدت أعمالها بسبب تعاطي الهيروين ، في حين تمثل نسبة (٦ ,٨٪) من إجمالي العينة الذين لم يعملوا إطلاقًا . وفيما يلي عرض لنتائج الدراسة :

أولاً : الخلفية الاجتماعية لعائلات المبحوثين

١ - السمات الأولية لعائلات المبحوثين

جدول رقم (٣) الخصائص الأولية لعائلات المبحوثين أثناء فترة الطفولة والمراهقة

العينة	المستوى العام للدخل				نوعية السكن				نوعيـــــة الحي			
	مرتفع	متوسط	منخفض	المجموع	شعبي	شقة	فيلا	المجموع	شعبي	متوسط	راقي	المجموع
العدد	١٠	٢٦	٣٤	٧٠	٣٢	٢٩	٩	٧٠	٣١	٣٠	٩	٧٠
النسبة	١٤,٣	٣٧,١	٤٨,٦	٪١٠٠	٤٥,٧	٤١,٤	١٢,٩	٪١٠٠	٤٤,٣	٤٢,٩	١٢,٩	٪١٠٠

جدول رقم (٤) الخصائص الأولية لعائلات المبحوثين أثناء فترة الطفولة والمراهقة

العينة	حجم الأسرة					متوسط مستوى التعليم للوالد			
	وحيد	٢-٥	٦-٩	أكثر من ٩	المجموع	منخفض	متوسط	عال	المجموع
العدد	٥	٩	٢٣	٢٤	٧٠	٣٥	٢٤	١١	٧٠
النسبة	٧,١	١٢,٩	٤٥,٧	٣٤,٣	٪١٠٠	٥٠	٣٤,٣	١٥,٧	٪١٠٠

يتضح من الجدولين رقم(٣) ورقم (٤) انحدار المبحوثين من مختلف المستويات : في الدخل ونوعية المسكن والحي ومتوسط تعليم الأبوين وحجم الأسرة . إلا أن الملاحظ هو تركز نصف العينة تقريبًا في مستويات اقتصادية متدنية تمثلت في ضعف الدخل ، والسكن في منازل وأحياء شعبية . كذلك يوضح الجدول رقم (٤) أن غالبية المبحوثين يعيشون في أسر كبيرة الحجم يزيد عدد أفرادها عن ستة أشخاص من الإخوان والأخوات . الأمر الذي لايتناسب مع حجم المنزل الذي لايتجاوز عدد الغرف فيه ، سواء في المساكن الشعبية أو الشقق عن خمس غرف . ويعكس متوسط تعليم الأبوين ضعفًا عامًا في مستوى التعليم ، حيث يبين الجدول أن نصف العينة يتراوح تعليم الأب والأم فيهما بين الأمية والمعرفة بالقراءة والكتابة فقط ، في حين نجد أن أكثر من ثلث آباء المبحوثين يتراوح تعلمهم في درجة المتوسط ، والتي تعني تجاوز مرحلتي التعليم الثانوية

والمتوسطة فقط . ورغم أن هذه النتائج ترجع إلى أكثر من عقد من الزمان لأنها تعكس المراحل لعينة الدراسة ، إلا إنها تتفق مع العديد من الدراسات التي أجريت في مجتمع البحث . فقد خلصت دراسة عواطف بياري إلى أن نصف المبحوثين تقريبًا في دراستها ينتمون إلى أسر منخفضة الدخل ، ويقطنون في مساكن وأحياء شعبية ، وتتسم عائلاتهم بكبر الحجم [١] . كذلك بينت دراسة شرف الدين الملك إلى أن الأحداث الجانحين يختلفون عن الأسوياء في نواح اجتماعية كثيرة ، تشمل التعليم ، والاقتصاد، وحجم الأسرة ، والمتغيرات الأيكولوجية ، فغالبية الأحداث الجانحين قدموا من أسر تتسم بكبر الحجم ، وضعف المستوى التعليمي للوالدين ، وعاشوا في أحياء ومساكن فقيرة [٢] . وتؤكد هذه النتائج مايذهب إليه العديد من أنصار المدرسية الأيكولوجية إلى أن الانحراف ينتشر في الأحياء التي تتسم بازدحام ورداءة المساكن ، وشيوع الفقر بين السكان ، والافتقار إلى الخدمات الصحية والتعليمية ووسائل الترفيه .

٢- سمات عوائل المبحوثين وكيفية المتابعة وأداء الصلاة والحث عليها

لايختلف شكل العائلة في مستوى الدخل وطريقة التعامل وأسلوب التربية والتنشئة من قبل الأسرة عما أمكن التوصل إليه سن نتائج عن طبيعة السمات الأساسية لعوائل المبحوثين .

جدول رقم (٥) الخصائص الأولية لعائلات المبحوثين أثناء فترة الطفولة والمراهقة

	شكل العائلة					
	فقدان أحد الوالدين	تغيب أحد الوالدين	كثر المشاجرات	إدمان أحد أفراد الأسرة	ارتكاب أحد أفراد الأسرة الجريمة	لا توجد هذه السمات
العدد	٢٣	٢٩	٣٠	٢٤	٦	٥
النسبة	٣٢,٩	٤١,٤	٤٢,٩	٣٤,٣	٨,٦	٧,١

ويبين الجدول رقم (٥) أن غالبية المبحوثين تتسم عوائلهم بسمة أو أكثر من سمات الأسرة المصدعة ، وأوضحت إجابات غالبية أفراد العينة أنهم ينحدرون من أسر يكثر فيها الشجار داخل المنزل خاصة بين الوالدين . وتغيب أحد الوالدين عن المنزل وفقدان أحد الوالدين وإدمان أحد

(١) **عواطف بياري** ، العوامل المؤدية إلى تعاطي الأحداث للمخدرات ، *مجلة القاهرة للخدمة الاجتماعية* ، القاهرة ، **العدد (٢)** ، ١٩٩١ ، ص ١٧٩ .

(٢) **شرف الدين الملك** ، جنوح *الأحداث ومحدداته في المملكة العربية السعودية* ، الرياض ، المركز العربي للدراسات الأمنية ، ١٩٩٠ ، ص ٢٧٤ .

أفراد الأسرة للمسكرات والمخدرات وارتكاب أحد أفراد الأسرة للجريمة . ونظراً لتوافر هذه السمات في أسر المبحوثين ، فليس بمستغرب أن نجد أن الغالبية من أفراد العينة لم يحظوا بمتابعة قوية من أولياء أمورهم ، والتي تتمثل في الحرص على معرفة كيفية قضاء الأوقات خارج المنزل ، والممانعة في خروجهم ليلاً ، والتعرف على مصادر حصولهم على المقتنيات الشخصية ، والتحدث معهم ومعرفة مايدور حولهم . لقد عكست إجابات غالبية المبحوثين على مجموع هذه المواضيع قدرًا متوسطًا وضعيفًا من المتابعة من قبل أولياء أمورهم أثناء فترة الطفولة والمراهقة . وتتفق هذه النتائج مع ماتوصل إليه الأسمري من أن عدم التوافق الأسري والتوافق الظاهري الفارغ المضمون يشكل علاقة كبيرة في انحراف الأحداث . إلا أنها تختلف في الجزء المتعلق بشكل الأسرة ، حيث بينت دراسة الأسمري أن غالبية المبحوثين يعيشون مع أسر كاملة التركيب من الناحية الشكلية ، وأن حالات الطلاق والوفاة والانفصال والتغيب لا تمثل إلا نسبة بسيطة (١) .

وتجدر الإشارة إلى مفهوم الأسرة المصدعة بمختلف مستوياته سواء كان راجعًا إلى أسباب تتعلق بانهيار كيان الأسرة بالطلاق أو الموت أو السجن أو تعدد الزوجات أو إدمان أحد الوالدين على المخدرات أو ارتكابه لجريمة ، يعد من عوامل الجنوح الأساسية ، لأنها تعمل على تدهور الأوضاع داخل الأسرة ، وتؤدي إلى ارتفاع حالات الإهمال وغياب الأسلوب الإيجابي للتنشئة الاجتماعية (٢) .

ومن جهة أخرى يعد أداء الصلوات من قبل أولياء الأمور ، وحث أبنائهم على تعلمها من الصغر من أهم أوجه طرق التنشئة الاجتماعية . وبالرغم من أكثر نصف العينة من أباء وأمهات المبحوثين يؤدون الصلاة بشكل دائم ، إلا أن الحث على الصلاة من قبل الوالدين وضرورة تعليم أبنائهم لأداء الصلوات لم يكن بالشكل الذي حث عليه الإسلام . حيث يوضح الجدول رقم (٦) أن أكثر من نصف العينة أفادوا بأن والديهم كانوا غير متابعين لهم بشكل جدي على تتبع أداء الصلاة ، ويكتفون بالأمر بأداء الصلاة دون متابعة لكيفية أدائها أو المعاقبة عند تركها . كذلك أفاد بعض المبحوثين أن الأمر على أداء الصلاة لم يكن يأخذ صفة الاستمرارية ، وإنما التذكير من وقت إلى

(١) **مشبب الأسمري** «بعض العوامل الاجتماعية المؤثرة في انحراف الأحداث بالمملكة العربية السعودية» ، رسالة ماجستير ، جامعة الملك عبدالعزيز ، جدة ، ١٩٩٢ ص ٢٨٢ .
(٢) **مجاهد الكتاني** ، شخصية *الجانح* ، الرباط ، مكتبة البديع ، ١٩٨٦ ، ص ٤٩ .

آخر بأداء الصلاة . وتتفق هذه النتائج مع ماتوصلت إليه سلوى سليم من أن انشغال الآباء عن رعاية وتنشئة أبنائهم له أثره الواضح على عدم تنشئتهم التنشئة الإسلامية الصحيحة التي تكون خير عاصم لهم من الزلل خلال فترات حياتهم المختلفة (١) .

العينة	متابعة الأسرة للأبناء				أداء الصلاة من الوالدين				الحث على الصلاة			
	ضعيف	متوسط	عال	المجموع	دائمًا	أحيانًا	نادرًا	المجموع	بالأمر والمتابعة	بالأمر فقط	الأمر بالصلاة أحيانًا	المجموع
العدد	٢٢	١٧	٣١	٧٠	٣٦	٢٣	١١	٧٠	٣٢	٢١	١٧	٧٠
النسبة	٣١,٤	٢٤,٣	٤٤,٣	٪١٠٠	٥١,٤	٣٢,٩	١٥,٧	٪١٠٠	٤٥,٧	٣٠	٢٤,٣	٪١٠٠

ثانيًا : الخلفية الدراسية والسلوكية وخبرات الطفولة والمراهقة

١- الخلفية الدراسية

يتضح من تتبع حياة المبحوثين أن نصف العينة تقريبًا كان مستواها الدراسي متوسطًا ، في حين أن أكثر من ربع العينة يعانون من صعوبات في الدراسة ، وكانوا متكرري الرسوب في المراحل الدراسية ، وتمثل النسبة الباقية من كانوا يعدون متفوقين في دراستهم . أما عن نظرتهم واتجاهاتهم نحو المدرسة ، فقد تبين أن أكثر من ثلاثة أرباع العينة لايخافون من المدرسة في المراحل الأولى ، ولم يتولد لديهم شعور بكره المدرسة أو معاملة المدرسين أو الزملاء ، في حين ترى ربع العينة تقريبًا أنها كانت تكره المدرسة . وذلك لسوء معاملة المدرسين التي كانت تتسم بالضرب والتحقير ، مما ولد شعوراً بالخوف من الذهاب للمدرسة .

أما المراحل التي تم الانقطاع فيها عن المدرسة ، فقد كانت المرحلتين المتوسطة والثانوية ، حيث تبين أن أكثر من نصف الذين ينتمي تعليمهم إلى المرحلة المتوسطة تركوا الدراسة في هذه المرحلة ، ولم يكملوا تعليمهم ، والبعض أكمل هذه المرحلة لاحقًا . كذلك تبين أن ربع من ينتمون إلى المرحلة الثانوية لم يكملوا الثانوي ، وكانوا قد تركوا الدراسة بعد تعلمهم تعاطي المخدرات . والملاحظ مما سبق هو ارتفاع نسبة المبحوثين الذين لم يكملوا المرحلة المتوسطة . وقد أرجعت دراسة الداود أسباب ظاهرة التسرب في المرحلة المتوسطة

---

(١) **سلوى سليم** ، *الإسلام والمخدرات* ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٩ ، ص ٢٢٦ .

إلى مجموعةمن العوامل تتمثل في انخفاض الدخل المادي للأسرة ، وتواضع الأعمال التي يزاولها الوالدين ، وعدم اهتمام المدرسة بمشكلات الطلاب ، وضعف الصلة بين المنزل والمدرسة ، وضعف العلاقة بين المعلم والطالب ، والرسوب المتكرر في الامتحان[١] . في حين أرجع المبحوثين من هذه الفئة أسباب تركهم للدراسة في هذه المرحلة إلى ضعف المستوى الدراسي ، وتكرار الرسوب ، وكثرة التغيب والشعور المتولد بكره المدرسة .

والجدير بالذكر أن غالبية الذين ينحدرون من عائلات تتسم بانخفاض الدخل ، وانخفاض مستوى تعليم آبائهم تعترضهم العقبات الدراسية في المرحلة المتوسطة والسنوات الأخيرة من المرحلة الابتدائية ، الأمر الذي يدفعهم إلى ترك الدراسة والبقاء في المنزل لفترة من الزمن . وتمثل هذه الفترة البداية لاتجاههم نحو تعلم استعمال المخدرات . ثم بعد ذلك التفكير في البحث عن عمل لإيجاد الدعم المادي الذي يمكنهم من الصرف على المخدرات . أما معظم الذين ينتمون إلى أسر متوسطة ومرتفعة الدخل والتعليم تظهر مشاكلهم الدراسية بعد انخراطهم في تعاطي المخدرات ، وفي الغالب تمثل المرحلة الثانوية مرحلة التعثر الدراسي لهذه الفئة .

٢ - الخلفية السلوكية والحوادث الأليمة في فترتي الطفولة والمراهقة

ينظر أصحاب الاتجاه النفسي إلى متعاطي المخدرات على أنهم أشخاص يعانون من اضطرابات في الشخصية ، ويوصفون بأنهم غير أسوياء في العادة ، ولا يستطيعون التكيف مع مسؤولياتهم وحقائقهم اليومية التي يعيشونها . وفي محاولة لمعرفة آراء المبحوثين لنمط شخصياتهم منذ الصغر ، وقبل الدخول إلى عالم المخدرات اتضح أن أعلى نسبة (٣٨ ٪) ترى أنها كانت معتدلة في تصرفاتها وسلوكياتها بشكل عادي ، وإنها لم تكن تعاني من سوء في التكيف مع الواقع ، وليست لديها عادات أو سمات تختلف بها عن الأسوياء ممن كانوا معهم في المدرسة والمنزل ، غير أن ربع العينة تقريبًا ترى أنها انطوائية ، ويذهب البعض من هذه الفئة إلى أن لديهم مشكلات كالخجل وصعوبة في الاختلاط مع الآخرين ، في حين ترى نسبة ١٢ ٪ أن شخصياتهم كانت تتميز بالجرأة والاندفاع وحب المخاطرة . وبوجه عام فإن مجموع هذه النتائج المتعلقة

---

(١) **ناصر الداود** ، أسباب ظاهرة التسرب في المرحلة المتوسطة في المملكة العربية السعودية ، الرياض ، مركز أبحاث مكافحة الجريمة بوزارة الداخلية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، د. ت ، ص ٧٨ .

بالنواحي الشخصية والسلوكية لا تتفق مع كثير من الدراسات والأبحاث [1] التي تعطى اهتمامًا أكبر للجوانب الشخصية .

أما عن التجارب التي مر بها المبحوثين في فترات المراهقة والطفولة ، والتي ربما تركت تأثيرًا في شخصياتهم وسلوكياتهم مستقبلاً ، أكد أكثر من نصف المبحوثين أنهم لم يتعرضوا لأي نوع من الحوادث غير الحوادث العادية التي ربما يمر بها الأشخاص العاديون . وترى النسبة الباقية ٤٦ ٪ بأنهم تعرضوا لحوادث أليمة من الصغر تركت في نفوسهم أثرًا كبيرًا ومازال البعض متأثرًا بها إلى الآن . وتمثلت هذه الحوادث في أشكال مختلفة كوفاة أحد الوالدين أو الإخوة ، والمعاملة القاسية بالضرب المبرح والطرد من المنزل والضرب من الأقران والتعرض لحادث سيارة والاتهام بالخطأ والاعتداء الأخلاقي وضرب والده لوالدته .

ولمزيد من المعلومات عن الخلفية السلوكية للمبحوثين توصل الباحثان إلى أن النسبة الغالبة من أفراد العينة لم يكن لهم طموح متميز . وكانت طموحاتهم عادية وآنية كالنجاح في المدرسة ، والتمكن من الحصول على بعض الاحتياجات الوقتية ، في حين بلغت نسبة الذين كانت لهم طموحات واضحة (٣٣,٣ ٪) ، وهذه الطموحات تندرج تحت العمل الوظيفي (مدرس ، ضابط ، طيار ، وطبيب) بالإضافة إلى الزواج من الذين اقترنوا بهم عاطفيًا . وتبين من إجابات المبحوثين أن معظم هؤلاء الذين لديهم طموحات ، شعروا في أوقات مبكرة من أعمارهم بأنهم لا يستطيعون تحقيق طموحاتهم . وعما إذا كان ضياع هذه الطموحات عاملاً في الاتجاه إلى المخدرات ، أفادت نسبة ١٠ ٪ من هؤلاء بأن من أسباب تعاطيهم للمخدر هو ضياع إمكانية تحقيق طموحاتهم ، فيما أشار الباقون إلى أن تعاطي المخدرات قضى على تلك الطموحات .

ثالثًا : ممارسة العبادات بين المبحوثين من المراحل المبكرة

اتسمت حياة المبحوثين قبل انخراطهم في تعاطي المخدرات وتعاطي الهيروين بضعف الوازع الديني بشكل عام . ولعل هذا العامل يعتبر أهم عامل أخذ بهم إلى الانحراف والدخول في عالم المخدرات . فالدين بما له من مغزى في نفوس الأفراد ،

---

(١) انظر الدراسات الصادرة عن مركز أبحاث مكافحة الجريمة بوزارة الداخلية ، المملكة العربية السعودية والمتعلقة بظاهرة إدمان المخدرات في المجتمع السعودي والمصري ومجتمع الإمارات . والتي تركز في تناولها للظاهرة على الجوانب النفسية .

وماله من أهمية كبرى في إيجاد الرقيب الدائم لايكاد يكون حاضراً بين الفئة الغالبة من المبحوثين . وليس بغريب أن يتجه أفراد العينة إلى المخدرات للبحث عن المتعة وللتخلص من مشاكلهم النفسية والمجتمعية طالما أن صلتهم بالله تعالى ضعيفة على مستوى ممارسة العبادات . ومن خلال تتبع أداء العبادات ، اتضح أن هناك ثلاث مراحل زمنية في حياة المبحوثين تعكس كل مرحلة مستوى الممارسة للعبادة . ففي المرحلة الأولى والتي تبدأ قبل تعاطي أي نوع من المخدرات ، اتضح أن أقل من نصف العينة (٤٤ ٪) تصلي وتنقطع وتعود إلى الصلاة بمعنى أنهم كانوا غير محافظين على صلاتهم ، في حين أن ثلث العينة ٣٣ ٪لاتصلي إلا نادراً . وبلغ نسبة الذين يحافظون على صلاتهم ٢٣ ٪ وبلغت نسبة الذين يحافظون على الصلاة مع الجماعة منهم ٧ ٪ فقط . وتتأثر هذه النسبة في المرحلة الثانية وهي دخولهم إلى عالم المخدرات ، حيث أفاد غالبية المبحوثين بأن أداء الصلاة انخفض بشكل ملحوظ ، خاصة خلال الفترة التي يكون فيها التعاطي مستمراً . حيث بلغت نسبة الذين يؤدون صلاتهم بشكل متقطع ٨٠ ٪ وفي المرحلة الثالثة مرحلة تعاطي الهيروين يكاد يكون هناك إجماع من قبل المبحوثين أن الصلاة تكاد تكون معدومة بينهم في الأوقات التي يتمكن الهيروين منهم . غير أن البعض من المبحوثين ١٠ ٪ يلجأ إلى الصلاة في محاولة لترك الهيروين ورغبة في التوبة، وذلك بسبب مانجم عن تعاطي الهيروين من مشاكل لا حصر لها .

وأما عن كيفية المحافظة على صيام رمضان فقد اتضح أن أكثر من ثلث العينة كانت لا تصوم رمضان مقابل أقل من الثلث بقليل أفطرت أغلب أيام رمضان . أما الذين أفطروا بعض أيام رمضان بغير عذر شرعي فقد بلغت ١٦ ٪ مقابل ١٨٪ أكملت صيام جميع شهور رمضان الذي وجب عليهم قبل الدخول إلى المخدرات . أيضا هذه النسبة تختلف تماماً عندما يكون أفراد العينة في حالات مستمرة من تعاطي المخدرات والهيروين ، حيث أفادت الغالبية من المبحوثين بأن أداء العبادات يتأثر بمستوى التعاطي . بمعنى تنعدم الصلاة والصوم في الفترة التي يرتفع فيها استخدام المخدر . وفيما يتعلق بأداء فريضة الحج ، أفاد ٧٣ ٪ أنهم لم يؤدوا فريضة الحج إطلاقًا مقابل ٢٧ ٪ قامت بأداء فريضة الحج . وتختلف النسبة في أداء العمرة لتصل إلى العكس تمامًا حيث بلغت نسبة الذين أدوا العمرة ٧٤ ٪ مقابل ٢٦ ٪ لم يؤدوا العمرة . وأرجع المبحوثين السبب في أداء العمرة إلى مجموعة من الأسباب : كالرغبة في التوبة وترك المخدرات والهيروين ، وتعود أدائها في شهر رمضان ، أو في صحبة العائلة . وتتفق النتائج السابقة من النتائج التي خلصت إليها سلوى سليم حول

مستوى الممارسة بين فئات متعاطي المخدرات ، حيث توصلت إلى أن ١١ ٪ من إجمالي عينة البحث كانوا يؤدون الصلاة مقابل ٢٤,٥ ٪ يؤدونها أحيانًا ، وبلغت نسبة الذين لا يؤدون الصلاة ٦٤,٥ ٪ كذلك بينت دراستها أن نسبة من صام شهر رمضان كاملاً ١٨,٥ ٪، أما الذين يصومون أحيانًا فقد بلغت ٢٨ ٪ وبلغت نسبة الذين لا يصومون ٣٠ ٪ من إجمالي العينة في دراستها .

وتعكس المعاملات داخل أسرة الوالدين والعائلة بشكل عام الصورة التي كان يعيشها المبحوثون مع عائلاتهم قبل تعاطي المخدرات . ومن خلال الإجابات تبين أن أكثر من نصف العينة تحرص على طاعة الوالدين دائمًا ، مقابل ثلث العينة كانت إجاباتهم أحيانًا . ومثلت ١٠ ٪ فئة الذين لايحرصون على تلبية رغبات الأهل ولا يطيعون والديهم . وتنخفض هذه النسب في مدى الحرص والاهتمام بالإخوة ، حيث دلت النتائج على أن ٤٤ ٪ من إجمالي المبحوثين أكدت أنها تحرص على الاهتمام بالإخوة داخل المنزل ، مقابل ٣٩ ٪ تحرص أحيانًا ، في حين بلغت نسبة الذين لايهتمون بأخواتهم وإخوانهم ١٧ ٪ فقط . كذلك تبين أن نصف العينة تقريبًا تحرص على زيارة المرضى وصلة الأرحام خاصة في المناسبات ، وتوزعت النسبة الباقية على الحرص أحيانًا ونادرًا .

رابعًا : الانحرافات السابقة لتعاطي المخدرات

شكلت الانحرافات السابقة سمة غالبة بين المبحوثين قبل الدخول إلى عالم المخدرات ، فالبدايات تمثلت في الشجار داخل الأسرة ومع جماعات الرفاق ، لتصل إلى تعاطي التدخين خارج محيط المنزل . وقد تبين أن نسبة من كانوا قد تعاطوا التدخين في سنوات مبكرة قبل عمر ١٣ عامًا ٤٠ ٪ ، ثم تطور الأمر لاحقًا في أكثر من ثلث أفراد العينة ليصل إلى الهروب والتغيب عن المدرسة وارتياد المقاهي ، ونجم عن ذلك تأخر مستوى التحصيل ، مما أدى إلى تكرار الرسوب ، ثم التوقف عن الدراسة . غير أن الانحرافات الخلقية والسرقات والاعتداء على الأشخاص تمثل أوج الانحرافات بين فئات المبحوثين . فقد بلغت نسبة الممارسين لهذه الأنواع من الانحرافات نصف العينة تقريبًا (٤٨ ٪) . ومثلت نسبة الذين حُكم عليهم بالإدانة نتيجة ما أقدمت عليه من انحراف ٨ ٪ فقط . وبمراجعة المعلومات المتعلقة بمن قاموا بأفعال انحرافية ، ومن حكم عليهم بالإدانة ، تبين أن الغالبية العظمى منهم عاشوا في أحياء ومنازل شعبية ، وتتسم

أسرهم بأكثر من سمة من سمات الأسرة المصدعة . وتتفق هذه النتائج مع ماتوصلت إليه دراسة شرف الدين الملك عن انحرافات الأحداث . فقد بينت نتائج الجنح حسب العمر في دراسة الملك إلى أن المشكلات المدرسية تمثل أعلى نسبة ٤٩ ٪ بين الذين تقع أعمارهم أقل من ١٢ سنة ، تليها مباشرة السرقات ٢٣ ٪ ، ثم المضاربات والانحرافات الخلقية والجنسية ٦,٤ ٪ لكل منهما . وتختفي الانحرافات المتعلقة بالمخدرات بين هذه الفئة العمرية [١] . وتجدر الإشارة إلى أن جميع الانحرافات السابقة بين أفراد العينة في الدراسة كانت قد سبقت تعاطي أي نوع من المخدرات ، وربما تكون هذه الانحرافات ساهمت مع بقية العوامل الأخرى التي سبق شرحها ، كضعف الوازع الديني وتدهور الحياة الأسرية والمدرسية والسلوكية في دفعهم إلى الاتجاه إلى المخدرات . وفي الوقت نفسه تؤكد هذه النتائج النتيجة العامة التي انتهى إليها العديد من المختصين في أن عوامل تعاطي المخدرات عديدة ومتنوعة ، ولا يمكن أن يعزى لعامل أو سبب واحد فيما يتعلق بالاتجاه البيئي [٢] .

خامسا : أنواع المخدرات المستخدمة حتى تعاطي الهيروين وترتيب الاستخدام

جدول رقم (٧) يوضح أنواع المخدرات المستعملة

العينة	أول استخدام		ثاني استخدام		ثالث استخدام		رابع استخدام		خامس استخدام	
	تكرار	النسبة	تكرار	النسبة	تكرار	النسبة	تكرار	النسبة	تكرار	النسبة
تشفيط	١٧	٪ ٢٤	٤	٪ ٦	–	–	–	–	–	–
كحول	٢١	٪ ٣٠	٢٥	٪ ٣٧	١٨	٪ ٢٨	١٤	٪ ٢٦	–	–
حشيش	١٢	٪ ١٧	١٩	٪ ٢٨	١٧	٪ ٢٦	١٣	٪ ٢٥	–	–
حبوب	١٦	٪ ٢٣	١٧	٪ ٢٥	١٥	٪ ٢٣	١٠	٪ ١٩	–	–
أفيون	٢	٪ ٣	–	–	٣	٪ ٥	–	–	–	–
هيروين	٢	٪ ٣	٣	٪ ٤	١٢	٪ ١٨	١٦	٪ ٣٠	٣٧	٪ ١٠٠
المجموع	٧٠	٪ ١٠٠	٦٨	٪ ١٠٠	٦٥	٪ ١٠٠	٥٣	٪ ١٠٠	٣٧	٪ ١٠٠

(١) **شرف الملك** ، مرجع سابق ، ص ٢٣١ .

(٢) **Pliant, M.**, What Aetiologies, *in* : **G. Edwards & C. Bucsh** (ed) *Drug Problems in Britain : A Review of Ten Years*. London Academic Prees, 1981, pp. 245 - 280 .

يوضح الجدول رقم (٧) أنواع المخدرات المستخدمة إلى بداية استخدام الهيروين ، وترتيب استخدامها بين المبحوثين . ومن خلال النظر إلى الجدول يتضح أن نسبة ٣٠ ٪ كانت بدايتها في تعاطي المخدرات مع الكحول ، تليها مباشرة من كانت بداية تعاطيهم تشفيط ٢٤٪ ثم الحبوب ٢٣ ٪ ، ويأتي الحشيش في المرتبة الرابعة لبدايات الاستخدام بنسبة ١٧ ٪ ، وهناك حالتان فقط بدأت بالهيروين والأفيون .

والملاحظ من الجدول رقم (٧) أن الهيروين يرتفع تدريجيًا نحو تأخر تعاطيه مقارنة بالمخدرات الأخرى ، حيث بلغت نسبة من تعاطوه ثاني مرة (٤٪) وثالث (١٧٪) ورابع سرة (٢٣٪) وخامس مرة (٥٣٪) لمجموع المبحوثين .

كما يتضح من الجدول أن أفراد العينة استخدموا العديد من أنواع المخدرات إلا أن أكثر المخدرات شيوعًا في الاستعمال الكحول والحبوب والحشيش . والتي يقود تكرار استخدامها بين المبحوثين في النهاية إلى تعاطي الهيروين .

سادسًا : مدة تعاطي المخدرات والهيروين بين المبحوثين

جدول رقم (٨) يوضح مدة تعاطي المخدرات والهيروين

مدة التعاطي	المخدرات		الهيروين	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة
أقل من سنة	٠	٠٪	٠	٠٪
من ١ - ٢	٠	٠٪	٢	٣
من ٣ - ٦	٨	١٢٪	٢٠	٢٩
من ٧ - ١٠	١١	١٦٪	٢٥	٣٥٪
أكثر من عشرة أعوام	٤٩	٧٨٪	٢٣	٣٣٪
المجموع	٦٨	١٠٠٪	٧٠	١٠٠٪

يوضح الجدول (٨) مدة التعاطي بين المبحوثين للمخدرات والهيروين . وبالتدقيق في الجدول يتضح أن النسبة العظمى بين متعاطي المخدرات ٧٨ ٪ كان تعاطيهم قبل أكثر من عشر سنوات . وتؤكد الغالبية من هذه النسبة أنها استعملت المخدرات في سنوات المراهقة ، في حين بلغت نسبة الذين كانت مدة تعاطيهم للمخدرات من (٧-١٠ سنوات) ١٦ ٪ وبلغت نسبة الذين كانت تتراوح مدة تعاطيهم

من (٣ - ٦ سنوات) ١٢ ٪ وتختلف النسبة في تعاطي الهيروين ، حيث بلغت أعلى نسبة ٣٥ ٪ للذين يتعاطونه لأكثر من عشر سنوات . في حين بلغت نسبة الذين يتعاطون الهيروين لمدة تتراوح من (٣ - ٦ أعوام) ٢٩ ٪ وشكلت نسبة الذين تعاطوا الهيروين من سنة إلى سنتين ٣ ٪ فقط

ويعتبر الهيروين حديث بين فئات المتعاطين ، حيث بلغت أطول فترة لاستخدامه خمسة عشرة عامًا بين فئة قليلة من المبحوثين . وتمثل البدايات مع الذين اتيحت لهم فرص السفر للخارج ، ويؤكد بعض المبحوثين أن بدايات التعرف على الهيروين كان مع أولئك الذين قدموا به من خارج المملكة للاستخدامات الشخصية .

ويرى أحد الذين تعاطوه في بداية الثمانينيات ، أن أقدم من تعاطي الهيروين هم الأشخاص الذين كانوا يعملون مع جنسيات أخرى . . ويؤكد «كُنا في تلك الفترة نُعد على الأصابع في جدة من الذين يستخدمون الهيروين . . كنا نشتريه من الشرقية ١٠٠٠ ريال للخمسة غرامات . وفي جدة كان الغرام يكلف ١٠٠٠ ريال إن وجد . ولم ينتشر في جدة والمملكة بشكل عام إلا عام ١٩٨٥" وهذا على خلاف ماأشارت إليه المصادر من أن الهيروين لم ينتشر في دول الخليج إلا بعد سنة ١٩٨٠ (١) . والواقع أنه لم ينتشر في المملكة على الأقل إلا بعد ١٩٨٥ في حين مثلت المراحل الأولى من الثمانينيات البدايات المبكرة لاستخدامه لندرة وجوده حسب تأكيد أقدم من تعاطى الهيروين من المبحوثين .

سابعًا : عوامل تعاطي المخدرات

على الرغم من أن هدف البحث هو محاولة التعرف على العوامل الاجتماعية ، والدوافع البيئية التي تؤدي إلى تعاطي الهيروين إلا أنه ومن خلال دراسات الحالات المعمقة أمكن التعرف على أن الدخول إلى عالم الهيروين لا يأتي مباشرة بين الغالبية العظمى من عينة الدراسة ، بل يسبقه مرحلة طويلة مع أنواع شتى من المخدرات ، والتي يوضحها الجدول رقم (٧)، وخلال هذه الفترة الزمنية من التعاطي لأنواع مختلفة يتهيأ المدمن نفسيًا وجسديًا وثقافيًا لتعاطي الهيروين كما سيتضح ذلك لاحقًا . ولم يكن بين السبعين حالة التي تمت دراستها سوى حالتين فقط استعملت الهيروين

---

(١) **خلود معجون** ، مكافحة جرائم المخدرات في النظام الإسلامي وتطبيقه في المملكة العربية السعودية ، الرياض ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، ١٩٩١ ، ص ٣٠ .

كأول مخدر يتم تعاطيه . وكلا الحالتين لهما ظروف خاصة لاتتفق مع بقية أفراد العينة ، ويعزى سبب تعاطيهم للهيروين للخطأ والظروف التي وقعوا بها . ومن هنا يمكن القول إن البحث في أسباب التعاطي لأول مرة يسهم إلى حد كبير في فهم العوامل التي أدت إلى استخدام الهيروين لاحقًا . وتظهر نتائج الدراسة الميدانية لحالات المبحوثين العوامل التي دفعت بهم إلى استخدام المخدرات ، والتي تتمثل في الآتي :

أكثر من نصف العينة ترى أن أهم عامل لاتجاهها للمخدرات هو الأصدقاء والأقارب حيث قدم لهم المخدر في المرة الأولى عن طريق هؤلاء وبإلحاح شديد .

ويأتي عامل الرغبة في التجربة ومحاولة استكشاف ما يحدثه المخدر الثاني في دفع الأشخاص إلى تعاطي المخدرات ، حيث أكد مايقرب من ثلث العينة أن دافع الفضول والتجربة والاكتشاف هو ما دفع بهم وشجعهم على تجربة المخدر .

وتجمع النسبة الباقية من أفراد العينة أنهم وقعوا في المخدرات لعوامل تتعلق بالخطأ، والسفر إلى الخارج ، والرغبة في الهروب سن الواقع الحياتي الذي يمثل لهم ضغوطًا نفسية واجتماعية .

ومن خلال الإجابات لسؤال آخر أمكن معرفة الوضع الذي كان يعيشه المبحوثون والحالة الفكرية التي كانوا عليها قبل أن تمتد أيديهم لتناول المخدر ، حيث أفاد أكثر من ثلثي العينة بأنهم كانوا يعانون من فراغ كبير ، ولا يعلمون كيف يستثمرونه ، ومعظم هذه الفئة هم الذين انقطعوا عن الدراسة في المراحل المبكرة . ولم يلتحقوا بأي عمل ، مقابل نفس النسبة تقريبًا ترى أن تفكيرهم كان ينصب في تحقيق أقصى درجات المتعة . وأكدت الفئة المتبقية بأنه سلوك يظهر مدى شجاعتهم أمام أقرانهم ، وهذا ما دفع بهم إلى تعاطي المخدرات .

وعلى الرغم من أن أكثر من نصف العينة (٣٥٪) أكدت أنها على جهل تام بآثار المخدرات الصحية والنفسية والاقتصادية التي اكتشفوها لاحقًا ، إلا أن النسبة الباقية ترى أنه رغم علمها المسبق بإمكانية حدوث مثل هذه الآثار إلا أنها فضلت تعاطي المخدرات هربًا من المشاكل التي كانوا يعانون منها .

وأما عن كيفية الحصول على المخدر أول مرة ، فقد أكدت نسبة ٨٤٪ أن المخدر قدم لهم عن طريق الأصدقاء والأقرباء ، في حين ترى نسبة ١٢٪ أنه وقع في طريقهم بالخطأ، وتؤكد نسبة ٤٪ أنهم بحثوا عنه حتى تم العثور عليه ، وبالتقصي عن هذه

الحالات أمكن معرفة أن هذه الفئة هي أكثر الفئات من المبحوثين معاناة لمشاكل نفسية وأسرية ، وتتسم سلوكياتهم بقدر كبير من الجرأة والاندفاع .

ويبين مكان الحصول على المخدر مدى تأثير جماعات الأصدقاء في الاتجاه إلى المخدرات ، حيث أكد أكثر من نصف العينة ٦٣٪ أنهم حصلوا على المخدر من قبل أصدقائهم أو أقاربهم في الشارع أو في منازلهم ، ومثلت نسبة ١٤٪ مكان الحصول على المخدر في العمل والمدرسة ، وتوزعت النسب الباقية في الحصول على المخدر بطرق مختلفة كالسفر إلى خارج المملكة والخطأ والصدفة .

ولا تختلف النتائج السابقة عن معظم النتائج التي توصل إليها عدد من الباحثين في مجتمع الدراسة ، فقد توصل الفالح إلى أن مخالطة رفقاء السوء من العوامل الاجتماعية المهمة في تعاطي المخدرات حيث حصل أكثر من نصف عينته في الدراسة على المخدرات من قبل أصدقائهم . كذلك أكدت نتائجه أهمية وقت الفراغ في الاتجاه إلى المخدرات ، فالغالبية يعانون من ساعات فراغ طويلة [١] . كما أكدت دراسة بدر على أهمية عامل الأصدقاء والفراغ والملل ، وتقليد الآخرين ، وعدم المعرفة بأضرارها والاعتقاد في فوائدها ، في الاتجاه إلى تعاطي المخدرات [٢] . وتتفق نتائج الدراسة الميدانية الحالية والدراسات السابقة مع التصورات النظرية التي تؤكد على أهمية دور الوسط البيئي والاجتماعي في الاتجاه إلى المخدرات .

ثامنًا : عوامل تعاطي الهيروين

كشفت التحليلات السابقة عن الكيفية التي من خلالها ساهمت العوامل المتمثلة في الأوضاع البيئية ، والمشكلات الأسرية ، والانحرافات السابقة في تهيئة المبحوثين إلى الاتجاه إلى تعاطي المخدرات ، ثم تعاطي الهيروين . بالإضافة إلى تلك العوامل ، هناك عوامل أخرى عديدة ذات صلة بمادة الهيروين ساعدت في التحول إلى تعاطي هذا النوع من المخدر في مجتمع البحث ، فيما يلي عرضًا لهذه العوامل :

١- تؤكد نسبة ٣١٪ من إجمالي العينة أن السبب في التحول إلى الهيروين يكمن في مرحلة الضياع التي يمرون بها . وأن تعاطي الهيروين مرحلة طبيعية لمتعاطي

---

(١) **سليمان الفالح** ، عوامل تعاطي المخدرات ، الرياض ، الحرس الوطني ، ١٩٨٩ ، ص ١٨٣ .
(٢) **عبدالمنعم بدر** ، مشكلة المخدرات ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٩٨٧ ، ص ٧٥ .

المخدرات ، وتدرج منطقي للحصول على كمية أكبر من النشوة التي لا يقدمها مخدر آخر . ويُفصل أحد أفراد العينة كيفية تدريجه مع المخدرات على النحو التالي :

« قدم لي أعز أصدقائي زجاجة خمر كهدية الزواج ، حيث كنت استخدم الشراب في بدايات التعاطي لوحدي ، من أجل زيادة المتعة الجنسية . ثم تطورت المسألة إلى التعاطي مع الأصدقاء في المناسبات فقط . ثم أصبحت شبه منتظم في جلسات التعاطي ، وتطورت المسألة إلى تعاطي الحشيش في هذه الجلسات . ثم تعلمت الحبوب المخدرة من خلال هذه الجلسات أيضًا وأصبحت أتعاطاها جميعًا فترة من الزمن . . . ثم بدأنا نسمع عن البودرة (أتت موضة البودرة) ، والانتقال إلى الهيروين كان بمثابة موضة فكل مخدر كان موضة منتشرة بين الشباب . أنا انتقلت إلى الهيروين مع تطور الزمن في التعاطي لأشياء مختلفة قبل الدخول فيه . » ويقول مدمن آخر : «إذا كنت تستخدم مخدرا معينا فسوف يأتي الوقت الذي تتعاطى فيه جميع أنواع المخدرات . بدأت بالحشيش ثم الخمرة والبيرة ، وعندما شاع استخدام الهيروين تحولت مع أصدقائي الذين سبقوني لتعاطي الهيروين ، ولم يكن هناك سبب لتعاطي الهيروين سوى مرحلة الضياع التي كنت أعيشها من جراء استخدام المخدرات »

٢- وترى نسبة (٢٢٪) أن جلسات تعاطي المخدرات بدأت في التحول في منتصف الثمانينيات إلى تعاطي الهيروين ، حيث أصبح منتشرًا بين العديد من جماعات التعاطي ، الأمر الذي دفع بالمتعاطين إلى التحول إلى تعاطي الهيروين . ويوضح أحد المدمنين عامل الانتشار بقوله : «أول تعاطي لي كان الحبوب ، حيث قدمها لي صديق على شاطئ البحر ، ثم تعلمت الحشيش والشراب ، وسبب تحولي للهيروين أنني كنت في أحد الأيام عائدًا من العمل إلى المنزل ووجدت أخي وصديقي يتعاطيان نوعًا جديدًا من المخدرات ، وقالا لي خذ جرب هذه ، فجربتها وأعجبتني كثيرًا لأني كنت أبحث عن الراحة الجسدية . كنت أسمع عن الهيروين ، ولكن لم أشاهده إلا في ذلك اليوم ، وقد تعاطيته دون تردد »

ويؤكد سدمن آخر « كنت مقطوع من الحشيش وكنت أبحث عن أي شئ يصبرني عنه ، وفي تلك الأثناء مر عليَّ بالمنزل صديقي مع مجموعة ، وخرجنا للنزهة وكان معهم هيروين وبدأوا في التعاطي ، ثم شاركتهم التعاطي ، وهي أول مرة لي في استخدام الهيروين » .

٣ - تذهب نسبة (١٥٪) إلى أن الإلحاح من الأصدقاء والأقارب ، والذين سبق لهم

التعامل مع الهيروين هو السبب في اتجاههم لاستخدام الهيروين ، إضافة إلى ماأشيع عن الهيروين من صورة مشوقة ، وما يحدثه في الجسد من نشوة ، وما يتمتع به من سرعة في إحداث الانبساط الذي يبحث عنه المتعاطي . فضلاً عن أنه لايترك رائحة يمكن التعرف من خلالها عن أن الشخص متعاط لنوع من المخدر كالكحول مثلاً ، وفي هذا الصدد يقول أحد المدمنين «تعلمت الحبوب عن طريق الأصدقاء في المدرسة ، ثم شربت الكولونيا والعرق ، وتركت الدراسة ، وظللت عاطلاً أسكر كل ليلة ، وعندما لا أجد الشراب أتعاطى الكولونيا . . . وفي أحد المرات حضر إليَّ أحد الأصدقاء برفقة اثنين من أصدقائه ، وقالوا معهم هيروين ، فقلت تعاطوه ، ولكن لا تعودوا إليَّ مرة ثانية بهذا الشيء . . . ومع ذلك عادوا في الليلة التالية فأصبحوا يتحدثون عن مميزات هذا الصنف من الكيف ، وكيف أنه ليس له رائحة مثل المسكر ، وأنه لا يسبب لهم سطال مثلي بسبب المسكر ، وقالوا إنك تستطيع أن تتحدث مع أي شخص بدون أن يلاحظ عليك شيئًا . فرفضت التعاطي وعادوا في الليلة الثالثة ، أصبحت مهيئا نفسيًا للمشاركة لما قد سمعت منهم ، وما أن بدأوا في التعاطي حتى طلبتِ منهم المشاركة ، وبعد أن ضربوني إبرةَ أحسست بالنشوة السريعة والراحة في نفسي وجسمي وأعجبني كثيرًا » .

ويقول آخر « دخلت إلى الهيروين عن طريق أبناء أختي الذين انتقدوا استعمالي للحشيش ، كنت في رحلة معهم إلى البحر ، ولم يكن معي شراب أو حشيش ، وكانوا يتعاطون الهيروين ، ولم أجد أمامي سوى مشاركتهم ، وطلبت قدرا بسيطًا للتجربة ، وفي المساء أخذت جرعة أخرى ، وعندما عدت إلى المنزل أردت أن أسكر ولكني وجدته لا يوصلني إلى نفس مستوى النشوة التي يحدثها الهيروين ، فتوقفت عن الحشيش والشراب ، واتجهت إلى الهيروين » .

٤ - وترى نسبة (١١٪) من إجمالي العينة أن ندرة وجود المخدرات بصفة عامة وانتشار مروجي الهيروين بشكل كبير هو السبب في تحول متعاطي المخدرات إلى الهيروين ، ويشرح أحد المدمنين كيف كان لعامل الندرة في بعض المواد المخدرة الدور في تعاطيه للهيروين . « نشأت شاذًا في أسرتي ،والدي مؤذن مسجد ، وجميع إخواني صالحين ، إلا أنه كان قاسيًا في تعامله معي ، طردني من المنزل وعشت مع خالي ، كان لي صديق حميم علمني تعاطي الشراب والحشيش . وفي أحد المرات كنا نبحث عن حشيش أو حبوب في كل الأماكن التي نعرفها ، فلم نجد شيئا ، وبعد عناء

طويل وجدنا أحد المروجين فأخبرناه برغبتنا فقال لا يوجد لديه سوى هيروين ، اشترينا منه كمية بعد أن ذكر أن مفعولها أفضل وأقوى ولم نكن نعلم بأضرارها » .

ويؤكد مدمن آخر . . « أتت فترة من الفترات كان فيه نقص في الحبوب والحشيش في السوق ، وكان الهيروين شيئًا جديداً نزل في البلد ، والناس تتحدث عن قوة تأثيره ، وبما أن المخدرات السابقة قد تمكنت من أجسامنا ولم تعد تعطي مفعولها - بالإضافة إلى غياب هذه الحبوب - قررنا أن نجرب الهيروين المتوافر » .

٥ - وترى (٨٪) أن السبب في تعاطيها للهيروين هو الرغبة في التجربة ومعرفة هذا النوع الجديد من المخدر الذي شاع استخدامه بين فئات المتعاطين . ويتحدث أحد أفراد العينة « كان أحد أصدقائي مسافراً في دراسة إلى الخارج ، وعند عودته أحضر معه كمية من الهيروين ، وأعطاني خطين ، وأردت أن أجرب هذا النوع حيث جربت الحشيش والمسكر ، ولماذا لا أجرب هذا الصنف ، وفعلا شممت الخطين ، وأصبحت أتقيأ طوال الليل ، وعندما أخبرته بما أصابني قال لي إن هذا يحدث في أول مرة من التعاطي ولن يتكرر . وأصبحت أتعاطى معه بصفة يومية » .

ويقول آخر « في هذا الوقت كنت أسمع عن الهيروين ولم أكن أعرف أضراره . في تلك الفترة لم يكن هناك حملات توعية . كنت مع أصدقائي وكنت أريد أضيع الوقت ، تعاطيت الهيروين مع الأصدقاء لمجرد التجربة وضياع الوقت » .

٦ - وتذهب فئة من المبحوثين (٥٪) إلى أن سبب تعاطيها للهيروين يكمن في الرغبة في إطالة فترة الجماع ، الذي يشيع بين كثير من متعاطي الهيروين في المراحل الأولى من التعاطي ، والنُصح باستخدامه لتقوية الدافع الجنسي . يقول أحد المدمنين من هذه الفئة « كنت كثير الرسوب ، بدأت أتعاطى المخدرات ، وسبب تحولي إلى الهيروين أنني تزوجت بإمرأة أصغر مني كثيراً وكنت لا أطيل فترة الجماع ، وأحسست أني لا أشبع رغبتها ، فشكوت وضعي لأحد الأصدقاء فقال لي : خذ هذين الخطين استنشقهما عن طريق الأنف قبل الجماع . ولم أكن أعرف هذه المادة من قبل ، ولم أشاهدها ، وبعد التجربة تعلقت بها كثيراً» .

ويقول مدمن آخر « تعلمت التدخين بعد أن أدمنت الحبوب ، ثم انتقلت إلى الحشيش ، وعندما كنت أسمع أن الهيروين يساعد على الجماع قررت استخدام الهيروين » .

٧ - وترجع نسبة (٥٪) أن السبب في استعمالها للهيروين يعود إلى السفر للخارج . وعن كيفية تعلم الهيروين في السفر يذكر أحد المدمنين تجربته « تعلمت

الحشيش وعمري ١٦ سنة عن طريق صديق عرضه عليّ في منزله . استمررت في تعاطي الحشيش وأنواع أخرى حتى سافرت إلى الخارج ، وكنت وحيداً تعرفت على أحد الفتيات التي علمتني الهيروين ، ولم أكن متردداً في استعماله للضياع الذي كنت أعيشه » .

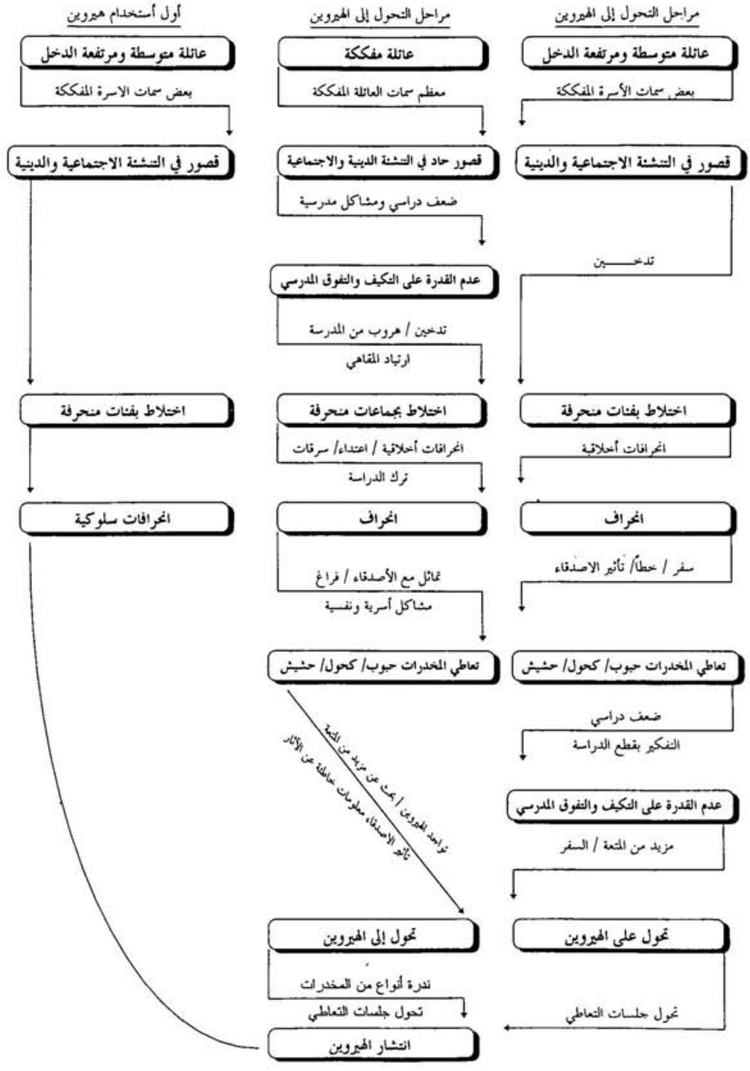
٨ - بالإضافة إلى العوامل السابقة هناك حالتان :

يمكن أن يعزا سبب تعاطيهما للهيروين لأسباب خاصة لا تتفق مع الحالات السابقة، فكلا الحالتين ليس لديهما أي ارتباط سابق بأي نوع من أنواع المخدرات ، وكلا الحالتين تعكس دور الأصدقاء في الانحراف . وتبين كيف تهيئ الأوضاع الاجتماعية للشخص لقبول المخدر كطريقة للتكيف مع الواقع في الظروف المتردية التي يمر بها .

الحالة الأولى : « تعاطيت الهيروين عندما كنت في أجازة مع الأهل في جدة كنت ناجحًا من الصف الثاني إلى الصف الثالث الثانوي ، في أحد الأيام ذهبت وحدي إلى الشاطئ وتقابلت بالصدفة مع أحد الأشخاص الذين أعرفهم من مدينتي ، اصطحبني معه إلى مجموعة من أصدقائه في جدة ، وجلست معهم ، واندهشت عندما وجدت أن كل واحد منهم يخرج شيئًا وكل مجموعة يتعاطون شيئا ، ومجموعة تشرب ، وأخرى تستعمل الحشيش ، وثالثة الهيروين ، وكنت قد جلست قريبا من المجموعة التي تتعاطى الهيروين ، وسألت عنه لأني أول مرة أشاهده في تلك الجلسة : فقالوا لي ليس له أي تأثير ويعطيك جوا ممتازا ، وتشجعت على التجربة بعد أن رأيت صديقي يتعاطى واثنان من المتعاطين أصغر مني سنًا ، وكانوا يستخدمون الإبر وضربوني ثلاث إبر ، لم أشعر بالنشوة إلا في المرة الثالثة ، كنت متردداً في البداية وكانوا يلحون عليّ بشكل كبير ، ولم يكونوا يعلمون أنني لم أتعاطاه من قبل ، ثم أصبحت أتردد عليهم باستمرار طوال الإجازة » .

الحالة الثانية : « كان إدماني للهيروين بسبب صداقتي لمجموعة من المدمنين من الحارة . وكما يقول المثل من عاشر القوم أربعين يومًا صار منهم ، أنا لم أعاشرهم ، ولكني كنت أخالطهم وألازمهم وأسهر معهم وأحضر جلسات التعاطي ، أخرج معهم للنزهة وسافرت معهم واستمر ذلك لعدة سنوات بدون أن أتعاطى أو مجرد أن أفكر في ذلك ، والذي كان يمنعني من ذلك هو حب الأهل وبالذات والدتي ، وكنت أعرف أن هذا الطريق فيه مشاكل كثيرة ، ولم أرد أن أسبب لهم أية إحراجات . . . ، كنت مع أحد هؤلاء الأصدقاء في سيارته وبدأ يتعاطى الهيروين ، ثم قال لي خذ شم هذا الخط ، وقال كل يوم ترفض ، وبعد أن ألح عليّ تعاطيت . كنت وقتها أعاني من فراغ كبير وأصبحت أتعاطى باستمرار » .

نموذج يوضح كيفية تدرج عينة الدراسة للتحول وتعاطي الهيروين



من خلال دراسة هاتين الحالتين يمكن القول إن إنتشار جماعات التعاطي يساعد على جذب عناصر جديدة من الأفراد نحو تعاطي الهيروين ، حتى لو لم يكن لديهم تاريخ مسبق مع المخدرات . كذلك يتضح من خلال عرض العوامل السابقة أنه في ظل الانحرافات السلوكية ، والتمادي في تعاطي المخدرات ، والبحث من خلالها عن سبل للتكيف مع الأوضاع النفسية والاجتماعية المتردية ، ومع ندرة المواد المخدرة التقليدية بدأ التحوّل التدريجي بين فئات المبحوثين إلى تعاطي الهيروين .

خاتمـــة

في ضوء تساؤلات الدراسة يمكن القول بأن العوامل الاجتماعية المتردية من حي ومسكن في سنوات الطفولة والمراهقة ، والشكل العام لعوائل المبحوثين الذي اقترب في سفهومه من الأسرة المصدعة ، وما نجم عنه من ضعف في الرقابة الأسرية ، وعدم الحث على الإلتزام بالمثل الدينية ، الأمر الذي انعكس على مستوى الممارسة العبادية للمبحوثين عند وصولهم لرحلة المراهقة والشباب ، إضافة إلى تردي الأوضاع الدراسية ، وتفاقم الأوضاع السلوكية ، ودخولهم في انحرافات خلقية ، كل ذلك ساعد في اتجاه الأشخاص إلى تعاطي المخدرات .

وعندما بدأ الهيروين يجد طريقه في مجتمع الدراسة أخذت فئات التعاطي تتحول تدريجيًا نحو تعاطي الهيروين ، وساهمت بدورها في شيوع استخدامه بين العديد من فئات متعاطي المخدرات المختلفة . وساعدت بعض العوامل الأخرى التي ترتبط بطبيعة المادة مثل ندرة بعض المواد المخدرة ، والمعلومات الوهمية عن خصائص الهيروين ، بالإضافة إلى قوة تأثيره وسرعة مفعوله وانتشاره في سجتمع الدراسة بين فئات المبحوثين .

ومما سبق يمكن القول أن الدراسة الحالية قد كشفت عن العوامل التي تهيئ إلى الاتجاه للمخدرات بصفة عامة ، والعوامل التي تدفع إلى تعاطي الهيروين بصفة خاصة . ولما تبين أن هناك حالتين من المبحوثين اتجهتا إلى تعاطي الهيروين مباشرة دون المرور المسبق بالأنواع التقليدية للمخدرات ، يجعلنا نتساءل عن مدى مساهمة انتشار الهيروين في مجتمع الدراسة في جذب ضحايا إلى عالم المخدرات عن طريق تعاطي الهيروين مباشرة .

المراجع

أولاً : المراجع العربية

الأسمري ، مشبب ، *بعض العوامل الاجتماعية المؤثرة في انحراف الأحداث* ، المملكة العربية السعودية ، رسالة ماجستير ، جدة : جامعة الملك عبدالعزيز . ١٩٩٢ .

اديتيا نجي ، ر.م ، وساكسينا ، س، و لال ، س ، الاتجاهات المتغيرة لإساءة استعمال الهيروين في الهند : تقديرات تستند إلى سجلات العلاج ، *نشرة المخدرات* ، **المجلد السابع والثلاثون** ، العددان (٢)،(٣)، إبريل - سبتمبر ١٩٨٥ ، ص ص ٢٣-٢٩ .

بدر ، عبدالمنعم ، مشكلات *المخدرات* ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٩٨٧ .

بياري ، عواطف ، العوامل المؤدية إلى تعاطي الأحداث للمخدرات ، *مجلة القاهرة للخدمة الاجتماعية* ، ١٩٩١ ، ***المجلد الثاني*** ، ص ص ١٦٥ - ١٩٣ .

التركي، سعود ، العوامل المؤدية إلى تعاطي المخدرات والمنظور الإسلامي لمواجهتها ، *مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية* ، العدد االأول ، ١٩٨٩ ، ص ص ٤١٧ - ٤٨٢ .

الجمعان ، أحمد ، *المخدرات وارتكاب الجريمة* ، المملكة العربية السعودية ، رسالة ماجستير ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٩٨٨ .

خانت ، يو ، الإجراءات الرامية إلى منع إساءة استعمال العقاقير بين الشباب في بورما ، الحد منها ، *نشرة المخدرات* ، **المجلد السابع والثلاثون** ، العددان (٢)،(٣)، إبريل - سبتمبر ١٩٨٥ ، الأمم المتحدة ، نيويورك ، ص ص ٩٥ - ١٠٣ .

الخطيب ، جمال ، سيكولوجية تعاطي المخدرات ، *المجلة العربية للدراسات الأمنية* ، **المجلد الثامن**، العدد الخامس عشر ، الرياض ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، ١٩٩٢ ، ص ص ١٣-٥٦ .

الدواد ، ناصر ، *أسباب ظاهرة التسرب في المرحلة المتوسطة في المملكة العربية السعودية* ، الرياض ، مركز أبحاث مكافحة الجريمة ، بدون تاريخ .

درويش ، صفوت ، وياقوت ، يسري ، *الهيروين دعوة إلى الموت* ، القاهرة ، مطابع جريدة السفير ، ١٩٨٥ .

روبرتسون ، روي ، *الهيروين والأيدز* ، ترجمة يوسف ميخائيل أسعد ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٩ .

سليم ، سلوى ، *الإسلام والمخدرات* ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٩ .

سويف ، مصطفى ، *الطريق الآخر لمواجهة مشكلة المخدرات : خفض الطلب* ، القاهرة ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٩٠ .

سويف ، مصطفى ، *المخدرات والمجتمع* ، الكويت ، عالم المعرفة ، ١٩٩٦ .

فار ، أ. ، ومونار ، م. ، وسنلدرز ، س. ، أسلوب حياة وعادات استعمال العقاقير بين طلاب المدارس الثانوية ، *نشرة المخدرات* ، **المجلد السابع والثلاثون** ، العددان (٢)،(٣) ، إبريل - سبتمبر ، الأمم المتحدة ، نيويورك ، ١٩٨٥ ، ص ص ١٢٩ - ١٤٠ .

الفالح ، سليمان ، *عوامل تعاطي المخدرات* ، الرياض ، الحرس الوطني ، ١٩٨٩ .

كاره ، مصطفى ، المخدرات والانحراف ، *المجلة العربية للدراسات الأمنية* ، الرياض ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، **المجلد التاسع** ، العدد السابع عشر ، ١٩٩٤ ، ص ٧٩ - ٩٧ .

الكتاني ، مجاهدة ، شخصية *الجانح* ، الرباط ، مكتبة البديع ، ١٩٨٦ .

محمود ، أمان ، الأداء المعرفي لدى مدمني الهيروين والكوكايين بمستشفيات الأمل بالمملكة العربية السعودية ، *المجلة العربية للدراسات الأمنية* ، الرياض ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، **المجلد الثامن** ، العدد الخامس عشر ، ١٩٩٣ ، ص ص ٣٧ - ٦٩ .

المرزوقي، حمد، والكردي، محمود، والغامدي، عبدالرحيم، والعقباوي، أحمد، والصياد، عبدالعاطي، وعبدالفتاح، إيناس، والملك، شرف الدين، ومختار، علي، ظاهرة إدمان المخدرات في مجتمع الإمارات العربية المتحدة ، الرياض ، مركز أبحاث مكافحة الجريمة ، ١٩٩٥ .

معجون ، خلود ، *مكافحة جرائم المخدرات في النظام الإسلامي وتطبيقه في المملكة العربيةالسعودية* ، الرياض مركز أبحاث مكافحة الجريمة ،١٩٩٥ .

معجون، خلود ، *مكافحة جرائم المخدرات في النظام الإسلامي وتطبيقه في المملكة العربية السعودية*، الرياض ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، ١٩٩١ .

الملك ، شرف الدين ، جنوح *الأحداث ومحدداته في المملكة العربية السعودية* ، الرياض ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، ١٩٩٠ .

منصور ، عبدالمجيد ، *الإدمان أسبابه ومظاهر الوقاية منه* ، الرياض ، مركز أبحاث مكافحة الجريمة ، ١٩٩٦ .

مينديس ، م . ، إدمان الشباب على الهيروين ظاهرة جديدة في سري لانكا ، *نشرة المخدرات* ، *المجلد السابع والثلاثون* ، العددان (٢)،(٣)، إبريل - سبتمبر ، ١٩٨٥ ، الأمم المتحدة ، نيويورك ، ص ص ٣١-٣٥ .

وزارة الإعلام ، *المخدرات الخطر والمقاومة* ، الرياض ، مؤسسة الجزيرة الصحفية ، د. ت .

وزارة الداخلية ، *الكتاب الإحصائي السنوي* ، الرياض ، ١٩٩١ .

ثانيا : المراجع الأجنبية

Adler, F., Mueller, G. and **Laufer, W.,** *Criminology,* New York, McGraw-Hill, Inc., 1991.

Bozza, C., *Criminal Investigation,* Chicago, Nelson-Hall, 1978.

Caplin, S. and **Woodward, S.,** *Drug Watch,* London, Corgi Books, 1986.

Gossop, M. *Living with Drugs,* England, Wildwood House, 1988.

Haskell, R., Yablonsky, I., *Criminology: Crime and Criminality,* Chicago Rand McNally College Publishing Company, 1978.

Manning, M., *The Drugs Menace,* London, Columbus Books, 1985.

Pearson, G., *The New Heroin Users,* Oxford, Basil Blackwell, 1987.

Plant, M., *Drugs in Perspective,* London, Hodder & Stoughton, 1987.

Plant, M., What Aetiologies, *in:* **G. Edwards** and **C. Busch** (ed.) *Drug Problems in Britain: A Review of Ten Years,* London Academic Press, 1981, pp. 245-280.

Wilson, J., *Thinking about Crime,* New York, Basic Book, 1983.

Heroin Users: From Early Delinquency to Drug Dependency

ISMAIL SAID and YAHWA AL-KHARAZRAJ
Department of Sociology, Faculty of Arts & Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

ABSTRACT. The object of this empirical study is to determine the main social and environmental factors accountable for heroin use in Saudi Arabia. The study also attempts to examine, in relation to the nature of heroin, it self, some reasons for its preference, by its users. The principal findings of the study are based on in-depth interviews with (70) heroin addicts in treatment at Al-Amal Hospital in Jeddah. The field study was carried out from the first June to mid-September 1995.

The results reveal that the vast majority of the respondents show similar socio-economic and family characteristics, such as broken family, low income backgrounds, low educational levels, irregular religious practices, and previous delinquencies. The findings also indicate that the majority of the respondents had a long history of substance abuse (*i.e.*, alcohol, cannabis, and a whole range of amphetamines and tranquilizers), before turning to heroin use. Several main reasons are given by the interviewees for their involvement in heroin abuse. Firstly, the prevalence of heroin use amongst many of their friends who also previously abused other kinds of drugs. Secondly, the availability of large supplies of heroin in the illegal drug market. Thirdly, their ignorance of the negative effects of heroin abuse. Finally, the scarcity, in the region, of drugs they were familiar with.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الانسانية ، م٩ ، ص ص ٩٥ - ١٢٦ (١٤١٦ هـ / ١٩٩٦)

آثار التدخين على أداء الطالب الجامعي لدوره الأكاديمي : دراسة تطبيقية على عينة من طلاب جامعة الملك عبدالعزيز بمحافظة جدة

إسماعيل بن خليل كتبخانة و محمد بن عثمان الأمين نوري

قسم الاجتماع - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبدالعزيز - جدة

المستخلص : تم مسح عينة مكونة من ٧٣٠ طالبا من طلاب جامعة الملك عبدالعزيز لتحديد العلاقة بين تدخين الطالب الجامعي للسجائر وأثره على أدائه لدوره الأكاديمي .

توصلت الدراسة إلى أن للتدخين تأثير سلبي على أداء الطالب لنشاطاته الأكاديمية ومؤدّيا بالتالي إلى تدني مستوى المواظبة على حضور المحاضرات ، واستيعاب الدروس والاستفادة من المكتبة الجامعية ، والإنجاز الأكاديمي ، والمشاركة في الأنشطة اللاصفية .

مقدمة

يعتبر هذا البحث جزءاً من دراسة واسعة تم تطبيقها على طلاب جامعة الملك عبدالعزيز عن ظاهرة التدخين ، وقد تناولت تلك الدراسة جوانب وأبعادا عديدة للموضوع قيد البحث ، بعضها يتعلق بالعوامل المؤثرة في تعاطي الطلاب للدخان ، بينما ركز جانب آخر على الإجراءات الوقائية وغيرها ، الخاصة بمكافحة التدخين وماهيته ، والعوامل التي قد تؤثر في مدى فعاليتها ، في حين تناول مدخل ثالث من الدراسة مدى تأثير التدخين على أداء الطالب لدوره الأكاديمي . وقد تم تصنيف الموضوعات الرئيسة التي شملتها الدراسة تحت العناوين البحثية التالية :

١ - العوامل الاجتماعية والاقتصادية والنفس اجتماعية المرتبطة بممارسة الشباب الجامعي لعادة التدخين .

٢ - العوامل المرتبطة بمدى فعالية برامج مكافحة التدخين .

٣ - آثار التدخين على أداء الطالب الجامعي لدوره الأكاديمي .

يتناول هذا البحث المدخل الثالث من أقسام التصنيفات أعلاه . فبالطبع إن أداء الطالب لدوره الأكاديمي على الوجه الأمثل وصولا لمرحلة أعلى من مستويات الإنجاز الأكاديمي يعتبر محور العملية التعليمية والتربوية كما أنه يستخدم كمحك رئيس لقياس مدى كفاءة المدخلات التي وظّفت لهذا الهدف .

الظروف المعيقة لأداء هذا الأمر على الوجه الأكمل متعددة ، مثل : المستوى الاقتصادي للأسرة ، والمستوى التعليمي للوالدين ، ونمط مكان الإقامة وما يتضمنه من قيم ثقافية متباينة ، وبيئة ومناخ أكاديمي صحي . لكن هناك متغيرات أخرى لم تحظ كثيرا باهتمام الباحثين مثل أثر بعض الأنماط السلوكية المكتسبة ، والتي قد تعتبر متغيرات وسيطة لتأثير المتغيرات السابقة على أداء الطالب لدوره الأكاديمي ، ومن بينها ممارسة الطلاب لبعض العادات الضارة كتعاطي المواد المحتوية على النكوتين مثل السجائر وغيرها من مشتقات التبغ الأخرى ، والذي قد يكون مسؤولا جزئيا عن ارتفاع معدلات الرسوب ، والتسرب في بعض المراحل الدراسية ، ومن بينها المرحلة الجامعية . ستضطلع هذه الدراسة بتحليل أثر التدخين على أداء الطلاب المدخنين لأدوارهم كطلاب جامعيين ، وذلك بمقارنة أدائهم بأداء غيرهم من الطلاب غير المدخنين .

موضوع البحث

يتناول هذا البحث دراسة أثر التدخين على أداء الطلاب الجامعيين للمهام الملقاة على عاتقهم ، وذلك من خلال مقارنة الطلاب الذين يمارسون عادة التدخين بالطلاب غير المدخنين فيما يتعلق بمدى اطلاعهم بأدوارهم المتوقعة منهم كطلاب في مؤسسة دراسية عليا ، من حرص على الحضور الفعال في قاعات الدراسة ، ومثابرة في مراجعة وأداء الواجبات الأكاديمية بالمكتبة والمنزل ، وغيرها من الممارسات التي تعتبر من صميم أساسيات الحياة . ومن خلاله تحاول الدراسة تسليط الضوء على بعض

الزوايا الخفية لآثار تعاطي التدخين على القيام بتلك الأدوار ، حيث يظن بعض الشباب أن التدخين يساعد المدخن على التركيز والانتباه واسترخاء الأعصاب ، مما يساهم إيجابا في زيادة التحصيل الدراسي . ومن هذا المنطلق وغيره من المدّعمات البيئية الأخرى انقاذ الكثير من الشباب نحو تعلم التدخين .

أهمية الدراسة

التدخين واستخدام المخدرات من قبل الشباب ، وخاصة المراهقين يقود إلى تبني مبكر وغير ناضج لأدوار الكبار التقليدية ، كالدخول في سوق العمل ، أو الزواج المبكر ، وذلك لقلة احتمال نجاحهم في الاستمرار في دراستهم الجامعية . فالدراسات المتعلقة بتعود استخدام الناس للمواد المحتوية على النكوتين وعلاقتها بأداء الأدوار المناطة بالمراكز الاجتماعية توصلت غالبيتها الى عدم اتساقهما ، وذلك لوجود علاقات سلبية ببينهم (Yamaguchi *et al.,* 1985 : Newcomb *et al.,* 1992) .

على الرغم من الجهود الكبيرة التي تبذل لمكافحة ظاهرة التدخين ، إلا أن أعداد المدخنين في تزايد مطرد . ومما يزيد من خطورة المشكلة انتشار التدخين بصورة كبيرة وسط الأعمار المنخفضة أكثر من غيرها من الأعمار الأخرى . وتبين دراسة أوردتها جريدة عكاظ اليومية بتاريخ ٣ رجب ١٤١٦ هـ الموافق ٢٥ نوفمبر ١٩٩٥ م العدد ١٠٦٩٦ ، أن الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٠ - ٣٠ عاما يشكلون ٧٠٪ من المدخنين في المملكة العربية السعودية ، وهؤلاء هم أمل الأمة ومحط أنظارها . وهذا يعني احتمال ارتفاع معدلات التدخين في المملكة العربية السعودية خلال السنوات القادمة عما هو عليه الآن . ففي مدينة الرياض وحدها ، حسب ما أوردته تلك الصحيفة ، تنفث مليار ونصف مليار سيجارة سنوية بتكلفة إجمالية مقدارها ٢٠٠ مليون ريال . وقد جاءفي أحد البيانات الإحصائية في عام ١٩٨١ م أن ما استوردته المملكة العربية السعودية من التبغ قد بلغ ٣٦٧٣٢٥٠٠ كيلو جرام ثمنه الرسمي بدون ضرائب ٩٧٩ مليون ريالا (البار ، ١٩٨٤ م) . نقطة هامة لابد من ذكرها هنا ، وهي اتجاه معدلات التدخين في أوروبا وأمريكا الشمالية نحو الانخفاض ، فقد أوضحت

إحدى الدراسات أن معدل المدخنين في الولايات المتحدة الأمريكية قد انخفض بحوالي ٢٨ ٪ بين الرجال و١٤ ٪ بين النساء خلال السنوات العشر المنتهية في عام ١٩٨١ م ، مما جعل معظم شركات إنتاج السجائر السبع الكبرى في العالم توجه اهتماما كبيرا لدول العالم الثالث باعتبارها تمثل سوقا ثابتة لمنتجاتها . ، مما يزيد من خطورة مشكلة التدخين في الدول النامية ارتفاع نسبة النيكوتين والقار في السجائر المصدرة لمعظمها عن النسبة المسموح بها في أسواق معظم الدول المتقدمة صناعيا (جبر ، ١٩٨٦ م) ، الأمر الذي يجعل من الصعب على المدخنين التخلص من تلك العادة ، ومعظم الذين أقلعوا عنها هم الأشخاص الذين أصيبوا فعلا بأمراض من جرائها . وهنا يأتي دور المسؤولين والعاملين في حقل التربية ، وعلماء الدين والاجتماع والأطباء ، وجميع سن يهمهم أمر هذه الأمة للمساهمة في تبيان أضراره ، والعمل على مكافحته بكافة السبل . وهذا البحث سيوفر بيانات نوعية للقائمين على التخطيط والتربية والتعليم حول عامل من عوامل الهدر والهدم التي قد يسهم بصورة سالبة في التحصيل الدراسي للطلاب ، وذلك من خـــلال تسليط الضـــوء على أثر التـــدخين على أداء الطلاب لأدوارهم الأكاديمية .

أهداف البحث

التعرف على ما للتدخين من آثار على الشباب الجامعي فيما يتعلق بأدائهم لأدوارهم الأكاديمية الأساسية مثل :

١ - الالتزام بحضور المحاضرات .

٢ - الحرص على مذاكرة الدروس .

٣ - الاستفادة من المكتبة الجامعية المركزية .

٤ - التحصيل الدراسي .

٥ - ممارسة الأنشطة الرياضية .

المفاهيم الأساسية

التدخين

يقصد بالتدخين هنا تدخين السجائر العادية .

المدخنون

هم الذين يدخنون بانتظام الآن .

تحصيل الطالب الأكاديمي في الجامعة

هناك تعريفات عديدة لهذا المصطلح في أدبيات علماء التربية، وعلم النفس والاجتماع، ومن تلك التعريفات ماأورده هندركز Hendrickz بأنه : " القدر الذي تعلمه الدارس واقعيا من دروسه ، أو مدى ما ناله من معرفة ومهارات في مجال معين من مجالات المعرفة " (Hendrickz , E., 1986, p. 161) . كما يعرفه محمد سعيد أندرقيري بأنه : " قياس المهارات أو المعرفة التي تحصل عليها الطالب بناء على المقاييس أو المعايير التي تتبناها المدارس بالمقارنة مع تحصيل دارسين آخرين " (Endargeeri , M,1986,p.15) . أما أحمد زكي بدوي فقد ركز على دلالة " المصطلح " على المعرفة التي تتم تنميتها في الموضوعات الدراسية بالمدارس وتبنيها الدرجات التي يتم الحصول عليها من الاختبارات (بدوي ، ١٩٧٧ ، ص ٤) . ويستخدم محمد عاطف غيث مفهوم " إنجاز " كمرادف لمفهوم " تحصيل " حيث يعرف ما اصطلح عليه " الإنجاز الأكاديمي " بأنه " الأداء " وفقا لاختبارات مقننة ، وخاصة الاختبارات التحصيلية "التعليمية" (غيث ، ١٩٧٩ ، ص ١٥).

التعريف الإجرائي : يقاس بالمعدل التراكمي الذي يحققه الطالب من أدائه لاختبارات المواد المختلفة التي درسها في الجامعة ، منذ التحاقه بها وحتى وقت تطبيق هذه الدراسة .

المستوى الاقتصادي للأسرة

يقاس بالدخل الشهري للأسرة من أية مصادر كانت .

المستوى التعليمي للوالدين

يقاس بالمراحل التعلمية التي أكملاها في المؤسسات التعليمية النظامية .

الفروض الأساسية

١ - الطلاب المدخنون أقل حرصا في المواظبة على حضور المحاضرات .

٢ - تقل ساعات مذاكرة الطلاب المدخنين بالمقارنة مع غيرهم .

٣ - استفادة الطلاب المدخنين من المكتبة الجامعية أقل من غير المدخنين .

٤ - تحصيل الطلاب المدخنين الدراسي أقل من تحصيل غير المدخنين .

٥ - للتدخين أثر ضار على صحة الطلاب المدخنين .

٦ - للتدخين أثر سلبي على مشاركة الطلاب المدخنين في النشاط الرياضي .

الدراسات السابقة

في هذا السياق سنقتصر على استعراض بعض الأدبيات السابقة التي تناولت تأثير التدخين على أداء الطالب لدوره المناط به ، مثل تحصيله الدراسي ومشاركته في الأنشطة اللاصفية والمواظبة على الحضور إلى قاعات الدراسة .

ومن هذه الدراسات الدراسة التتبعية للمراهقين التي تمت في ولاية نبراسكا الأمريكية والتي توصلت إلى أن المدخنين أقل طموحا في تحصيلهم الدراسي (Gerber *et al.*, 1989) . وتتفق هذه النتائج مع النتائج التي توصل إليها فلاي Flay وآخرون بأن التدخين يرتبط بالتهرب من الدراسة (Flay *et al.*, 1983) .

ويسير في نفس السياق نتائج دراسة باثمانBachman وآخرين والتي وجدت أن التدخين يرتبط باستخدام المخدرات كما يرتبط بانخفاض التحصيل الدراسي ، والطموح العلمي (Bachman *et al.*, 1980) . وفي دراسة أخرى وجد نفس الباحث بالاشتراك مع آخرين ، ارتباط انخفاض المستوى التعليمي للمدخنين ، وقد فسر ذلك

جزئيا باضطرار الكثيرين منهم إلى البحث عن عمل بعد ساعات اليوم الدراسي لتغطية نفقات التدخين والإدمان الأمر الذي ينعكس سلبا على اهتمامه بأداء واجباته المدرسية (Bachman *et al* ., 1981) .

وهناك دراسات أخرى توصلت إلى أن المراهقين المدخنين يعتبرون أعضاء هامشيين في المناخ الدراسي ، فعلى سبيل المثال وجدت العديد من الدراسات أن التدخين يرتبط ارتباطا سلبيا بالإنجاز الأكاديمي (Bewley *et al.*,1977:United States Surgen Generd , 1989) كما يرتبط ارتباطا سلبيا أيضا بالمشاركة في الأنشطة اللاصفية (Krohn , 1986) وتدني الالتزام بالنظم المدرسية (Spear,1988) ، واحتمال أكبر للانسحاب من المدرسة (Pirie *et al.*,1988) .

كما توصل شاسين Chassin وآخرون إلى أن التدخين في مرحلة المراهقة والشباب يرتبط ارتباطا سلبيا بمستوى التحصيل الدراسي في المرحلة الجامعية . كما وجد أن من يمارسون التدخين في المراهقة وما بعدها ، وكان آباؤهم وأمهاتهم أقل تعليما كانوا أقل حظا في الحصول على تعليم فوق المرحلة الثانوية ، كما أنهم أكثر احتمالا لدخول سوق العمل ، والزواج المبكر مع ارتفاع انتهاء زيجاتهم بالطلاق أو الهجر (Chassin,1992:Newcomb *et al.*,1992) . وفي دراسة أخرى عن علاقة التدخين بمدى ممارسة الطلاب لنشاطهم الرياضي وجد والدرون Waldron وآخرون في دراسة أجريت في ولاية بنسلفانيا الأمريكية أن الطلاب المدخنين أقل ممارسة للنشاط الرياضي بالمقارنة مع غير المدخنين(Waldron *et al* ., 1991) .

إضافة لما سبق تجدر الإشارة إلى دراسة واحدة عن الأثر الصحي للتدخين - علما بأن معظم الدراسات الخاصة بالتدخين تركز على هذا الجانب - وهذه الدراسة تمت بجامعة كلورادو الأمريكية وقد تناولت توقعات الحياة بالنسبة للمدخنين من قبل روجز Rogers وآخرين ، وقد أوردت الدراسة أن النتائج المستقاة من المسح الصحي القومي ، والمسوح القومية التتبعية للوفيات التي أجريت من قبل المركز القومي للإحصاءات الصحية بالولايات المتحدة تبين أن توقعات الحياة أعلى لدى الأشخاص الذين لم يدخنوا من قبل بالمقارنة مع المدخنين السابقين ، كما أن توقعات الحياة بالنسبة للمدخنين السابقين أعلى من المدخنين الحاليين .

كما وجد الباحثون أن معدل توقع حياة المدخنين المكثرين - الذين يدخنون كميات كبيرة من السجائر - أقل من كل الفئات الأخرى . وبمقارنتهم بالأشخاص الذين لم يدخنوا من قبل فإن المدخنين المكثرين عمر ٢٥ فأقل يتوقع انخفاض أعمارهم بنسبة ٢٥٪ على الأقل (Rogers *et al*., 1991) .

الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية

نوع الدراسة ومنهج البحث

أ - نوع الدراسة : هذا البحث يعتبر دراسة وصفية تهدف إلى وصف وتحليل الظاهرة المراد دراستها .

ب - منهج البحث : تستخدم هذه الدراسة المنهج الوصفي القائم على المسح الاجتماعي لعينة من طلاب جامعة الملك عبدالعزيز بجدة ، عن طريق توجيه مجموعة من الأسئلة المقننة التي تحقق أهداف الدراسة .

مجتمع الدراسة وعينة البحث

يتكون مجتمع البحث من طلاب مرحلة البكالوريوس بجامعة الملك عبدالعزيز الذين مضى على التحاقهم بالجامعة فصلان دراسيان على الأقل ، وحيث تبين لفريق البحث أن مجتمع البحث متجانس في الخلفية التعليمية ، وذلك باعتبار أن جميعهم قد درسوا في المرحلة الثانوية موضوعات دراسية ، ومناهج تعليمية متماثلة إلى حد كبير ، كما أنهم خضعوا لسياسة تعليمية وتربوية موحدة ، فقد تقرر أن يكون حجم العينة بواقع ٦٪ من مجتمع البحث .

ولضمان تمثيل عينة البحث لمجتمع الدراسة في كل خصائصه ، فقد انتهج فريق البحث منهج العينة الحصصية (الطبقية) ، وهي عملية يتم بموجبها تقسيم مجتمع البحث إلى مجموعات فرعية ، وتحديد حصة معينة لكل مجموعة (طبقة) ، وذلك لضمان تمثيل العينة لجميع فئات مجتمع البحث .

وقد تم اختيار العينة عبر مرحلتين هي :

أ - المرحلة الأولى : تصنيف مجتمع البحث حسب كلياتهم (كل كلية تعتبر طبقة)، حدد في كل كلية عدد مفردات العينة (الحصة) المطلوب اختيارها حسب المعادلة التالية :

$$ن_{ع ط} = \frac{ن_{ع} \times ن_{ط}}{ن}$$

$ن_{ع ط}$ = عدد مفرذات العينة (الحصة) المطلوبة في كل طبقة .

$ن_{ع}$ = عدد أفراد العينة الكلية المطلوبة .

$ن_{ط}$ = عدد أفراد الطبقة .

ن = الحجم الكلي لمجتمع البحث .

ب - المرحلة الثانية : تقسيم الطلاب في كل كلية حسب الأقسام العلمية ، وقد تم تحديد مفردات العينة في كل قسم من أقسام الكلية بمقتضى المعادلة المذكورة في الفقرة (أ) . وقد اعتمد فريق البحث الطريقة العمدية في اختيار مفردات العينة في كل قسم من الأقسام العلمية بالجامعة ، حيث كانت توزع الاستبانات في كل قسم بواسطة أساتذة القسم على الطلاب في الحجرات الدراسية وبعد جمع البيانات تم تصنيف طلاب الجامعة إلى قسمين رئيسين ، وهما :

١ - طلاب يدرسون في كليات نظرية : وتشمل كليتي الآداب والعلوم الإنسانية ، والاقتصاد والإدارة .

٢ - طلاب يدرسون في كليات علمية أو تطبيقية وتشمل بقية الكليات .

وقد كان العائد من الاستبانات المعبأة في الكليات النظرية أكثر منه في الكليات العلمية . وقد بلغ مجموع حجم العينة التي أجريت عليهم الدراسة الفعلية ٧٣٠ طالبا ،

٥٣٪ منهم بالكليات النظرية و٤٧٪ بالكليات العلمية أو التطبيقية .

أداة جمع البيانات

اعتمد البحث في جمع بياناته الميدانية على استبيان تم تصميمه ليغطى كافة الجوانب والمتغيرات المختلفة المتعلقة بموضوع البحث . وأهم الأبعاد التي تضمنتها الأداة هي تحديد سمات واتجاهات وقناعات وسلوك الطلاب المدخنين وغير المدخنين ، بغية المقارنة بينها ، وتشمل :

أ - تصنيف المدخنين وغير المدخنين من حيث :

١ - المستوى الاقتصادي للأسرة .

٢ - المستوى التعليمي للوالدين .

٣ - طبيعة السكن ونمط الإقامة .

٤ - المشاركة في الأنشطة اللاصفية بالجامعة .

٥ - الجوانب الأكاديمية : نمط الاستذكار ، الاستيعاب ، حضور المحاضرات ، الاستفادة من المكتبة ، والتحصيل الدراسي .

تحليل البيانات

أولا : تحليل البيانات المتعلقة بوصف مجتمع البحث من خلال متغيرات تتصل بعوامل اجتماعية واقتصادية

جدول رقم (١) يوضح توزيع المبحوثين حسب نمط مكان إقامتهم (*) .

مكان الإقامة	العدد	النسبة
ريف	٢١٣	٢٩,٧١
حضر	٥٠٤	٧٠,٢٩
المجموع	٧١٧	١٠٠,٠٠

(*) هناك ١٣ حالة لم تجب على السؤال .

نمط مكان الإقامة

بالنظر للجدول رقم (١) نلاحظ أن غالبية الطلاب ينتمون إلى مناطق حضرية إذ بلغت نسبتهم حوالي ٧٠٪ في مقابل ٣٠٪ أتوا من مناطق ريفية .

المستوى التعليمي للآباء

بالنظر للجدول رقم (٢) نلاحظ أن آباء معظم الطلاب من الأميين ، حيث تبلغ نسبتهم ٤٤٪ تقريبا ، يليهم بفارق كبير من أكمل آباؤهم المرحلة الابتدائية أو المرحلة الجامعية بنسبة ١٦٪ و١٧٪ على التوالي . أما الذين نال آباؤهم تعليما متوسطا أو ثانويا فقد كانت نسبتهم ١٢٪ و١١٪ على التوالي . ونستنتج مما سبق أن الأمية لازالت عالية نسبيا بين جيل الآباء .

جدول رقم (٢) يوضح توزيع المبحوثين حسب المستوى التعليمي لآبائهم (*) .

مستوى تعليم الأب	عدد الطلاب	النسبة
أمي أو لم يكمل الابتدائية	٣١٢	٤٣,٧٠
أكمل المرحلة الابتدائية	١١٥	١٦,١١
أكمل المرحلة المتوسطة	٨٥	١١,٩٠
أكمل المرحلة الثانوية	٨١	١١,٣٤
أكمل المرحلة الجامعية	١٢١	١٦,٩٥
المجمـــــــوع	٧١٤	١٠٠,٠٠

(*) هناك ١٦ حالة لم تجب على السؤال

المستوى التعليمي للأم

بالنظر للجدول رقم (٣) نلاحظ أن نسبة الأميات بين أمهات الطلاب كانت عالية إذ بلغت ٧٠٪ ، وهي أعلى بكثير من نسبة الآباء الأميين ، والتي بلغت ٤٤٪ (جدول رقم ٢) ، في حين كانت نسبة الأمهات اللاتي أكملن المرحلة الابتدائية ١٢٪ ، تليها نسبة من أنهين المرحلة المتوسطة بنسبة ٨٪ . أما من نلن تعليما ثانويا أو جامعيا فقد كانت نسبتهن ٦٪ و٥٪ على التوالي .

جدول رقم (٣) يوضح توزيع المبحوثين حسب المستوى التعليمي لأمهاتهم (*) .

المستوى التعليمي	العدد	النسبة
أمية أو لم تكمل الابتدائية	٤٨٩	٦٩,٤٦
أكملت المرحلة الابتدائية	٨٣	١١,٧٩
أكملت المرحلة المتوسطة	٥٥	٧,٨١
أكملت المرحلة الثانوية	٤٠	٥,٦٨
أكملت المرحلة الجامعية	٣٧	٥,٢٦
المجموع	٧٠٤	١٠٠,٠٠

(*) هناك ٢٦ حالة لم تجب على السؤال

ثانيا : تحليل البيانات التي تتصل بممارسة الطلاب لعادة التدخين والمتغيرات المتصلة بها

أ - حجم انتشار ظاهرة تعاطي التدخين بين الطلاب

بالنظر للجدول رقم (٤) نلاحظ أن نسبة المدخنين من الطلاب تبلغ ٢٨٪ من عدد

الطلاب ، وهي نسبة عالية تستدعي وتسترعي الانتباه من كافة ذوي الشأن من تربويين وآباء ومسؤولين .

جدول رقم (٤) يوضح توزيع المبحوثين حسب مدى ممارسة الطلاب للتدخين .

مدى ممارسة التدخين	العدد	النسبة
يدخنون	٢٠٧	٢٨,٤٠
لا يدخنون	٥٢٢	٧١,٦٠
المجموع	٧٢٩ (*)	١٠٠

(*) هناك حالة واحدة لم تجب على السؤال .

ب - المرحلة التعليمية عند تعلم التدخين

١ - المرحلة التعليمية عند تدخين أول سجارة وعلاقته بكمية استهلاك السجائر

بالنظر للجدول رقم (٥) يتضح أن معظم الطلاب المدخنين قد مارسوا عادة التدخين في المرحلتين المتوسطة والثانوية . وبالطبع هذه هي مرحلة المراهقة التي يبدأ فيها الشخص في استكشاف الحياة وارتياد الكثير من مظاهرها ، ومنها السلوك غير السوي إذا لم يجد القدوة الحسنة والنصح السليم .

جدول رقم (٥) يوضح الاستهلاك اليومي من السجائر حسب المرحلة التعليمية التي دخن فيها أول سجارة .

الكمية المستهلكة يوميا من السجائر الآن	المرحلة التعليمية عند تدخين أول سيجارة							
	المرحلة الابتدائية أو قبلها		المتوسطة		الثانوية		الجامعية	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١ - ٩	٦	١٨,٧٥	٢٠	٢٨,١٧	٢٢	٣١,٤٣	١٣	٤٨,١٥
١٠ - ١٩	١٠	٣١,٢٥	٢٣	٣٢,٣٩	٢٢	٣١,٤٣	٤	١٤,٨١
٢٠ - ٢٤	٩	٢٨,١٣	١٢	١٦,٩٠	١٨	٢٥,٧١	٧	٢٥,٩٣
٢٥ فأكثر	٧	٢١,٨٧	١٦	٢٢,٥٣	٨	١١,٤٣	٣	١١,١١
المجمــوع	٣٢	١٠٠	٧١	١٠٠	٧٠	١٠٠	٢٧	١٠٠

كا٢ = ١٢,٠٣٨   د . ح = ٩   الدالة الاحتمالية > ٠,١٠

ويلاحظ أن هناك نسبة معتبرة استهلت التدخين في المرحلة الابتدائية تبلغ ١٦٪ ، وهي وإن كانت أقل من النسب الأخرى ، إلا إنها تعطى مؤشراً ونذراً باحتمال اكتساب الطفل عادات ضارة في هذه السن المبكرة ، مما يستلزم استهدافهم ببرامج التوعية والتثقيف الصحي والديني .

أما نسبة من دخنوا سجارتهم الأولى في المرحلة الجامعية فقد كانت قليلة نسبيا ، حيث بلغت ١٤٪ ، وهذا قد يرجع إلى عوامل سعينة أهمها الوعي الصحي والديني في هذه المرحلة .

أما فيما يتعلق بمدى قدم خوض التجربة ، وحجم الاستهلاك اليومي للمدخن

للسجائر ، فإننا نلاحظ من بيانات الجدول رقم (٥) أن الذين طرقوا باب التدخين في مرحلة سبكرة كانوا أكثر شراهة في التدخين بالمقارنة مع غيرهم ، حيث أفاد ٢٢٪ و٢٣٪ على التوالي من الذين دخنوا أول سجارة في حياتهم وهم لازالوا في مرحلة الطفولة ، أو بدايات عهد المراهقة (الابتدائية والمتوسطة) بأنهم يدخنون أكثر من ٢٥ سيجارة في اليوم وفي حين كانت نسبة الذين استهلوا أول سجارة في حياتهم في المرحلة الثانوية أو المرحلة الجامعية ويدخنون الآن أكثر من ٢٥ سجارة في حياتهم في المرحلة الثانوية أو المرحلة الجامعية ويدخنون الآن أكثر سن ٢٥ سجارة في اليوم ١١٪ فقط لكل من الفئتين ، أي بفارق أكثر من الضعف .

ومن جهة أخرى إذا سلطنا الضوء على من يدخنون كميات قليلة من السجائر في اليوم نجد أن غالبيتهم كانوا من الذين بدأوا التجربة متأخرين (في الجامعة) ، حيث كانت نسبتهم ٤٨٪ ، يليهم من خاضوا التجربة الأولى في المرحلة الثانوية (٣١٪) ، ثم المرحلة المتوسطة (٢٨٪) . أما الذين بدأوا التجربة في سن مبكرة فقد كانت نسبة من يدخن منهم كميات قليلة (١ - ٩ سيجارات) ١٩٪ فقط .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفروق - مع أهميتها المعتبرة - لم ترق إلى مستوى الفروق الجوهرية حسب اختبار كا٢ للاستقلالية (الدالة الاحتمالية › ١٠ , ٠) ، وإن كانت تعتبر بمثابة مؤشرات مرجحة لوجود علاقة طردية بين قدم ورسوخ تجربة التدخين وبين الكمية المستهلكة من الدخان .

٢ - المرحلة التعليمية عند تعود التدخين وحجم استهلاك الدخان

أما فيما يتعلق بالعلاقة بين المرحلة التعليمية لتعود التدخين وحجم استهلاك السجائر ، فإنه بالنظر للجدول رقم (٦) نجد أن الطلاب المدخنين الذين تعودوا على التدخين منذ فترة زمنية مبكرة يدخنون كميات أكبر من السجائر في اليوم بالمقارنة مع الذين تعودوا على التدخين في مراحل تالية ، حيث نجد أن المدخنين الذين تعودوا على ذلك في المرحلة المتوسطة من الدراسة أو ما قبلها يدخنون كميات أكثر من السجائر في اليوم بالمقارنة مع من

جدول رقم (٦) يوضح المرحلة الدراسية التي تعود فيها المدخنون على تدخين السجائر وحجم استهلاكهم للسجائر.

حجم استهلاك السجائر	المرحلة الابتدائية أو قبلها		المرحلة الثانوية		المرحلة الجامعية	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١ - ٩	١٣	٣٠,٢٣	١٧	١٨,٤٨	٢٨	٤٦,٦٧
١٠ - ١٩	١١	٢٥,٥٨	٣٤	٣٦,٩٦	١٤	٢٣,٣٣
٢٠ - ٢٤	٨	١٨,٦١	٢٣	٢٥,٠٠	١٤	٢٣,٣٣
٢٥ فأكثر	١١	٢٥,٥٨	١٨	١٩,٦٦	٤	٦,٦٧
المجمـوع	٤٣	١٠٠	٩٢	١٠٠	٦٠	١٠٠

كا٢ = ١٩,٠٠٠ د. ح = ٦ الدالة الاحتمالية < ٠,٠١

قاما = ٠,٢٣ الدالة الاحتمالية < ٠,١٠

تعودوا على التدخين في المرحلة الثانوية و في المرحلة الجامعية ، حيث كانت نسب من يدخنون ٢٥ سجارة أو أكثر في اليوم بين أفراد الفئة الأولى ٢٦٪ ، بينما كانت نسبتهم في الفئة الثانية ٢٠٪ ، أما الذين لم يمض وقت بعيد على تعلمهم عادة التدخين - أي الذين تعودوا على ذلك في المرحلة الجامعية - فإن نسبة الذين يدخنون منهم كميات كبيرة (٢٥ سجارة فأكثر) كانت نسبة ضئيلة إذ لم تتعد تلك النسبة ٧٪ .

أما الذين يدخنون كميات قليلة من السجائر (١ - ٩ سيجارات في اليوم) نجد أن الذين تعودوا منهم على التدخين في المرحلة الجامعية يمثلون النسبة العالية ، حيث بلغت نسبتهم ٤٧٪ ، أي ما يقارب نصفهم ، يلونهم من تعودوا على ذلك في المرحلة المتوسطة أو ما قبلها (٣٠٪) ، وأخيرا تأتي نسبة من أدمنوا على ذلك منذ المرحلة الثانوية بنسبة ١٨٪ فقط ، أي

إن مسار العلاقة يتخذ الشكل U حيث ترتفع نسبة من يستهلكون كميات قليلة بين الذين تعودوا على التدخين في مراحل مبكرة ، ثم تنخفض النسبة بين من تمرسوا عليها في المرحلة الثانوية ، ثم ترتفع النسبة مرة أخرى بين الذين ولجوا الباب متأخرين - أي في المرحلة الجامعية .

وبالانتقال لمن يدخنون كميات من السجائر بين ١٠ - ١٩ وبين ٢٠ - ٢٤ سيجارة في اليوم ، فإننا نجد أن الذين احترفوا التدخين منذ المرحلة الثانوية كانت نسبتهم هي النسبة العالية في فئتي الاستهلاك ، حيث كانت نسبتهم في الفئة الاستهلاكية الأولى ٣٧٪ ، وفي الفئة الاستهلاكية الثانية ٢٥٪ ، وبجمعهما معا تصبح النسبة ٦٢٪ ، بينما نجد أن مجموع نسب من تعودوا على التدخين في المرحلة المتوسطة وما قبلها في الفئتين الاستهلاكيتين تبلغ ٤٤٪ ، في حين كان مجموع نسب من أدمنوا على السجائر في الفئتين الاستهلاكيتين السابقتين في المرحلة الجامعية ٤٦٪ .

وبجمع نسب من يدخنون أكثر من ١٠ سيجارات في اليوم نلاحظ تبوء الذين تعودوا على التدخين في المرحلة الثانوية المرتبة الأعلى بنسبة ٨٢٪ ، يليهم من أدمنوا على التدخين في المرحلة المتوسطة وما قبلها بنسبة ٧٠٪ ، وتأتي في المرحلة الأخيرة من تمرسوا عليه في المرحلة الجامعية بنسبة ٥٣٪ .

أما إذا ركزنا على من يدخنون كميات أكثر من السجائر تبلغ ٢٠ سيجارة فأكثر في اليوم، نجد أن الذين أدمنوا على عادة التدخين في مراحل عمرية مبكرة يتساوون مع من تعودوا على ذلك في المرحلة الثانوية ، حيث كانت نسبة كل منهما ٤٥٪ ، بينما لم تتعد نسبة الذين تعودوا على التدخين في مرحلة عمرية متأخرة نسبيًا - المرحلة الجامعية - ٣٠٪ .

وخلاصة القول نجد أن من تعودوا على التدخين في المرحلة الثانوية يدخنون أكثر من الذين تعودوا عليها في المرحلة المتوسطة وما قبلها ، أو في المرحلة الجامعية مع تضاؤل الفوارق بينهم وبين من سبقوهم في الإدمان واتساعها بينهم وبين من تلاهم في الإدمان . ويتخذ الأمر أهمية كبرى لأن هذه الفئة - أي من تعودوا على التدخين في المرحلة الثانوية -

يمثلون غالبية المدخنين إذ يمثلون ٤٧٪ من مجموع المدخنين ، بينما تمثل فئة من تعودوا على التدخين في المرحلة المتوسطة وما قبلها أو في المرحلة الجامعية ٢٢٪ و٣١٪ على التوالي .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفوارق لها دلالة إحصائية حسب اختبار كا٢ (الدالة الاحتمالية ‹ ٠١ , ٠) . الأمر الذي يؤهلنا للقول إن حجم استهلاك السجائر يرتبط بالفترة الزمنيةُ للإدمان على التدخين ، بدرجة تنبؤية بحجم الاستهلاك تبلغ ٢٤٪ ، إذا علمنا المرحلة الزمنية التي تعوّد فيها المدخن على التدخين بنسبة خطأ تبلغ ١٠٪ حسب اختبار قاما للارتباط .

ج - تأثير التدخين على أداء الطالب لأدواره

في الجزء التالي من التحليل سيتناول البحث تأثير التدخين على أداء الطالب لدوره كطالب في مؤسسة جامعية . وسيتضمن ذلك اختبار المتغيرات المتعلقة بمدى تأثير التدخين على الجوانب التالية :

المواظبة على حضور المحاضرات ، ومدى مذاكرة الطالب لدروسه ، ومدى استفادته من المكتبة الجامعية ، ومن ثم تأثيره على تحصيله الدراسي ومشاركته في الأنشطة اللامنهجية .

أولاً : علاقة التدخين بالمواظبة على حضور المحاضرات

بالنظر للجدول رقم (٧) يتضح أن المدخنين أقل حرصا على حضور المحاضرات بالمقارنة مع غير المدخنين ، حيث نجد أن نسبة الذين يحرصون على حضور المحاضرات بالمقارنة مع غير المدخنين ، كان أقل بالمقارنة مع غير المدخنين ، حيث كانت نسبة الفئة الأولى ٧٢٪ ، بينما كانت نسبة الفئة الثانية ٨٨٪ بفارق ١٦ نقطة . وقد يكون مرد ذلك إلى أن حضور المحاضرة يحرم المدخن من متعة التدخين طيلة فترة المحاضرة .

جدول رقم (٧) يوضح العلاقة بين التدخين والمواظبة على حضور المحاضرات

المواظبة	مدى ممارسة التدخين			
	يدخن		لا يدخن	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة
يحرصون على حضور المحاضرات في كل الأحوال	١٤٩	٧١,٩٨	٤٦٠	٨٨,٢٤
يحرص على الحضور فقط عندما يحرص الأساتذة على تسجيل الحضور	٤٦	٢٢,٢٢	٥٠	٩,٦٠
لا يواظب على حضور المحاضرات	١٢	٥,٨٠	١١	٢,١١
المجموع	٢٠٧	١٠٠	٥٢١	١٠٠

كا٢ = ٢٩,١١٠ د . ح = ٢ الدالة الاحتمالية < ٠,٠٠١

معامل الاقتران = ٠,٢٠

وعند المفاضلة بين التدخين والحضور الطوعي للمحاضرات يؤثر المدخنون الأولى على الثانية ، وما لم تكن هناك محاسبة ما بحيث يكون الحضور عملية جبرية يحاسب تاركها ويثاب فاعلها ، فإن حضور المدخنين سيكون ضعيفا . وهذا ما عززته نتائج الجدول نفسه ، حيث نجد أن ٢٢٪ من المدخنين يواظبون على الحضور في مقابل ١٠٪ فقط بين غير المدخنين.

أما فيما يتعلق بالطلاب غير المواظبين في كل الأحوال ، فنجد أن نسبة المدخنين كانت أعلى من غير المدخنين بمقدار ثلاثة أضعاف، حيث كانت نسبة الأولى ٦٪ بينما

كانت نسبة الثانية ٢٪ فقط .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفروق لها دلالة إحصائية حسب اختبار كا٢ للاستقلالية (الدالة الاحتمالية < ٠,٠٠١) ، كما أن معامل الاقتران بين التدخين والمواظبة يبلغ ٠,٢٠ . وبهذا نخرج بنتيجة مفادها أن التدخين يرتبط ارتباطا عكسيا بالمواظبة على حضور المحاضرات .

وتلتقي هذه النتائج مع نتائج دراسات عديدة أهمها دراسة ميراي Murray التي توصلت إلى ارتفاع سعدلات غياب الطلاب المدخنين وارتفاع احتمال انسحابهم من المدرسة (Murray *et al.* 1989) .

ودراسة بولي وبلاود Bewely و Blaud اللذين وجدا أن المراهقين المدخنين يعتبرون أعضاء هامشيين في المناخ الدراسي (Bewely *et al.*, 1977) . ودراسة فلاي Flay التي وجدت أن التدخين مرتبط بالتهرب من الدراسة (Flay *et al.*, 1985) .

ثانيا – علاقة التدخين بنمط مذاكرة الدروس

الجدول رقم (٨) يوضح العلاقة بين التدخين ونمط مذاكرة الطلاب لدروسهم

نمط المذاكرة	ممارسة التدخين			
	يدخن		لا يدخن	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة
يذاكر يوميا	٢٢	١٠,٦٣	٧٩	١٥,١٩
عدة مرات في الاسبوع	٤١	١٩,٨١	١٦٤	٣١,٥٤
في نهاية الأسبوع فقط	١٢	٥,٨٠	٤٨	٩,٢٣
عند قرب الاختبار فقط	١٣٢	٦٣,٧٦	٢٢٩	٤٤,٠٤
المجموع	٢٠٧	١٠٠	٥٢٠	١٠٠

كا٢ = ٢٣,٧٨ د . ح = ٢ الدالة الاحتمالية < ٠,٠٠١

معامل الاقتران = ٠,١٨

بالنظر للجدول رقم (٨) يتضح أن من يمارسون عادة التدخين أقل اهتماما بمذاكرة دروسهم بالمقارنة مع غير المدخنين ، حيث نجد أن ١١٪ منهم ذكروا بأنهم يذاكرون دروسهم بصفة منتظمة يوميا ، بينما كانت نسبة زملائهم من غير المدخنين ١٥٪ . أما فيما يتعلق بمن يذاكرون دروسهم مرات عديدة في الأسبوع ولكن ليس بصفة يومية ، فإن نسبة غير المدخنين بينهم كانت أعلى من نسبة المدخنين ، إذ بلغت نسبة الفئة الأولى أكثر من مرة ونصف نسبة الفئة الثانية ، بحيث كانت النسب ٣٢٪ و ٢٠٪ على التوالي .

وحتى إذا انتقلنا إلى من يذاكرون مرة واحدة فقط في الأسبوع - أي في نهاية الأسبوع فقط - نجد أن نسبة المدخنين أدنى من نسبة غير المدخنين ، حيث بلغت نسبة الفئة الأولى ٦٪ فقط بينما كانت نسبة الثانية ٩٪ .

أما إذا سلطنا الضوء على من لا يذاكرون إلا عند حلول موعد الامتحانات ، فنجد أن المدخنين يمثلون الغالبية العظمى ، حيث بلغت نسبتهم ٦٤٪ في حين كانت نسبة غير المدخنين بينهم ٤٤٪ فقط .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفروق لها دلالة إحصائية حسب اختبار كا٢ للاستقلالية (الدالة الاحتمالية ‹ ٠,٠٠١) كما بلغت قوة الارتباط مقاسًا بمعامل الاقتران ٠,١٨ .

وعليه يمكن القول بأن هناك علاقة ارتباطية بين التدخين وانخفاض ساعات المذاكرة لدى الطلاب المدخنين (Spear and Akers , 1988 ; Eckert , 1983 ; Bewely *et al.*, 1977) .

ثالثا - العلاقة بين الاستفادة من المكتبة الجامعية وممارسة التدخين

بالنظر للجدول رقم (٩) نلاحظ أن نسبة عالية من الطلاب لا يستفيدون إطلاقا من خدمات المكتبة الجامعية ، وتبلغ نسبتهم ثلث عدد الطلاب ، إضافة إلى نسبة مقدرة أخرى فائدتهم محدودة ، لأنهم لا يرتادونها إلا أحيانًا ، وهؤلاء يمثلون نصف عدد

الطلاب ، وبجمعهما معًا تصل النسبة إلى ٨٦٪ من عدد الطلاب ، وهذه النسبة عالية جدًا تستدعي الدراسة والبحث .

جدول رقم (٩) يوضح العلاقة بين التدخين واستفادة الطلاب من خدمات المكتبة الجامعية المركزية .

الاستفادة من المكتبة المركزية	ممارسة التدخين			
	يدخن		لا يدخن	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة
يذهب كثيرا	١٩	٩,١٨	٨٠	١٥,٤١
يذهب أحيانًا	٩٧	٤٦,٨٦	٢٨٣	٥٤,٥٣
لا يذهب	٩١	٤٣,٩٦	١٥٦	٣٠,٠٦
المجمـــوع	٢٠٧	١٠٠	٥١٩	١٠٠

كا٢ = ١٤,٢٧٧ د . ح = ٢ الدالة الاحتمالية ‹ ٠,٠٠١

وهذه الدراسة تعتبر حلقة من حلقات البحث عن أسباب عدم ارتياد الطلاب للمكتبة الجامعية بمحاولة ربط ذلك بمدى تأثير التدخين على الاستفادة من المكتبة . والجدول المذكور يبحث العلاقة بين هذين المتغيرين . فبمقارنة المدخنين وغير المدخنين فيما يتعلق بمدى الاستفادة من خدمات المكتبة الجامعية نلاحظ أن نسبة عالية من المدخنين لا يرتادون المكتبة إطلاقًا ، حيث تبلغ نسبتهم ٤٤٪ بالمقارنة مع غير المدخنين الذين تبلغ نسبتهم ٣٠٪ .

وبالنسبة لمن يذهبون إلى المكتبة بانتظام نجد أن المدخنين يمثلون ٩٪ فقط ، بينما كانت نسبة غير المدخنين ١٥٪ . وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفروق لها دلالة إحصائية حسب اختبار كا٢ للاستقلالية (الدالة الاحتمالية ‹ ٠,٠٠١) ، وعليه يمكن الخروج

بتعميم مفاده وجود علاقة عكسية بين التدخين والاستفادة من المكتبة الجامعية .

وقد يعزى ندرة ذهاب المدخنين للمكتبة إلى عدم تمكنهم من التركيز في الاطلاع داخل المكتبة في غياب التدخين ، الأمر الذي يؤدي إلى عزوفهم عن ارتياد أروقتها .

رابعا – العلاقة بين التحصيل الدراسي والتدخين

جدول رقم (١٠) يوضح العلاقة بين التدخين والتحصيل الدراسي للطلاب .

مستوى التحصيل الدراسي	مدى ممارسة التدخين			
	يدخن		لا يدخن	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة
مقبول فأدنى	٦٨	٣٢,٨٥	١٢٠	٢٢,٩٩
جيد	٨٦	٤١,٥٥	١٨٤	٣٥,٢٥
جيد جدا	١٩	٩,١٨	٤٧	٩,٠٠
ممتاز	٣٤	١٦,٤٢	١٧١	٣٢,٧٦
المجموع	٢٠٧	٥٢٢	٥٢٢	١٠٠

كا٢ = ٢١,٢٠٩ د . ح = ٣ الدالة الاحتمالية < ٠,٠٠١

بالنظر للجدول رقم (١٠) يتضح أن الطلاب الذين يمارسون عادة التدخين أقل مستوى في تحصيلهم الدراسي بالمقارنة مع غير المدخنين ، حيث نجد أن ٣٣٪ من المدخنين كان تحصيلهم الدراسي في مستوى مقبول فأدنى ، بينما كانت نسبة غير المدخنين ٢٣٪ بفارق عشر نقاط .

وإذا انتقلنا إلى من كان مستوى تحصيلهم الدراسي في مستوى جيد فأقل ، نجد أن المدخنين يمثلون نسبة عالية ، حيث تبلغ نسبتهم ٧٤٪ ، في حين تبلغ نسبة غير المدخنين ٥٨٪ .

أما إذا سلطنا الضوء على من كان تقديرهم جيد جداً ، نجد أن كلا الفئتين (المدخنين وغير المدخنين) قد تساوتا في هذا المستوى ، حيث كانت نسبة كل منهما ٩٪ تقريبا .

وتأتي المفارقة العظمى بين فئة المدخنين وغير المدخنين في المستوى الأعلى من التحصيل الدراسي المتمثلة في مستوى «ممتاز» ، حيث يتضح جليا تفوق غير المدخنين على المدخنين بفارق كبير يصل إلى الضعف ، حيث كانت نسبة غير المدخنين الذين أحرزوا التقدير «ممتاز» ٣٣٪ ، بينما كانت نسبة المدخنين ١٦٪ .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفروق لها دلالة إحصائية حسب اختبار كا (الدالة الاحتمالية ‹ ٠,٠٠١) .

وبهذا يمكن القول بأن هناك علاقة عكسية بين التدخين والتحصيل الدراسي . وتلتقي نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسات عديدة مثل دراسة جربير Gerber وآخرين ، التي وجدت أن معظم الطلاب المدخنين أقل طموحا في تحصيلهم الدراسي (Gerber *et al.*, 1989) ودراسة باشمان Bachman وآخرين التي توصلت إلى أن التدخين يرتبط بانخفاض التحصيل والطموح الدراسي (Bachman *et al.*, 1981) ، ودراسة كل من بيولي وبلايد Blaud & Bewely ، ودراسة كل من كاسن Chassin ونيوكومب ونتل Bentle & Newcomp وسبير وايكارت Echert & Spear ، والتي توصلت جميعها إلى أن التدخين يرتبط ارتباطا سلبيا بالإنجاز الأكاديمي في كل المراحل التعليمية (Bewely *et al.*, 1977 ; Spear and Akers , 1988 ; Eckert , 1983 ; Chassin *et al* ., 1992 Newcomp *et al* ., 1992) .

خامسا – العلاقة بين التدخين والمشاركة في الأنشطة الرياضية

بالنظر للجدول رقم (١١) يتضح أن التدخين له أثر سلبي على ممارسة الرياضة ، حيث نجد أن غير المدخنين الذين يمارسون الرياضة بشيء من الانتظام أعلى من المدخنين ، حيث كانت النسب ٣٦٪ و٢٨٪ على التوالي . وبالنسبة لمن لا يمارسون الرياضة إلا

نادرا فإن نسبة غير المدخنين كانت أعلى من المدخنين ، حيث بلغت النسب ٥٥٪ و ٥٢٪ على التوالي .

جدول رقم (١١) يوضح العلاقة بين التدخين والمشاركة في الأنشطة الرياضية للطلاب .

مستوى المشاركة في الأنشطة الرياضية	مدى ممارستهم للتدخين: يدخن - العدد		مدى ممارستهم للتدخين: لا يدخن - العدد	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة
يمارسون الرياضة في كثير من الأحيان	٥٧	٢٧,٥٤	١٨٩	٣٦,٢٨
يمارسون الرياضة في القليل من الأحيان	١٠٨	٥٢,١٧	٢٨٤	٥٤,٥١
لا يمارسون أي نشاط رياضي يذكر	٤٢	٢٠,٢٩	٤٨	٩,٢١
المجموع	٢٠٧	٥٢٢	٥٢٢	١٠٠

كا٢ = ١٨,٢٧٧ د . ح = ٢ الدالة الاحتمالية < ٠,٠٠١

معامل التوافق = ٠,١٥٦

ويتجلى الأثر السلبي للتدخين على ممارسة الرياضة عندما يسلط الضوء على الأشخاص الذين لا يمارسون أي نشاط رياضي ، حيث نجد أن نسبة المدخنين بينهم تصل إلى ٢٠٪ ، بينما لا تتعدى نسبة غير المدخنين الذين لا يمارسون أي نشاط رياضي ٩٪ ، وهذا يرجع أساسًا لما للتدخين من أثر ضار في إنهاك قوى المدخنين ، الأمر الذي يجعلهم عاجزين إلى حد كبير عن القيام بأي نشاط رياضي يذكر ، كما أن عدم ممارسة

الرياضة يفاقم المشكلات الصحية للمدخنين .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفروق السالفة الذكر بين المدخنين وغير المدخنين فيما يتعلق بشأن ممارسة الرياضة تعتبر فروقًا جوهـرية بمقتضى اختبار كا٢ للاستقلالية (الدالة الاحتمالية ‹ ٠٠١ , ٠) كما أن قوة الارتباط تبلغ ١٦ ، حسب اختبار معامل التوافق بدلالة إحصائية تبلغ ١ , ٠٪ .

وتماثل هذه الدراسة الدراسة التي قام بها ولدرون Waldron وآخرون التي توصلت إلى إنخفاض معدل ممارسة الرياضة وسط الطلاب المدخنين (Waldron *et al* ., 1991) . وكذلك دراسة كرون Krohn وآخرون التي وجدت أن التدخين يرتبط ارتباطا سلبيا بالمشاركة في الأنشطة اللاصفية ، ومنها الرياضة (Krohn *et al*., 1986) .

سادسا – أثر التدخين على الحالة الصحية للمدخنين

جدول رقم (١٢) يوضح العلاقة بين التدخين ومراجعة الطلاب للعيادة الطبية .

مراجعة العيادة الطبية في الفصل الدراسي	ممارسة التدخين			
	يدخن		لا يدخن	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة
عدة مرات	١٦	٧,٧٧	٢٩	٥.٥٧
مرات قليلة	٨٨	٤٢,٧٢	٢٣٢	٤٤,٥٣
يكاد لا يذهب	١٠٢	٤٩,٥١	٢٦٠	٤٩,٩٠
المجموع	٢٠٦	١٠٠	٥٢١	١٠٠

كا٢ = ١,٣٤٥ د . ح = ٢ الدالة الاحتمالية ‹ ١٠ , ٠

نلاحظ من قراءة بيانات الجدول رقم (١٢) أن نسبة من يراجعون العيادة الطبية الجامعية

عدة مرات في الفصل الدراسي أعلى بقليل بين المدخنين بالمقارنة مع غير المدخنين ، حيث تبلغ نسبتهم ٨٪ بالنسبة للفئة الأولى ، بينما تبلغ نسبتهم بين غير المدخنين حوالي ٦٪ ، ونلاحظ هنا انخفاض نسبة فئتي المدخنين وغير المدخنين الذين لا يراجعون العيادة الطبية بانتظام .

أما بالنسبة لفئتي من لا يذهبون لمراجعة العيادة الطبية ، والذين قلما يراجعونها - وهما يمثلان الغالبية العظمى من أفراد العينة - فإن نسبة المدخنين وغير المدخنين متقاربة إلى حد كبير ، حيث لا يتعدى التفاوت بينهما نقطة واحدة . وهذا مرده على الأرجح إلى أن تأثير التدخين على الصحة لا يظهر على الطالب في هذا العمر المبكر الذي يمثل سن الشباب والحيوية . كما أن الشباب قلما يذهبون للعيادة الطبية لأغراض الفحص الدقيق الذي يمكن أن يظهر بموجبه بوادر آثار التدخين على الجسم .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفروق الطفيفة بين المدخنين وغير المدخنين فيما يتعلق بارتيادهم للعيادة الطبية ليس له دلالة إحصائية (الدالة الاحتمالية > ١٠ , ٠) وهذا لا يعني أن التدخين ليس له آثار ضارة على الصحة ، أنماآثاره المدمرة تظهر بعد مرحلة الشباب .

وتلخيصًا لما سبق يمكن القول أن للتدخين أثرا سلبيا على أداء الطالب لدوره ، وذلك من خلال تأثيره السلبي على مواظبة الطالب على حضور المحاضرات ومراجعته واستذكاره لدروسه ، واستفادته من خدمات المكتبة الجامعية ، ومن ثم على تحصيله الدراسي . كذلك توصلت الدراسة إلى أن المدخنين أقل ممارسة للنشاط اللاصفي مثل النشاط الرياضي . أما فيما يتعلق بمدى وجود علاقة طردية بين التدخين والإصابة بالأمراض ، فإن الدراسة لم ترصد أثرا واضحا لذلك ، وقد عزى ذلك إلى أن الأثر المدمر للتدخين قد لا يظهر بصورة واضحة على المدخنين الشباب في هذا العمر المبكر .

النتائج النهائية للبحث والتوصيات

النتائج النهائية

١ - توصلت الدراسة إلى أن الطلاب المدخنين كانوا أقل حرصا على الانتظام في حضور المحاضرات بالمقارنة مع غير المدخنين .

٢ - رصدت الدراسة عدم إقبال الطلاب المدخنين على مذاكرة دروسهم ، وأداء واجباتهم الدراسية بانتظام .

٣ - كشفت الدراسة عن عزوف الكثير من المدخنين عن دخول المكتبة الجامعية بغية الاطلاع أو استعارة الكتب والمراجع الدراسية بالمقارنة مع غير المدخنين .

٤ - كشفت الدراسة تدني التحصيل الدراسي للطلاب المدخنين بالمقارنة مع الطلاب غير المدخنين .

٥ - توصلت الدراسة إلى أن للتدخين أثرا سلبيا على مشاركة الطلاب المدخنين في النشاط الرياضي .

٦ - لم ترصد الدراسة أن للتدخين آثارا صحية واضحة معيقة لأداء الطالب لدوره ويعزى ذلك إلى أن الأثر المدمر للتدخين على الصحة قد لا يبدو جليا في هذه السن المبكرة، إلا إذا أخضع المدخن لفحوصات طبية دقيقة ، وهذا بالطبع خارج نطاق هذه الدراسة .

التوصيات

١ - تحث الدراسة الآباء المدخنين على الإقلاع فورا عن التدخين حتى لا يتسببون في وقوع أبنائهم فريسة التدخين .

٢ - ضرورة متابعة أولياء الأمور أبناءهم لمعرفة سلوك قرنائهم وإرشادهم باستمرار بالابتعاد عن مرافقة الأشخاص الذين يمارسون عادات ضارة كالتدخين .

٣ - الحرص على الأخذ بأفضل سبل التربية الإسلامية في تربية النشء حتى يشبوا

مستدمجين للقيم الأسرية والاجتماعية المرتكزة على قواعد الدين الإسلامي الصحيح ، والامتثال لها وتقبلها دون تبرم أو ضيق ، مهتمين بالآخرين ، محترمين لمشاعرهم ، وغير مؤذين لهم ، واثقين في أنفسهم غير منزوين عن المجتمع .

٤ - ضرورة إدخال مادة التربية الصحية في المدارس ، يتم بموجبها تزويد الطلاب بالمعلومات الكافية عن الأضرار الصحية لأنماط السلوك غير السوي .

٥ - مساعدة المدخنين الراغبين في الإقلاع عن التدخين ، وذلك باستخدام أنجح الوسائل الطبية والنفسية والاجتماعية بصورة متكاملة وشاملة .

٦ - العمل على تقييد حرية التدخين ومحاصرته في أضيق نطاق ممكن ، بحيث يمنع التدخين منعا حقيقيا في كل المكاتب ، والدواوين ، والمركبات العامة ، ودور العلم من مدارس ومعاهد وجامعات ، على أن لا يقتصر المنع على الطلاب بل ينبغي أن يمتد ليشمل المعلمين في أثناء ساعات العمل .

٧ - توقيع عقوبات صارمة على مخالفي تحذيرات التدخين وتعميد جهة معينة في كل جهة من جهات العمل للاضطلاع بتوقيع تلك العقوبات .

٨ - منع الدعاية بأية صورة من الصور في جميع وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية ، واستخدام تلك الوسائل في حملات مكافحة التدخين بقيادة الأطباء وعلماء الدين ونجوم المجتمع .

المراجع

أولا : المراجع العربية

البار ، محمد علي ، *التدخين وآثاره على الصحة* ، الرياض : الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية (١٩٨٤م) .

بدوي ، أحمد زكي ، معجم *مصطلحات العلوم الاجتماعية* ، بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٧م .

درويش ، زين العابدين ، المدخن المراهق ، البيئة والشخصية والسلوك ، *الكتاب السنوي لعلم الاجتماع* ، ٦ (٤) ، (١٩٨٤) ص : ٣٢٥ - ٣٤٩ .

الدمرداش ، عادل ، الإدمان : مظاهره وعلاجه . *عالم المعرفة* ، العدد (٥٦) ، ١٩٨٢م .

جبر ، أحمد علي ، اتجاهات المجتمع الكويتي نحو التدخين وإستراتيجية مكافحته : مدخل تسويقي ، *مجلة العلوم الاجتماعية* ، *جامعة الكويت* ، ٢ : ١٤ (١٩٨٦) ص ص : ٢٦١ - ٢٩٤ .

غيث ، محمد عاطف ، *قاموس علم الاجتماع* ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٩م) .

ثانيا : المراجع الأجنبية

Bachman, J.G.; O'Malley, P.M. and **Johnston, L.D.,** Correlates of drug use, Part 1: Selected measures of background, recent experiences, and life style orientations (monitoring the future, occasional paper no. 8) *Ann Arbor: Institute for Social Research* (1980).

Bachman, J.G.; Johnston, L.D. and **O'Malley, P.M.,** Smoking, drinking, and drug use among American high school students: Correlates and trends 1975-1970, *American Journal of Public Health,* **71**(1): 55-69 (1981).

Bewley, B.R. and **Bland, J.M.,** Academic performance and social factors related to cigarette smoking by school children, *British Journal of Preventive and Social Medicine,* **31:** 18-24 (1977).

Chassin, L.; Clark, P.C.; Steven, S.J. and **Debrra, E.A.,** The national history of cigarette smoking and young adult social roles, *Journal of Health and Social Behavior,* **33,** (December): 328-347 (1992).

Eckert, P., Beyond the statistics of adolescent smoking, *American Journal of Public Health,* **73:** 439-445 (1983).

Endargeeri, M.S., *The Impact of Selected Social and Familial Factors on the Academic Achievement of Female Students in Saudi Arabia,* Unpublished Doctorate thesis, University of Southern California (1986).

Flay, B.R.; d' Avernas, J.R.; Best, J.A.; Kersell, M.W. and **Ryan, K.B.,** Cigarette Smoking: Why Young People Do It and Ways of Preventing it. *In:* **P. McGrath** and **P. Firestone** (eds.), *Pediatric and Adolescent Behavioral Medicine,* New York: Springer-Verlag (1983).

Flay, B.R.; Ryan, K.B.; Best, J.A.; Brown, K.S.; Kersell, M.W.; d' Avernas, J.R. and **Zanna, M.P.,** Are social psychological smoking prevention programs effective? The Wate study, *J. Behav Med,* **8:** 37-59 (1985).

Gerber, R.W. and **Newman, J.M.,** Predicting future smoking of adolescent experimental smokers, *J. Youth and Adolescence,* **18**(2): Apr. 191-201 (1989).

Hendrickz, E., *Introduction to Educational Psychology,* London: Macmillan Publishers Ltd. (1986).

Krohn, M.D.; Michelle, B. and **Ronald, L.M.,** Social dissatisfaction, friendship patterns, and adolescent cigarette use: The Muscatine study, *Journal of School Health,* **56:** 145-150 (1986).

Murray, M.; Pirie, P.; Luepker, R.V. and **Pallonen, U.,** Five and six-year followup results from four seventh-grade smoking prevention strategies, *J. Behav. Med.* **12:** 207-218 (1989).

Newcomb, M.D. and **Bentler, P.,** *Consequences of Adolescent Drug Use: Impact on the Lives of Young Adults.* Newbury Park, Sage (1992).

Pirie, P.L.; Murray, M. and **Luepker, R.V.,** Smoking prevalence of a cohort of adolescents including absentees, dropouts and transfers, *Am. J. Public Health,* **78:** 176-178 (1988).

Rogers, R.G. and **Powell-Griner, E.,** Life expectancies of cigarette smokers and nonsmokers in The United States, *Social Science and Medicine,* **32:** (10): 1151-1159 (1991).

Spear, S.F. and **Akers, R.L.,** Social learning variables and the risk of habitual smoking among adolescents: The Mascatine study. *American Journal of Preventive Medicine,* **4:** 336-342 (1988).

Waldron, I.; Lye, D. and **Brandon, A.,** Gender difference in teenage smoking, *Women and Health,* **17**(2): 65-90 (1991).

Yamaguchi, K. and **Kandel, D.B.,** On the Resolution of Role Incompatibility: A Life Event Analysis of Family Roles and Marijuana Use, *American Journal of Sociology,* **90:** 1284-1325 (1985).

The Effects of Cigarette Smoking on University Student's Accomplishment of his Academic Roles

ISMAEL K. KUTUBKHANA and MOHAMED O.E. NOURI
Sociology Department, Faculty of Arts and Humanities,
King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

ABSTRACT. A sample of 730 students drawn from King Abdulaziz University male students were surveyed to determine the association between cigarette smoking by university students and its effect on the fulfillment of their academic roles.

It was found that smoking negatively affects a student's academic activities and consequently results in poor class attendance, coping with academic subjects, use of the library, academic achievement and participation in extra-curricular activities.

تـاريـــخ

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الإنسانية، م٩، ص ص ١٢٩-١٩٤ (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)

الأوضاع السياسية لبلاد عُمان في العصر الأموي (٤١ - ١٣٢هـ/ ٦٦١ - ٧٥٠م)

إبراهيم عبدالعزيز الجميح

أستاذ مساعد - قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبدالعزيز - جـدة - المملكة العربية السعودية

المستخلص . تمتعت بلاد عُمان بنوع من الحكم السياسي الذاتي منذ دخولها في الإسلام ؛ حيث كان حكامها يديرون شؤونهم المحلية ، ويتولون أمورهم الاقتصادية بأنفسهم ، بالرغم من خضوعهم لسلطة الخلافة الإسلامية في المدينة المنورة .

ولكن ، ماذا عن أحوال عُمان السياسية في العصر الأموي ؟ هل كانت عُمان مستقلة عن الدولة الأموية ؟ ومتى بدأ نفوذ الأمويين السياسي على عُمان ؟ وماهي ملامح سياستهم ؟

ثم ، ماهي أحوال عُمان السياسية إبَّان فترات الاضطراب السياسي في العصر الأموي؟ من كان يحكم عُمان؟ وماهي أوجه أنشطتهم السياسية ؟

ولماذا ، وكيف أُخضعت عُمان لسلطة الدولة الأموية ؟ وما الذي ترتب على ذلك ؟

وأخيراً ، كيف كانت سياسة الخلفاء الأمويين المتأخرين لعُمان ، وما هي نتائج تلك السياسة ؟ .

هذه الدراسة هي محاولة للإجابة على هذه الأسئلة ، وذلك من خلال إلقاء الضوء على أوضاع عُمان السياسية في العصر الأموي .

المقـــدمة

هناك العديد من الدراسات التي عُنيت بأهمية بلاد عُمان، في العصور الإسلامية المبكرة، وبالرغم من قيمة هذه الدراسات وماتلقيه من ضوء على تاريخ بلاد عُمان، إلا أن أحوال بلاد عُمان السياسية وعلاقتها بالسلطة الأموية، والحركات السياسية المعارضة في العصر الأموي، لم تُعْطَ الكثير من الأهمية [1]. ويبدو أن ذلك راجع لندرة المعلومات المتاحة عن هذه البلاد في المصادر التاريخية المبكرة، وتناثرها في العديد والمتنوع منها؛ ككتب الطبقات، والخراج والأموال، والمعاجم والبلدان، والأنساب، والشعر والأدب.

كما يبدو - أيضًا - بأن هذه البلاد النائية عن مركز الخلافة الأموية، لم تحظ باهتمام من قبل المؤرخين المسلمين، حيثُ تبدو منسية في المصادر المتاحة إلا من إشارات ونتف هنا وهناك، محددة بفترة معينة وغير مترابطة. ومن هنا جاءت هذه الدراسة كمحاولة لتغطية فترة في تاريخ عُمان إبَّان العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م) وذلك بإلقاء الضوء على الأوضاع السياسية لبلاد عُمان في هذا العصر، ونوعية العلاقة بين السلطة المركزية والإقليم التابع، ومدى استقلاليته، والظروف التي حكمت تلك العلاقة.

تمهيـــــد

يرتبط تاريخ بلاد عُمان بموقعها الجغرافي، والنسيج السكاني الداخلي، وعلاقته بالبيئة المحيطة به. فالموقع الجغرافي لاشك له دورٌ كبير في الأحداث التاريخية لأي إقليم. حيث إن هناك ارتباطًا كبيرًا بين جغرافية أي إقليم وتاريخه من عدة نواحي. فالأرض وتضاريسها من جبال وصحاري وبحار لها دور مهم في توجيه مسار الإنسان وتحديد حياته وأسلوب معيشته، كما أنها تبرز دوره وتحدد أهميته. فما هي خصائص بلاد عُمان الجغرافية والسكانية؟.

الواقع أن بلاد عُمان اختصت بمميزات عديدة؛ فهي تقع في جنوب شرق الجزيرة

العربية وتحيط بها البحار والخلجان من ثلاث جهات ؛ حيث تطل من جهة الشمال على الخليج العربي ، ومن جهة الشرق على خليج عُمان ومن جهة الجنوب على بحر العرب . وقد أكسب هذا الموقع بلاد عُمان أهمية استراتيجية وتجارية كبرى منذ أقدم العصور . فاشتهرت مدن عُمان كمراكز تجارية وملاحية مهمة ؛ ومن أهم هذه المدن : مسقط وهي مجَمّع السفن التجارية المتجهة إلى الهند والصين للتزود بالماء (٢)، ودبا وهي سيناء على خليج عُمان ، وسوق مشهورة يأتيها التجار من الهند والسند والصين ، ويؤمها أهل المشرق والمغرب(٣)، وصُحار وهي عاصمة بلاد عُمان ، وأعمر مدنها تجارة لوقوعها على ساحل خليج عُمان (٤) وأكثرها مالاً . وقد وصفها المقدسي بأنها : "دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ، ومغوثة اليمن" (٥).

وقد تميزت بلاد عُمان بالجبال الشاهقة الوعرة المسالك في المناطق الداخلية ، مماساعد أهاليها على الالتجاء إليها والاحتماء بها عند تعرضهم للأخطار الخارجية (٦) ، وبالصحراء الواسعة ، التي كانت تعد حاجزًا طبيعيًا لحماية هذه البلاد سن جهة الغرب . وقد وصفها الاصطخري بأنها : " بَرّية ممتنعة" (٧) .

والملاحظ أن موقع بلاد عُمان الجغرافي الفريد وإطلاله بسواحله الطويلة على خليج عُمان والبحر العربي ؛ وهما امتداد للمحيط الهندي ، كان له دوره في تكوين أنماط الحياة المعيشية لسكان هذه البلاد ، فترتب على هذا الموقع أن تطورت عُمان في مجال الملاحة البحرية ، ونبغ أهلُها في ركوب البحر وقيادة السفن (٨) . كما اشتهروا بمهارتهم في صناعة السفن ، التي يُستوردُ خشبُها من الهند(٩) . أضف إلى ذلك ، احتراف سكان عُمان - وخصوصًا من كان يقطن السواحل - لمهنة الغَوْص بحثًا عن اللؤلؤ ، وذلك لوجود مغاصات اللؤلؤ على سواحله وخاصة قرب مسقط (١٠) .

وكان يستوطن بلاد عُمان قبيلة الأزد (١١) ، وهي سن القبائل العربية التي نزحت إلى عُمان منذ أزمنة قديمة ، وتفرعت إلى عدة فروع منها أزد عُمان (١٢) . والمعروف ، أن عُمان كغيرها من مناطق ساحل الخليج العربي ، كانت تحت النفوذ السياسي للدولة الفارسية قبل الإسلام ؛ حيث كان ملوك فارس يشرفون على هذه البلاد ، ويعينون

لإدارتها الأمراءَ التابعين لهم . وقد عيّن الفرس على القبائل العربية بعُمان ، الجلندي بن المستكبر (١٣) ، وهو من قبيلة الأزد (١٤) . وخوّل مَلوك فارس "للجلندي بن المستكبر" هذا صلاحيات واسعة . فكان له جباية الضرائب في أسواق عُمان ، وذلك مقابل الالتزام بتوطيد الأمن والنظام بين القبائل ، والرجوع في أموره إلى العامل الفارسي - المعين سن قبل الدولة الفارسية - في مدينة الرستاق (١٥) .

والحق أن الجلندي بن المستكبر قد تمتع بنفوذ - اقتصادي وسياسي - كبير في بلاد عُمان . وكانت سلطته تضاهي سلطة ملوك العرب في أسواق عُمان المزدهرة كصُحار ودبا ، حتى إنه لم يكن يُباع شيء من السلع التجارية في تلك الأسواق حتى يبيع الجلندي بن المستكبر ماعنده ، ناهيك عن حصوله على عشور الأموال من التجار القادمين لتلك الأسواق العامرة من السند والهند والصين (١٦) .

ولاغرو إذن ، أن يكون لهذه الميزات الجغرافية والسياسية والبشرية ، دور في الظروف السياسية التي مرت بها عُمان منذ دخولها في الإسلام وحتى نهاية العصر الأموي .

بلاد عُمان في عصر النبوة والخلفاء الراشدين

بدأت معالم النظام السياسي للولايات والبلاد الإسلامية تتضح بعد هجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة المنورة ، التي أصبحت العاصمة الأولى للدولة الإسلامية ، وقد أرسى الرسول - عيه الصلاة والسلام - في المدينة المنورة دعائم النظام السياسي للأقاليم والبلدان الإسلامية ووضع اللبنات الأولى لجهاز إداري منظم . وتمثل ذلك في تعيين العمال على الأقاليم والمدن الإسلامية . وكانت مهماتهم تنحصر - أثناء هذه الفترة المبكرة سن تاريخ الإسلام - في جمع الصدقات من أموال الأغنياء وردها على الفقراء ، وتعليم الناس مبادئ الدين الإسلامي الجديد وأصوله .

وقد انضمت بلاد عُمان للدولة الإسلامية في المدينة المنورة حينما أرسل الرسول - صلى الله عليه وسلم - في السنة الثامنة من الهجرة (٦٢٩م) عدداً من المبعثوين سحملين برسائله إلى ملوك وأمراء نواحي الجزيرة العربية (١٧) ، ومن ضمنها عُمان .

وكان مبعوث الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى عُمان هو عمرو بن العاص ، الذي قابل مَلكيْ عُمان ؛ جيفرًا وعبدًا ابني الجلندي [١٨] ، حيث استجابا للإسلام وأقرا بما جاء به [١٩] . وقد بقي عمرو بن العاص عاملاً للرسول - صلى الله عليه وسلم - على بلاد عُمان حتى وفاة الرسول - عليه الصلاة والسلام - في السنة الحادية عشر من الهجرة (٦٣٢م) [٢٠] .

ولم تقتصر وظيفة عمرو بن العاص على النواحي السياسية ، - كعامل يمثل المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية الناشئة - ، بل كانت له - أيضًا - وظيفة إدارية تتمثل في أخذ الصدقات من أغنياء أهالي عُمان وإنفاقها على الفقراء داخل عُمان [٢١] . كما قام عمرو بن العاص بأخذ الجزية من المجوس الذين كانوا يقطنون بعُمان [٢٢] . وبالإضافة إلى جباية الصدقات بعُمان ، أرسل الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثابت بن زيد الأنصاري ليعلم أهالي عُمان الصلاة والقرآن والسنن [٢٣] .

ولم يكن عمرو بن العاص عاملاً وحيدًا على بلاد عُمان ، بل تم - أيضًا - تعيين عمال على بعض مدنها ؛ حيث قام الرسول - عليه الصلاة والسلام - بتعيين حذيفة بن اليمان الأزدي عاملاً على مدينة دبا [٢٤] . وكان حذيفة يتولى - أيضًا - أمر صدقات أهالي دبا ، حيث كان يأخذ صدقات أموال أغنيائهم ويردها على فقرائهم [٢٥] .

والجدير بالذكر ، أن اهتمام الرسول - عليه الصلاة والسلام - كان منصبًا في هذه المرحلة على نشر الإسلام وتقوية سلطة الدولة الإسلامية الناشئة ، ولذلك لم يفرض سلطة سياسية قوية أو أنظمة إدارية معقدة ، تؤدي إلى تغيير كبير في الأحوال السائدة في الجزيرة العربية [٢٦] ، وشَملَ ذلك التوجهُ بلاد عُمان . ومن هنا ، فلاغرابة أن يتمتع ملكا عُمان - جيفر وعبد - بنوع من الاستقلال المحلي في إدارة البلاد منذ دخولهما في الإسلام ، حيث أقرهما الرسول - صلى الله عليه وسلم - على ملكهما [٢٧] .

ثم عمّ الاضطراب الجزيرة العربية بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وذلك بارتداد بعض الأقاليم والبلدان عن الإسلام ، وكان من ضمنها بلاد عُمان ؛ حيث ارتد لقيط بن مالك الأزدي [٢٨] عن الإسلام - بامتناعه عن دفع الصدقات - ، وسيطر

على عُمان [٢٩] . وترتب على ذلك أن فقد جيفر وعبد ابنا الجلندي الاستقلال المحلي الذي تمتعا به في إدارة شؤونهما بعُمان .

والواقع أن جيفرا وعبدا ابني الجلندي لم يكن في مقدورهما مواجهة لقيط بن مالك ؛ الذي كان يفوقهما قوة ومنعة [٣٠] . وإزاء هذه الظروف المستجدة ، اضطر جيفر وعبد إلى الهروب والاحتماء بنواحي الجبال والبحر في بلاد عُمان . حيث هيأت طبيعة عُمان الجغرافية الفرصة لاختباء ملكي عُمان - جيفر وعبد - وأعوانهما بها حتى يقررا خطوتهما التالية . وقد تمثل ذلك بأن بعثا إلى الخليفة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - يخبرانه بحالتهما ، ويطلبان منه العون والغوث ، وذلك بأن يمدهما بجيش لمحاربة لقيط بن مالك [٣١] .

وكان من الطبيعي أن يتخذ الخليفة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - سياسة حازمة تجاه حركة الردة ، ليس فقط في عُمان ، وإنما في كل أنحاء الجزيرة العربية ، وذلك بهدف إعادة توحيد الكيان السياسي للدولة الإسلامية الناشئة والذّب عن حمى الإسلام ، والضرب - أيضًا - بيد من حديد على مانعي الصدقات ، وهي الزكاة الواجبة . ولذلك فقد قام الخليفة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - بإرسال جيشين إلى عُمان ؛ أحدهما بقيادة حذيفة بن محصن الغلفاني [٣٢] ، والآخر بقيادة عرفجة بن هرثمة البارقي [٣٣] ، ثم أرسل الخليفة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - جيشًا ثالثًا بقيادة عكرمة بن أبي جهل [٣٤] لمساندة الجيشين السابقين [٣٥] .

وقد طلب الخليفة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - من أمراء هذه الجيوش أن يعجلوا بالسير إلى عُمان ، وأن يكاتبوا جيفرا وعبدا ويعملوا برأيهما . ولم يكن الخليفة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - ليفعل ذلك لولا مكانة هذين الأخوين في عُمان ، ومقدرتهما السياسية على تأليب القبائل وحشدها ضد المرتدين . وهذا ماتم بالفعل ، حيث اجتمع جيش جيفر وعبد مع الجيوش الإسلامية الثلاثة وعسكروا في مدينة صُحار استعدادًا لمواجهة لقيط بن مالك [٣٦] .

ومن جهة أخرى ، كان لقيط بن مالك قد أعد للأمر عدته فتحصن بجيش كبير في

مدينة دبا ، حيث سار إليه المسلمون بجيوشهم ، ودارت بين الفريقين معركة كبيرة ، كاد فيها لقيط بن مالك أن ينتصر لولا إمدادات القبائل الإسلامية والتي قدمت لنصرة المسلمين . وكانت تلك النجدة من قبيلتي ؛ بني ناجية بقيادة الخريت بن راشد (٣٧) ، وبني عبدالقيس بقيادة سيحان بن صوحان (٣٨) . وترتب على تلك المساندة تحول المعركة لصالح المسلمين ، حيث أوقعوا بجيش لقيط هزيمة منكرة ، قُتل فيها لقيط نفسه(٣٩) .

وبعد القضاء على حركة الردة بعُمان ، ارتبطت هذه البلاد سياسيًا بإدارة السلطة المركزية في المدينة المنورة ، وبقي حذيفة الغلفاني في عُمان عاملاً للخليفة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه - ، لكي يوطد الأمور السياسية في عُمان ويشرف على استتباب الأمن والنظام بها ، كما عاد عرفجة البارقي وعبد بن الجلندي بالغنائم والخُمس إلى المدينة المنورة (٤٠) .

وعلى الرغم ، من ارتباط بلاد عُمان سياسيًا بالمدينة المنورة ، فقد بقي لعبد وجيفر ابني الجلندي نوع من الاستقلال المحلي بعُمان . ويؤكد ذلك ، مامنحه لهما الخليفة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - من امتيازات رئاسية ؛ فعندما غادر وفد عُمان المدينة المنورة - وكان قدمها بعد الردة - ، كتب الخليفة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - إلى أهالي عُمان يشكرهم ويثني عليهم ، كما أقر جيفرا وعبدا على مُلكيْهما ، وإدارة شؤون عُمان المحلية ، وخوّل إليهما - أيضًا - أخذ الصدقات وحملها إليه في المدينة المنورة (٤١) .

والواقع أن تعاون عبد وجيفر مع الخليفة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - ضد المرتدين بعُمان ، لم يخل من حذق وذكاء ، إذ أكسبهما ذلك التعاون رضا الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة ، التي رأت بقاءهما كحاكمين محليين بعُمان . كما أن منح الخليفة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - لابنى الجلندي حق جمع الصدقات من أهالي عُمان ، كان فيه نوع من تأكيد الإمارة لهما على بلاد عُمان (٤٢) ، وفي نفس الوقت مكافأة لابني الجلندي على تعاونهما مع الحكومة المركزية في المدينة المنورة .

وعندما تولى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الخلافة (١٣-٢٣هـ / ٦٣٤-

٦٤٤م) قام بإصلاحات سياسية وإدارية للأقاليم والبلاد الإسلامية، وأصبح النظام الإداري في عهده مركزيا، حيث صارت الرابطة بينه وبين عماله قوية ومباشرة ومبنية على مسؤولية العمال أمام خليفة المسلمين.

وقد شَملت التنظيمات التي أوجدها الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بلاد عُمان؛ حَيث جُمعت البلاد المطلة على خليج عُمان والخليج العربي وهي بلاد عُمان والبحرين، لتكونَ تحت إدارة عثمان بن أبي العاص الثقفي [٤٣]، وذلك منذ سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م [٤٤].

والملاحظ أنه خلال ولاية عثمان بن أبي العاص اُتخذت عُمان - بسبب موقعها الجغرافي وخبرة أهلها في شؤون الملاحة البحرية -، قاعدة لانطلاق الحملات البحرية الموجهة لفتح بلاد السند والهند وفارس؛ حيث قام عثمان بن أبي العاص بإرسال أخيه المغيرة بن أبي العاص [٤٥] ليقود أُولى الحملات البحرية الناجحة - من صُحار ومسقط - إلى الساحل الغربي للهند [٤٦]. كما قاد عثمان بن أبي العاص جيشًا عظيمًا من عُمان والبحرين وعبر به الخليج إلى فارس [٤٧].

وفي خلافة عثمان بن عفان (٢٤-٣٥هـ/ ٦٤٤-٦٥٥م) - رضي الله عنه - حدث تطور للسياسة الإدارية لبلاد عُمان. فقد انتقلت إدارة عُمان من المدينة، والتي كانت عليها منذ عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - والخليفتين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -، وضُمت هي وبلاد البحرين لتكونا تحت إشراف والي البصرة عبدالله بن عامر بن كريز [٤٨]، وعُزِلَ الولاة السابقون [٤٩].

غير أن هذه الترتيبات الإدراية لم تحل دون بقاء بني الجلندي متمتعين بالامتيازات السابقة في سياسة إدارة شؤون عُمان، وكان يحكم عُمان في هذه الفترة عبّاد بن عبد الجلندي، الذي كان قد خلف أباه عبدا وعمه جيفرا [٥٠].

ولاشك في أن ارتباط بلاد عُمان إداريًا بالبصرة - قاعدة العراق -، دعَّم صلة العُمانيين بها، وذلك لقربها من عُمان، ومن هنا بدأت هجرة قبائل الأزد من عُمان إلى البصرة [٥١]، التي أصبحت قاعدة أساسية لانطلاق الجيوش الإسلامية المتجهة لفتح بلاد فارس والمناطق الشرقية [٥٢].

وفي عهد الخليفة علي بن أبي طالب (٣٥-٤٠هـ/ ٦٥٥-٦٦١م) - رضي الله عنه - لم تكن الأمور السياسية مستقرة، فقد واجه هذا الخليفة الكثير من المشاكل السياسية التي أعاقته عن تسيير دفة الولايات الإسلامية أو القيام بإدارتها [٥٣]. وعمّت تلك الاضطرابات بلاد عُمان، فبالرغم من تعيين الخليفة عليٍّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - الحلوَ بن عوف الأزدي [٥٤] عاملاً على عُمان، إلا أن قبائل بنو ناجية قاموا بقتله، وارتدوا عن الإسلام برفضهم دفع الصدقات لبيت المال [٥٥]. وترتب على ذلك، أن أرسل إليهم الخليفة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - جيشًا بقيادة معقل ابن قيس الرياحي [٥٦] الذي قام بقتل زعيم بني ناجية: الخريت بن راشد وأصحابه سنة ٣٨هـ/ ٦٥٨م [٥٧].

ولا تشير المصادر التاريخية المبكرة - المتاحة - إلى أوضاع بلاد عُمان السياسية في أواخر عهد الخليفة علي بن أبي طالب، ولكن يبدو - اعتمادًا على المصادر العُمانية المتأخرة - أن بلاد عُمان كانت تحت إدارة عبَّاد بن عبد الجلندي والذي استمر يحكم إلى الخلافة الأموية [٥٨].

وخلاصة القول فإن بلاد عُمان قد حظيت بنوع من الحكم الذاتي تحت إدارة بني الجلندي، حيث كانوا يديرونها ويحافظون على نفوذهم المحلي، مع خضوعهم لسلطة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ثم في البصرة.

بلاد عُمان في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م)

لعل من المفيد قبل الحديث عن أحوال بلاد عُمان السياسية في العصر الأموي، إعطاء فكرة موجزة عن السياسة الإدارية للأقاليم الإسلامية وعلاقتها بالظروف السياسية في تلك الفترة التاريخية. فالملاحظ أنه قد حصل تطور كبير في النظام السياسي الإداري للأقاليم والبلاد الإسلامية في العصر الأموي، ولا غرو في ذلك، فقد بلغت الدولة الإسلامية أقصى اتساعها نتيجة للفتوحات الإسلامية، وكانت تنقسم إلى عدة ولايات كبرى كالحجاز واليمن والشام والجزيرة ومصر وإفريقية والعراق [٥٩].

وكانت هذه الولايات تُحكم من قِبل بعض أفراد الأسرة الأموية، وكبار رجال الدولة من ذوي الخبرة السياسية والمهارة الإدارية. وقد علا شأن هؤلاء الولاة وحظوا بصلاحيات وسلطات سياسية واسعة؛ وكان ذلك من مميزات النظام الإداري اللامركزي الذي أوجده الخليفة معاوية بن أبي سفيان، لكي يُعيد الأمن والاستقرار السياسي للولايات الإسلامية المتباعدة، ويتمكن من السيطرة الإدارية عليها [٦٠]، خصوصًا بعد انقسام وحدة المسلمين، وبالتالي انقسام الأقاليم والبلاد الإسلامية.

والواقع أن بلاد عُمان في العصر الأموي كانت - غالبًا - مرتبطة سياسيًا بوالي العراق، حيث كان يشرف على إدارتها ويتعهد أحوالها ويعين العمال عليها. وبالرغم من ذلك، فلم تكن عُمان خاضعة دائمًا لسلطة الدولة الأموية.

ويمكن تقسيم تاريخ بلاد عُمان السياسي في العصر الأموي إلى فترتين رئيستين وهما: الفترة السفيانية، والفترة المروانية، وتتخللهما فترة زمنية سيطر فيها عبدالله بن الزبير على أغلب الأقاليم الإسلامية (٦٤-٧٣هـ / ٦٨٣-٦٩٢م). وكان لهذه الفترات الثلاث ظروفها السياسية، والتي انعكست بدورها على أحوال بلاد عُمان السياسية في العصر الأموي.

بلاد عُمان في *الفترة السفيانية* (٤١-٦٤هـ / ٦٦١ - ٦٨٤م)

تبدأ الفترة السفيانية بتولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة سنة ٤١هـ / ٦٦١م، وتنتهي بوفاة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٤هـ / ٦٨٤م. والواقع، أن تاريخ بلاد عُمان في هذه الفترة يكتنفه الغموض، فالروايات القليلة والنادرة، والمتناقضة في نفس الوقت، لاتسمح بإعطاء صورة مفصلة ودقيقة عن أوضاع بلاد عُمان السياسية.

ولكن، يمكن الاستنتاج من الروايات المتاحة بأن بلاد عُمان في بداية عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، كانت تُحكم ذاتيًا ويتولى إدارتها عبَّاد بن عبد الجلندي الذي تولى السلطة بعد وفاة والده عبد وعمه جيفر ابني الجلندي [٦١]. وليس هناك ما يؤكد ذلك إلا المصادر العُمانية المتأخرة، حيث تذكر بأنه عندما: "افترقت الأمة، وصار

المُلْكُ إلى معاوية لم يكن لمعاوية في عُمان سلطانٍ» (٦٢).

والمرجح، أن رفض العُمانيين الاعتراف بسلطة معاوية بن أبي سفيان كخليفة للمسلمين، وإصرارهم على حكمهم الذاتي، كان بسبب توطّد سيادتهم على بلاد عُمان، وخصوصًا بعد مشاركتهم في القضاء على حركة الردة بعُمان، وتحمّلهم مسؤولية إدارة شؤونهم السياسية والاقتصادية الداخلية.

ومن جهة أخرى، يبدو أن تمتع بلاد عُمان سياسيًا بحكمها المحلي بعيدًا عن سيطرة الخليفة معاوية بن أبي سفيان، كان راجعًا لانشغاله في بداية خلافته، وبالأخص في السنوات الخمس الأولى - (٤١-٤٥هـ/ ٦٦١-٦٦٥م) - من حكمه، بإعادة سيطرته الكلية على الأقاليم الإسلامية. أضف إلى ذلك، أن عُمان كانت بلادًا نائية عن مركز الخلافة، ولاتمثل تهديدًا وخطرًا على مركز السلطة الأموية في دمشق خلال تلك الفترة التاريخية.

وبعد استقرار الأمور السياسية لمعاوية بن أبي سفيان، وتمكنه من إخضاع البلاد والولايات الإسلامية الواسعة والسيطرة عليها، اهتم بتنظيم تلك الأقاليم والولايات الإسلامية.

وتكاد المصادر التاريخية المتقدمة تُجمع على أن معاوية بن أبي سفيان عيّن زياد بن أبى سفيان واليًا على البصرة سنة ٤٥هـ/ ٦٦٥م، وضم إليه بلاد عُمان والبحرين وسجستان والهند (٦٣).

ولكن، هل يعني ضم عُمان سياسيًا إلى والي البصرة، في عهد معاوية بن أبي سفيان، إشراف هذا الوالي على بلاد عُمان؟. الواقع، أن المصادر المتاحة لاتمدنا بمعلومات تبين ذلك، فهي لاتشير إلى وجود عامل مُعين على بلاد عُمان خلال ولاية زياد بن أبي سفيان، وكذلك ابنه عبيدالله بن زياد، الذي ولاه معاوية البصرة واستمر واليًا عليها حتى وفاة الخليفة يزيد بن أبي سفيان سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م (٦٤). ويبدو أن تبعية عُمان لوالي البصرة كانت تبعية اسمية فقط، حيث لاتذكر المصادر المتاحة أن ولاة البصرة - في هذه الفترة - كانون يعينون عاملاً على بلاد عُمان (٦٥).

وعلى كل حال، لعل من المفيد هنا الإشارة إلى بعض النواحي الغامضة وذات الصلة المباشرة بسياسة بلاد عُمان وإدارتها في الفترة السفيانية، فالملاحظ أن المناطق المحيطة ببلاد عُمان كانت خاضعة لوالي البصرة إداريًا وسياسيًا في خلافة معاوية بن أبي سفيان. وقد شَمِلَ نفوذ والي البصرة بلاد البحرين - المرتبطة جغرافيا بعُمان - حتى إنه اتخذها مكانًا لنفيِ المعارضين والخارجين عن السلطة الأموية (٦٦).

ولم تقتصر سلطة ولاة البصرة في بلاد البحرين على خلافة معاوية بن أبي سفيان، بل استمرت نافذة في خلافة يزيد بن معاوية. حيث استحكمت قبضة والي البصرة عبيد الله بن زياد على العراق، وعمّها الأمن والاستقرار. ووسع ذلك بلاد البحرين حتى إنه اتخذها - أيضًا - موضعًا لإبعاد الخارجين عن سلطة بني أمية (٦٧).

وهنا، تثير خطبة لعبيد الله بن زياد عدة تساؤلات عن إمكانية شمول نفوذ والي البصرة على عُمان وارتباطها إداريًا بالبحرين. فالطبري يروي أنه عندما قدم مسلم ابن عقيل الكوفة سنة ٦٠هـ / ٦٨٠م، لأخذ البيعة للحسين بن علي بن أبي طالب، هدّد عبيدُ الله بن زياد أهالي الكوفة، وتوعّد العرفاء (٦٨) قائلاً لهم: "وأيّما عريف وُجد في عرافته من بُغية أمير المؤمنين [يزيد بن معاوية] أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألقيت تلك العرافة من العطاء وسُيِّر إلى موضع بعُمان الزَّارة" (٦٩).

والجدير بالملاحظة في هذا النص، أن قرية الزَّارة (٧٠) قد نُسبت بل واعتُبرت موضعًا بعُمان، بالرغم من أنها من قرى البحرين، فعلى ماذا يدل ذلك؟

هنا يمكن القول؛ إن ذلك يرجع لتداخل الحدود الجغرافية بين بلاد البحرين ومدنه وبلاد عُمان في تلك الفترة التاريخية (٧١). أو ربما بُني ذلك الضم على أساس أن بلاد عُمان كان يشملها اسم البحرين في تلك الفترة التاريخية (٧٢). ولذلك أُعتبرت قرية "الزَّارة" - تجاوزًا - من قرى عُمان البلاد النائية عن البصرة. كما يحتمل أن تكون سيطرة والي البصرة عبيد الله بن زياد على بلاد البحرين قد شَملت عُمان، خصوصًا وأن بلاد البحرين كان يقيم بها عامل له سلطة واسعة ومعين من قبل الخليفة يزيد بن معاوية (٧٣).

ولكن ، هل يمكن الاستنتاج على هذا الأساس بأن خضوع بلاد البحرين لسلطة الدولة الأموية يعني الإشراف تلقائيًا على عُمان المرتبطة بها جغرافيًا ، خصوصًا وأنها ضمت اسميًا إلى والي البصرة . الواقع إنه لايمكن نفي أو تأكيد ذلك مالم تتوافر مصادر أولية وجديدة تُزيح الستار عن تاريخ بلاد عُمان الغامض في هذه الفترة .

أما ما يبدو واضحًا - اعتمادًا على المصادر العُمانية المتأخرة - فهو أن بلاد عُمان كانت تحت سيطرة عبَّاد بن عبد الجلندي [٧٤] . ويمكن تدعيم ذلك ، إذا ما أخذ بعين الاعتبار ، بُعد بلاد عُمان عن مجريات التأثير السياسي في العراق ، وطبيعتها الجغرافية ؛ كونها محصنة ويصعب الوصول إليها . كما أنها كانت - في تلك الفترة التاريخية - لاتمثل خطرًا على الدولة الأموية ، ولم تكن هدفًا لسياسة توسعية .

المرجح ، إذن ، عندما نضع في الحسبان ماسبق ذكره ، أن بلاد عُمان كانت تحظى بنوع من الحكم الذاتي في الفترة السفيانية . وكان ذلك نتيجة للظروف السياسية التي كانت تمر بها خلافة معاوية بن أبي سفيان في بدايتها . وبالرغم من قوة سلطة ولاة البصرة في عهد معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد - التي وَسعت بلاد البحرين المرتبطة جغرافيا بعُمان - ، إلا أن ذلك النفوذ - على مايبدو - لم يشمل بلاد عُمان .

ومن ناحية أخرى ، يبدو أن سلطة عبَّاد بن عبد الجلندي وابنيه على بلاد عُمان كانت مستمرة منذ عهد معاوية سنة ٤١هـ/ ٦٦١م وحتى وفاة يزيد سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣ م ، وعندئذ اضطربت الأحوال السياسية بالبصرة - قاعدة العراق والمشرفة على إدارة بلاد البحرين وعُمان - وعمّت الفوضى الأمصار والبلاد الإسلامية فخرجت عن سلطة وإدارة بني أمية ، لتبدأ فترة جديدة سيطر فيها عبدالله بن الزبير على الحجاز وغيرها من الولايات الإسلامية ، وانعكست أحداثها وظروفها على بلاد عُمان وأوضاعه السياسية .

بلاد عُمان في *الفترة الزبيرية* (٦٤ - ٧٣هـ/ ٦٨٤ - ٦٩٢م)

تبدأ الفترة الزبيرية باستقلال عبدالله بن الزبير ببلاد الحجاز سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م ، وتنتهي بمقتله سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م . وقد استطاع عبدالله بن الزبير أن يبسط نفوذه ويمد

سيطرته السياسية على بلاد العراق ومصر واليمن وخراسان وأغلب بلاد الشام ، فكان يدير تلك المناطق ويعين عماله عليها [٧٥] .

وينفرد الدِّينُوري برواية تذكر أن عبدالله بن الزبير وجه عماله إلى بلاد البحرين وعُمان بعد استقلاله ببلاد الحجاز [٧٦] . على أنه ليس هناك مايؤكد هذه الرواية لا في المصادر المعاصرة ولا المتأخرة ، بل تكاد تُجمع المصادر المتاحة على أن عُمان في هذه الفترة التاريخية كانت تحت حكم عبَّاد بن عبد الجلندي وابنيه سعيد وسليمان [٧٧] .

وعلى كل حال ، يبدو أن حبل الأمور كان مضطربًا في بلاد عُمان خلال الفترة الزبيرية . كما أن اختلاف ولاء القبائل كان يُضعفُ من سيطرة عبَّاد الجلندي وابنيه الكاملة على عُمان . ومما يدل على انقسام أهالي عُمَان واختلاف ميولهم ؛ موقفهم تجاه والي البصرة المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، والذي عينه عبدالله بن الزبير لمحاربة الخوارج سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م [٧٨] . فعندما هدّد الخوارجُ الأزارقةُ مدينةَ البصرة واقتربوا من الاستيلاء عليها ، كان يشارك المهلبَ في الدفاع عنها قوة عسكرية من عُمان [٧٩] ، بينما انضمت أعدادٌ كبيرة من خوارج عُمان إلى الخوارج الأزارقة في حروبهم ضد ولاة البصرة [٨٠] .

وخلال هذه المرحلة ، أصبح لزامًا على عبَّاد وابنيه أن يتعاملوا مع المتغيرات السياسية الجديدة في الجزيرة العربية ، والتي تمثلت في ظهور الخوارج النجدات بزعامة " نجدة بن عامر الحنفي " في اليمامة . والتي أخذ أمرها يتعاظم في الجزيرة العربية ويمتد ليشمل نواحي عديدة منها [٨١] . ثم أصبحت هذه الحركة تمثل تهديدًا اقتصاديًا لعبدالله ابن الزبير ، بعد أن بدأ " نجدة " يعترض القوافل المحملة بالمؤن والمتجهة من البحرين أو البصرة إلى الحجاز [٨٢] .

والواقع أن نجدة بن عامر استطاع أن يضم إليه بلاد البحرين - المرتبطة جغرافيا بعُمان سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م ، وذلك عندما دخلَ في طاعته ، وقَبِلَ بسلطته أزد البحرين ، وخرجوا عن طاعة ولاتهم [٨٣] .

وعندما تفاقم خطر الخوارج النجدات وأصبح يمثل تهديدًا مباشرًا لعبدالله بن

الزبير ، وجه اهتمامه للقضاء على هذه الحركة ، فقام بتعيين ابنه حمزة واليًا على البصرة سنة ٦٧هـ / ٦٨٦م [٨٤] . وكانت أولى مهمات حمزة تنحصر في القضاء على حركة الخوارج النجدات ؛ ولذلك قام بإرسال جيش من البصرة بقيادة عبدالله بن عمير الليثي [٨٥] لمحاربة نجدة وفرقته بالبحرين [٨٦] . ولكن نجدة استطاع أن يُباغت قوات عبدالله بن عمير - الأكثر عدداً وعدة - ويُلحق بها هزيمة في مدينة القطيف ببلاد البحرين [٨٧] .

والمؤكد ، أن نفوذ نجدة بن عامر قد توطّد في منطقة الخليج العربي ، بعد هزيمته لقوات عبدالله بن عمير . ولهذا تطلع للاستيلاء على بلاد عُمان وضمها إلى سلطته السياسية ، خصوصًا وأنها ذات موقع استراتيجي وتشرف بسواحلها الطويلة على خليج عُمان والبحر العربي .

كذلك كانت الظروف الداخلية في بلاد عُمان مهيأه لرغبة نجدة في إخضاعها لسلطته . فالبرغم من تمتع عُمان في تلك الفترة بحكمها الذاتي على يد عبَّاد بن عبد الجلندي ، إلا أنه كان شيخًا كبيرًا انهكته السنين [٨٨] .

كما كان ولداه وهما : سعيد وسليمان - أثناء عزم وتخطيط نجدة بن عامر للاستيلاء على عُمان - في مهمة بحرية ، حيث كانا يعشران السفن ويجمعان الجباية من مدن الساحل العُماني وما حولها [٨٩] . وكانا يجنيان أموالاً كثيرة ، ويحتفظان بها في عُمان [٩٠] .

ويبدو أن نجدة قد تطلع ببصره نحو عُمان رغبة منه في الحصول على تلك الثروات الضخمة التي كانت بحوزة بني الجلندي . أضف إلى ذلك تمتعه بامتياز الحصول على جباية الأموال من السفن العابرة لمنطقة الخليج .

وهكذا ، شجعت الظروف الداخلية بعُمان ، - ناهيك عن مزاياها الاقتصادية وموقعها المتميز - نجدة بن عامر لضمها إلى سيطرته . ولذلك قام بإرسال جيش بقيادة عطية بن الأسود الحنفي [٩١] إلى عُمان [٩٢] .

وبالرغم من مقاومة أهالي عُمان لقوات عطية بن الأسود ، إلا أنه استطاع أن يقتل عبَّاد ويستولي على بلاد عُمان [٩٣] . ثم أقام بعُمان أشهرًا ليوطد الأمور بها ، وغادرها

بعد أن عيّن بدلاً عنه عاملاً يُكنى أبا القاسم، ليتولى حكمها وتصريف شؤونها[٩٤]. ويبدو أنه كان من صلاحيات أبي القاسم، جباية الأموال وتولي أمور الصدقات وإرسالها إلى نجدة بن عامر[٩٥].

على أن إخضاع عُمان لسيطرة نجدة بن عامر لم يدم طويلاً، فقد عاد إلى عُمان سعيد وسليمان ابنا عبَّاد بن الجلندي من مهمتهما البحرية، واستطاعا - بمساعدة أهالي عُمان - قتل عامل نجدة أبا القاسم، وإعادة عُمان إلى سيطرتهما[٩٦].

وهنا يُطرح تساؤل عن إمكانيات بني الجلندي وقدراتهم السياسية، فكيف تمكن سعيد وسليمان ابنا عبَّاد بن الجلندي من إعادة سيطرتهما على عُمان من جديد؟ ولماذا أيدهما أهالي عُمان وساندوهما في القضاء على احتلال نجدة بن عامر لبلادهما؟.

يبدو أن الأمر لايخرج عن كونه رفض أهالي عُمان وتأبِّيهم تسلطَ الخوارج النجدات عليهم واستغلالهم لمواردهم الاقتصادية. أضف إلى ذلك، رسوخ الجذور السياسية لبني الجلندي في بلاد عُمان، وذلك من خلال حكمهم للبلاد لفترات طويلة سابقة، والتي اكسبتهم شرعية سياسية وأحقية في بلاد عُمان.

وليس هناك دليل على تآزر والتفاف أهالي عُمان حول بني الجلندي واستماتتهم في الدفاع عن استقلالهم الذاتي وإدارتهم لشؤونهم المحلية، أكثر من موقفهم الرافض من جديد لحركة الخوارج النجدات ومحاولة زعمائها السيطرة على عُمان؛ فعندما انشق عطية بن الأسود الحنفي عن نجدة بن عامر وخالفه، أراد العودة لعُمان وفرض سيادته عليها فتأبت عليه واستعصت[٩٧].

واستمر كل من سعيد وسليمان في حكمهما لبلاد عُمان، إلى أن تولى الحجاج ابن يوسف الثقفي إمرة العراق سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م[٩٨]. ومن هنا، بدأت سياسة جديدة تهدف لمد نفوذ الدولة الأموية جنوبًا، وإحكام سيطرتها على سواحل الخليج العربي حتى عُمان. وكان لهذه السياسة انعكاساتها الخطيرة على استقلالية بلاد عُمان وأحوالها السياسية.

بلاد عُمان في الفترة المروانية (٦٤ - ١٣٢ هـ / ٦٨٤ - ٧٥٠ م)

تبدأ الفترة المروانية بخلافة مروان بن الحكم سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م ، وقد استمر هذا الفرع من الأسرة الأموية في الحكم حتى سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م .

وكانت بلاد عُمان في بداية هذه الفترة تتمتع باستقلالها تحت سيادة سليمان وسعيد ابني عبَّاد الجلندي ؛ اللذين كانا خلال فترة عبدالله بن الزبير (٦٤-٧٣هـ/ ٦٨٤-٦٩٢م) يسيطران على عُمان [٩٩] .

ثم بدأت محاولات إخضاع بلاد عُمان بعد القضاء على حركة عبدالله بن الزبير بالحجاز سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م ؛ وذلك عندما قام الخليفة عبدالملك بن مروان بتعيين الحجاج بن يوسف الثقفي واليًا على العراق والولايات الشرقية سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م .

وكانت أولى مهام الحجاج بن يوسف هي العمل على إعادة الأمن والاستقرار إلى العراق . كما كان من أهداف سياسته الإدارية العسكرية - والتي كانت تمثل في نفس الوقت سياسة الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان - ، تأكيد سيادة الدولة الأموية على جميع البلدان والولايات الإسلامية ، ومن ضمنها بالطبع عُمان . وقد أُعطي الحجاج بن يوسف سلطات واسعة ومُنح أكبر قدر من النفوذ ، حيث كان واليًا عامًا على العراق ، ومشرفًا على جميع الأقاليم الشرقية ؛ فكان يعين العمال من ذوي الكفاءة والحزم ، ويُخول لهم سلطات كبيرة .

والجدير بالملاحظة هنا ، أن السلطة القوية التي مُنحت للحجاج بن يوسف ، خصوصًا بعد قضائه على حركة عبدالله بن الزبير سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م ، لم تُمكنه من السيطرة على بلاد عُمان في بداية ولايته على العراق . ومع ذلك ، ينفرد ابن عساكر (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م) ، - (وهو من المصادر المتأخرة لهذه الفترة) - ، برواية مؤداها أن الحجاج بن يوسف عندما قَدمَ واليًا على العراق سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م عيّن "سورة بن أبجر بن دارم" [١٠٠] عاملاً على عُمان [١٠١] . ولكن هذه الرواية تناقض الروايات المتقدمة ، والتي تفيد بأن الحجاج بن يوسف لم يُعين عاملاً على عُمان ، بل كان يقوم بإرسال الحملات العسكرية لإخضاع عُمان لسلطة الدولة الأموية . وقد باءت محاولاته

بالفشل والهزيمة على أيدي سعيد وسليمان ابني عبَّاد الجلندي اللذين كانا يحكمان عُمان ويحظيان باستقلالهما (١٠٢) .

ويؤكد ذلك خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) ؛ حيث ينفرد بذكر أن الحجاج بن يوسف أرسل جيشًا إلى عُمان بقيادة موسى بن سنان بن سلمة (١٠٣) ، ولكن خليفة لايحدد متى كان ذلك بالضبط وإنما يذكر أن الحملة كانت بعد سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م (١٠٤) . وعلى كل حال لم ينجح الجيش في القضاء على حكم سعيد وسليمان ابني عبَّاد الجلندي (١٠٥) . ثم أرسل الحجاج بن يوسف جيشًا ثانيًا بقيادة طفيل ابن الحصين البهراني (١٠٦) ، فاستطاع – مؤقتًا – أن يستولي على عُمان ، وأن يُرغم سعيدًا وسليمان على الهروب والخروج من بلادهما (١٠٧) . ولكن طفيل بن الحصين غادر عُمان ، وعُين بدلا عنه حاجب بن شيبة (١٠٨) ، الذي توفي بعُمان ، فما كان من سعيد وسليمان إلا أن اغتنما الفرصة وعادا إلى عُمان وسيطرا عليها (١٠٩) .

والواقع أن فشل محاولات الحجاج بن يوسف الأولى للسيطرة على بلاد عُمان ، لم تثنيه عن عزمه بإخضاع بلاد عُمان لسلطة الدولة الأموية . ذلك أن تلك السياسة – والرامية لضم بلاد عُمان – كانت تمثل مطمحًا كبيرًا ورغبة أكيدة له . فما هي الأسباب التي دفعته لمد نفوذه على بلاد عُمان والسيطرة عليها ؟ وماهي بواعثها ؟ وكيف تم إخضاع بلاد عُمان ، وما الذي ترتب على ذلك ؟ .

يبدو أن هناك العديد من العوامل : السياسية والاستراتيجية الجغرافية والاقتصادية ، والتي كانت تمثل – مجتمعة – حافزًا للحجاج بن يوسف للسيطرة على عُمان وإلحاقها بالدولة الأموية .

لقد مثلت بلاد عُمان باستقلالها وامتناعها ، وهزائمها المتكررة لقوات الحجاج بن يوسف ، على يد سعيد وسليمان ابنا عبَّاد بن الجلندي ، تحديًا لسياسة الحجاج بن يوسف التوسعية .

ولم يقتصر الأمر على سيادة سعيد وسليمان ابني عبَّاد الجلندي على بلاد عُمان – الذي عززته طبيعتها الجغرافية كونها بلادًا حصينة في حدودها ، تطل على البحار من

ثلاث جهات وعلى صحراء منيعة سن الجهة الرابعة - ، بل كانت عُمان - أيضًا - أثناء ولاية الحجاج بن يوسف على العراق وخلال فترات الاضطراب السياسي ، ملجأ مهمًا للعديد من الأفراد والجماعات المناهضة للسلطة الأموية والخارجة عليها .

وتمدنا بعض المصادر التاريخية بمعلومات عن بعض الأفراد النشطين سياسيًا والذين اتخذوا من بلاد عُمان ملاذاً لهم بعد تورّطهم في الفتن والثورات . ومن هؤلاء : عبيد الله بن زياد بن ظبيان البكري (١١٠) ، والذي خرج على الحجاج بن يوسف مع عبدالله بن الجارود العبدي (١١١) . فلما قتل ابن الجارود ، وتم القضاء على حركته سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م ، هرب عبيد الله إلى عُمان ، فتخوف منه سعيد بن عبَّاد بن الجلندي فدس له السم فمات سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م (١١٢) . وعمران بن حطان الشيباني (١١٣) ، الذي لجأ إلى عُمان مع جماعة من الأزد بعد فشل ثورة شبيب بن يزيد الشيباني (١١٤) سنة ٧٧هـ/ ٦٩٦م ، وبقي في عُمان حتى وفاته سنة ٨٤هـ/ ٧٠٣م (١١٥) . وعبدالله ابن الحارث بن نوفل (١١٦) الذي تولى إمارة البصرة وأقره عليها عبدالله بن الزبير ، ولما قامت حركة عبدالرحمن بن الأشعث خرج إلى عُمان هاربًا من الحجاج وتوفي بها سنة ٨٤هـ/ ٧٠٣م (١١٧) .

ولاشك بأن اتخاذ بلاد عُمان ملجأ من قبل هؤلاء المطلوبين من السلطة الأموية ، يدل على النفوذ الذي يتمتع به سعيد وسليمان ابنا عبَّاد الجلندي في بلاد عُمان . كما يدل من جهة أخرى ، على ضعف سلطة الدولة على تلك البلاد النائية عن مركز الخلافة الأموية .

ولم تكن عُمان مجرد ملاذ ملائم لهروب المعارضين لسلطة الحجاج بن يوسف والخارجين عليه ، بل كانت - أيضاً - أرضًا خصبة لدعوة ناشطة ، تمثلها الحركة الإباضية إحدى حركات الخوارج التي ظهرت في البصرة - بالعراق - وامتدت إلى عُمان ، وكان تأثيرها قويًا في البصرة ويلقى رواجًا كبيراً (١١٨) .

وكان يمثل الحركة الإباضية في البصرة الفقيه والعالم جابر بن زيد الأزدي (١١٩) ، فكان يفتيهم ويبين لهم تعاليم هذه الدعوة ، ويدل على ذلك مايرويه ابن سعد عن إياس

ابن معاوية (ت ١٢٢هـ/ ٧٤٠م)، حيث يقول: " أدركتُ البصرة ومفتيهم رجل من أهل عُمان جابر بن زيد " [١٢٠].

والملاحظ، أن نفوذ جابرَ بن زيد قد تزايد في العراق خلال ولاية الحجاج بن يوسف عليها. فانتشرت تعاليمه وأفكاره المُعبرة عن الحركة الإباضية في البصرة، وساعد على ذلك الارتباط الجغرافي والبشري بين عُمان والبصرة. وكانت تلك الأفكار والعقائد الإباضية الموجهة سياسيًا والمنتشرة في البصرة عن طريق عُمان - ناهيك عن التجاء الكثير من المعارضين والمناوئين لسياسة الحجاج بن يوسف إلى عُمان -، تمثل مصدر خطر لسلطة الدولة الأموية ونفوذ الحجاج بن يوسف الواسع في العراق وغيره من الأقاليم الإسلامية.

ومما زاد في حدة الخلاف ووسّع هوة الانقسام بين الحجاج بن يوسف وأهالي عُمان، نفوذهم السياسي ونشاطهم العسكري، والذي تمثل في مشاركتهم للثورات المعارضة لبنى أمية. فعندما عيّن الحجاج بن يوسف محمد بن صعصعة الكلابي [١٢١]، عاملاً على البحرينْ وضم إليه عُمان [١٢٢] سنة ٧٩هـ/ ٦٩٨م، ثار عليه في البحرين " الريان النكري " [١٢٣]، وتحالف مع الريان وانضم إليه من عُمَان ميمون الحروري [١٢٤]. وذلك لمساندته ونصرته. فلم يستطع محمد بن صعصعة مواجهتهما، فما كان منه إلا أن ركب البحر هاربًا، حتى وصل إلى الحجاج بن يوسف [١٢٥].

ولعل من أهم الأسباب التي دفعت الحجاج بن يوسف لإخضاع بلاد عُمان، موقعها الجغرافي ذو الأهمية الاستراتيجية، فبعد أن بسط الحجاج نفوذه في العراق والأقاليم الشرقية واستقرت له الأمور - بعد قضائه على حركة عبدالرحمن بن الأشعث سنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م - رمى بطرفه إلى عُمان طامحًا في مد دائرة سلطة الدولة الأموية نحو الجنوب لبسط سيطرتها على سواحل الخليج العربي وخليج عُمان، لاسيما وأن هذه المنطقة كانت تمثل أهمية خاصة لخطوط الملاحة التجارية إلى بحر الهند والبلاد الواقعة على سواحله [١٢٦].

والواقع أن التوسع الجغرافي الذي ارتآه الحجاج بن يوسف يمثل تعبيراً عن رغبة

الدولة الأموية في تحسين مركزها الاستراتيجي ، إذ إنها باستيلائها على عُمان تكتسب منطقة نفوذ وأرضًا جديدة تقدم لها مزايا استراتيجية بسواحلها الطويلة على البحار ، ومنفذًا - في نفس الوقت - بحريًا وتجاريًا متصلاً بالعراق . ولم يكن الحجاج بن يوسف ليستطيع أن يمد نفوذ الدولة الأموية السياسي والعسكري إلى مناطق بحر الهند ، وبالتالي تأمين الطرق البحرية تمهيدًا للفتوحات في السند دون ضمان السيطرة على سواحل عُمان (١٢٧) .

والمرجح أن يكون غنى بلاد عُمان (١٢٨) وكذلك وفرة الأموال بها ، والتي كانت تتدفق عليها بوساطة الرسوم والضرائب التي كان يفرضها سعيد وسليمان ابنا الجلندي على مدن الساحل والسفن العابرة لتلك المنطقة ، من الحوافز التي شجعت الحجاج بن يوسف للاستيلاء على عُمان . إذ يبدو أن الحجاج بن يوسف أراد أن يكسر احتكار بني الجلندي الاقتصادي على سواحل عُمان ومدنه ، ويحوّل ذلك الدخل المالي الذي كانوا يجنونه ويدخرونه ليكون مصدر دخل جديد للدولة الأموية ، التي كانت في أمس الحاجة لتلك الأموال (١٢٩) .

لاريب إذن، بأن تلك الأسباب - سواء ماكان منها سياسيًا أو اقتصاديًا أو جغرافيًا - ، كانت هي المحرك لسياسة الحجاج بن يوسف الهادفة لبسط سيطرته المباشرة على بلاد عُمان وضمها للدولة الأموية . وسعيًا وراء الوصو ل لهذا الهدف ، قام الحجاج بن يوسف بإرسال العديد من الحملات العسكرية إلى عُمان خلال حكم سعيد وسليمان ابنى الجلندي ، ولكنها جميعًا لم تلق سوى الهزيمة تلو الهزيمة على يديهما (١٣٠) .

وتكاد تُجمع المصادر المتاحة على أن أول حملة رئيسية أرسلها الحجاج بن يوسف إلى عُمان كانت بعد القضاء على حركة عبدالرحمن بن الأشعث سنة ٨٣ هـ / ٧٠٢ م ، حيث قام بإرسال جيش بحري وفي سفن كثيرة بقيادة القاسم بن سعر السعدي (١٣١) الذي وصل لبلاد عُمان وأرسى سفنه في قرية حطاط على الساحل (١٣٢) .

ومن جهة أخرى ، لم يقف بنو الجلندي منتظرين وصول هذه الحملة البحرية ، بل

تأهبوا وأعدوا لها عدتهم ، وتولى أمر مواجهتها سليمان بن عبَّاد الجلندي ، الذي سار إلى قرية حطاط ، حيث التقى بجيش القاسم بن سعر ، ودارت بين الطرفين معركة عنيفة ، انتهت بهزيمة القاسم بن سعر ، حيث قتل هو والكثير من قواته ، واستولى سليمان بن عبَّاد على أموالهم وعتادهم [١٣٣] .

ويدل انتصار العُمانيين على جيش الحجاج بن يوسف دلالة واضحة على مدى التأييد الذي كان يلقاه ابنا عبَّاد الجلندي في عُمان . كما أنه يبرز ، من ناحية أخرى ، مدى نصرة القبائل الأزدية لابني عبَّاد الجلندي ، وإصرارهم على الاستقلال ببلاد عُمان وإدارة شؤونهم بأنفسهم .

ولكن هذه الهزيمة القاسية لم تثن الحجاج بن يوسف عن عزمه للسيطرة على عُمان وربطها إداريًا بالدولة الأموية ، بل ترتب عليها أن اتخذ الحجاج بن يوسف إجراءات انتقامية جديدة أشد فعالية في مواجهة أهالى عُمان وحكامها ، وتمثل ذلك في التالي :

١ - أعد جيشًا كبيرًا يبلغ تعداده أربعين ألفًا ، ويتكون من القبائل النزارية [١٣٤] ، وكان يهدف من وراء ذلك استعمال العصبية القبلية النزارية ضد القبلية الأزدية بعُمان ، وذلك لتحقيق مصلحة الدولة [١٣٥] .

٢ - شدّد الرقابة على الأزد الذين بالبصرة ، وذلك لمنعهم من مساعدة سليمان بن عبَّاد الجلندي وأهالي عُمان[١٣٦] ، حيث إن البصرة تتصل بعُمان اتصالاً وثيقًا؛ بشريًا وثقافيًا وجغرافيًا .

٣ - عيّن مجاعة بن سعر السعدي[١٣٧] على قيادة هذا الجيش ، وهو قائد ذو كفاءة عسكرية ، كما أنه أخو القاسم بن سعر السعدي الذي قُتل في الحملة السابقة [١٣٨] .

ويبدو أن الحجاج بن يوسف أراد بهذا التعيين إخضاع بلاد عُمان إخضاعًا تامًا على يد القائد مجاعة ، وفي نفس الوقت ، إثارة حميته في الثأر لأخيه الذي قُتل صلبًا في الحملة السابقة . ويؤكد ذلك ابن حبيب ، حيث يذكر بأن أهالي عُمان قاموا بصلب

القاسم فوجه الحجاج بن يوسف اليهم أخاه مجاعة الذي أخضعهم وانتقم منهم [١٣٩] .

والواقع أن كفاءة الحجاج بن يوسف الإدارية والعسكرية وعلمه باستراتيجية وفن التدبير الحربي ، لم تقتصر على إعداده لهذا الجيش ، بل بدت جليّة في تنظيمه ، فقد قام بتقسيمه إلى قسمين ، كل قسم يتكون من عشرين ألف محارب ، وقد سير أحد الأقسام عن طريق البحر بقيادة مجاعة بن سعر ، وسير القسم الآخر عن طريق البر [١٤٠] . ويبدو أن الحجاج بن يوسف كان يهدف ، بتقسيمه هذا الجيش ، إلى إرباك قوات ابني عبَّاد الجلندي وإنهاكها ، وإرغامها على القتال على جبهتين وفي ساحتين في وقت واحد .

وقد وصل الجيش البري لبلاد عُمان أولاً ، فلاقاه سليمان بن عبَّاد واستطاع بمن معه من فرسان الأزد - وكان عددهم ستة آلاف ونصف - ، الصمود والمقاومة ، وبعد قتال عنيف استطاع سليمان بن عبَّاد وفرسانه إلحاق هزيمة بالجيش البري قرب قرية بوشر [١٤١] ، ثم تعقبوه وطاردوا فلوله المنهزمة [١٤٢] .

ومن جهة أخرى ، لم يكن سليمان بن عبّاد يعلم شيئًا عن الجيش البحري بقيادة مجاعة بن سعر ، والذي وصل لعُمان وأرسى سفنه - التي تكون منها أسطوله وعددها ثلاثمائة سفينة - ، بالقرب من مدينة جلفار [١٤٣] .

وقد وقف مجاعة بن سعر على حقيقة أمر قوات سعيد بن عبَّاد ، وعَلِمَ بأن مابقى معه عبارة عن مجموعة قليلة من الجنود ، وأن غالبية الجيش قد خرج مع أخيه سليمان ابن عبَّاد لمقابلة الجيش البري [١٤٤] . فسارع مجاعة بن سعر وجَدَّ في السير إلى سعيد بن عبَّاد ، وهاجمه عند مدينة بركا [١٤٥] ، فما كان أمام سعيد بن عبَّاد إلا أن يحجم عن الحرب وينحاز عن عدوه مجاعة ، وقد أُرغمَ مضطراً - لقلة جنوده وقد أصيب وقُتلَ الكثير منهم - إلى الإنسحاب بمن معه من النساء والأطفال والأعوان واللجوء ليلاً إلى الجبل الأخضر بعُمان ، حيث حوصر هناك [١٤٦] .

ولم يكن في مقدور سليمان بن عبَّاد إنقاذ أخيه سعيد وفك الحصار عنه ، إلا بعد أن أوقع الهزيمة بجيش مجاعة البحري عند ميناء مسقط وأحرق مايزيد عن خمسين سفينة من التي كان يتكون منها أسطوله ، بينما لاذت أغلب السفن الباقية بالفرار [١٤٧] .

ولم يفتر سليمان بن عبَّاد ، بل استمر في متابعة قوات مجاعة بن سعر ، الذي اضطر إلى اللجوء لساحل البحر ، وفي قرية سمائل [١٤٨] حقق سليمان بن عبَّاد نصراً آخرَ بهزيمته لقوات مجاعة بن سعر الذي أُرغمَ على الانسحاب ، وركوب مابقي معه من سفن والالتجاء لقرية جلفار ، ومن هناك أرسل للحجاج بن يوسف يطلب منه المدد والنجدة [١٤٩] .

ويبدو أن تلك الهزيمة القاسية قد أهمّت الحجاج بن يوسف وأقلقته ، فما كان منه إلا أن أمد مجاعة بن سعر بقوة عسكرية قوامها خمسة آلاف فارس من بادية الشام بقيادة عبدالرحمن بن سُلَيمْ الكلبي [١٥٠] .

وعندما وصل لعلم سعيد وسليمان ابني عبَّاد الجلندي أخبار هذه الإمدادات الجديدة ، لم يكن في مقدورهما مواجهتها والاستمرار في القتال والمقاومة ، بعدما استنفذا طاقتهما وأُنهكت قواتهما . ولذا ، فقد كان من الطبيعي أن تجبرهما هذه الضغوط العسكرية على الانسحاب بعوائلهم وأطفالهم ومتاعهم ، والالتجاء إلى أرض الزنج [١٥١] (الساحل الشرقي لإفريقيا) ، حيث ماتا هناك [١٥٢] .

والمرجح أن اختيار سعيد وسليمان شرق إفريقيا ملاذًا لهما ، راجع لوجود مؤيدين لهما في تلك الأراضي . أو ربما كان لهما هناك نفوذ مبني على علاقات سياسية وتجارية مع سكانها [١٥٣] . يرجح ذلك ، امتداد نشاط العُمانيين - المشتهرين بالملاحة - إلى سواحل إفريقيا الشرقية ، ووجود جالية كبيرة من العُمانيين المستوطنين في الساحل الشرقي لإفريقيا [١٥٤] .

والمؤكد أن رحيل سعيد وسليمان لشرق إفريقيا ، ترتب عليه نتائج خطيرة حَلَّتْ ببلاد عُمان ، فأصبحت تحت رحمة جيشي مجاعة بن سعر وعبدالرحمن بن سُلَيمْ ، اللذين دخلا عُمان وتسلطا عليها ، وقاما بمعاقبة الأهالي والسكان لدورهم في مشاركة وتأييد بني الجلندي .

وقد أسهبت المصادر في ذكر الأهوال والمعاناة التي حلت بالعُمانيين وقاسوا منها إبَّان إخضاعهم ، والتي تمثلت في القتل والنهب . ولم يقتصر ذكر تلك النوائب

والنكبات على المصادر العُمانية التي تشير بأن مجاعة وعبدالرحمن دخلا عُمان : " ففعلا فيها غير الجميل ، ونهباها ، نعوذ بالله من ذلك " [١٥٥] ، بل يؤكد وقوع تلك السياسة القمعية ماذكره ابن حبيب ؛ من أن مجاعة بعد دخوله عُمان وجد أخاه القاسم مصلوبًا ، فأراد أصحابه إنزاله فرفض مجاعة ذلك ؛ وعاث فى أهل عُمان وتشفى منهم ، ثم قام – فيما بعد – بإنزال أخيه المصلوب [١٥٦] .

ويبدو أن رؤية مجاعة لمشهد أخيه مصلوبًا ، قد أثار دفين حقده ضد أهالي عُمان ، فعاقبهم أزجر عقوبة ، وقتل الكثير منهم [١٥٧] .

ولاريب بأن تلك السياسة الانتقامية القاسية المستهدفة إخضاع بلاد عُمان – والتي كانت تلتهب بنار البغضاء والتشفي ضد أهالي عُمان – ، كانت نتيجة حتمية لما لاقته جيوش الأمويين من هزائم متكررة علي يد العُمانيين وقادتهم. كما أنها تدل ، من ناحية أخرى ، على عزم الحجاج بن يوسف الأكيد للسيطرة على عُمان وإخضاعها إخضاعًا تامّاً ومباشرًا للسلطة الأموية ، وهذا ما تم . حيث أُلحقت بلاد عُمان بالسلطة الأموية ، وفقدت حكمها المحلي بانهزام قادتها ابني الجلندي ورحيلهم ، فانهار ماصارعوا من أجل الحفاظ عليه طويلاً .

وقد اضطلع الحجاج بن يوسف بما أُسند إليه ، فقام بتنظيم شؤون عُمان الإدارية وأشرف عليها ؛ فعيّن الخيار بن سبرة المجاشعي عاملاً على عُمان سنة ٨٥هـ / ٧٠٤م [١٥٨] .

وقد كان من الطبيعي أن يلقى إخضاع الحجاج بن يوسف لعُمان وأهاليها ، ترحيبًا وارتياحًا ، اغتبطت به أوساط الدولة الأموية ، خصوصًا وأنه أتى بعد نكبات متكررة لجيوشها . وكان لهذا النصر صدى واسع تردد في أرجاء الدولة الإسلامية [١٥٩] .

ثم استتبت الأمور للحجاج بن يوسف في بلاد عُمان بعد إخضاعها . ومما يدل على استحكام قبضته بها ؛ أنه اتخذها مكانًا للنفي والإبعاد السياسي ؛ حيث قام بنفي جابر بن زيد الأزْدي إلى عُمان [١٦٠] . وذلك بسبب تزايد نفوذه وتعاليمه ، ذات الصلة بحركة الخوارج الإباضية في البصرة [١٦١] . وقد بقي جابر بن زيد في عُمان فترة من

الزمن ، ثم توفي في البصرة سنة ٩٣هـ / ٧١٢م [١٦٢] .

والملاحظ أن نفي جابر بن زيد إلى عُمان ، ومكوثه بها تلك الفترة الزمنية ، كان له تأثير معاكس لما أراد الحجاج بن يوسف . فقد قَوَّى ذلك من أمر الحركة الإباضية فثبتت قواعدها في بلاد عُمان وانتشرت بعد ذلك [١٦٣] .

ومن المؤكد ، أن سيطرة الحجاج بن يوسف على بلاد عُمان ، قد ترتبت عليها أمور في غاية الأهمية ، إذ استطاع الحجاج بن يوسف أن يوسع دائرة ومجال عمله الحربي ، ويفتح آفاقًا جديدة للدولة الأموية ؛ وذلك بأن يبسط سيطرته على طرق الملاحة المرتبطة بساحل الخليج العربي ، ويُؤمن - في نفس الوقت - الطرق البحرية إلى المحيط الهندي ، ناهيك عن مد نفوذه على تلك المنطقة تمهيداً لفتح السند . ومما ساعد الحجاج ابن يوسف على ذلك النشاط ، أهمية سواحل عُمان في الملاحة الدولية ، وخبرة أهلها في شؤون الملاحة البحرية وفنونها [١٦٤] .

ومن هنا ، وبسبب هذه الأهمية ، اتخذ الحجاج بن يوسف بلاد عُمان قاعدة عسكرية لانطلاق الحملات البحرية المتجهة لفتح بلاد السند ؛ فعندما تعرضت إحدى السفن التجارية - التابعة للمسلمين - لاعتداء قراصنة الديبل [١٦٥] ، وهددوا بذلك قطع طرق التجارة البحرية ، كتب الحجاج بن يوسف إلى بديل بن طهفة البجلي [١٦٦] ، وهو بعُمان يأمره أن يجهز حملة بحرية ويسير بها إلى الديبل [١٦٧] .

واستمرت بلاد عمان مركزًا للنشاط البحري خلال ولاية الحجاج بن يوسف على العراق . ويبدو أن سواحل عُمان وغيرها من سواحل الخليج العربي ، قد اُتُّخذَتْ قاعدة انطلاق للحملة البحرية المساندة لحملة محمد بن القاسم الثقفي البرية على بلاد السند سنة ٩٣ هـ / ٧١٢ [١٦٨] .

والجدير بالذكر ، أن نفوذ الدولة الأموية في بلاد عُمان ، وسيطرتها عليها تراوح مابين القوة والضعف تبعًا لأوضاع الدولة الأموية الداخلية وظروفها السياسية . ففي عصر قوة الدولة الأموية وخلال ولاية الحجاج بن يوسف على العراق ، كانت بلاد عُمان - بعد إخضاعها - تحت رقابته وإشرافه ، وظل عماله ، بنفوذهم المطلق ، على بلاد

عُمان ؛ حيث بقي الخيار بن سبرة المجاشعي وعبدالرحمن بن سُليم الكَلْبي يديران الأمور بعُمان حتى وفاة الحجاج بن يوسف سنة ٩٥هـ / ٧١٣م (١٦٩) .

وعندما آلت الخلافة إلى الوليد بن عبدالملك (٨٦- ٩٦هـ / ٧٠٥ - ٧١٥م) ، عيّن - بعد وفاة الحجاج بن يوسف - يزيدَ بن أبي مسلم الثقفي (١٧٠) واليًا على العراق ، فبعث هذا الوالي الجديد بسيف بن الهاني الهمداني ليكون عاملاً على عُمان (١٧١) .

والواقع أن سلطة الأمويين السياسية على بلاد عُمان كانت نافذة أثناء خلافة عبدالملك وابنه الوليد ، ولاغرو في ذلك فقد كانت تستمد قوتها من سياسة هذين الخليفتين الحازمة وإشرافهما الإداري الفعّال ، ليس فقط على بلاد عُمان ، وإنما على جميع أقاليم الدولة الإسلامية .

غير أن النفوذ السياسي الذي تحقق في عهد هذين الخليفتين ، وبدا واضحًا في سيطرتهما على الأقاليم والبلاد الإسلامية الواسعة ، بدأ يخف تدريجيًا عن بلاد عُمان ، وذلك منذ عهد الخليفة سليمان بن عبدالملك (٩٦ - ٩٩ هـ / ٧١٥ - ٧١٧ م) . الذي اتخذ سياسة إدارية تختلف تمامًا ومضادة لسياسة والده عبدالملك وأخيه الوليد ، حيث قام بعزل وإقصاء العمال والولاة السابقين ، الذين وقفوا ضد بيعته بالخلافة وعيّن بدلاً عنهم عمالاً وولاة جددا (١٧٢) . وقد عمّ ذلك التغيير بلاد العراق ، التي ترتبط بإدارتها بلادُ عُمان .

ففي سنة ٩٦ هـ /٧١٥.م ، عيّن الخليفة سليمان بن عبدالملك يزيد بن المهلب بن أبي صفرة (١٧٣) عاملاً عامًا على العراق ، وعيّن صالح بن عبدالرحمن مسؤولاً عن خراجها (١٧٤) . وقد قام هذان الواليان بتغييرات إدارية في بلاد عُمان ، فقام والي خراج العراق الجديد - صالح بن عبدالرحمن - بتعيين عبدالرحمن بن قيس الليثي عاملاً على عُمان (١٧٥) . ثم أعطى له صلاحيات إدارية جديدة، إذ جعله مُشرفًا عامًا على جميع عُمال بلاد عُمان (١٧٦) .ممايدل على وجود تنظيم سياسي وإداري لبلاد عُمان ؛ يتمثل في تعيين عامل رئيسي يتبعه عدة عُمال موزعين على مدن وقرى بلاد عُمان . وبالرغم من ذلك فَالمصادر المتاحة لاتمدنا بمعلومات عن أسماء هؤلاء العمال وصلاحياتهم

السياسية .

والواقع أن سياسة الخليفة سليمان بن عبدالملك المناوئة لسياسة أخيه الوليد بن عبدالملك في اختيار الولاة ، ترتب عليها توسع سلطات ولاة الأقاليم على حساب السلطة المركزية . ومن هنا ، مُنح حكام الأقاليم قسطًا كبيرًا من السيادة . وانعكس ذلك على بلاد عُمان حيث بدأ العُمانيون يتمتعون بنوع من الاستقلال الداخلي . وقد ظهر ذلك جليًا خلال ولاية يزيد بن المهلب بن أبي صفرة على العراق سنة ٩٦هـ / ٧١٥م ، والذي قام بتعيين أخيه زياد بن المهلب عاملاً على بلاد عُمان [١٧٧] .

ولاشك أن زياد بن المهلب قد خُوّلت له سلطات واسعة في بلاد عُمان ؛ مكنته من تنفيذ سياسته الانتقامية العنيفة ضد عمال الحجاج بن يوسف السابقين على عُمان ، - والذين كانوا قد أساءوا المعاملة لأهالي عُمان من الأزد وساموهم الذل والهوان - ؛ حتى إنه قام بصلب عامل الحجاج السابق على عُمان وهو الخيار بن سبرة المجاشعي [١٧٨] .

وظل زياد بن المهلب عاملاً على بلاد عُمان حتى وفاة الخليفة سليمان بن عبدالملك سنة ٩٩هـ / ٧١٧م ، وكانت سياسته الإدارية لبلاد عُمان تلقى القبول والرضا من أهالي عُمان ، لما فيها من خير وإحسان تجاههم [١٧٩] .

ولاغرابة أن يكون زياد بن المهلب محل رضا وقبول من سكان عُمان لقيامه بالانتقام لهم ممن أساء إليهم ، فقد كان يُنسب إلى قبيلة الأزد ؛ وهي قبيلة ذات نفوذ في عُمان . كما كان يمثل الخليفة سليمان بن عبدالملك وسياسته القمعية تجاه الحجاج بن يوسف ومن كان يمثله من عمال .

ثم بدأت الأحوال السياسية لبلاد عُمان تتخذ طوراً جديداً أثناء خلافة عمر بن عبدالعزيز القصيرة (٩٩ - ١٠١ هـ / ٧١٧ - ٧٢٠ م) ؛ فعندما وُلي عدي بن أرطأة الفزاري [١٨٠] إمارة البصرة سنة ٩٩هـ / ٧١٧م ، قام بتعيين سعيد بن مسعود المازني عاملاً على عُمان [١٨١] . وكانت سياسة هذا العامل الجديد تتسم بالظلم والتعسف في جباية الأموال وأخذ الضرائب ، والإساءة - أيضًا - لأهالي عُمان [١٨٢] . ويبدو أن

الأمر قد وصل بهذا العامل إلى حد أنه أخذ الزكاة على السمك، حتى أن الخليفة عمر ابن عبدالعزيز أنكر عليه ماصنع، وأرسل إليه ينهاه عن ذلك ويأمره بأن لايأخذ على زكاة السمك شيئًا حتى يبلغ مائتي درهم (١٨٣) .

وقد غرست سياسة هذا العامل بذور التذمر والاستياء عند أهالي عُمان، فكتبوا إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز يتظلمون من سياسة عامله عليهم (١٨٤) .

ويبدو أن الخليفة عمر لم يكن راضيًا عن سياسة عامله في بلاد عُمان. ويؤيد ذلك رد فعله العنيف، والسريع في نفس الوقت؛ حيث أمر بأن يُؤتى بذلك العامل مقيداً، وعاقبه بعزله عن عُمان، ثم عيّن بدلاً عنه عمرو بن عبدالله الأنصاري (١٨٥) ، الذي اتسمت سياسته بالإصلاح والإحسان إلى أهالي عُمان (١٨٦) .

والحق أن سياسة الخليفة عمر بن عبدالعزيز العادلة، قد تمثلت بأوضح صورها في الإجراءات الاقتصادية التي اتخذها تجاه أهالي عُمان. وليس أدل على ذلك من تلك الرسالة التي أرسلها الخليفة عمر إلى عامله على البصرة عدي بن أرطأة حيث كتب يقول له :

" أما بعد، فإني كنتُ كتبتُ إلى عمرو بن عبدالله [الأنصاري] أن يُقسم ماوجد بعُمان من عشور التمر والحب في فقراء أهلها، ومن سقط إليها من أهل البادية، ومن أضافته إليها الحاجة والمسكنة وانقطاع السبيل، فكتب إليّ إنه سأل عاملك قبله عن ذلك الطعام والتمر فذكر أنه قد باعه وحمل إليك ثمنه، فأردد إلى عمرو ماكان حمل إليك عاملك على عُمان من ثمن التمر والحب ليضعه في المواضع التي أمرته بها ويصرفه فيها إن شاء اللّه والسلام " (١٨٧) .

ويدل فحوى هذه الرسالة على أن العشور والصدقات التي كانت تُجبى ببلاد عُمان لم تكن تُرسل كلها إلى البصرة - المركز السياسي والإداري المرتبطة به بلاد عُمان - ، بل كانت توزع على فقراء عُمان، ومن التجأ إليها معتازًا أو محتاجًا من سوء حال أو فقر. كما تؤكد هذه الرسالة سياسة الخليفة عمر التي كانت تقضي بالاستمرار في توزيع بعض الصدقات على أهالي عُمان وسكانها، وهي السياسة الاقتصادية التي سار عليها

الخلفاء الراشدون من قبل .

واستمر عمرو بن عبدالله الأنصاري عاملاً على بلاد عُمان حتى وفاة الخليفة عمر ابن عبدالعزيز سنة ١٠١هـ/ ٧٢٠م ، وكان معززاً ويلقى الرضا من أهالي عُمان ؛ حتى إنه كان يأخذ صدقاتهم المخصصة لبيت مال المسلمين بنفس راضية وقانعة (١٨٨) .

وبعد وفاة الخليفة عمر بن عبدالعزيز ، اضطرب حبل الأمور بالبصرة - قاعدة العراق - ، حيث استطاع يزيد بن المهلب بن أبي صفرة السيطرة عليها ، واستفحل أمره حتى إنه خلع طاعة وبيعة الخليفة الأموي يزيد بن عبدالملك بن مروان - (١٠١ - ١٠٥هـ/ ٧٢٠ - ٧٢٤م) - سنة ١٠١هـ/ ٧٢٠م (١٨٩) .

وقد انقادت الأمور السياسية ليزيد بن المهلب في البصرة - موطن أسرته من المهالبة ومستقر قبيلته أزد عُمان - ؛ فقام باتخاذ إجراءات إدارية ؛ حيث عيّن أخاه زياد ابن المهلب عاملاً على عُمان (١٩٠) .

ونتيجة لذلك لم يجد عامل عُمان السابق عمرو الأنصاري بدّاً من أن يتخلى عن إمرته على بلاد عُمان لزياد بن المهلب قائلاً له : "هذه البلاد بلاد قومك ، فشأنك بها" (١٩١) .

والجدير بالذكر ، أن عُمان خلال سيطرة يزيد بن المهلب على البصرة - وبسبب استقلاليتها ونفوذ قبيلة الأزد بها ، والتي يُمثلها عاملها زياد بن المهلب - ، قد شاركت في الأحداث السياسية التي حصلت في العراق ؛ فخلال ثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، على سلطة الأمويين ، وخلع بيعته وطاعته للخليفة الأموي يزيد بن عبدالملك ، أيده أهالي عُمان والتفوا حوله وقدموا إليه شادين على عضده . ويؤكد ذلك الطبري حيث يروى أنه عندما سيطر يزيد بن المهلب على البصرة سنة ١٠١هـ/ ٧٢٠م كَثُرَ جمعُهُ فانضم إليه مجموعة من أهالي عُمان لنصرته والقتال معه (١٩٢) . وعندما أوشكت حركته على الهزيمة أُشير عليه بأن يلتجئ إلى مدينة واسط (بين البصرة والكوفة) ويتحصن بها ، إلى أن تأتيه الإمدادات ويأتيه أهل عُمان والبحرين في السفن للذود عنه (١٩٣) .

وهكذا ، كانت بلاد عُمان أثناء ولاية زياد بن المهلب ، تتمتع باستقلال ذاتي تمثل في مناصرة حركة يزيد بن المهلب ضد السلطة الأموية .

ولكن ، هل استمر زياد بن المهلب يتمتع بتلك السيادة على بلاد عُمان ؟ .

الواقع أن زياد بن المهلب لم يهنأ طويلاً بذلك الاستقلال على بلاد عُمان . فبعد قضاء مسلمة بن عبدالملك (أخو الخليفة يزيد بن عبدالملك) ، على حركة يزيد بن المهلب سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠م ، عُوقبت أسرة آل المهلب ، حيث قُتل أغلبهم وكان منهم زياد بن المهلب (١٩٤) .

ثم عادت من جديد أمور عُمان السياسية إلى سلطة الدولة الأموية ، بعد أن عيّن الخليفة يزيد بن عبدالملك أخاه مسلمة بن عبدالملك واليًا على العراق (١٩٥) . وقد قام مسلمة بن عبدالملك بتوزيع الولايات التي كان يليها يزيد بن المهلب على عمال جدد ، فعين على البصرة وعُمان عبدالرحمن بن سُلَيْم الكلبي (١٩٦) . وقد استخلف عبدالرحمن بن سُلَيْم على عُمان محمد بن جابر الراسبي ؛ الذي كان له نفوذ وسلطة قوية في تلك البلاد (١٩٧) .

على أن الغموض يكتنف تاريخ بلاد عُمان في خلافة هشام بن عبدالملك الطويلة (١٠٥ - ١٢٥ هـ / ٧٢٤ - ٧٤٣م) ، وأثناء ولاية خالد بن عبدالله بن يزيد القَسْري على العراق (١٩٨) ، حيث لاتشير المصادر المتاحة إلى كيفية سياسة بلاد عُمان ، دع عنك أحوالها الداخلية .

ويبدو أن عُمان في هذه الفترة كانت تحت نفوذ والي العراق خالد بن عبدالله بن يزيد القسري . يؤكد ذلك أوضاعها في عهد الخليفة الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان (١٢٥ - ١٢٦ هـ / ٧٤٣ - ٧٤٤م) ، والذي تولى الخلافة بعد هشام بن عبدالملك بن مروان حيث كانت عُمان تحت سيطرة الأمويين ، وكان العامل المُعين عليها هو الفيْض بن محمد (١٩٩) ، وقد استعمله على عُمان والي العراق يوسف بن عمر الثقفي (٢٠٠) .

وقد يدل وجود عامل معين على بلاد عُمان على بقاء نفوذ الأمويين السياسي منذ

عهد الخليفة هشام بن عبدالملك ، فمن المستبعد أن يستطيع الوليد بن يزيد بن عبدالملك خلال فترة حكمه القصيرة واضطراب الأحوال السياسية الداخلية أثناء خلافته ، أن يكون له نفوذ يتمثل في تعيين عامل على عُمان ، بل يبدو أنها كانت استمرارية لسياسة إدارية قوية منذ عهد الخليفة هشام بن عبدالملك .

وقد انتهت خلافة الوليد بن يزيد بن عبدالملك بمقتله على أيدي أفراد من الأسرة الأموية أنفسهم سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٤ م . وكان هذا نذيراً بتفرق شمل الأمويين وسقوط دولتهم . ويؤكد ذلك الطبري حيث يقول : "وفي هذه السنة (١٢٦هـ / ٧٤٤م) اضطرب حبل بني مروان وهاجت الفتنة" (٢٠١) .

ثم تفاقم الصدع بالدولة الأموية ، وذلك منذ خلافة مروان بن محمد سنة ١٢٧هـ / ٧٤٤م ، حيث بدأت الولايات والبلدان الإسلامية بالثورة والخروج عن طاعتهم . وعلى النقيض من ذلك ، بدأت سيادة العُمانيين تتضح على بلاد عُمان بقيادة جلندي بن مسعود بن جلندي (٢٠٢) .

ويدل على استقلال جلندي بن مسعود ببلاد عُمان ، النفوذ السياسي القوي الذي كان يتمتع به هناك ، فعندما ثار الخوارج الصُفَّرية بقيادة شيبان بن عبدالعزيز اليشكري ، استطاع الخليفة مروان بن محمد أن يهزمهم ، ولكن زعيمهم شيبان اليشكري فر إلى عُمان ، فحاربه جلندي بن مسعود وقام بقتله سنة ١٢٩هـ / ٧٤٦م (٢٠٣) .

والمرجح أن موقف جلندي بن مسعود هذا ، كان يمليه عليه العداء المستحكم والنفور المتبادل بين خوارج عُمان الإباضية ، والخوارج الصُفَّرية والتي كانت تختلف عنهم منهجًا وعقيدة . وربما كان هذا الموقف نابعًا - أيضًا - من تمتع بلاد عُمان بحكمها المحلي ، والذي أراد جلندي بن مسعود المحافظة عليه .

ولعل - أيضًا - مايُظهر نفوذ بني الجلندي في عُمان ترحيبهم بالخارجين على السلطة الأموية ؛ ففي نفس الوقت ، الذي وقف فيه جلندي بن مسعود ضد الخوارج الصُفَّرية وحاربهم ، لم يعترض على التجاء عبدالرحمن بن يزيد بن المهلب (٢٠٤) إلى عُمان والتي هرب إليها سنة ١٢٩هـ / ٧٤٦م (٢٠٥) . وذلك بعد مشاركته في حركة

عبدالله بن معاوية بن أبي طالب [٢٠٦]، والتي انتهت بالهزيمة على أيدي الأمويين [٢٠٧].

ولاغرابة أن يحتمي عبدالرحمن بن يزيد بن المهلب بعُمان، فهي أساسًا موطن قبيلته الأزد، وكان عمه من قبل، زياد بن المهلب، عاملاً عليها.

ولاشك بأن انتظام الأمور واستتبابها لجلندي بن مسعود في عُمان وتلاشي نفوذ الأمويين السياسي عليها، كان راجعًا لتولي إدارة بلاد عُمان في أواخر العصر الأموي عُمال ينتسبون إلى قبيلة الأزد [٢٠٨]، هذا بالإضافة إلى ظروف الدولة الأموية السياسية في أواخر عهدها وانشغال آخر خلفائها - مروان بن محمد - بالحروب ومواجهة الفتن والثورات التي أرجفت ببلاد كثيرة من الدولة الأموية، والتي لم يستطع معها الخليفة الأموي - بما أُوتي من جلد وشجاعة - مقاومة [٢٠٩].

ثم أَفَلتْ شمس الدولة الأموية بسقوطها سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، في حين كانت بلاد عُمان تُحكم ذاتيًا بقيادة جلندي بن مسعود. كما رست قواعد الدعوة الإباضية بها وتدعَّمت أركانها [٢١٠].

ولكن طموح أهالي عُمان - بالاستقلال وإدارة شؤونهم - ، لم يدم طويلاً [٢١١]، فما أن تولى العباسيون الخلافة، وتنفسوا الصعداء بانتصارهم واتساق الأمور لهم؛ إلا وكان الهاجس الذي يلح عليهم، هو إعادة السيطرة على الولايات والبلاد الإسلامية وإخضاعها لسلطتهم، وكان من ضمنها - بالطبع - بلاد عُمان، وهذا ماتحقق [٢١٢].

خاتمة

كان الهدف من هذه الدراسة هو محاولة الإجابة على بعض التساؤلات التي طُرحت في بدايتها حول بلاد عُمان وأوضاعها السياسية في العصر الأموي (٤١ - ١٣٢ هـ/ ٦٦١ - ٧٥٠ م).

فبيَنَتْ بأن ما اختصت به بلاد عُمان من مميزات جغرافية وسياسية وبشرية، كان

لها دورها في تماسك أهالي عُمان، وتلاحمهم، ومن ثم تمتعهم بحكم ذاتي على يد أسرة بني الجلندي. ذلك الحكم الذي تدعّم بعد إسلامهم ومناصرتهم للخلافة الإسلامية وتعاونهم معها ضد المرتدين عن الإسلام.

وأظهَرتْ مدى أهمية بلاد عُمان كقاعدة انطلاق للفتوحات الإسلامية في المناطق الشرقية في عصر الخلفاء الراشدين (١١ - ٤٠هـ / ٦٣٢ - ٦٦١م)، تلك الأهمية التي زادت وضوحًا في العصر الأموي (٤١ - ١٣٢ هـ / ٦٦١ - ٧٥٠م).

وركزت - الدراسة - على مدى العلاقة بين الإقليم التابع وبين السلطة المركزية في العصر الأموي ومايشوب تلك العلاقة من ضعف وقوة. فأشارت بأن ضعف السلطة المركزية في العصر الأموي، ترتب عليه تلاشي تلك السيطرة عن بلاد عُمان، ذلك الإقليم الذي يبدو أنه تمتع بحكم ذاتي في الفترة السفيانية، على الرغم من ضمه اسميًا لإدارة الدولة الأموية.

وبينَتْ بأن بلاد عُمان بموقعها الجغرافي الفريد وثرواتها الاقتصادية - كانت تعتبر منطقة جذب سياسي، ليس فقط للدولة الأموية، بل - أيضًا - لحركة الخوارج النجدات التي انفصلت عن الدولة الأموية ورَغبت في توسيع نطاق حدودها الجغرافية.

كما أظهَرتْ أن ضعف الدولة الأموية ومركز الخلافة ترتب عليه توسع نفوذ الأقاليم التابعة وتطلعها للاستقلال، وهذا ما حدث بالنسبة لبلاد عُمان خلال حركة ابن الزبير، واضطراب الأحوال السياسية بالدولة الأموية. فكانت بلاد عُمان باستقلالها تمثل انعكاسًا طبيعيًا لما لحق بالدولة الأموية من ضعف إبَّان تلك الفترة التاريخية.

وأوضَحتْ - الدراسة - بأن بني الجلندي كانوا من القوة والنفوذ بحيث حافَظوا على حكمهم المحلي، ورفضوا الخضوع لسلطة الخوارج النجدات، وقاوموا محاولات الأمويين العسكرية الرامية للسيطرة على بلادهم. كما أظهرت - أيضًا - رغبة الأمويين في تأكيد نفوذهم على بلاد عُمان بغرض الحصول على العديد من المزايا السياسية والمادية والاستراتيجية الجغرافية.

فمن الناحية السياسية كان القضاء على حركات المعارضة التي اتخذت تلك

البلاد ملجأ لهم . ومن الناحية المادية كان الحصول على الأموال الكثيرة التي كانت بحوزة بني الجلندي . ومن الناحية الجغرافية الاستراتيجية كان اتخاذ عُمان قاعدة بحرية للتوسع الجغرافي الذي ارتآه الأمويون .

ورجحَتْ - الدراسة - بأن بني الجلندي كانوا مدركين بأن بلادهم كانت منطقة جذب سياسي لأهميتها الجغرافية والاقتصادية ، ولذلك لم يدينوا بالولاء للأمويين وقاوموا محاولاتهم للسيطرة على بلادهم . وقد ناضلوا للمحافظة على حكمهم الذاتي وأنهكوا الأمويين بالهزائم المتكررة ، ولكن في النهاية لم يكن في مقدورهم مواجهة الدولة الأموية بجيوشها الكثيرة وتنظيمها القوي فأذعنوا مرغمين واضطروا للإنسحاب عن بلادهم . وقد أوغرت بسالة العُمانيين صدور بعض الولاة الأمويين وقادتهم العسكرين ، فلم يكتفوا بإلغاء سيادتهم عن بلاد عُمان ، بل نكلوا بهم فعانى العُمانيون من السياسة القمعية بعد إخضاع بلادهم .

وأبانَتْ بأن الفرصة التي أُتيحت للعُمانيين بالحكم الذاتي لبلادهم "عُمان" في أواخر العصر الأموي ، كانت نتيجة حتمية للظروف السياسية المضطربة ، وانقسام الأسرة الأموية ، واختلاف توجهاتها السياسية والإدارية .

ومن هنا كان الحكم المحلي لبنى الجلندي في عُمان أواخر العصر الأموي وبداية العصر العباسي يمثل انعكاسًا طبيعيًا لضعف السلطة الأموية المركزية وتضاؤل نفوذها على الأقاليم التابعة لها .

واستنتجت - الدراسة - ، بأن الحكم الذاتي الذي حظي به العُمانيون خلال تاريخ بلادهم في العصر الأموي ، لم يكن ليتكرر لولا التفاف أهالي عُمان وتحالفهم مع بني الجلندي . ذلك التحالف الذي أظهر مدى العلاقات الوثيقة والروابط القوية التي كانت بين أهالي عُمان وقادتهم من بني الجلندي ، الذين حرصوا إبَّان حكمهم على توفير احتياجات الأهالي ومطالبهم الاقتصادية .

كما لاحظت بأن تعهد العُمانيين لبنى الجلندي بالولاء والإخلاص كان بسبب جذورهم السياسية القديمة في بلاد عُمان ، التي اكتسبوها منذ ماقبل الإسلام واستمرت

تلقى القبول والرضا خلال تاريخهم في العصر الأموي .

وأشارت بأن الحكم المحلي الذي حظي به العُمانيون في بداية العصر العباسي لم يدم طويلاً ، وانتهى بتوطد دعائم الخلافة العباسية . وكان من الطبيعي أنه ليس في وسع إقليم تابع أن يكون مستقلاً بذاته في ظل دولة قوية تتمتع بقوة عسكرية كبيرة . ومن ثم أُلحقت عُمان بالدولة العباسية ، وبدأت مرحلة جديدة من مراحل الصراع من أجل الاستقلال والسيادة على بلاد عُمان ومقدراته .

وأخيراً ، لعل هذه الدراسة - بالرغم مما صادفته من ندرة في المعلومات ، وتناثرها في كثير من المصادر الإسلامية المتنوعة ، بل وتناقضها وغموضها أحيانًا - قد أجابت على بعض التساؤلات التي أُثيرت حول بلاد عُمان وأوضاعها السياسية في العصر الأموي . ولعلها - أيضًا - تكون حافزاً لدراسات أشمل وأوسع تتناول بلدان الخليج خاصة والجزيرة العربية عامة في العصر الأموي وغيره من العصور الإسلامية .

الهوامش والتعليقات

(١) انظر على سبيل المثال لاالحصر ، الدراسات التالية : **حصة عبدالرحمن الجبر** ، *عُمان في العصر الأموي* ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، قسم التاريخ ، جامعة الملك سعود ،الرياض ١٤٠٣هـ . وهي دراسة شاملة عن بلاد عُمان في العصر الأموي ، ولكنها لاتتطرق بالتفصيل لجزيئات العلاقة السياسية بين حكام عُمان (بني الجلندي) والدولة الأموية وغيرها من القوى المعاصرة في تلك الفترة مجال هذه الدراسة .جي . سي .ولكنسن ، بنو الجلندي في عُمان ، عدد ٣٦ ، عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٨١ . وهي دراسة موجزة جداً عن بني الجلندي ومكانتهم في عُمان . هذا وسيشار إلى العديد من الدراسات الأخرى وذات الصلة بتاريخ بلاد عُمان في العصر الأموي في ثنايا هذه الدراسة .

(٢) انظر : **أحمد بن محمد الهمذاني ابن الفقيه** ، مختصر كتاب البلدان ، ت . دي غويه ، ليدن : طبعة بريل ، ١٨٨٥ ، ص ١١ . **محمد بن أحمد المقدسي** ، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم* ، ت . دي غويه ، ليدن : طبعة بريل ، ١٩٠٦ ،ص ٩٣ .انظر أيضًا : **عبدالله يوسف الغنيم** ، *جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك لأبي عبيد البكري* ، ط ١ ، الكويت : ذات السلاسل للطباعة والنشر ، ١٩٧٧ ، ص ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٣) انظر : **أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي** ،كتاب *المُحَبّر* ، ت . ايلزه ليختن شتيتر =

بيروت : المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت ، ص ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٤) انظر : **إبراهيم بن محمد الأصطخري** ، *مسالك الممالك* ، ت . دي غويه ، ليدن : طبعة بريل ، ١٩٢٧ ، ص٢٥ . **ياقوت بن عبدالله الحموي** ، معجم *البلدان* ، بيروت : دار صادر ، ١٩٧٩ ، ج ٣ ، ص ٣٩٣ . وصُحار الآن من أهم مدن منطقة سهل الباطنة بسلطنة عُمان . انظر : **وزارة الإعلام** ، *عُمان ٩٠* ، عُمان : مطبعة مزون ، ١٩٩٠ ، ص٣٠ .

(٥) **المقدسي** ، *أحسن التقاسيم* ، ص٩٢ . **ياقوت** ، معجم *البلدان* ، ج ٣ ، ص ٣٩٤ .

(٦) **المقدسي** ، *أحسن التقاسيم* ، ٩٣ . **الغنيم** ، جزيرة *العرب* ، ص ص ٣٧ ، ١٤١ .

(٧) **الأصطخري** ، *مسالك الممالك* ، ص ٢٦ .وهي رملة يَبْرين . انظر : **الغنيم** ، جزيرة *العرب* ، ص ص ١٧ ، ١١٤ . **ياقوت** ، معجم *البلدان* ، ج٥ ، ص ٤٢٧ . وهي الآن صحراء الربع الخالي . انظر : **إبراهيم الشريقي** ، *أضواء على الخليج العربي ومسقط وعُمان* ، ط ١ ، جدة : مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ ، ص ٩٦ . انظر أيضًا الخريطة المرفقة في نهاية البحث .

(٨) يشير الجاحظ إلى أزد عُمان وأنهم ملاحون . انظر : **أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ** ، *كتاب الحيوان* ، ت . عبدالسلام هارون ، بيروت : دار الجيل ، ١٩٩٢ ، ج ٣ ، ص٣١٣ . الحبيب الجنحاني ، " دور عُمان في نشاط التجارة العالمية خلال العصر الإسلامي الأول " *مجلة المؤرخ العربي* ، عدد ٢١ ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ص ٩ - ١٠ .

(٩) انظر : **جواد علي** ، *المفصل في تاريخ العرب قبل السلام* ، ط ٢ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٨ ، ج ٧ ، ص ص ٢٥٦ - ٢٥٧ . **جورج فاضلو حوراني** ، *العرب والملاحة في المحيط الهندي* ، ت . يعقوب بكر ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، د . ت ، ص ص ٢٧ - ٢٩ .

(١٠) **الغنيم** ، جزيرة *العرب* ، ص ص ٣٦ ، ١٢٣ - ١٢٤ ، ١٣٢ . عبد الرحمن عبدالكريم العاني ، دور *العُمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري* ،ط٢ ، عدد ٢٦ عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٨٦ ، ص ٣١ .

(١١) انظر : **أحمد بن جعفر بن واضح اليعقوبي** ، *تاريخ اليعقوبي* ، بيروت : دار صادر ، ١٩٩٢ ، ج١ ، ص٢٠٤ . وحول قبيلة الأزد وأنسابها ، انظر : **أبو عبيد القاسم بن سلام** ، *كتاب النسب* ، ت . مريم محمد خير الدرع ، ط١ ، بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٩ ، ص ص ٢٦٧ - ٣٠٤ . **علي بن أحمد بن سعيد بن حزم** ، جمهرة *أنساب العرب* ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣ ، ج٢ ، ص ص ٣٣٠-٣٨٥ .

(١٢) **اليعقوبي** ، *تاريخ* ، ج٢ ،ص ٢٠٤ . مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ت . سعيد =

عبدالفتاح عاشور، عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٠، ص ص ٢٤-٢٦. وحول القبائل التي نزحت إلى عُمان ومنها الأزد. انظر: الجبر، *عُمان*، ص ص ٧٣-١٠٠. انظر أيضًا:

G.Strenziok, AZD, *Encyclopedia of Islam*. New Ed. Leiden: E.J.Brill.

Luzac: London, 1960, Vol, 1, pp. 811-812.

وعن دور قبيلة الأزد في تعريب منطقة الخليج العربي، انظر:

Michael G. Morony, The Arabisation of the Gulf, In *The Arab Gulf and the Arab World Ed.* **B.R.Pridham.** Croom Helm, London, pp. 11-13.

(١٣) هو الجلندي بن كركر بن المستكبر بن مسعود بن عبد العزى بن معولة بن شمس من بني نصر من الأزد. انظر: **ابن سلام**، *النسب*، ص ص ٢٩٥-٢٩٩. انظر أيضًا: **الجاحظ**، *رسائل الجاحظ*، ت. عبدالسلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ج٢، ص ص ٢٩١ - ٢٩٢.

(١٤) **ابن حبيب**، *المُحبّر*، ص٢٦٥. **سعيد الأفغاني**، *أسواق العرب في الجاهلية والإسلام*، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٩٩٣، ص ٢٥٤.

(١٥) **ولكنسن**، *بنو الجلندي*، ص١١. والرستاق: مدينة من أقدم مدن عُمان، وكانت مركزًا سياسيًا ودينيًا هامًا. انظر: د. بي. كوستا، "دراسة تمهيدية للاستقرار الحضاري القديم في عُمان"، حصاد ندوة الدراسات العُمانية، ط٢، عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٠، المجلد الخامس، ص١٥٢.

(١٦) **اليعقوبي**، *تاريخ*، ج١، ص ٢٧٠. **ابن حبيب**، *المُحبّر*، ص ص ٢٦٤-٢٦٦. **الأفغاني**، *أسواق العرب*، ص٢٦٥. انظر أيضًا:

Abdullah Abu Ezzah, The Political Situation in Eastern Arabia At The Advent of Islam'. *Proceeding of the Twelfth Seminar for Arabian Studies,* London, 1979, vol. 9, p.54.

(١٧) **عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري**، *السيرة النبوية*، ت. مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، ج٤، ص ص ٢٥٤-٢٥٥. **أحمد بن يحيى البلاذري**، *فتوح البلدان*، ت. رضوان محمد رضوان، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧، ص٨٧.

(١٨) هما جيفر وعَبد ابنا الجلندي بن المستكبر صاحب عُمان، وقد أصبحا ملكي عُمان بعد وفاة والدهما على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أسلما على يد عمرو بن العاص. انظر: **علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري ابن الأثير**، *أسد الغابة في معرفة الصحابة*، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٩، ج ١، ص ٣٧١. ج ٣، ص٤١٠. **ابن حزم**، *أنساب العرب*، ص ٣٨٤. **ابن سلام**، *النسب*، ص ٢٩٩. ويذكر صاحب مؤلف مجهول إن الجلندي قد توفي قبل الإسلام بقليل. مؤلف =

مجهول ، *قصص وأخبار جرت في عُمان* ، ت . عبدالمنعم عامر ، عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٧٩ ، ص ٢٧ . ويلاحظ ولكنسن ، أن الجلندي كان في تلك الفترة شيخًا طاعنًا في السن ، ويبدو أنه كان قد فوّض الأمر لابنيه جيفر وعبد ، وأنه توفي في تلك الفترة ، وليس هناك مايؤكد إسلامه . ولكنسن ، بنو الجلندي ص١٢٠ . وحول الجلندي وموقفة من الإسلام انظر أيضًا : **الجاحظ** ، *رسائل الجاحظ* ، ج ١ ، ص ١٨٥ .

(١٩) **ابن هشام** ، *السيرة* ، ج٤ ، ص ٢٥٤ . **محمد بن سعد بن منيع البصري** ، *الطبقات الكبرى* ، بيروت : دار صادر ، د . ت . ج ١ ص ٢٦٤ . ج ٧ ، ص ٤٩٣ . **ابن حبيب** ، *المحبّر* ، ص ٧٧ . **خليفة بن خياط العصفري** ، *تاريخ خليفة بن خياط* ، ت . أكرم العمري ، ط ٢ ، الرياض : دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥ ، ص ٩٣ . **البلاذري** : *أنساب الأشراف* ، ت . محمد حميد الله ، القاهرة : دار المعارف ، د . ت ، ج ١ ، ص ص ٥٢٩ - ٥٣٠ . **محمد بن جرير الطبري** ، *تاريخ الرسل والملوك* ، ت . محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٩ ، ج ٣ ، ص ص ٢٩ ، ٩٥ .

(٢٠) **خليفة بن خياط** ، *تاريخ* ، ص ٩٧ .

(٢١) **ابن سعد** ، *الطبقات* ، ج ١ ، ص ٢٦٣ . **البلاذري** ، *فتوح البلدان* ، ص ٨٨ . **الطبري** ، *تاريخ* ، ج ٣ ، ص ٩٥ . **ابن الأثير** ، *الكامل في التاريخ* ، بيروت : دار صادر ، ١٩٧٩ ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ . **صالح العلي** ، " تنظيم جباية الصدقات في القرن الأول الهجري " ، *مجلة العرب* ، ج ١٠ ، السنة الثالثة ، الرياض : دار اليمامة ، ١٩٦٩ ، ص ص ٨٦٨ - ٨٧٥ .

(٢٢) **ابن سعد** ، *الطبقات* ، ج ١ ص ٢٦٣ . **الطبري** ، *تاريخ* ، ج ٣ ، ص ٩٥ .

(٢٣) **ابن سعد** ، *الطبقات* ، ج ١ ، ص ص ٢٦٢ - ٢٦٣ . **البلاذري** ، *فتوح البلدان* ، ص ٨٧ . انظر ترجمة ثابت بن زيد عند : **ابن سعد** ، *الطبقات* ، ج ٧ ، ص ٢٧ . **ابن الأثير** ، *أسد الغابة* ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

(٢٤) **ابن سعد** ، *الطبقات* ، ج ٥ ، ص ٥٢٧ . **البلاذري** ، *أنساب الأشراف* ، ج ١ ، ص ص ٥٢٩ - ٥٣٠ . **العلي** ، " إدارة الحجاز في العهود الإسلامية الأولى " ، *مجلة الأبحاث* ، مجلد ٢١ ، عدد ٢ - ٤ ، بيروت : الجامعة الأمريكية ، ١٩٦٨ ، ص ٤٢ . انظر ترجمة حذيفة بن اليمان عند : **ابن سعد** ، *الطبقات* ، ج ٥ ، ص ١٥ . ج ٧ ، ص ٣١٧ . **ابن الأثير** ، *أسد الغابة* ، ج ١ ، ص ص ٤٦٨ - ٤٧٠ .

(٢٥) **ابن سعد** ، *الطبقات* ، جـ ٧ ، ص ١٠١ .

(٢٦) انظر : **العلي** ، *"إدارة الحجاز في العهود الإسلامية الأولى"* ، ص ٤ . **نجدة خماش** ، *الإدارة في العصر الأموي* ، ط ١ ، دمشق : دار الفكر ، ١٩٨٠ ، ص ١٧ .

(٢٧) **ابن سعد**، *الطبقات*، ج١، ص ص ٢٦٢- ٢٦٣ . **البلاذري**، *فتوح البلدان*، ص٨٧ .

(٢٨) هو لقيط بن الحارث بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس من بني نضر من الأزد . انظر **ابن سلام**، *النسب*، ص ص ٢٩٥، ٢٩٧ . **ابن حزم**، *أنساب العرب*، ص ص ٣٧٦، ٣٨٠ .

(٢٩) **البلاذري**، *فتوح البلدان*، ص ٨٧ . **اليعقوبي**، *تاريخ*، ج٢، ص ١٣١ . **الطبري**، *تاريخ*، ج٣، ص ٣١٤ . أما عن عامل لرسول صلى الله عليه وسلم على عُمان وهو عمرو بن العاص، فيبدو أنه غادر عُمان - مضطرًا - بعد وفاة الرسول صلى الله علية وسلم وار تداد لقيط . انظر هنا :

Elias Shoufani, *Al-Riddah and the Muslim Conquest of Arabia* , University of Toronto Press. The Arab Institute for Research and Publishing , Toronto, 1973 , P.89 .

(٣٠) **البلاذري**، *فتوح البلدان*، ص ٨٧ . **اليعقوبي**، *تاريخ*، ج٢، ص ١٣١ . **الطبري**، *تاريخ*، ج٣، ص٣١٤ .

(٣١) **الطبري**، *تاريخ*، ج٣، ص٣١٤ . **ابن الأثير**، *الكامل*، ج٢، ص ٣٧٢ . انظر أيضًا :
Shoufani, *Al-Riddah, P.88*

(٣٢) انظر ترجمته عند : **ابن الأثير**، *أسد الغابة*، ج١، ص ص ٤٦٧- ٤٦٨ .

(٣٣) انظر ترجمته عند : **ابن الأثير**، *أسد الغابة*، ج٣، ص ص ٥١٩ـ ٥٢٠ .

(٣٤) انظر ترجمته عند : **ابن سعد**، *الطبقات*، ج٥، ص ص ٤٤٤ـ ٤٤٥ . **ابن الأثير**، *أسد الغابة*، ج٣، ص ص ٥٦٧ـ ٥٧٠ . **محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي**، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، (عهد الخلفاء الراشدين)، ت. عمر عبد السلام تدمري . ط١، بيروت : دار الكتاب العربي، ص ص ٩٨ - ١٠٠ . ولابد من الإشارة هنا بأن محقق كتاب الذهبي لم يقسمه إلى أجزاء بل إلى عهود وسنوات الحوادث والوفيات التي اعتمدها الذهبي، وقد اتُّبع منهج المحقق في الإشارة إلى الكتاب - خلال هذه الدراسة - ليسهل الرجوع إليه .

(٣٥) انظر : **خليفة بن خياط**، *تاريخ*، ص ١١٦ . **البلاذري**، *فتوح البلدان*، ٧٨ .

(٣٦) **الطبري**، *تاريخ*، ج٣، ص ص ٣١٤ - ٣١٥ . **ابن الأثير**، *الكامل*، ج٢، ص ٣٧٣ .

(٣٧) هو الخريت بن راشد الناجي، قدم إلى الرسول صلى الله علية وسلم مع وفد بني سامة ابن لؤي وقد انضم إلى طلحة والزبير في موقعة الجمل سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م، ثم خالف علي بن أبي طالب بعد التحكيم، واتجه لبلاد فارس وأمر العرب بإمساك صدقاتهم، وقُتل في خلافة علي بن أبي طالب . انظر : **ابن الأثير**، *أسد الغابة*، ج١، ص ص ٦٠٥ - ٦٠٦ . والخريت من بني عبد إلبيت بن الحارث الذي تزوج بناجية بعد موت أخية غالب فنسبوا أولاده إليها . انظر : **مصعب الزبيري**، *كتاب* =

نسب قريش، ت. إ. ليفي بروفينسال، ط ١ القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢، ص ٤٤٠. **ابن سلام**، *النسب*، ص ٢١٩. **ابن حزم**، *أنساب العرب*، ص ١٧٣.

(٣٨) انظر ترجمته عند: **ابن سلام**، *النسب*، ص ٣٥٩. **ابن سعد**، *الطبقات*، ج٦، ص ص ١٢٥ – ٢٢١. وعن بني صوحان، انظر: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المعارف، ت. ثروت عكاشة، ط ٤، القاهرة: دار المعارف، د. ت، ص ٤٠٢.

(٣٩) **البلاذري**، *فتوح البلدان*، ص٨٧. **اليعقوبي**، *تاريخ*، ج٢، ص ١٣١. **الطبري**، *تاريخ*، ج٣، ص ص ٣١٥ - ٣١٦.

(٤٠) خليفة بن خياط، تاريخ، ص ١٢٣. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٨٨. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ١٣٨. انظر أيضًا: عبد الأمير دكسن، "من تاريخ عُمان في العصر الأموي"، مجلة الخليج العربي، عدد ١، سنة ١، بغداد ١٩٧٣، ص ١٣٩.

(٤١) مؤلف مجهول، *تاريخ أهل عُمان*، ص ٤٥.

(٤٢) حول تقليد الإمارة على الأقاليم والبلدان، انظر: **علي بن محمد بن حبيب الماوردي**، *الأحكام السلطانية والولايات الدينية*، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢، ص ص ٣٠ – ٣٢.

(٤٣) انظر ترجمته عند: **ابن سعد**، *الطبقات*، ج ٥، ص ص ٥٠٨ - ٥٠٩. **ابن الأثير**، *أسد الغابة*، ج ٣، ص ص ٤٧٥ - ٤٧٦.

(٤٤) **خليفة بن خياط**، *تاريخ*، ص ص ١٣٤، ١٥٤. **ابن حبيب**، *المحبّر*، ص ١٢٧. **الطبري**، *تاريخ*، ج٣، ص ص ٥٩٧، ٦٢٣. ج ٤، ص ٩٤، حيث يروى بأن حذيفة بن محصن استمر عاملاً على عُمان منذ سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م إلى سنة ١٧ هـ/ ٦٣٨م، وأن عثمان بن أبي العاص كان واليًا على البحرين وما والاهما عند وفاة الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٢٣هـ/ ٦٤٤م. وينفرد اليعقوبي بذكر أن أبو هريرة كان عامل عُمان وقت وفاة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. **اليعقوبي**، *تاريخ*، ج ٢، ص ١٦١.

(٤٥) انظر ترجمة عند: **هشام بن محمد بن السائب الكلبي**، جمهرة *النسب*، ت. ناجي حسن، ط ١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٣، ص ٣٩٢. ابن حزم، *أنساب العرب*، ص ٢٦٦.

(٤٦) **البلاذري**، فتوح *البلدان*، ص ٤٢٠. انظر أيضًا: **الطبري**، *تاريخ*، ج ٤، ص ٢٦٦.

(٤٧) **البلاذري**، فتوح *البلدان*، ص ص: ٣٧٨ – ٣٧٩. **الطبري**، *تاريخ*، ج ٤، ص ٢٦٦.

(٤٨) انظر ترجمة عند: **ابن سعد**، *الطبقات*، ج ٥، ص ص ٤٤ – ٤٩. **ابن قتيبة**، *المعارف*، ص ص ٣٢٠ – ٣٢٢. **الذهبي**، *تاريخ* (٤١ – ٦٠ هـ)، ص ص ٢٥٧ – ٢٦٠.

(٤٩) **خليفة بن خياط**، *تاريخ*، ص١٦١ . **البلاذري**، *فتوح البلدان*، ص ٣١٨ . **اليعقوبي**، *تاريخ*، ج ٢، ص ١٧٦ .

(٥٠) مؤلف مجهول، تاريخ أهل عُمان، ص ٤٥ . انظر أيضًا : **عبدالله بن حميد السالمي**، *تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان*، القاهرة : د. ن، ١٩٦١، ج ١، ص ٦٧ .

(٥١) كانت البصرة مقسمة إلى خمسة أخماس من القبائل ومن ضمنهم عبد القيس والأزد . انظر : **ابن منظور**، *لسان العرب*، ج ٦، ص ص ٧٠ - ٧١ . وحول أخماس البصرة، انظر أيضًا : ل . **ماسينيون**، *خطط البصرة وبغداد*، ت . **إبراهيم السامرائي**، ط ١، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١، ص ص ١٦ - ٢٥ . ومنذ أن اختطت البصرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب أصبحت تتصل بعُمان جغرافيًا وبشريًا، وكان هناك طريقان يربطانها بالبصرة، أحداهما بري والآخر بحري . انظر : **عبيد الله بن عبدالله ابن خرداذبة**، *المسالك والممالك*، ت . **دي غويه**، ليدن : طبعة بريل ١٨٨٩، ص ص ١٦٠ -١٦١ .

(٥٢) **ابن سعد**، *الطبقات*، ج ٥، ص ص ٤٥ - ٤٦ . **البلاذري**، *فتوح البلدان*، ص ص ٣٨٠-٣٨١ .

(٥٣) خرجت العديد من الأقاليم والبلاد الإسلاميه عن إدارة الخليفة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بعد التحكيم (٣٧هـ/ ٦٥٧م) وموقعة النهرون (٣٨هـ/ ٦٥٨م) . كما كان معاوية بن أبي سفيان يقوم بإرسال جيوشه للإغارة والاستيلاء على الأقاليم والبلدان التابعة لإدارة الخليفة علي بن أبي طالب . انظر : **اليعقوبي**، *تاريخ*، ج ٢، ص ص ١٩٤ - ٢٠٠ . **الطبري**، *تاريخ*، ج٥، ص ص ١٢٢، ١٣٣ - ١٣٥، ١٣٩ - ١٤٠ .

(٥٤) لاتوجد للحلو بن عوف الأزدي ترجمة في المصادر المتاحة، ولعله من أزد عُمان كما هو ظاهر من اسمه، أو من بني عوف وهم بطن من الخزرج من الأزد . انظر : **أحمد بن علي بن أحمد بن عبدالله القلقشندي**، *نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب*، بيروت : دار الكتب العلمية، د.ت، ص ص ٣٤٢ - ٣٤٤ .

(٥٥) **اليعقوبي**، *تاريخ*، ج٢، ص١٩٥ . **الطبري**، *تاريخ*، ج٥، ص ص ١٢٤ - ١٢٥ . أما عن دخول عُمان في طاعة علي بن أبي طالب فقد ذكر سبعوث علي بن أبي طالب - وهو جرير البلجي - لمعاوية بن أبي سفيان قبل وقعة صفين سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧م، بأن جميع الأقاليم الإسلامية، ومن ضمنها عُمان، قد دخلت في طاعة علي . انظر : **أبو حنيفة بن داود الدينوري**، *الأخبار الطوال*، ت . حسن الزين، بيروت : دار الفكر الحديث، ١٩٨٨، ص ١٢٠ .

(٥٦) انظر ترجمته عند : **ابن سلام**، *النسب*، ص ص ٢٣٥ - ٢٣٦ . **ابن حزم**، *أنساب العرب*، ص ص ١٩٩، ٢٢٧ - ٢٢٨ . **الذهبي**، *تاريخ* (٤١ - ٦٠هـ)، ص ١٦٦ .

(٥٧) **اليعقوبي**، *تاريخ*، ج ٢، ص ١٩٥ . **الطبري**، *تاريخ*، ج ٥، ص ص ١١٣ - ١٢٨ . انظر الهامش السابق رقم ٣٧ .

(٥٨) مؤلف مجهول، *تاريخ أهل عُمان*، ص ٤٥ . **السالمي**، *تحفة الأعيان*، ج ١ ص ٦٧ .

(٥٩) انظر : **المقدسي**، *أحسن التقاسيم*، ص ص ٩ - ١٠ . **خماش**، *الإدارة في العصر الأموي*، ص ص ٣٥ - ٩٠ .

(٦٠) انظر : **خماش**، *الإدارة في العصر الأموي*، ص ص ١٠٥-١٠٦ .

(٦١) مؤلف مجهول، *تاريخ أهل عُمان*، ص ٤٥ . **السالمي**، *تحفة الأعيان*، ج ١، ص ٦٧ .

(٦٢) مؤلف مجهول، *تاريخ أهل عُمان*، ص ٤٧ . **السالمي**، *تحفة الأعيان*، ج ١، ص ٥٧ .

(٦٣) انظر : **خليفة بن خياط**، *تاريخ*، ص ٤٥ . **ابن قتيبة**، *المعارف*، ص ٣٤٦ . **أحمد بن محمد بن عبدربه**، *العقد الفريد*، ت . عبدالمجيد الترحيني، ط ٣، بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٧، ص ٢٧٠ .

(٦٤) **خليفة بن خياط**، *تاريخ*، ص ٢٢٣ . **الطبري**، *تاريخ*، ج ٥، ص ص ٢٩٩ - ٣٠٠، ٣٠٨، ٣١٤، ٣٢٨ .

(٦٥) **السالمي**، *تحفة الأعيان*، ج ١، ص ٦٧ . **ولكنسن**، *بنو الجلندي*، هامش١٢، ص ٤٠ .

(٦٦) انظر : **الطبري**، *تاريخ*، ج ٥، ص ٢٢٨ .

(٦٧) بعد القضاء على حركة الحسين بن علي سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م، قام عبيد الله بن زياد بنفي المشاركين في حركته والمؤيدين له إلى الزّارة بالبحرين .انظر : **البلاذري**، *أنساب الأشراف*، ط ١، ت . محمد باقر المحمودي، بيروت : دار التعارف للمطبوعات، ١٩٧٧، ص ٢٠٥ .انظر أيضًا : **أحمد بن عبدالوهاب النويري**، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ت . محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ج٢٠، ص ص ٤٦٢ - ٤٦٣ . وراجع الهامش التالي رقم (٧٠) .

(٦٨) العُرفاء : جمع عريف، وهو المسئول عن أمور القبيلة أو الجماعة من الناس، وذلك لمعرفته بهم، ومنه يتعرف الأمير على أحوال الناس . انظر : **ابن منظور**، *لسان العرب*، ج ٩، ص ٢٣٨ .

(٦٩) **الطبري**، *تاريخ*، ج ٥، ص٣٥٩ . **ابن الأثير**، *الكامل*، ج ٤، ص ص ٢٤ - ٢٥ . انظر أيضًا : **عمر سليمان العقيلي**، *يزيد بن معاوية (حياته وعصره)*، ط ١، الرياض : نشر المؤلف، ١٩٨٨، ص٣٩ .

(٧٠) الزّارة : قرية كبيرة من قرى البحرين . **ياقوت**، معجم *البلدان*، ج ٣، ص ١٢٦ .

ويُعرف موقع الزَّارة الآن باسم الرمادة في بلدة العوامية شمال مدينة القطيف بالأحساء في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية . انظر : **إبراهيم بن إسحاق الحربي** ، *كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة* . ت . حمد الجاسر ، ط ٢ ، الرياض : منشورات دار اليمامة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، هامش ١ ، ص ٦٢١ .

(٧١) يُستدل من إضافة قرية الزَّارة - وهي من قرى البحرين - إلى عُمان بأن قرى البحرين وعُمان في تلك الفترة الزمنية كانت متَداخلة جغرافيا ولم تكن محددة كما هي الآن . ويشير إلى ذلك الجغرافيون العرب في حديثهم عن تقسيم بلاد العرب .فالأصطخري يذكر أن البعض يزعم بأن المدينة من نجد لقربها منها ، وأن مكة من تهامة اليمن لقربها منها ، كما يذكر بأن بلاد مهرة يُقال إنها من عُمان . انظر : **الأصطخري** ، *مسالك الممالك* ، ص ص ١٥- ٢٥٠ . كما يذكر المقدسي أن بلاد مهرة من حضرموت . انظر : **المقدسي** ، *أحسن التقاسيم* ، ص ٧٠ .

(٧٢) يذكر القلقشندي أن عُمان ثغر بالبحرين نزلها جماعة من أزد عُمان فعرفوا بها . انظر : **القلقشندي** ، *نهاية الأرب* ، ص ٩٣ .

(٧٣) يروي البلاذري بأنه عندما أرغمَ أهالي المدينة تجار عطارين من دارين بالبحرين بالدفاع عن المدينة عند مهاجمة مسلم بن عقبة المري لها سنة ٦٣هـ / ٦٨٣م ، كتب يزيد بن معاوية إلى عامله بالبحرين فأغرم أهل دارين أربع مائة ألف درهم . انظر : **البلاذري** ، أنساب الأشراف ، الجزء الرابع ، القسم الثاني ، ت . ماكسن سكلو سنجر ، القدس : مطبعة الجامعة ، ١٩٣٨ ، ص ٤٣ .

(٧٤) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٤٥ .**السالمي** ، *تحفة الأعيان* ، ج ١ ، ص ٦٧ .

(٧٥) حول استقلال عبدالله بن الزبير بالحجاز وحصوله على بيعة أغلب الأقاليم الإسلامية ، انظر : **ابن سعد** ، *الطبقات* ، الطبقة الخامسة من الصحابة ، ت . محمد بن صامل السلمي ، ط١ ، الطائف : مكتبة الصديق ، ١٩٩٣ ، ج ٢ ، ص ص ٦٩ - ٧٠ . **ابن قتيبة** ، *المعارف* ، ص ١٦٦ . **أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله ابن عساكر** ، *تهذيب تاريخ دمشق الكبير* ، ت . عبدالقادر بدران ، ط٣ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٩٨ ، ج ٧ ، ص ٤١٦ . **عبدالمنعم ماجد** ، *التاريخ السياسي للدولة العربية : عصر الخلفاء الأمويين* ، ط ٤ ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧١ ، جـ ٢ ، ص ص ٩٢ -٩٣ .

(٧٦) **الدينوري** ، *الأخبار الطوال* ، ص ٢١٢

(٧٧) **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج ٤ ، ص ٢٠٣ . **ابن عساكر** ، *تهذيب تاريخ دمشق* ، ج ٦ ، ص ١٦٩ . **السالمي** ، *تحفة الأعيان* ، ج ١ ، ص ٦٧ . مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٤٧ .

(٧٨) **الطبري** ، *تاريخ* ، ج ٥ ، ص ٦١٥ .

(٧٩) **الطبري** ، *تاريخ* ، ج ٥ ، ص ٦١٨ . **أبو العباس محمد بن يزيد المبرد** ، *الكامل في اللغة والأدب* ، بيروت : مؤسسة المعارف ، د . ت ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ ،حيث يذكر أن المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة قد صمد بشجاعة في محاربة الأزارقة مع مجموعة أكثرهم أهل عُمان ؛ كما يذكر البغدادي أنه انضم إلى المهلب قومه من الأزد في محاربة الأزارقة . انظر : عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، ط ٣ ، بيروت : دار الآفاق الحديثة ، ١٩٧٨ ، ص ٦٥ .

(٨٠) **البغدادي** ، *الفرق بين الفرق* ، ص ٦٤ .

(٨١) **اليعقوبي** ، *تاريخ* ، ج٢ ، ص ص ٢٧٢ - ٢٨٣ . **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج ٤ ، ص ص ٢٠١-٢٠٦ . انظر أيضًا : **محمد أرشيد العقيلي** ، *الخليج العربي في العصور الإسلامية* ، ط٢ ، بيروت : دار الفكر اللبناني ، ١٩٨٨ ، ص ١١٦ .

(٨٢) **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج ٤ ، ص٢٠١ .

(٨٣) **الدينوري** ، *الأخبار الطوال* ، ص ٢١٢ . **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج ٤ ، ص٢٠٢ .

(٨٤) **ابن سعد** ، *الطبقات : الطبقة الخامسة* ، ج٢ ، ص٨٦ . **الطبري** ، تاريخ ، ج٦ ، ص١١٧ .

(٨٥) انظر ترجمته عند : **ابن قتيبة** ، *المعارف* ، ص٥٨٧ .

(٨٦) **الطبري** ، *تاريخ* ، ج٦ ، ص١١٧ . **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج ٤ ، ص٢٠٢ . **العقيلي** ، *الخليج العربي* ، ص١١٣ .

(٨٧) **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج ٤ ، ص٢٠٢ . والقطيف - الآن - مدينة بالأحساء في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية . انظر : **محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر** ، *تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد* ، ط٢ ، ت . حمد الجاسر ، الرياض : مكتبة المعارف ، الأحساء : مكتبة الأحساء الأهلية ، ١٩٨٢ . ص٢٧ .

(٨٨) **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج ٤ ، ص٢٠٣ . **آل عبدالقادر** ، *تاريخ الأحساء* ، ص٧٥ .

(٨٩) **ابن عساكر** ، *تهذيب تاريخ دمشق* ، ج٦ ، ص١٦٩ . **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج ٤ ، ص٢٠٣ .

(٩٠) يذكر ابن عساكر بأن بني الجلندي كانوا يعشرون الناس خلال حركة عبدالله بن الزبير ، وأنهم حصلوا على أموال كثيرة . انظر : **ابن عساكر** ، *تهذيب تاريخ دمشق* ، ج٦ ، ص١٦٩ .

(٩١) هو أحد زعماء الخوارج النجدات ، وإليه تُنسب فرقة العطوية ، وقد انشقت عن نجدة بن عامر بسبب عدم عدله في توزيع العطايا ، وكذلك اتصاله بالخليفة عبدالملك بن مروان . انظر : ابن =

الأثير ، *الكامل* ، ج٤ ، ص ص ٢٠٣ ، ٢٠٥ . **البغدادي** ، *الفرق بين الفرق* ، ص ١٧٦ .

(٩٢) **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج٤ ، ص ٢٠٣ . انظر أيضًا :

Abd al-Ameer , Abd Dixon, *The Umayyad Caliphate*, 65-68/684-705 (A political study) London : Luzac, 1971 , p.171 .

(٩٣) **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج٤ ، ص٢٠٣ ، ويشير الشاعر الأموي الفرزدق (ت : ١١٠هـ / ٧٢٨م) إلى هذه الحادثة ، في شعر يمدح فيه قبيلته بني حنيفة ، حيث يقول :

وهم من بعيد في الحروب تناولوا   عيّاذًا وعبدالله والخليل تجذب

بذي الغاف من وادي عُمان فأصبحت   دماؤهم يجرى بها حيث تشخب

انظر : **همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق** ، *ديوان الفرزدق* ، ت . كرم البستاني ، بيروت : دار بيروت ، ١٩٨٠ ، ج ١ ، ص ص ٧٤-٧٥ . ج٢ ، ص ٣١٨ . ويرد اسم "عبّاد" عند الفرزدق هكذا "عيّاذ" ويبدو أنه تصحيف .

(٩٤) **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج٤ ، ص ٢٠٣ . والواقع أن سيطرة نجدة لم تقتصر على عُمان والبحرين ، بل شملت بلاد اليمامة وهجر وبلاد اليمن وحضرموت والطائف . انظر : **اليعقوبي** ، *تاريخ* ، ج٢ ص ص ٢٧٢ - ٢٧٣ . **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج ٤ ، ص ص ٢٠٣-٢٠٥ . أما عن عامله أبي القاسم فلاترد له ترجمة في المصادر التاريخية المتاحة .

(٩٥) كان نجدة بعد استيلائه على المناطق والنواحي السابق ذكرها (هامش ٩٤) يعين عماله عليها ويجبي صدقات أهلها . انظر : **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج٤ ، ص٢٠٣ .

(٩٦) **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج٤ ، ص٢٠٣ . **نايف معروف** ، *الخوارج في العصر الأموي : نشأتهم ، تاريخهم ، عقائدهم ، أدبهم* ، ط٣ ، بيروت : دار الطليعة ، ١٩٨٦ ، ص١٤٧ .

(٩٧) **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج٤ ، ص ٢٠٣ . معروف ، الخوارج ، ص ١٤٨ .

(٩٨) **الطبري** ، *تاريخ* ، ج٦ ، ص٢٠٢ . **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج٤ ، ص٣٧٤ .

(٩٩) **ابن عساكر** ، *تهذيب تاريخ دمشق* ، ج٦ ، ص١٦٩ . انظر أيضًا : **سرحان بن سعيد الأزكوي** ، *تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة* ، ت . عبدالمجيد حسيب القيسي ، عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، د.ت ، ص ٤٠ .

(١٠٠) انظر ترجمته وأخباره عند : الكلبي ، النسب ، ص ٢٠٩ . ابن سلام ، النسب ، ص ٢٣٥ . الطبري ، تاريخ ، جـ٦ ، ص ٣١٠ .

(١٠١) **ابن عساكر** ، تهذيب تاريخ دمشق ، ج٦ ، ص١٦٩ .

(١٠٢) **خليفة بن خياط**، *تاريخ*، ص٢٩٧. انظر أيضًا: مؤلف مجهول، *تاريخ أهل عُمان*، ص٤٧. **سالم بن حمود السيابي**، *عُمان عبر التاريخ*، عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٢، ج٢، ص٩.

(١٠٣) انظر ترجمته عند: **خليفة بن خياط**، *تاريخ*، ص٢٩٧. **ابن سعد**، *الطبقات*، ج٧، ص ٢١٢. **أحمد بن علي بن حجر العسقلاني**، *تهذيب التهذيب*، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩١، ج٥، ص ص ٥٦٤-٥٦٥.

(١٠٤) **خليفة بن خياط**، *تاريخ*، ص٢٩٧.

(١٠٥) *المصدر السابق*.

(١٠٦) ليس للطفيل بن حصين البهراني ترجمة في المصادر المتاحة، ويبدو أنه يُنسب إلى قبيلة بني بهرا من ولد عمرو بن الحافي بن قضاعة بن عدنان. انظر: **ابن حزم**، *أنساب العرب*، ص٤٤٠. **ابن سلام**، النسب، ص ٣٧٠. **القلقشندي**، *نهاية الأرب*، ص ١٧٢.

(١٠٧) **خليفة بن خياط**، *تاريخ*، ص٢٩٧.

(١٠٨) ليس لحاجب بن شيبة ترجمة في المصادر المتاحة، ويبدو - من اسمه - أنه يُنسب إلى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، الحاجب بعد عثمان بن طلحة. انظر: **الكلبي**، *النسب*، ص ص ٦٣-٦٧. **القلقشندي**، *نهاية الأرب*، ص٣٠٦.

(١٠٩) **خليفة بن خياط**، *تاريخ*، ص٢٩٧. **ابن عساكر**، *تهذيب تاريخ دمشق*، ج٦، ص١٧٠.

(١١٠) هو قائد شجاع، شارك مع الخليفة عبدالملك بن مروان في حروبه ضد مصعب بن الزبير، وهو الذي قتل مصعب سنة ٧١هـ/ ٦٩٠م. انظر: **محمد بن أحمد بن تميم التميمي**، *كتاب المحن*، ت. يحيى وهيب الجبوري، ط٢، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨، ص١٩٠. **علي بن الحسين بن علي المسعودي**، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، ت. محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٤، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ج٣، ص ص ١١٤-١١٥. **ابن الأثير**، *الكامل*، ج٤، ص ص ٣٢٨، ٣٨٥.

(١١١) حول حركة عبدالله بن الجارود، انظر: **ابن قتيبة**، *المعارف*، ص ص ٣٣٨-٣٣٩. **الطبري**، *تاريخ*، ج٦، ص ص ٢١٠- ٢١١.

(١١٢) **ابن الأثير**، *الكامل*، ج ٤، ص ٣٨٥. **ياقوت**، معجم *البلدان*، ج ٥، ص ص ١٢٧ - ١٢٨.

(١١٣) هو خطيب وشاعر فرقة الخوارج الصُفَّرية، انظر ترجمته وأخباره عند: **المبرد**، *الكامل*، ج ٢، ص ص ١٢٦ - ١٢٧. **أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني**، *كتاب الأغاني*، بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر (مصور عن دار الكتب المصرية)، د. ت، ج ١٨، ص ص ١٠٩ - ١٢٠. عبدالغني بن سعيد الازدي، كتاب المتوارين: الذين أختفوا خوفًا من الحجاج ابن يوسف، ت. مشهور حسن محمود سلمان، ط ١، دمشق: دار القلم، ١٩٨٩، ص ص ٦٢-٧٤.

(١١٤) تولى شبيب بن يزيد الشيباني، إمرة الخوارج الصُفَّرية بعد مقتل أميرهم صالح بن مسّرح التميمي، وقد قُتل سنه ٧٧هـ/ ٦٩٦م. انظر حول هذه الحركة ومعتقداتها: **الطبري**، *تاريخ*، ج٦، ص ص ٢١٦-٢٨٤. **أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري**، *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*، ت. محمد محيي الدين عبدالحميد، ط ٢، القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٦٩، ج ١، ص١٩٦. **البغدادي**، *الفرق بين الفرق*، ص ٧٢.

(١١٥) **المبرد**، *الكامل*، ج ٢، ص ١٢٨. **الذهبي**، *تاريخ* (٨١ - ١٠٠ هـ)، ص ١٥٧.

(١١٦) انظر ترجمته عند: **ابن سعد**، *الطبقات*، ج٥، ص ص ٢٤ - ٢٦. ج٧، ص ص ١٠٠ - ١٠١. **ابن عساكر**، *تهذيب تاريخ دمشق*، ج٧، ص ص ٣٤٩ - ٣٥١.

(١١٧) انظر: **ابن سعد**، *الطبقات*، ج ٥، ص ٢٦. ج ٧، ص ١٠١. **ابن حبيب**، *المحبّر*، ص ٢٧٥. **ابن قتيبة**، *المعارف*، ص١٢٧. **التميمي**، *كتاب المحن*، ص ١٨٧.

(١١٨) حول الحركة الإباضية ومعتقداتها، انظر على سبيل المثال لا الحصر المصادر والمراجع التالية: **الأشعري**، *مقالات الإسلاميين*، ج ١، ص ص ١٨٣ - ١٨٩. **البغدادي**، *الفرق بين الفرق*، ص ص ٨٢ - ٧٩. **عوض محمد خليفات**، *الأصول التاريخية للفرقة الإباضية*، ط ٣، عدد ٢٧، عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٨. **خليفات**، *نشأة الحركة الإباضية*، عُمان: مطابع دار الشعب، ١٩٦٨. **محمد حسن النابوده**، عبدالله بن إباض ونشأة المذهب الإباضي، *مجلة دراسات تاريخية*، السنة ١٤، العدد ٤٥ - ٤٦، دمشق: جامعة دمشق، ١٩٩٣، ص ص ٢٩ - ٥٠. وحول الحركة الإباضية بالبصرة، انظر:

J.C. Wilkinson, The Early Development of the Ibadi movement in Basra, Studies on the first Century of Islamic Society. In **G.H.A Juynboll,** (ed.) Southern Illinois Univ, Press, 1982. pp. 125-144.

(١١٩) هو جابر بن زيد الأزدي البصري، وهو تابعي فقيه، وهناك اختلاف حول سنة وفاته فقيل ٩٣هـ/ ٧١١م، وقيل ١٠٣هـ/ ٧٢١م انظر ترجمته عند: **ابن سعد**، *الطبقات*، ج ٧، ص ص ١٧٩-١٨٢. **التميمي**، *كتاب المحن*، ص ٣٩٠. **أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني**، *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*، ط ٥، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧، ج ٣، ص ص ٨٥ - ٩١.

(١٢٠) **ابن سعد**، *الطبقات*، ج ٢، ص ١٧٩ . **الأصبهاني**، *حلية الأولياء*، ج ٣، ص ٨٦ .

(١٢١) لاتوجد لمحمد بن صعصعة الكلابي ترجمة في المصادر المتاحة، ويبدو أنه من بني كلاب وهم بطن من عامر بن صعصعة، وكانت ديارهم حول المدينة ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الشام . انظر : **ابن سلام**، *النسب*، ص ص ٢٥٨ -٢٦٠ . **القلقشندي**، *نهاية الأرب*، ص ٣٦٥ .

(١٢٢) يبدو أن ضم الحجاج بن يوسف عُمان لعامله على البحرين كان اسميًا ولا يعني نفوذًا على بلاد عُمان لأنهاكانت تحت إدارة سعيد بن عبّاد الجلندي انظر : **ابن الأثير**، *الكامل*، ج ٤، ص ٣٨٥ . **ياقوت**، معجم *البلدان*، ج ٥، ص ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(١٢٣) حول حركة الريّان النكري، انظر : **خليفة بن خياط**، *تاريخ*، ص ص ٢٧٨-٢٧٩ .

الذهبي، *تاريخ* (٦١ - ٨٠ هـ)، ص ص ٣٣٨، ٣٤٢ .

(١٢٤) حول حركة ميمون الحروري، انظر : **الأشعري**، *مقالات الإسلاميين*، ج ١، ص١٧٧ . **البغدادي**، *الفرق بين الفرق*، ص ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(١٢٥) **خليفة بن خياط**، *تاريخ*، ص ٢٧٨ . **الذهبي**، *تاريخ* (٦١ - ٨٠ هـ)، ص ٣٣٨ . انظر أيضًا : **حمد الجاسر**، "ولاة الأحساء في العهد الأموي"، *مجلة العرب*، سنة ١، عدد ١، الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م، ص ٣٠ .

(١٢٦) انظر : **حوراني**، *العرب والملاحة*، ص ص ١٩٠، ٢٠٨ . **محمد قرقش**، *عُمان والحركة الإباضية*، ط١، عجمان : مؤسسة علوم القرآن .روى : مكتبة مسقط، ١٩٩٠، ص ١٦٨ .

(١٢٧) **قرقش**، *عُمان*، ص ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(١٢٨) اشتهرت بلاد عُمان بإنتاج اللؤلؤ لوقوعها على ساحل الخليج العربي، حيث كان سكانها يحترفون مهنة الغوص على اللؤلؤ، كما كانوا يتاجرون بالذهب واللؤلؤ والياقوت . انظر : **المقدسي**، *أحسن التقاسيم*، ص ٩٧ . **الغنيم**، ~ *رة العرب*، ص ١٣٢ . الجنحاني، «دور عُمان في *نشاط التجارة العالمية خلال العصر الإسلامي الأول*»، ص ص ٢٥ - ٢٧ . ومما يدل على غنى بلاد عُمان وثرواتها مايذكره قدامة، من أن جباية مقاطعة عُمان من الذهب والفضة توازي ثلاثمائة ألف دينار، وذلك في العصر العباسي الأول، انظر : **أبو الفرج قدامة جعفر**، *نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة*، ليدن : طبعة بريل، ١٨٨٩، ص ص ٢٤٩ - ٢٥١ . **المقدسي**، *أحسن التقاسيم*، ص ١٠٥ . انظر أيضًا : **محمد ضياء الدين الريس**، *الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية*، ط٥، القاهرة : دار التراث، ١٩٨٥، ص ص ٤٩٧، ٥٠٥ .

(١٢٩) كانت بلاد الشام تعاني من قلة الأموال أثناء سيطرة عبدالله بن الزبير على الحجاز والعراق، وكذلك من القحط والمجاعات . يذكر ابن الأثير أن الخليفة عبدالملك بن مروان، قال =

سنة ٧١ هـ / ٦٩٠ م « الشام بلد قليل المال ولا آمن نفاذه » . الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٢٣ . كما يذكر الطبري بأن قحطًا شديدا أصاب الشام سنة ٦٨ هـ/ ٦٨٧م ، حتى إن الناس ، لم يقدروا من شدته على الغزو . تاريخ ، ج ٦ ،ص ١٢٧ .

(١٣٠) **خليفة بن خياط** ، *تاريخ* ، ص ٢٩٧ . **ابن عساكر** ، *تهذيب تاريخ دمشق* ، ج ٦ ، ص ص ١٦٩ - ١٧٠ . مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٤٧ .

(١٣١) هو القاسم بن سعر السعدي التميمي المري . انظر : **ابن حبيب** . *المحبر* ، ص ٤٨٤ . وليس له ترجمة كاملة في المصادر المتاحة .

(١٣٢) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٤٧ . **الأزكوي** ، *كشف الغمة* ، ص ص ٤٠- ٤١ . مؤلف مجهول ، *قصص وأخبار جرت في عُمان* ، ت . عبد المنعم عامر ، عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٧٩ ، ص ٤٧ . ولا يرد لحُطاط ذكر في المعاجم الجغرافية المتاحة . ولعله على الجهة الشرقية من عُمان وهو اليوم اسم لمنطقة تتبع العاصمة مسقط ، وتسمى حاليا : منطقة وادي حطاط أو العامرات أو مدينة النهضة ، وهي تبعد عن مسقط ٣٠ ك . م ، مما يدل على تقدم جيش القاسم بن سعر نحو داخل عُمان انظر : **قرقش** ، *عُمان* ، هامش ٣١ ، ص ١٧٣ .

(١٣٣) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ،ص ٤٧ .مؤلف مجهول ،*قصص وأخبار* ، ص ٤٥ . دكسن ، من تاريخ عُمان في العصر الأموي ، ص ١٤١ .

(١٣٤) القبائل النزارية : هي قبائل مُضر وربيعة ابني نزار بن معد بن عدنان . انظر : **الزبير** ، *نسب قريش* ، ص ص ٥ - ٦ . **ابن حزم** ، *أنساب العرب* ، ص ١١ . **ابن منظور** ، *لسان العرب* ، ج ٥ ، ص ٢٠٤ . وقد استقرت هذه القبائل بالشام بعد الفتح الإسلامي وغلب عليها اسم القبائل القيسية ، وعبد القيس . انظر : **ماجد** ، *التاريخ السياسي* ، ج ٢ ص ٩٣ .

(١٣٥) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٤٨ . **الأزكوي** ، *كشف الغمة* ، ص ٤١ .

(١٣٦) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٤٨ .مؤلف مجهول ، *قصص وأخبار* ، ص٤٥ .

(١٣٧) هو مجاعة بن سعر السعدي التميمي ، من بني تميم . **ابن سلام** ، *النسب* ، ص ٢٣٩ . وانظر أخبار مجاعة عند : **البلاذري** ، *فتوح البلدان* ، ص ٤٢٣ . انظر أيضًا : **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج٤ ، ص ٣٨٠ .

(١٣٨) **ابن حبيب** ، *المحبر* ، ص ٤٨٤ . **ابن عساكر** ، *تهذيب تاريخ دمشق* ، ج ٦ ، ص ١٧٠ .

(١٣٩) **ابن حبيب** ، *المحبر* ، ص ٤٨٤ .

(١٤٠) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٤٨ . **الأزكوي** ، *كشف الغمة* ، ص ٤١ .

(١٤١) بوشر : إحدى قرى منطقة مسقط بسلطنة عُمان . انظر : **وزارة الإعلام** ، *عُمان* ٩٠ ، ص ٢٨ .

(١٤٢) **الأزكوي** ، *كشف الغمة* ، ص ٤١ . مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٤٨ .

(١٤٣) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٤٩ . **السيابي** ، *عُمان* ، ج٢ ، ص ١١ . وجُلفار : إحدى مدن عُمان . **المقدسي** ، *أحسن التقاسيم* ، ص ص ٧٠ - ٧١ . وهي الآن إمارة رأس الخيمة . انظر : الشريقي ، الخليج العربي ، ص ٦٩ .

(١٤٤) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٤٨ . مؤلف مجهول ، *قصص وأخبار* ، ص ٤٥ .

(١٤٥) بركا : مدينة شهيرة قريبة من ساحل عُمان ،وتبعد عن مسقط بحوالي مائة كيلومتر .

انظر : **قرقش** ، *عُمان* ، هامش ٦٣ ، ص ١٧٤ . وهي من أهم مدن منطقة سهل الباطنة بسلطنة عُمان . انظر : **وزارة الاعلام** ،*عُمان* ٩٠ ، ص ٣٠ .

(١٤٦) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٤٩ . الأزكوي ، كشف الغمة ، ص ٤١ . وليس هناك معلومات عن الجبل الأخضر في المصادر الجغرافية الإسلامية ، ولكن المصادر العُمانية تذكره ولاتحدد موقعه . انظر : مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٤٩ . **السالمي** ، *تحفة الاعيان* ، ج١ ، ص٦ . مؤلف مجهول ، *قصص وأخبار* ، ص ص ٤٢ - ٤٣ . ويذكر الشريقي بأن الجبل الأخضر من أكبر جبال عُمان ، وتتوفر فية المعيشة من ينابيع وأشجار مثمرة ، ويبلغ ارتفاعه ٣٠٠٠ متر ، **الشريقي** ، *الخليج العربي* ، ص ٩٦ .

(١٤٧) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٤٩ . **الأزكوي** ، *كشف الغمة* ، ص ٤١ . مؤلف مجهول ، قصص وأخبار ، ص ٤٦ . انظر أيضًا : **Dixon,** *The Umayyad*, p. 151 .

(١٤٨) سمائل : لعلها " سمائم " بالميم ، والتي يشير إليها ياقوت بأنها بلدة قرب صُحار . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٤٦ . وترد في المصادر الأخرى هكذا " سمائل " . انظر : **حامد محمود عز الدين** ، *عُمان في فجر الحضارة* ، ط ٢ ، ع ٦ ، عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٨٥ ، ص ص ٢٣ ، ٣٢ . **وزارة الإعلام** ، عُمان ٩٠ ، ص ٢٩ .

(١٤٩) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٤٩ . **السيابي** ، *عُمان* ، ج٢ ، ص ١٤ .

(١٥٠) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص٤٩ . **الأزكوي** ، *كشف الغمة* ، ص ٤٢ . مؤلف مجهول ، *قصص وأخبار* ، ص ٤٦ . والملاحظ أن اسم عبدالرحمن بن سليّم الكلبي يرد في =

المصادر العُمانية المتأخرة هكذا : (عبدالرحمن بن سليمان) ، وليس لعبدالرحمن بن سليمان هذا ترجمة في المصادر المتقدمة المتاحة . ويبدو أن المقصود هنا عبدالرحمن بن سُلَيمْ الكلبي ، والذي كان قائدًا عسكريًا على ميمنة الحجاج بن يوسف الثقفي عند محاربته لعبدالرحمن بن الأشعث حوالي سنة ٨٢ / ٧٠١ م . انظر : **الطبري** ، تاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٤٩ . **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج ٤ ، ص ٤٧١ .

(١٥١) أرض الزنج : هي سواحل إفريقيا الشرقية والتي امتد إليها نشاط العُمانيين البحري بعد الإسلام ، وتشمل جزيرة قَنْبَلَة (مدغشقر) وسفاله (موزمبيق) . انظر : **المسعودي** ، *مروج الذهب* ، ج١ ، ص ص ١٠٧ - ١٠٨ . وحول علاقة عُمان بشرق إفريقيا ، انظر : **جي كيركمان** ، " التاريخ المبكر لعُمان الإسلامية في شرقي إفريقية " ، *حصاد ندوة الدراسات العُمانية* ، ط ٢ ، عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٨٠ ، *المجلد الخامس* ، ص ص ٢٧١ - ٢٨١ . انظر أيضًا : **حوراني** ، *العرب والملاحة* ، ص ص ٢٢٨ - ٢٣٤ . **العاني** ، دور *العُمانيين في الملاحة* ، ص ص ٦ - ٧ .

(١٥٢) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ص ٤٩ - ٥٠ . مؤلف مجهول ، *قصص وأخبار* ، ص ٤٦ . والملاحظ ، أن ابن عساكر يذكر بأن سعيدا وسليمان قُتلا في بلاد العدو . انظر : **ابن عساكر** ، *تهذيب تاريخ دمشق* ، ج٦ ، ص ١٧٠ . وهذا يناقض ماورد في المصادر العُمانية المتأخرة بأنهما هربا وماتا في أرض الزنج . ومهما تكن نهايتهما ، فيبدو أن حياتهما بعد هروبهما يشوبها الغموض ، حيث تغفل المصادر المتقدمة والعُمانية المتأخرة المتاحة أي إشارة لهما بعد ذلك ، أو المصير الذي حل بهما . انظر هنا : **كيركمان** ، « *التاريخ المبكر لعُمان الإسلامية في شرقي إفريقية* » ، ص ص ٢٧١ - ٢٧٧ .

(١٥٣) انظر : **جمال زكريا قاسم** ، " *الدولة العُمانية في شرقي إفريقية* " *حصاد ندوة الدراسات العُمانية* ، ط ٢ ، عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٨٦ ، **المجلد الثالث** ، ص ص ٧٩ - ٨٨ . **الجنحاني** ، « *دور عُمان في نشاط التجارة العالمية خلال العصر الإسلامي الأول* » ، ص ١٥ . **دكسن** ، *من تاريخ عُمان في العصر الأموي* ، ص ١٤٥ .

(١٥٤) انظر : **المسعودي** ، *مروج الذهب* ، ج ١ ، ص ١٠٧ . وحول استقرار العُمانيين في ساحل إفريقا الشرقية انظر : **العاني** ، دور *العُمانيين في الملاحة* ، ص ص ٦ - ٧ . **الجنحاني** ، « *دور عُمان في نشاط التجارة العالمية خلال العصر الإسلامي الأول* » ، ص ص ٢٠ - ٢١ . انظر أيضًا : **رأفت غنيمي** ، " دور عُمان في بناء حضارة شرقي إفريقية " ، *حصاد ندوة الدراسات العُمانية* ، ط ٢ ، عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٨٦ ، **المجلد الثالث** ، ص ص ١٤٢ - ١٥٣ .

(١٥٥) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٥٠ . **الأزكوي** ، *كشف الغمة* ، ص ٤٢ .

(١٥٦) **ابن حبيب** ، *المحبر* ، ص ٤٨٤ .

(١٥٧) **ابن عساكر**، *تهذيب تاريخ دمشق*، ج ٦، ص ١٧٠ .

(١٥٨) **الطبري**، *تاريخ*، ج ٦، ص ٣٩٤ . **الأصفهاني**، *الأغاني*، ج ٢١، ص ٣٦١ .

(١٥٩) احتفل الشاعر الأموي جرير (ت ١١٠ هـ/ ٧٢٨م) بهذا النصر في أبيات من قصيدة يمدح فيها الحجاج بن يوسف الثقفي حيث يقول :

صبحْتَ عُمان الخيل رهواً

كأنما قطًا هاج من فوق السماوة ناهل

يناهبن غيطان الزمان، وترتدي

نقالاً إذا ماستعرضتها الجراول

سلكْت لأهل البر بَرّاً فنلتهم

وفي اليمّ يأتم السفين الجوافل

انظر :**جرير بن عطية الخطفي**، شرح *ديوان جرير*، ت. إيليا الحاوي، ط ١ بيروت : دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢، ص ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

(١٦٠) **أحمد بن سعيد بن عبدالواحد الشماخي**، *كتاب السير*، ت. أحمد بن مسعود السيابي، عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٧، ج ١، ص ٨٦ . خليفات، الحركة الإباضية، ص ١٠١ . والملاحظ أن المصادر المتقدمة المتاحة لاتشير إلى نفي جابر بن زيد إلى عُمان أو تاريخ ذلك النفي .

(١٦١) **الأصفهاني**، *حلية الأولياء*، ج ٣، ص ص٨٥ - ٨٦ . **قرقش**، *عُمان*، ص ١٠٩ .

(١٦٢) انظر : **ابن قتيبة**، *المعارف*، ص ٤٥٣ . **ابن سعد**، *الطبقات*، ج ٧، ص ١٨٢ . وحول سنة وفاة جابر بن زيد انظر : الهامش السابق رقم ١١٩ .

(١٦٣) **خليفات**، *الأصول التاريخية*، ص ٣١ . **قرقش**، *عُمان*، ص ص ١٠٩، ١٧١ .

(١٦٤) انظر : المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ١٤٠ . قرقش، عُمان، ص ١٧١ .

(١٦٥) حول قراصنة الديبل وتعرضهم للتجار المسلمين، انظر : سعد محمد حذيفة الغامدي، « الفتح الإسلامي لبلاد وادي السند » مجلة حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية التاسعة، الرسالة ٥٢، الكويت ١٩٨٧/ ١٩٨٨، ص ص ٢٤، ٢٦، ٣٠ . والديبل : أحدى مدن بلاد السند وتقع على ساحل بحر الهند . انظر : **ابن خرداذبة**، *المسالك والممالك*، ص ٥٦ . ويقال بأن الديبل هي مدينة كراتشي الحالية . **الغامدي**، *نفس المصدر*، هامش ٣٠ ص ص ٥٧ - ٥٨ .

(١٦٦) ليس لبديل بن طهفة البجلي ترجمة في المصادر المتاحة ، ولعله من بني بجلة وهي قبيلة قحطانية . انظر : **القلقشندي** ، نهاية الارب ، ص ص ١٦٣ - ١٦٤ . ويذكر البلاذري أنه بعد أن أمره الحجاج بن يوسف بالسير إلى الديبل هاجمه الأعداء وقتلوه . **البلاذري** ، *فتوح البلدان* ، ص ص ٤٢٣ - ٤٢٤ .

(١٦٧) **البلاذري** ، *فتوح البلدان* ، ص ص ٤٢٣ - ٤٢٤ .

(١٦٨) **خليفة بن خياط** ، *تاريخ* ، ص ص ٣٠٤ - ٣٠٥ . **البلاذري** ، *فتوح البلدان* ، ص ص ٤٢٤ - ٤٢٨ . **الذهبي** ، *تاريخ (٨١ - ١٠٠هـ)* ، ص ص ٢٥٧ -٢٥٨ .

(١٦٩) **خليفة بن خياط** ، *تاريخ* ، ص٣١٠ . انظر أيضاً : **الطبري** ، *تاريخ* ، ج ٦ ، ص ٤٩٣ .

(١٧٠) انظر ترجمتة عند : **الأصبهاني** ، *حلية الأولياء* ،ج ٥ ، ص ٣١٥ . **الذهبي** ، *تاريخ (١٠١ - ١٢٠هـ)* ، ص ٢٨٢ .

(١٧١) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٥٠ . وليس لسيف بن الهاني الهمداني ترجمة في المصادر المتاحة ، ولكن يروي الطبري بأنه شارك في القضاء على حركة يزيد بن المهلب سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م . **الطبري** ، *تاريخ* ، ج ٦ ، ص ص ٥٩٣ ، ٥٩٥ .

(١٧٢) انظر :**الطبري** ، *تاريخ* ، ج ٦ ، ص ص ٤٩٨ - ٤٩٩ . **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج ٥ ص ص ١٠ - ١٢ .

(١٧٣) انظر أخباره وترجمته عند : **الطبري** ، *تاريخ* ، ج ٦ ، ص ص ٥٧٨ - ٥٩٧ . **ابن قتيبه** ، *المعارف* ، ص ٤٠٠ .

(١٧٤) **البلاذري** ، *فتوح البلدان* ، ص ٤٢٨ . **الطبري** ، *تاريخ* ، ج ٦ ، ص ص ٥٠٦ -٥٢٢ . وانظر ترجمة صالح بن عبد الرحمن عند : **ابن عساكر** ، *تهذيب تاريخ دمشق* ، ج ٦ ، ص ٣٧٣ . **الذهبي** ، *تاريخ* (١٠١-١٢٠) ، ص ١١٠ .

(١٧٥) **خليفة بن خياط** ، *تاريخ* ، ص ٣١٩ . وليس لعبدالرحمن بن قيس الليثي ترجمة في المصادر المتاحة ، ولعله من بني ليث وهم بطن من بكر من كنانة . انظر : **ابن حزم** ، *أنساب العرب* ، ص ١٨٠ . **القلقشندي** ، *نهاية الأرب* ، ص ٣٦٧ .

(١٧٦) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٥٠ .

(١٧٧) **خليفة بن خياط** ، *تاريخ* ، ص ٣١٩ . **الطبري** ، *تاريخ* ، ج ٦ ، ص ٥٠٦ .

(١٧٨) ابن حبيب ، *المحبر* ، ص ٤٨٢ . **الكلبي** ، *النسب* ، ص ٢٠٤ . ويقول الشاعر الأموي الفرزدق في قتل الخيار مايلي :

قَتلَ الخيار بنو المهلب عنوة فخذوا القلائد بعد وتَقَنَّعوا

انظر : **الكلبي** ، *النسب* ، هامش ٢ ، ص ٢٠٤ . و ىدو أن ذكراه استمرت لفترة طويلة في بلاد عُمان حتى أن المبرد (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م) ، يذكر بأن هناك موضع في عُمان يُقال له الخيار ، لأن فيه قبر الخيار بن سبرة . انظر : **المبرد** ، *الكامل* ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .

(١٧٩) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٥٠ . **السالمي** ، *تحفة الأعيان* ، ج ١ ، ص ٧٧ .

(١٨٠) انظر أخباره وترجمته عند : **خليفة بن خياط** ، *تاريخ* ، ص ص ٣٢٢ ، ٣٢٥ - ٣٢٦ . **الذهبي** ، *تاريخ (١٠١ - ١٢٠ هـ)* ، ص ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(١٨١) **خليفة بن خياط** ، *تاريخ* ، ص ٣٢٣ . **ابن حزم** ، *أنساب العرب* ، ص ٢١٢ . وانظر ترجمة سعيد المازني عند : **ابن حزم** ، *أنساب العرب* ، ص ص ٢١١ - ٢١٢ . **ابن عساكر** ، *تهذيب تاريخ دمشق* ، ج ٦ ، ص ١١٦ .

(١٨٢) انظر : **ابن عساكر** ، *تهذيب تاريخ دمشق* ، جـ ٦ ، ص ١١٦ . مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٥١ .

(١٨٣) انظر : **أبو عبيد القاسم بن سلام** ، *كتاب الأموال* ، ت . محمد خليل هراس ، ط ٣ ، القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ودار الفكر : ١٩٨١ ،ص ٣١٧ . ولابد من الإشارة هنا إلى أن ابن سلام لم يحدد من هو العامل الذي أخذ الزكاة على السمك ، ولكن من سياق الأحداث يبدو أن المقصود به هو سعيد بن مسعود الذي تعسف في جباية الأموال . وحول : زكاة السمك وما أثير حولها من جدل انظر : **أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم** ، *كتاب الخراج* ، بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٩٨٩ ، ص ٨٧ . **يحيى بن آدم القرشي** ، *كتاب الخراج* ، ت .أحمد محمد شاكر ، بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٩٧٩ ، ص ٣١ . ابن سلام ، نفس المصدر . وهو امش المحقق ٣ - ٥ ، في نفس الصفحة . انظر أيضًا : **خليل داود الزرو** ، *الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة* ، ط ١ ، بيروت : دار الآفاق ، ١٩٧١ ، ص ٩٢ .

(١٨٤) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٥١ .

(١٨٥) انظر ترجمته عند : **ابن حجر** ، *تهذيب التهذيب* ، ج ٤ ، ص ٣٥٦ .

(١٨٦) **خليفة بن خياط** ، *تاريخ* ،ص ٣٢٣ .**ابن حجر** ، *تهذيب التهذيب* ، ج ٤ ، ص ٣٥٦ .

(١٨٧) **البلاذري** ، *فتوح البلدان* ، ص ٨٨ .

(١٨٨) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٥١ .

(١٨٩) انظر : **الطبري** ، *تاريخ* ، ج٦ ، ص ص ٥٧٨ - ٥٨٩ . **المسعودي** ، *مروج الذهب* ، ج٣ ، ص ص ٢١٠ - ٢١١ .

(١٩٠) **خليفة بن خياط** ، *تاريخ* ، ص ٣١٩ . **ابن حبيب** ، *المحبر* ، ص ٤٨٢ .

(١٩١) مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٥١ . **السيابي** ، *عُمان* ، ج ٢ ، ص٤٧ .

(١٩٢) **الطبري** ، *تاريخ* ، ج٦ ، ص ٥٨٣ . انظر أيضًا : **يزيد بن محمد بن القاسم الأزدي** ، *تاريخ الموصل* ، ت . **علي حبيبة** ، *القاهرة : لجنة إحياء التراث الإسلامي* ، ١٩٦٧ ، ص ١١ . ويذكر المسعودي أنه انظم إلى يزيد بن المهلب قبيلة الأزد وأحلافها وانحاز إليه أهله وخاصته ، وعظم أمره واشتدت شوكته . **المسعودي** ، *مروج الذهب* ، ج ٣ ، ص ٢١٠ .

(١٩٣) **الطبري** ، *تاريخ* ، ج٦ ، ص ص ٥٩٦ - ٥٩٧ . انظر أيضًا : **محمد أرشيد العقيلي** ، « المهالبة الخليجيون ودورهم في أحداث مشرق العالم الإسلامي » *مجلة كلية الآداب* ، *العين : جامعة الإمارات العربية المتحدة* ، **عدد ٤** ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ص : ٣٧٦ - ٣٧٨ .

(١٩٤) **الطبري** ، *تاريخ* ، ج٦ ، ص ص ٦٠٢ - ٦٠٣ . **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج ٥ ، ص٨٦ . وليس هناك في المصادر التاريخية المتقدمة المتاحة مايؤيد ماتذكره المصادر العُمانية المتأخرة التالية من أن زياد بن المهلب قد بقي في عُمان حتى قيام الدولة العباسية . انظر : **السالمي** ، *تحفة الأعيان* ، ج ١ ، ص ٧٧ . مؤلف مجهول ، *تاريخ أهل عُمان* ، ص ٥١ .

(١٩٥) **الطبري** ، *تاريخ* ، ج٦ ، ص ٦٠٤ . **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج٥ ، ص ٨٩ .

(١٩٦) **الأصفهاني** ، *الأغاني* ، ج ١٤ ، ص ٢٩٨ . حيث ينفرد بالقول بأن عبدالرحمن بن سُليم تولى إمارة البصرة وعُمان ، ولعل ذلك راجع لارتباط البصرة إداريا بعُمان . أما المصادر الأخرى فتكتفي بإمارة عبدالرحمن بن سُليم على البصرة . انظر : **خليفة بن خياط** ، *تاريخ* ، ص ٣٢٨ . **الطبري** ، *تاريخ* ، ج ٦ ، ص ص ٦٠٤-٦٠٥ .

(١٩٧) **الأصفهاني** ، *الأغاني* ، ج ١٤ ، ص ص ٢٩٨ - ٢٩٩ . وليس لمحمد بن جابر الراسبي ترجمة في المصادر المتاحة ، ولعله من بني راسب من الأزد . انظر : **ابن حزم** ، *أنساب العرب* ، ص ص ٣٨٦ - ٤٧٤ . القلقشندي ، *نهاية الأرب* ، ص ٢٣٩ .

(١٩٨) انظر : **خليفة بن خياط** ، *تاريخ* ، ص ٣٥٠ ، حيث يذكر أن العراق جُمعت لخالد بن عبدالله بن يزيد في سنة ١٠٦هـ/ ٧٢٤م ، وعُزلَ سنة ١٢٠هـ/ ٧٣٧م . انظر أيضًا : **الطبري** ، *تاريخ* ، ج ٧ ، ص ص ٢٨ ، ١٥٤ . وانظر ترجمته كاملة عند : **ابن عساكر** ، *تهذيب تاريخ دمشق* ، ج٥ ، ص ص ٧٠ - ٨٣ . **الذهبي** ، *تاريخ* (١٢١ - ١٤٠هـ) ، ص ص ٨٢ - ٨٥ .

(١٩٩) ليس للفيض بن محمد ترجمة في المصادر المتاحة ، ولكن يرد نسبه هكذا :

الفَيْض بن محمد بن كردم بن بيهس عند خليفة بن خياط في تاريخه، ص ٣٦٧ . أما الطبري فيروي عن محمد بن محمد بن القاسم أن الفَيْض هو أخوه أي من ولد محمد بن القاسم . **الطبري**، *تاريخ*، ج ٧، ص ٢٣٤ .

(٢٠٠) **خليفة بن خياط**، *تاريخ*، ص ٣٦٧ . **الطبري**، *تاريخ*، ج ٧ ص ٢٣٤ . وقد ولى الخليفة هشام بن عبدالملك يوسف بن عمر الثقفي بلاد العراق سنة ١٢٠هـ/ ٧٣٧م . انظر :**خليفة بن خياط**، *تاريخ*، ص ص ٣٥٨ . ٣٦٨ **الطبري**، *تاريخ*، ج ٧، ص ١٥٤ . وانظر ترجمة يوسف بن عمر الثقفي عند : الذهبي . *تاريخ* (١٢١ -١٤٠هـ) ، ص ص ٣١٥ - ٣١٨ .

(٢٠١) **الطبري**، *تاريخ*، ج ٧، ص ٢٦٢ . انظر أيضًا : **ابن الأثير** ، *الكامل*، ج ٥، ص ٢٩٢ . وحول انقسام بني أمية انظر : **خليفة بن خياط**، *تاريخ*، ص ص ٣٦٣ - ٣٦٥ . **الطبري**، *تاريخ*، ج ٧، ص ص ٢٣١ - ٢٥٣ . انظر أيضًا : نبيه **عاقل**، *خلافة بني أمية* ، ط ٤ ، بيروت : دار الفكر، ١٩٨٣ ، ص ٣٤٦ .

(٢٠٢) هو جلندي بن مسعود بن جيفر بن جلندي بن المستكبر الأزدي . تولى السلطة بعُمان حوالي سنتين وشهراً . انظر : مؤلف مجهول، *تاريخ أهل عُمان*، ص ٥٥ . انظر أيضًا : **ولكنسن**، *بنو الجلندي*، ص ص ١٩ - ٢٣ . وتظهر شخصية جلندي بن مسعود على مسرح الأحداث في عُمان في حوالي سنتي ١٢٨ - ١٢٩ هـ/ ٧٤٦ - ٧٤٧ م، أي خلال فترة الاضطراب السياسي في أواخر العصر الأموي . ولابد أن يكون نفوذه قد تدعّم في بلاد عُمان قبل ذلك التاريخ . انظر : **اليعقوبي**، *تاريخ*، ج ٢، ص ٣٣٩ . **الطبري**، *تاريخ*، ج ٧، ص ٣٥٣ .

(٢٠٣) انظر : **خليفة بن خياط**، *تاريخ*، ص ص٣٨٠، ٣٨٧ . **الطبري**، *تاريخ*، ج ٧، ص ٣٥٣ . **الأزدي**، *تاريخ الموصل*، ص ٧٦٠ .

(٢٠٤) هو عبدالرحمن بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، انظم إلى عبدالله بن معاوية - (انظر الهامش التالي رقم ٢٠٦) - في حركته واستيلائه على فارس . وقد قُتل في بداية العصر العباسي سنة ١٣٣ هـ/ ٧٥١م . انظر : **الأزدي**، *تاريخ الموصل*، ص ١٥٥ .**ابن حزم**، *أنساب العرب*، ص ص ٣٦٧ - ٣٦٨ . **الطبري**، *تاريخ*، ج ٧، ص ص ٣٧١ - ٣٧٣، ٤٦٠ .

(٢٠٥) **الطبري**، *تاريخ*، ج ٧، ص ٣٧٣ . **ابن الأثير**، *الكامل*، ج ٥، ص ٣٧٢ .

(٢٠٦) هو عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي . خرج بالكوفة ثم استولى على فارس وأصبهان، وبعد هزيمته على يد الأمويين هرب إلى خراسان فقتله أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية هناك وقيل سجنه حتى مات حوالي سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٨ م . انظر ترجمته عند : **ابن قتيبة**، *المعارف*، ص ٢٠٧ . **الأزدي**، *تاريخ الموصل*، ص ١٠٧ .

(٢٠٧) انظر : **خليفة بن خياط**، *تاريخ*، ص ص ٣٧٥، ٣٧٨ . **الطبري**، *تاريخ*، ج ٧، =

ص ص ٣٧١ - ٣٧٤ .

(٢٠٨) انظر : **السالمي** ، *تحفة الأعيان* ، ج ١ ، ص ٨٨ . **الأزكوي** ، *كشف الغمة* ، ص ٣٢٨ . انظر أيضًا : **العقيلي** ، *الإباضية وعلاقتها مع الدولة العباسية في عصرها الأول* ، عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، عدد ٦٠ ، ١٩٨٤ ، ص ٩ .

(٢٠٩) بالرغم من كثرة الحركات الخارجه عن سلطة الخليفة الأموي مروان بن محمد ، والحروب التي واجهها ، إلا أنه لم يأل في ذلك جهدا ،بل استمر في مقاومتهاوالقضاء عليها حتي سقوط دولته سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م . انظر : **الطبري** ، *تاريخ* ، ج ٧ ، ص ص ٣١٢ - ٣٩٨ . **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج ٥ ، ص ص ٣٢٤ - ٣٩٢ .

(٢١٠) يذكر الطبري أن الجلندي بن مسعود وأصحابه هم إباضية عُمان . **الطبري** ، *تاريخ* ، ج ٧ ، ص ٤٦٣ .انظر أيضًا : **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج ٥ ، ص ٤٥٢ . كما يذكر الأزدي مشاركة أهالي عُمان وبعض الإباضية في حركة عبدالله بن يحيى سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٨ م . انظر : **الأزدي** ، *تاريخ الموصل* ، ص ص ١١٢ - ١١٣ . ويشير المسعودي خلال حديثه عن حركة عبدالله بن يحيى الخارجي (الإباضي) باليمن إلى إباضية عُمان حيث يقول : « ولحق بقية الخوارج ببلاد حضرموت فأكثرها إباضية إلى هذا الوقت - (وهو سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة « ٩٤٣ م ») - ولا فرق بينهم وبين من بعُمان من الخوارج في هذا المذهب . . .» . **المسعودي** ، *مروج الذهب* ، ج٣ ، ص ٢٥٨ . انظر هنا أيضًا : **العقيلي** ، الحركة الإباضية في عُمان وعلاقتها السياسية مع الدولة العباسية حتى سقوط الإمامة الثانية ، *مجلة كلية الآداب* ، العين : جامعة الإمارات العربية المتحدة ، **عدد ١** ، ١٩٨٥ ، ص ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٢١١) عيّن أول الخلفاء العباسيين ، أبو العباس عبدالله بن محمد بن علي ابن عبدالله بن عباس ، عمه سليمان بن علي ابن عبدالله بن عباس واليًا على البصرة وأعمالها والبحرين وعُمان سنة ١٣٣ هـ/ ٧٥١ م . انظر : **الطبري** ، *تاريخ* ، ج ٧ ، ص ص ٤٥٩ - ٤٦٠ ، ٤٦٥ .

(٢١٢) أرسل الخليفة العباسي أبو العباس ، القائد خازم بن خزيمة في قوة عسكرية لاخضاع بلاد عُمان سنة ١٣٤هـ/ ٧٥٢م ، فاستطاع - بعد مقاومة عنيفة من أهالي عُمان بقيادة الجلندي بن مسعود - أن يقضي على حركة الإباضية بعُمان ويضم عُمان إلى السلطة العباسية . وقد ظفر بهم بطريقة قاسية ، وذلك بأن قام بإشعال النار في بيوتهم . ويصور الطبري ماحل بهم بقوله : " وأضرمت بيوتهم بالنيران وشغلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأهاليهم (ثم) شدّ عليهم خازم وأصحابه ، فوضعوا فيهم السيوف وهم غير ممتنعين منهم ، وقُتلَ الجلندي فيمن قُتل ، وبلغ عدة من قتل عشرة آلاف . . . " . الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ص ٤٦٢-٤٦٣ .انظر أيضًا : **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج ٥ ، ص ٤٥٢ .

المراجـــــع

أولا : المراجع العربية

ابن الأثير ، علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري ، *الكامل في التاريخ* ، بيروت : دار صادر ، ١٩٨٢ .

ـــــــ ، *أسد الغابة في معرفة الصحابة* ، بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٩ .

الأزدي ، عبدالغني بن سعيد ، *كتاب المتوارين : الذين اختفوا خوفا من الحجاج بن يوسف* . ت . مشهور حسن محمود سلمان ، ط ١ ، دمشق : دار القلم ١٩٨٩ .

الأزدي ، يزيد بن محمد بن القاسم ، *تاريخ الموصل* ، ت .علي حبيبة ، القاهرة : لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٩٦٧ .

الأشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل ، *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين* ، ت . محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط ٢ ، القاهرة : مكتبة النهضة ، ١٩٨٩ .

الأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبدالله ، *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء* ، ط ٥ ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٨٧ .

الأصطخري ، إبراهيم بن محمد ، *مسالك الممالك* ، ت . دي غوية ، ليدن ، طبعة بريل ، ١٩٢٧ .

الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين ، *كتاب الأغاني* ، بيروت : مؤسسة جمال للطباعة والنشر (مصور عن دار الكتب المصرية) ، د . ت .

الأفغاني ، سعيد ، *أسواق العرب في الجاهلية والإسلام* ، القاهرة : دار الكتاب الإسلامي ، ١٩٩٣ .

البغدادي ، عبدالقاهر بن طاهر ، *الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم* ، ط٣ ، بيروت : دار الآفاق الحديثة ، ١٩٧٨ .

البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر ، *فتوح البلدان* ، ت . رضوان محمد رضوان ، بيروت : دار الكتب العملية ، ١٩٨٧ .

ـــــــ ، *أنساب الأشراف* ، ت . محمد حميد الله ، ج ١ ، القاهرة : دار المعارف ، د . ت .

ـــــــ ، *أنساب الأشراف* ، ت . ماكس سكلو سنجر ، الجزء الرابع ، القسم الثاني ، القدس : مطبعة الجامعة ، ١٩٣٨ .

ـــــــ ، *أنساب الأشراف* ، ت . محمد باقر المحمودي ، (د . ج) ، ط ١ ، بيروت : دار التعارف للمطبوعات ، ١٩٧٧ .

التميمي ، محمد بن أحمد بن تميم ، *كتاب المحن* ، ت . يحيى وهيب الجبوري ، ط ٢ ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٨ .

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، *كتاب الحيوان* ، ت . عبدالسلام محمد هارون ، بيروت : دار الجيل ، ١٩٩٢ .

ـــــــ ، *رسائل الجاحظ* ، ت . عبدالسلام محمد هارون ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، د .ت .

الجاسر ، حمد ، "ولاة الأحساء في العهد الأموي" ، *مجلة العرب* ، سنة ١ ، عدد ١ ، الرياض :

دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .

الجنحاني ، الحبيب ، "دور عُمان في نشاط التجارة العالمية خلال العصر الإسلامي الأول" ، مجلة *المؤرخ العربي* ، عدد ٢١ ، بغداد ، ١٩٨٢ .

ابن حبيب ، علي بن جعفر بن محمد ، *كتاب المُحبر* ، ت . ايلزه ليختن شتيتر ، بيروت : المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت .

ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني ، *تهذيب التهذيب* ، ط ١ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٩٩١ .

الحربي ، إبراهيم بن إسحاق ، *كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة* ، ت . حمد الجاسر ، ط ٢ ، الرياض : منشورات دار اليمامة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

ابن حزم ، أحمد بن سعيد ، جمهرة *أنساب العرب* ، ط ١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣ .

الحموي ، ياقوت بن عبدالله ، معجم *البلدان* ، بيروت : دار صادر ، ١٩٨٩ .

حوراني ، جورج فاضلو ، *العرب والملاحة في المحيط الهندي* ، ترجمة يعقوب بكر ، القاهرة : مكتبة الأنجلو ، د .ت .

ابن خرداذبة ، عبيد الله بن عبدالله ، *المسالك والممالك* ، ت . دي غوية ، ليدن : طبعة بريل ، ١٨٨٩ .

الخطفي ، جرير بن عطية ، شرح *ديوان جرير* ، ت . إيليا الحاوي ، ط ١ ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٢ .

خليفات ، عوض محمد ، *نشأة الحركة الإباضية* ، عُمان : مطابع دار الشعب ، ١٩٦٨ .

ـــــــ ، *الأصول التاريخية للفرقة الإباضية* ، ط ٣ ، عدد ٢٧ ، عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٨٨ .

خماش ، نجدة ، *الإدارة في العصر الأموي* ، ط١ ، دمشق : دار الفكر ، ١٩٨٠ .

دكسن ، عبدالأمير ، « من تاريخ عُمان في العصر الأموي » ، مجلة *الخليج العربي* ، **عدد ١** سنة ١ ، بغداد ، ١٩٧٣ .

الدينوري ، أبو حنيفة بن داود ، *الأخبار الطوال* ، ت . حسن الزين ، بيروت :دار الفكر الحديث ، ١٩٨٨ .

الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام* ، ت . عمر عبدالسلام تدمري ، ط١ ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٩٠ .

الريس ، محمدضياء الدين ، *الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية* ، ط ٥ ، القاهرة : دار التراث ، ١٩٨٥ .

الزبيري ، المصعب بن عبدالله بن المصعب ، *كتاب نسب قريش* ، ت . إ . ، ليفي بروفينسال ، ط٢ ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٢ .

الزرو ، خليل داود ، *الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني* ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧١ .

الأزكوي ، سرحان بن سعيد ، *تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة* ، ت . عبدالمجيد حسيب القيسي ، عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، د . ت .

السالمي ، عبدالله بن حميد ، *تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان* ، القاهرة : د . ن ، ١٩٦١ .

ابن سعد ، محمد بن منيع البصري ، *الطبقات الكبرى* ، بيروت : دار صادر ، د . ت .

ــــــ ، *الطبقات الكبرى* ، الطبقة الخامسة من الصحابة ، ت . محمد بن صامل السلمي ، ط ١ ، الطائف : مكتبة الصديق ، ١٩٩٣ .

ابن سلام ، أبو عبيد القاسم ، *كتاب النسب* ، ت . مريم محمد خير الدرع ، ط ١ ، بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٩ .

ــــــ ، *كتاب الأموال* ، ت . محمد خليل هراس ، ط ٣ ، القاهرة : الكليات الأزهرية ودار الفكر ، ١٩٨١ .

السيابي ، سالم بن حمود ، *عُمان عبر التاريخ* ، عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٨٢ .

الشريقي ، إبراهيم ، *أضواء على الخليج العربي ومسقط وعُمان* ، ط ١ ، جدة : مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ .

الشماخي ، أحمد بن سعيد بن عبدالواحد ، *كتاب السير* ، ت . أحمد بن سعود السيابي ، عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٨٧ .

الطبري ، محمد بن جرير ، *تاريخ الرسل والملوك* ، ت . محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٤ ، القاهرة : دار المعارف ، د . ت .

عاقل ، نبيه ، *تاريخ خلافة بني أمية* ، ط ٤ ، بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٣ .

العاني ، عبدالرحمن عبدالكريم ، *دور العُمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري* ، ط ٢ ، عدد ٢٦ ، عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٨٦ .

ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد ، *العقد الفريد* ، ت . عبدالمجيد الترحيني ، ط ٣ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧ .

آل عبدالقادر ، محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن ، *تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد* ، ط ٢ ، ت . حمد الجاسر ، الرياض : مكتبة المعارف ، الأحساء :مكتبة الأحساء الأهلية ، ١٩٨٢ .

ابن عساكر ، علي بن الحسين ، *تهذيب تاريخ دمشق الكبير* ، تهذيب عبدالقادر بدران ، ط٣ ، بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٩٨٧ .

العصفري ،خليفة بن خياط ، *تاريخ خليفة بن خياط* ، ت . أكرم العمري ، ط ٢ ، الرياض : دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٠ .

العقيلي ، عمر سليمان ، *يزيد بن معاوية (حياته وعصره)* ، ط ١ ، الرياض : نشر المؤلف ١٩٨٨ .

العقيلي ، محمد أرشيد ، *الخليج العربي في العصور الإسلامية* ، ط ٢ ، بيروت : دار الفكر اللبناني ، ١٩٨٨ .

ــــــــ ، " الحركة الإباضية في عُمان وعلاقتها السياسية مع الدول العباسية حتى سقوط الإمامة الثانية " ، *مجلة كلية الآداب* ، العين :جامعة الإمارات العربية المتحدة ، **عدد ١** ، ١٩٨٥ .

ــــــــ ، "المهالبة الخليجيون ودورهم في أحداث شرق العالم الإسلامي" ، *مجلة كلية الآداب* ، *العين : جامعة الإمارات العربية المتحدة* ، **عدد ٤** ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

ــــــــ ، *الإباضية وعلاقتها مع الدولة العباسية في عصرها الأول* ، عدد ٦٠ ، عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٨٤ .

علي ، جواد ، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام* ، ط ٢ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٨ .

العلي ، صالح أحمد ، "إدارة الحجاز في العهود الإسلامية الأولى" ، *مجلة الأبحاث* ، سنة ٢١ ، عدد ٢ - ٤ ، بيروت : الجامعة الأمريكية ، ١٩٦٨ .

ــــــــ ، "تنظيم جباية الصدقات في القرن الأول الهجري" ، *مجلة العرب* ، ج ١٠ ، السنة الثالثة ، الرياض : دار اليمامة ، ١٩٦٩ .

الغامدي ، سعد محمد حذيفة ، « الفتح الإسلامي لبلاد وادي السند » ، مجلة *حوليات كلية الآداب* ، الحولية التاسعة (الرسالة ٥٢) ، الكويت : جامعة الكويت ، ١٩٨٧/ ١٩٨٨ .

الغنيم ، عبدالله يوسف ، *جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك لأبي عبيد البكري* ، ط ١ ، الكويت : ذات السلاسل للطباعة والنشر ، ١٩٧٧ .

غنيمي ، رأفت ، "دور عُمان في بناء حضارة شرقي إفريقية" ، *حصاد ندوة الدراسات العُمانية* ، ط ٢ ، المجلد الثالث ، عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٨٦ .

الفرزدق ، همام بن غالب بن صعصعة ، *ديوان الفرزدق* ، ت . كرم البستاني ، بيروت : دار بيروت ، ١٩٨٠ .

ابن الفقيه ، أحمد بن محمد الهمداني ، *مختصر كتاب البلدان* ، ليدن : طبعة بريل ، ١٨٨٥ .

قاسم ، جمال زكريا ، "الدولة العُمانية في شرقي إفريقية " ، *حصاد ندوة الدراسات العُمانية* ، ط٢ ، **المجلد الثالث** ، عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٨٦ .

ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم ، *المعارف* ، ت . ثروت عكاشة ، ط ٤ ، القاهرة : دار المعارف ، د . ت .

قدامة ، أبو الفرج بن جعفر ، *نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة* ، ليدن : طبعة بريل ، ١٨٨٩ .

القرشي ، يحيى بن آدم ، *كتاب الخراج* ، ت . أحمد محمد شاكر ، بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٩٧٩ .

قرقش ، محمد ، *عُمان والحركة الإباضية* ، ط ١ ، عجمان : مؤسسة علوم القرآن ، روى : مكتبة سسقط ، ١٩٩٠ .

القلقشندي ،أحمد بن علي بن أحمد ، *نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب* ، بيروت : دار الكتب العلمية ، د .ت .

الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، جمهرة *النسب*، ت. ناجي حسن، ط ١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٣.

كوستا، د. بي، "دراسة تمهيدية للاستقرار الحضاري القديم في عُمان"، حصاد *ندوة الدراسات العُمانية*، ط ٢، **المجلد الخامس**، عُمان: وزارة التراث والثقافة، ١٩٨٠.

كيركمان، جي، "التاريخ المبكر لعُمان الاسلامية في شرقي إفريقية"، حصاد *ندوة الدراسات العُمانية*، ط ٢، **المجلد الخامس**، عُمان: وزارة التراث القومي والثقافي، ١٩٨٠.

ماجد، عبدالمنعم، *التاريخ السياسي للدولة العربية: عصر الخلفاء الأمويين*، ط ٤، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧١.

ماسينيون، ل، *خطط البصرة وبغداد*، ترجمة إبراهيم السامرائي، ط ١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١.

الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، *الأحكام السلطانية والولايات الدينية*، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، *الكامل في اللغة والأدب*، بيروت: مؤسسة المعارف، د.ت.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، ت. محمد محيي الدين عبدالحميد، ط ٤، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٦٤.

معروف، نايف، *الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم*، ط٣، بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٦.

المقدسي، محمد بن أحمد، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، ت. دي غويه، ليدن: طبعة بريل، ١٩٠٦.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، *لسان العرب*، بيروت: دار صادر، د. ت.

مؤلف مجهول، *تاريخ أهل عُمان*، ت. سعيد عبدالفتاح عاشور، عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٠.

مؤلف مجهول، *قصص وأخبار جرت في عُمان*، ت. عبدالمنعم عامر، عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٧٩.

النابوده، محمد حسن، "عبدالله بن أباض ونشأة المذهب الأباضي"، *مجلة دراسات تاريخية*، العدد ٤٥ - ٤٦، السنة ١٤، دمشق: جامعة دمشق، ١٩٩٣.

النويري، أحمد بن عبدالوهاب، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥.

ابن هشام، عبدالملك بن أيوب الحميري، *السيرة النبوية*، ت. مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

وزارة الإعلام، *عُمان ٩٠*، عُمان: مطبعة مزون، ١٩٩٠.

وزارة الإعلام ، *عُمان ٩٠* ، عُمان : مطبعة مزون ، ١٩٩٠ .
ولكنسن ، جي ، سي ، *بنو الجلندي في عُمان* ، عدد ٣٦ ، عُمان : وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٨٢ .
اليعقوبي ، أحمد بن جعفر بن واضح ، *تاريخ اليعقوبي* ، بيروت : دار صادر ، ١٩٩٢ .
ـــــــ ، *كتاب البلدان* ، ت . دي غويه ، ط ٣ ، ليدن : طبعة بريل ، ١٨٩٢ .
أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم ، *كتاب الخراج* ، بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٩٧٩ .

ثانيًا : المراجع الأجنبية

Abu Ezzah, Abdullah, The Political Situation in Eastern Arabia At The Advent of Islam, *Proceeding of the Twelfth Seminar for Arabian Studies*. **vol. 1,** London, 1979.

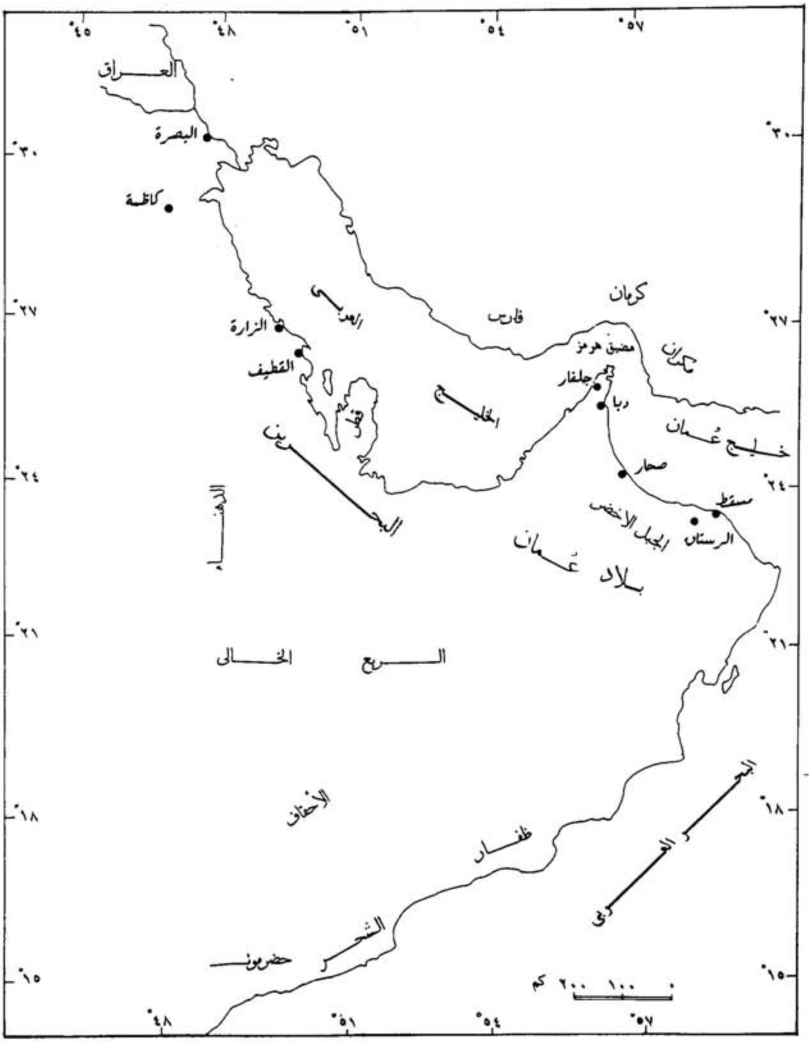
Dixon, 'Abd al-Ameer 'Abd, *The Umayyad Caliphate:* 65-86/684-705 (A Political Study), London: Luzac, 1971.

Morony, Michael G., The Arabisation of the Gulf, *In:* **B.R. Pridham** (ed.) *The Arab Gulf and the Arab World*, Croom Helm, London.

Shoufani, Elias, *Al-Riddah and the Muslim conquest of Arabia*, University of Toronto Press, The Arab Institute for Research and Publishing, Toronto, 1973.

Strenziok, G., *AZD, Encyclopedia of Islam*, New Ed. Vol. 1, Leiden: E.J. Brill, Luzac: London, 1960.

Wilkinson, J.C., The Early Development of The Ibadi Movement in Basra, *In:* **G.H.A. Juynboll** (ed.) *Studies on the First Century of Islamic Society*, Southern Illinois Univ. Press, 1982.



بلاد عُمان فى العصر الأموى

The Political Conditions of the Land of 'Uman during the Umayyad Period (41-132 A.H. / 661-750 A.D.)

IBRAHIM ABD AL-AZIZ AL-JOMAIH
Assistant Professor, Department of History,
Faculty of Arts and Humanities,
King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

ABSTRACT 'Uman had been known to enjoy some measure of local political autonomy since it embraced Islam. Their rulers were managing their local affairs and running economic affairs despite the fact that they were under the domination of the Islamic Caliphate in Medina.

Some of the important questions that this study will raise are: What were the political conditions of 'Uman during the Umayyad period? Was 'Uman entirely independent of the Umayyad's rule? When did Umayyad political influence over 'Uman begin? What were the features of their policy?

Also, what were the political conditions of 'Uman during the period of political disturbances in the Umayyad period? Who was governing 'Uman? And what were their political activities?

Why and how did 'Uman submit to Umayyad authority? What were the consequences of submission? And finally, what were the policies of the latter Umayyad Caliphs towards 'Uman? And what were the consequences of such policies?

This study will attempt to answer the aforementioned questions by shedding light on the political conditions of 'Uman during the Umayyad period.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الانسانية ، م٩ ، ص.ص ١٩٥ - ٢٤٦ (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)

المستشرق ترمنجهام ومنهجه في دراسة انتشار الإسلام في غرب إفريقيا وموقفه من الإسلام والمسلمين

سعود بن حمد الخثلان

أستاذ مساعد-قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبدالعزيز - جدة - المملكة العربية السعودية

المستخلص : تناقش هذه الدراسة رأي المستشرق ترمنجهام حول المدى الذي كان عليه انتشار الإسلام في منطقة غرب إفريقيا في السابق ، وكذلك تفسيره لأسباب هذا الانتشار الذي امتد عبر القرون . وذلك ليتسنى الكشف عن مواطن الخلل في منهجه ، ثم معرفة موقفه من الإسلام والمسلمين . وهذه المناقشة لم تكن لتكتمل بدون التعرض لمسألة التنصير ، فلقد كان ترمنجهام من رجالات التنصير الذين عملوا من أجله، وفي قارة إفريقيا نفسها . فكان لابد من معرفة أثر ذلك على توجهات وآراء هذا المستشرق وهو يكتب عن تاريخ الإسلام والمسلمين في غرب إفريقيا .

تمهيد

إن هدف هذه الدراسة هو تسليط الضوء على جانب من كتابات المستشرق جون ترمنجهام عن الإسلام في إفريقيا . وترمنجهام هو واحد من الكُتاب الذين جمعوا بين الاستشراق والتنصير والعمل في مجال التعليم الجامعي . ولا شك في أن مؤلفات هذا النوع من الكُتاب تحوي أكثر الكتابات الاستشراقية خطورة على الدراسات الإسلامية ، كما سيشار إليه في صفحات تالية من هذا البحث .

ومن هذا المنطلق تأتي أهمية الكتابة في هذا الموضوع . وكما قال أحد الكتاب ، فإن من حق كل أمة أن يعرف أبناؤها مايقوله الآخرون عنها في عقيدتها وأخلاقها وثقافتها وحضارتها . كما أن من حق أبنائها المثقفين أن يتناولوا هذه الأقوال بالتحليل

والنقد [١] . وهذا ما حدث بالفعل فقد اتجه كتاب مسلمون للتصدي لكتابات المستشرقين فيما يخص مجالات عديدة كالقرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، والتاريخ الإسلامي ، إلى غير ذلك . وما البحث الذي بين أيدينا إلا مجرد محاولة للإسهام في هذا الشأن . خاصة وأن المستشرق الذي تم اختياره لم يسبق - حسب علم الباحث - أن أُفردت كتاباته عن الإسلام والمسلمين في إفريقيا بالدراسة رغم شهرته وأهمية المنطقة التي يكتب عنها [٢] .

كتب ترمنجهام عدداً من المؤلفات عن الإسلام والمسلمين في قارة إفريقيا . وقد أفرد اثنين من هذه المؤلفات لدراسة الإسلام وتاريخه في منطقة غرب إفريقيا [٣] . كما كتب مقالين عن انتشار الإسلام في إفريقيا بشكل عام [٤] .

وتطرق ترمنجهام في الكتابين والمقالين إلى انتشار الإسلام في غرب إفريقيا منذ بدء الاتصالات الأولى بين المسلمين وبلاد السودان [٥] . في القرن الثاني الهجري (الثامن ميلادي) إلى زمن الاستعمار ودخول المنطقة تحت نفوذ الدول الغربية .

---

(١) **التهامي نقرة** ، « *القرآن والمستشرقون* » في : *مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية* ، الرياض ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م ، ج ١ ، ص ٢١ .

(٢) تعرض الدكتور عز الدين موسى بالنقد لنظرة بعض المستشرقين إلى ظاهرة انتشار الإسلام في غرب إفريقيا ، ومن ضمن هؤلاء ترمنجهام ، وذلك في مقالين قيمين له . راجع : **عز الدين عمر موسى** ، انتشار الإسلام في غرب إفريقيا حتى القرن السادس عشر الميلادي ، *ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية (الخرطوم ٢٨ / ٣٠ يوليو ١٩٨٣ م)* ، بغداد ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م ، "On the Nature of Islamization and Islamic Reform Movements in Bilad as - Sudan Up to Sokoto Jihad" ***Dirasat*** , *Vol.6* , 1, 97 .

(٣) *Islam In West Africa* , 1 st ed., Oxford , Oxford University Press , 1959 .
A History of Islam in West Africa ,1st ed.,London,Oxford University Press,1962 .
يلاحظ أن هذه هي الطبعة الأولى بالنسبة للكتاب الأول . إلا أن الرجوع إليه في هذا البحث سيكون لطبعة ١٩٧٢ م . أما الكتاب الثاني فسيكون الرجوع إلى نفس هذه الطبعة .

(٤) "The Phases of Islamic Expansion and Islamic Cultrue Zones in Africa" , **In** : **I . M.Lewis (ed.)** , *Islam in Tropical Africa*, Oxford, Oxford University Press , 1966,pp. 127 - 139 . The Expansion of Islam , **In** : ***J. Kritzeck*** **and *W. H. Lewis*** (eds.), *Islam in Africa*,New York and London,Van Nostrand - Reinhold Company , 1969 , pp . 13 - 34 .

(٥) ظهر مسمى بلاد السودان في بعض المصادر الإسلامية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : عبدالله بن أبي عبدالله المالكي ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان ، ج ١ ، تحقيق حسين=

وقد قسم ترمنجهام هذه الفترة إلى أربع مراحل . الأولى وتبدأ من الاتصالات الأولى للمسلمين ببلاد السودان إلى ماقبل ظهور المرابطين . والثانية وحددها من منتصف القرن الحادي عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر الميلاديين ، أي من ظهور المرابطين إلى ماقبل قيام حركات الجهاد الإسلامية في غرب إفريقيا . والثالثة وتشمل مرحلة الجهاد . أما الرابعة فهي مرحلة الاستعمار الأوروبي للمنطقة (٦) . إلا أن الملاحظ أن ترمنجهام في التفصيل تحدث عن خمس مراحل وليس أربع . فما ذكره عن مرحلة مابعد سقوط دولة سنغي جعلها تبرز كمرحلة تختلف عن المراحل الأخرى ، كما سيُشار إليه فيما بعد . ويبدو أن ترمنجهام ، نظراً لسعة المنطقة وطول الفترة ، اتجه للتركيز ، من ناحية المكان ، على السودان الغربي ، ومن ناحية الزمان على المرحلة الثانية . فالسودان الغربي كان موطن أهم الممالك السودانية ، غانة ومالي وسنغي . أما المرحلة الثانية ، فقد كان لها أهميتها حيث تبلور خلالها الوجود الإسلامي في بلاد السودان ، وقامت أعظم الممالك الإسلامية فيها ، مالي وسنغي .

وسيقتصر البحث الذي بين أيدينا على دراسة ما كتبه ترمنجهام عن المرحلتين الأولى والثانية . ولن يشمل المرحلتين الأخيرتين ، حسب تقسيم ترمنجهام ، لأن ذلك، في الواقع ، يحتاج إلى حيز كاف في دراسة مستقلة تغطي كل الجوانب المتعلقة بها ، والتي تطرق إليها في كتبه ومقالاته : أما من ناحية المنطقة فسيركز البحث على السودان الغربي .

وفي دراسة ماكتبه ترمنجهام عن هاتين المرحلتين ستتركز المناقشة على نقاط ثلاث :

= مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥١ م ، ص ١١٧ ؛ **عبدالله بن عبدالعزيز البكري** ، *المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ، باريس ، ١٩٦٥ م ، ص ١٦٤ ؛ **محمد بن محمد بن عبدالله الإدريسي** ، *المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس* (مأخوذة من كتاب : *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*) ليدن ، ١٩٦٨ م ، ص ٢٠ . ويقصد بالمسمى المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى . واتجه الكتاب حديثاً إلى حصره على المنطقة الواقعة بين المحيط الأطلسي غرباً والحبشة شرقًا ، والصحراء الكبرى شمالاً والغابات الاستوائية جنوباً . كما اتجهوا إلى تقسيم المنطقة إلى ثلاثة أقسام : السودان الغربي ثم السودان الأوسط ثم السودان الشرقي . انظر :
The Ency . of Islam , Leyden , 1934 , Vol iv. p . 495 ; **J . S Trimingham** , *Islam in West Africa* , p.1, *A History of Islam in West Africa*, pp.34,104;**H.J Fisher**, *The Cambridge History of Islam* , 1970 , Vol . 2 , p . 345 .

(٦) "*The Phases of Islamic Expansion* ..," op . cit . pp . 127 129 .

١ - المدى الذي كان عليه انتشار الإسلام .

هل يرى ترمنجهام أن الإسلام كان بالاتساع الذي أظهرته المصادر وكثير من الدراسات الحديثة أم أنه اختلف معها في ذلك ؟

٢ - تفسيره لأسباب هذا الانتشار وموقفه من الإسلام والمسلمين من خلال هذا التفسير .

٣ - مدى تأثر ترمنجهام بالتنصير وهو يكتب في هذه الجوانب .

وفي بحث هذه النقاط لابد من الأخذ في الاعتبار ما ذكره ترمنجهام في أكثر من دراسة وأكثر من موضع ، من أنه معني بالحديث عن الإسلام الذي يمارسه الإفريقيون ، وليس الإسلام الذي ينبغي أن يكون ، أو " الإسلام النظري " (٧) . على حد تعبيره . وذلك لأن مناقشة مدى التزام ترمنجهام بهذا المنهج ضرورية في استجلاء موقفه من الإسلام والمسلمين . إذ لابد من التساؤل هل اقتصر هذا المستشرق ، وهو يكتب عن الإسلام والمسلمين في بلاد السودان الغربي ، على واقع المسلمين بظروفه وملابساته ، وبما فيه من إيجابيات وسلبيات ؟ أم أنه انبرى يقيس الواقع وأخطاء البشر على الدين الإسلامي ثم يبني على ذلك آراءه واستنتاجاته ؟

وستكون الدراسة ، بطبيعة الحال ، في ضوء المصادر الإسلامية والمراجع الحديثة ذات العلاقة . كما أن الدراسة لن تكون في غنى عن الرجوع إلى دراسات ترمنجهام عن المناطق الأخرى من القارة ، وذلك للاستدلال والتوضيح . فإنه من أجل تكوين رأي أكثر دقة حول موقف ترمنجهام من الإسلام والمسلمين يجب أن نأخذ في الاعتبار أي قول له في حق الإسلام بما يرمي إليه من هدف قريب أو بعيد ، مباشر وغير مباشر ، بصرف النظر عن المكان الذي يعنيه أو الفترة الزمنية التي يتحدث عنها . فما يقال عن الإسلام سلبيًا أو ايجابيًا فإنه يعني الإسلام في أي زمان أو مكان ، ويمس المسلمين كذلك .

وتجنباً للتكرار والإطالة ، فإن الباحث سيتجنب الدخول في تفاصيل تاريخ انتشار الإسلام في المنطقة والفترة المحددتين إلا بالقدر الذي يكون ضرورياً في

---

(٧) *Islam in West Africa* , Oxford , Clarendon Prress , 1972 , Preface , p . v , *Islam in The Sudan* , London , Frank Cass and Co . ltd ., 1965 , Preface , p . v , *The Influence of Islam upon Africa* , London , Longman , 1980 , preface , p . x ..

توضيح الخلل في منهج هذا المستشرق .

جون سبنسر ترمنجهام J.S.Trimingham

وهو أحد المستشرقين البريطانيين المتخصصين في الدراسات الإفريقية . ارتبط بالتنصير بعد أن أكمل دراساته العليا . وذلك عندما انضم إلى جمعية الإرسالية الكنسية Church Missionary Society (٨) ، ومن خلال هذه الجمعية التنصيرية تيسر له الذهاب إلى إفريقيا ، والمكوث فيها حوالي خمسة عشر سنة حيث انتدبته للعمل في شمال السودان ثم مصر من سنة ١٩٣٧ إلى ١٩٥١ م (٩) .

بعد انتهاء عمله في إفريقيا ورجوعه إلى بريطانيا تهيأت الفرصة لترمنجهام للعودة مرة أخرى إلى إفريقيا على فترات متقطعة ، حيث حصل على منح دراسية للسفر إلى مناطق سن القارة لجمع معلومات لأبحاثه . فقد حصل على منحة من الجمعيةالتنصرية التي كان يعمل فيها وجمعية الإرسالية المثودية Methodist Missionary Society (١٠) . سنة ١٩٥٢ هـ للقيام برحلة إلى غرب إفريقيا ، كان الهدف منها إجراء مسح للإسلام في المنطقة (١١) . وقد استفاد ترمنجهام من ذلك في تأليف كتابه "الإسلام في غرب إفريقيا" (١٢) .

وفي سنة ١٩٦٠ م حصل هذا المستشرق على منحة من أمانة كارنجي لدعم جامعات

---

(٨) عن هذه الإرسالية التنصرية ونشاطها في غرب إفريقيا انظر :
African Encyclopaedia, Oxford, Oxford University Press, 1974, p. 57; **J.D.Fage,** *A History of West Africa*, Cambridge, Cambridge University Press, 1969, pp. 128 - 131 .

(٩) ولد ترمنجهام سنة ١٩٠٤ م ، وانظر ترجمته في :
A.Evory (ed),*Contemporary Authors*,New Revision Series,Michigan, Gale Research Company, 1981, Vol. 3, pp. 538 - 539; *Who'sWho In Europe*, 4th ed., Bruxelles ,1980-1981, p. 2273 ; *The Writers Directory,* Chicago - London , St . James Press ,1986, 76, 80 .

(١٠) هذه الإرسالية تتبع الكنيسة المثودية Methodist Church . ولا يبدو أن هناك ترجمة محدد لكلمة Methodist في هذا السياق، لذا آثر الباحث كتابتها كما تلفظ بالإنجليزية . عن هذه الكنيسة انظر :
The New International Dictionary of The Christian Church , General ed . , **J.D. Douglas,** Exeter, The Paternoster Press, 1974, p. 633; *The New Ency. Britanica*, 15th., 1986, Vol.8, p.07 .

(١١) **J.S. Trimingham**, The Christin Church And Islam In West Africa, *I.M.C. Research Pamphlets No.3*, Edinburgh, SCM Press Ltd., 1955, p.5.

(١٢) *Islam in West Africa,* op. cit. Preface,p.v.

سكتلندا Carnegie Trust for The Univerities of Scotland [١٣] للقيام برحلة إلى شمال إفريقيا ، تمكن خلالها من جمع معلومات لكتابه " الطرق الصوفية في الإسلام " [١٤] .

كما حصل سنة ١٩٦١ م على دعم من جوائز ليفر هولم للبحث Leverhulme Research Awards [١٥] . وآخر من جمعية الإرسالية الكنسية ، مكناه من القيام بجولة في شرق إفريقيا ، كان من نتاجها كتابه " الإسلام في شرق إفريقيا " [١٦] .

دراسات ترمنجهام وأهميتها [*]

كتب ترمنجهام عن الإسلام والمسلمين في إفريقيا ، وهو من القلائل الذين غطت دراساتهم في هذا المجال مناطق ونواحي مختلفة . كما هو واضح من عناوين كتبه المشار إليها في ثنايا هذا البحث .

وبالرغم من أن اهتمامات ترمنجهام تركزت على الإسلام والمسلمين إلا أنه اتجه للكتابة أيضاً عن المسيحية خاصة في إفريقيا ، واهتم في ذلك بالمناطق التي كتب عن الإسلام فيها [١٧] .

---

(١٣) عن مؤسسات أندرو كارنجي الخيرية من أجل التعليم والبحث أنظر :

The New Ency. Britanica, Vol.2, p.880.

(١٤) *The Sufi Orders in Islam,* Oxford, Clarendon Press ,1971,Preface, pp.v-vi

(١٥) عن وليم ليفر هولم مؤسس هذه الجوائز انظر :

The New Ency. Britanica, Vol. 7, p. 306 .

(١٦) *Islam In East Africa,* Oxford, Clarendon Press, 1964, Preface, p.v.

(*) يقصد بذلك أهميتها لدى الباحثين والمؤسسات العلمية والدينية في الغرب ، خاصة في بريطانيا .

(١٧) أشار ترمنجهام ، في مقدمة أحد كتبه عن المسيحية إلى أن اتجاهه للكتابة عن المسيحية بالرغم من أن دراساته تركزت على الإسلام يحتاج إلى تبرير . وضمن التبريرات التي استعرضها في هذا الشأن برزت له أراء جريئة بينت موقفه السلبي من اليهودية ، وكذلك موقفه المعادي للصهيونية ، والمؤيد للفلسطينيين . فقد قال بصريح العبارة : " إن إنشاء دولة إسرائيل كان ومازال جريمة دولية " ، (*Two Worlds Are Ours,* Beirut, 1971, pp..ix-x) . ويلاحظ أنه ورد في ترجمة ترمنجهام (Con . Authors, p. 538) أنه أقام في لبنان ، وتزوج من سيدة فلسطينية ، فلربما كان لذلك أثر في موقفه المتعاطف مع الفلسطينيين .

ويبدو أن اتجاه ترمنجهام للكتابة عن الإسلام وكذلك المسيحية كان نتيجة اهتمامات ظهرت لديه في مقتبل شبابه . فقد أشار في مقدمة أحد كتبه أنه في الفترة التي ترك فيها المسيحية وتحول إلى أحد المذاهب الإلحادية Agnosticism (١٨) ، وهو في سن السادسة عشرة ، ظهرت لديه رغبة في التعرف على الأديان الأخرى (١٩) .

ولما عاد ترمنجهام إلى المسيحية بعد تركه لها ، لم تقلل عودته هذه من رغبته في معرفة المزيد عن الأديان الأخرى . وأنصب اهتمامه على الإسلام . فهو يقول عن نفسه : إن دراسة الإسلام وأثره في المجتمعات أصبحت غايته المنشودة (٢٠) . ويذكر . أيضا أن فضل القرآن والصوفية عليه فيما وصل إليه من معارف ومفاهيم دينية لايقارن أبدا بالعهد القديم (التوراة) الذي يقول عنه إنه لم يجد فيه أي جدوى بالرغم من أنه قرأه بكامله أثناء دراسته في كلية ولز اللاهوتية Wells Theological College (٢١) .

ولاشك في أن انضمام ترمنجهام إلى جمعية تنصيرية ، وعمله في إفريقيا في خدمة هذه الجمعية لمدة طويلة جاء ليدعم ميوله إلى هذا النوع من الدراسة ، ويجعل إفريقا ميدانا لها .

ولا يستغرب أن يظهر هذا الحرص من ترمنجهام على الجمع بين دراسة الإسلام والمسيحية في إفريقيا ، ثم التركيز على الإسلام ، وهو الذي انظم إلى جمعية تنصيرية لها دورها في العمل التنصيري في إفريقيا ، فصار عضوا فعالا فيها ، حيث عمل لصالحها مدة طويلة في القارة ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك . ومعلوم أن مثل هذه الدراسات الأكاديمية لابد وأن تستغل من قبل الجمعيات التنصيرية في دعم أساليبها ، وإنجاح أعمالها للوصول إلى أهدافها (٢٢) .

---

(١٨) Agnosticism : من المذاهب الإلحادية ، ظهر وتبلور في أوروبا في القرن التاسع عشر ميلادي . لمزيد من المعلومات عنه ، راجع :

The New Ency. Britanica, Vol. 1 p. 151 .

(١٩) *Two Worlds Are Ours,* op. cit.,

(٢٠) انظر .Ibid., p. xi

(٢١) انظر .Ibid., pp. x, xi

(٢٢) عن نشاطات الإرساليات التنصيرية في بلاد المسلمين وكثرتها وعمق أهدافها المشبوهة انظر التفصيل القيم الذي أورده ساسي سالم الحاج عن هذا الموضوع في كتابه : الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية ، مالطة ، مركز دراسات العالم الرسلامي ، ١٩٩١ م ، ص ص ٨٣ - ٩٣ ؛ وانظر أيضا : رابطة العالم الإسلامي ، العدد الثالث - ربيع الأول ١٤٠٤ هـ ، وهو عدد خاص عن إفريقيا ، ص ص ٨٦ - ٩٤ ؛ محمد جلال عباس ، المد الإسلامي في إفريقيا ، القاهرة ، المختار الإسلامي ، ١٩٨٧ م ، ص ١٠١ ومابعدها .

والحديث عن دراسة ترمنجهام للمسيحية في إفريقيا يخرج بطبيعة الحال ، عن مجال هذا البحث ، إلا أنه لابد من الإشارة إلى أن ترمنجهام أورد مقارنات بين الإسلام والمسيحية في مواضع من بعض كتبه عن الإسلام في إفريقيا ، وسيتعرض البحث لهذه النقطة فيما بعد ضمن الحديث عن أثر عمل ترمنجهام في مجال التنصير على موقفه من الإسلام والمسلمين .

ويلاحظ أن ترمنجهام في عمله الاكاديمي في مجال الدراسات الاسلامية لم يتجه إلى تحقيق شيء من الكتب الإسلامية المخطوطة كما فعل البعض من المستشرقين هذا مع إدراكه لاهمية هذا العمل بالنسبة لدراسة تاريخ الاسلام والمسلمين في إفريقيا (٢٣) ، وتمكنه من اللغة العربية (٢٤) . ولا ننس أيضا توفر الفرضة لديه ، وهو يعمل في إفريقيا ، للبحث وتتبع المخطوطات ذات العلاقة بمجال دراسته . ولكن يبدو أن عمله في الإرسالية التنصيرية كان مستحوذا على جل نشاطة . وقد أشار إلى ذلك في مقدمة أحد كتبه (٢٥) .

كما أن تركيزه على جمع المعلومات والتأليف كان له دور في انشغاله وقد أشار ترمنجهام إلى ذلك بطريقة غير مباشرة عندما ذكر أنه عند إعداد أحد كتبه عن الإسلام في إفريقيا وجد نفسه في حرج شديد أمام الكم الهائل من المعلومات التي جمعها عن الموضوع ، مما حدى به لأن يتجه للاختيار والاختصار (٢٦) .

وقد نشر ترمنجهام أثناء وجوده في إفريقيا مالا يقل عن خمسة من مؤلفاته ، والتي بلغت حسب ما أشير إليه في بعض كتبه وفي مراجع أخرى ، خمسة عشر كتاباً (٢٧) . أما بعد عودته من إفريقيا فقد انشغل بمهمتين الأولى التدريس الجامعي ، والذي يبدو أنه استمر فيه إلى سنة ١٩٧٧ م . أما المهمة الثانية فهي مواصلة الكتابة ، فقد نشر بقية مؤلفاته في الفترة من ١٩٥٢ م إلى ١٩٧٩ م (٢٨) .

---

(٢٣) انظر **J.S. Trimingham,** *A History of Islam in West Africa,* p.6.

(٢٤) انظر : ص ٢٢٥ – ٢٢٦ من هذا البحث .

(٢٥) *Islam in The Sudan,* Preface, p.v.

(٢٦) *Islam in West Africa,* Preface, p.v.

(٢٧) *Two Worlds Are Ours,* P. ii; *Con. Authors,*pp.538-9; *Who's Who in Europe,* p. 2273.

(٢٨) *Con. Authors,* pp. 538-9; *Who's who in Europe,* p. 2273.

ولاشك أن ترمنجهام لم يكن من الكتاب المغمورين في حقل الدراسات الإفريقية، فما كسبه من خبرة أثناء عمله في إفريقيا وما ناله من تقدير بعد عودته إلى بلاده، وما لقيه من دعم ومنح للقيام ببحوث ميدانية في إفريقيا، لابد وأنه أضفى على دراساته قيمة في نظر الكتاب الغربيين المهتمين بهذا النوع من الدراسات.

ومن مظاهر التقدير والاهتمام التي لقيها ترمنجهام بعد رجوعه إلى بريطانيا أنه عين محاضرا في جامعة جلاسو في قسم الدراسات الإسلامية، فرئيسا لقسم الدراسات العربية والإسلامية فيها من سنة ١٩٥٦ م إلى ١٩٦٤ م وفي سنة ١٩٥٩ م منح شهادة الدكتوراه الفخرية من نفس الجامعة. كما منح جائزة في البحث الميداني من أمانة كارنجي لدعم جامعات سكتلندا سنة ١٩٦٠ م (٢٩).

ويصف أحد الكتاب المختصين دراسات ترمنجهام عن الإسلام في إفريقيا بأنها دراسات رائدة في بعض النواحي ثم يشير إلى أنه بعد كتابات ترمنجهام ظهر الكثير من الأبحاث الغزيرة عن الإسلام في إفريقيا سواء على مستوى المناطق الجغرافية أو الفترات التاريخية (٣٠).

وظهور دراسات جديدة أمر مألوف. وشأن دراسات ترمنجهام في ذلك شأن أي دراسة يمضي عليها فترة من الزمن. فطبيعي أن المعلومات تتجدد والمعارف تتطور في هذا المجال بفضل ما يستجد من اكتشافات لمخطوطات وشواهد وآثار، مما ينجم عنه حقائق جديدة. وربما كان ترمنجهام مدركا لما ستعاني منه دراساته من قصور، فقد أبدى في مقدمة أحد كتبه تذمره من قلة ماكتب من التراث الشعبي في غرب إفريقيا ومن قلة ماعرف وحقق من الكتب المخطوطة ذات العلاقة بالمنطقة (٣١).

لذا نجده في أكثر من موضع يدعو إلى مزيد من البحث والدراسة لكثير من المواضيع التي تناولها هو، وتحقيق كتب التراث في مجال تاريخ الإسلام والمسلمين في القارة الإفريقية (٣٢).

ولكن ذلك لم يقلل من أهمية دراسات ترمنجهام في نظر الباحثين الغربيين المتخصصين. فقد نُعتت، كما رأينا، بأنها دراسات رائدة. وعد باحث آخر كتابي

(٢٩) *Con. Authors,* pp. 538-9; *Who's Who in Europe*, p. 2273.

(٣٠) **P.B.Clarke,** *West Africa and Islam,* London, Edwrard Arnold, 1982, p. viii.

(٣١) *A History of Islam in West Africa* , op.cit. pp. 4,6.

(٣٢) *Ibid*, pp.6,7, *Islam in West Africa,* Preface, p.v.

ترمنجهام ، " الإسلام في غرب إفريقيا " و " تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا " ، من الكتب البارزة ضمن ماكتب عن الإسلام في إفريقيا (٣٣) ووصف الأستاذ جون فيج John Fage ماأورده ترمنجهام في كتابه " تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا " ، عن الممالك والإمبراطوريات التي قامت في بلاد السودان ، على أنه دراسة علمية تحليلية موسعة (٣٤) .

كما أن كتب ترمنجهام كثيرا ما يشار إليها كمراجع في البرامج الدراسية في المدارس والمراكز المتخصصة في الدراسات الإفريقية (٣٥) . وقل أن تجد أحدا من الكتاب الغربيين في الوقت الحاضر ، ممن هم مهتمون بتاريخ القارة الإفريقية ، لا يشير في أبحاثه إلى دراسات ترمنجهام ، عند تعرضه للحديث عن تاريخ الإسلام في إفريقيا وأثره على الإفريقيين .

ولاشك في أن مؤلفات المستشرقين تصبح أشد خطورة في مجال الدراسات الإسلامية عندما تكون من إنتاج كتاب جمعوا بين التنصير والاستشراق والعمل الجامعي ، كما هو الحال عند ترمنجهام . وذلك لتوفر الدافع القوي المناهض للإسلام والمسلمين لدى من اتجه الى التنصير ، وتوفر المؤهلات العلمية المتخصصة المعينة على تحقيق هذا الهدف لدى من تخصص في مجال الاستشراق والتدريس الجامعي فالكاتب الذي يجمع بين هذه الأمور يكون أكثر استعدادا من غيره في بث الدس والتشويه من خلال كتاباته (٣٦) .

وإنه لمن نافلة القول أن يشار إلى أن خطورة كتابات المستشرقين لاتقتصر على ما يتخلل كتبهم من أخطاء في النقل أو سوء فهم عفوي للنصوص، مما يقع فيه بعض المستشرقين، بل الأمر يتجاوز ذلك إلى خطورة أهم ، ألا وهي القراءة المنحرفة للنصوص من المصادر

---

(٣٣) **Daniel Mccall** (ed), Boston University Papers on Africa, vol.1 1971,Intro., p. v-vi.

(٣٤) "Some Thoughtts on State Formation In The Western Sudan Before The Seventeenth Century",Boston University Papers In African History, vol.1,1964, p. 23.

(٣٥) ومن الأمثلة على ذلك :

- Centre of West African Studies, University of Birmingham, United Kingdom
  African Studies Centre, University of Boston, United States .
- School of Oriental and African Studies, University of London, United Kingdom.

(٣٦) لأمثلة أخرى لمستشرقين خدموا في مجال التنصير ، وعن الترابط والتعاون بين الاستشراق =

والطريقة غير العلمية التي تبرر بها الحقائق والمعلومات ، وما يترتب عليه من استنتاجات وتفسيرات خاطئة وبعيدة كل البعد عن الواقع ، كما سنلاحظه من خلال بعض الأمثلة مما كتبه ترمنجهام عن الإسلام في غرب إفريقيا .

فعلى سبسيل المثال ، سنرى فيما بعد كيف أن ترمنجهام لم يخطئ في الجزء الذي نقله من نص لابن حوقل عن أهل السودان ، بل ضل في تجاهله لبقية النص وفي تفسيره لمقصد المؤلف .

انتشار الإسلام

المرحلة الأولى : وهي المرحلة التي تمتد من بداية الاتصال بين المسلمين وبلاد السودان إلى ماقبل ظهور المرابطين ، وقد تطرق ترمنجهام في حديثه عنها إلى طبيعة الاتصالات الأولى ، وإلى المدى الذي وصل إليه الاسلام في المنطقة بعد أن حمله التجار إليها .

وفي نقاشه لهذه الجوانب ذكر ترمنجهام أن الموجة الأولى من انتشار الإسلام في غرب إفريقيا قامت على أسس اقتصادية ، وقال إن العرب لم يتجهوا إلى فتح السودان بل كانوا مهتمين فقط بتنظيم تجارة الذهب (٣٧) . وأشار إلى بعض الأحداث ليدلل على ذلك ، فذكر حمله حبيب بن أبي عبيدة الفهري (٣٨) (ت ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م) إلى بلاد السوس وأطراف بلاد السودان التي غنم فيها كميات من الذهب والرقيق سنة ١١٦ هـ (٧٣٤م) (٣٩) ، وحفر ابنه عبدالرحمن بن حبيب (ت ١٣٧ هـ / ٧٥٤م) بعض الآبار

= والتنصير وخطورة ذلك ، انظر : قاسم السامرائي ، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية الرياض، دار الرفاعي ، ١٤٠٣ هـ ، ص ص ٥١ - ٥٣ ؛ أحمد غراب ، رؤية إسلامية للإستشراق، الرياض ، المنتدى الإسلامي ، ١٤١١ هـ ، ص ص ٥٠-٥٤ ، ٦١ - ٧٧ ؛
M. Hiskett, *The Development of Islam in West Africa,* London and New York , Longman , 1984, pp. 217-220.

(٣٧) *A History of Islam in West Africa*, p. 27.

(٣٨) يلاحظ أن خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، الرياض ، دار طيبة ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٣٤٧ . ، والبلاذري ، فتوح البلدان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣ م ، ص ٢٣٣ ، ذكرا ان الذي قام بالحملة هو ابنه عبدالرحمن بن حبيب . ريبدو أن ترمنجهام رجح أن الأب هو الذي قام بالحملة ، وهو الذي ذكره ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، القاهرة ، لجنة البيان العربي ، ١٩٦١ م ، ص ٢٩٣ .

(٣٩) هذا التاريخ حسب ماورد عند خليفة بن خياط ، ص ٣٤٧ ، وحسب مايبدو كذلك من السياق عند ابن عبدالحكم ، ص ٢٩٣ . أما ترمنجهام فقد جعله ١١٨ هـ / ٧٣٦ م .

على طريق التجارة المتجه إلى أودغست Awdaghast جنوب الصحراء ، والمعاملات التجارية التي قامت بين الدولة الرستمية وبعض ممالك السودان الغربي (٤٠) .

وترمنجهام بهذا التفسير للأحداث يربط بدايات اهتمام المسلمين ببلاد السودان ، واتصالهم المباشر بأهلها ، ونقل الإسلام إليهم ، بأهداف اقتصادية ، وذلك ليلغي فاعلية الناحية الدينية في هذا العمل عند المسلمين ، ويقلل من دور الاسلام وأهميته في عملية التطور التي حدثت في علاقات شمال الصحراء ببلاد السودان . ومما يؤكد هذا المنهج عند ترمنجهام قوله وبصيغة التعميم إن اهتمام التجار المسلمين بتبليغ الاسلام كان قليلا جدا (٤١) . وهذا يدخل ، في الواقع ، ضمن التفسيرات الاقتصادية التي طالما رددها بعض الكتاب الغربيين عن مسيرة الإسلام والمسلمين في إفريقيا وغيرها (٤٢) . ولكن ومع ذلك نجد منهم من أكد على أهمية دور قوة الاسلام كدين في حركة الاتصال بين شمال الصحراء وجنوبها ، وكذلك أهمية الناحية الدينية بالنسبة للتاجر المسلم الذي كان يتنقل بين المنطقتين (٤٣) .

ويظهر شيء من الاضطراب في ملاحظات ترمنجهام حول المدى الذي وصل إليه انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي في هذه المرحلة . فقد ذكر ترمنجهام أنه في أوائل القرن

---

(٤٠) *A History of Islam in West Africa, p. 27.* عن حفر الآبار على هذا الطريق انظر : **عبدالله بن عبدالعزيز البكري** ، *المُغْرب* ، ص ١٥٧ . وعن معاملات الرستميين التجارية مع بلاد السودان انظر : **الحبيب الجنحاني** ، *المغرب الإسلامي : الحياة الاقتصادية والاجتماعية* ، تونس الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٧ م ، ص ص ١٠٨ ، ١٣١ ، ١٣٣ - ١٣٤ .

(٤١) *A History of Islam in West Africa,* p. 28.

(٤٢) انظر على سبيل المثال

C.Brockelmann, *History of The Islamic peoples,* Trans. By J. Carmichael and M. Perlman, London Routledge and Kegan Paul, 1980, pp. 54,56,62; **C. Julin,** *History of North Africa,* Trans. By J. Petrie, London, Routledge and Kegan Paul, 1970, pp. 5.21; **S.J Hogben** and **A. H.Kirk-Greene,** *The Emirates of Northern Nigeria,* London, Oxford University Press, 1966, p.11.

(٤٣) **M. Brett,** Islam and Trade in the Bilad Al-Sudan, 10th-11th Century A.D., *Journal of African History* **24,** 1983; **H.J.Fisher,** *The Cambridge History of Islam,* 1970, Vol.2, pp. 345-6; **P. J. Ryan,** *Imale; Yoruba Participation in the Muslim* Tradittion, Missoula, Scholars Press, 1978, p.17.

الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) بدأ الإسلام ينتشر بين السودان (٤٤) . وذكر أيضا أن الإسلام في بلاد السودان كان دين المدن (٤٥) . بينما ذكر في مواضع أخرى أن عامة الناس في بلاد السودان لم يتحولوا إلى الإسلام ولا حتى تحولا ظاهريا ، ولم يتوقع ذلك منهم (٤٦)، وأن الإسلام كان محصورا هناك في التجار الغرباء وحاشية الملك (٤٧) ، وأكد ترمنجهام ذلك عندما وصف المجتمع الإفريقي بأنه منقسم إلى شرائح اجتماعية منفصلة عن بعضها وغير متداخلة (Segmentary Socieities) ، وقوله إن الإسلام ينتشر في طبقة اجتماعية معينة دون أن يؤثر ذلك في بقية الطبقات . سواء في هذه المرحلة أو المراحل الأخرى (٤٨) .

ولم يقتصر الأمر هنا على تناقض ترمنجهام مع نفسه في نظرته إلى انتشار الإسلام في غرب إفريقيا في هذه المرحلة ، بل هو أيضا يتعارض مع ماجاء في المصادر ، فالحسن المهلبي (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م) يشير إلى وجود الإسلام في مملكة كوكو (جاو) Kawkaw (Gao) في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) . ويذكر أن جميع أهلها كانوا مسلمين ، وأنها كانت تتكون من مدينتين ؛ إحداهما للملك وخاصته ، وله فيها مسجد يصلي فيه . أما مسجد الجماعة فيقع بين المدينتين (٤٩) ، ويشير البكري (ت٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م) إلى استمرار ذلك عندما ذكر أن ملك كوكو كان مسلمًا وأن أهلها كانو لا يملكون إلا من كان مسلما (٥٠) . ونجد مايؤيد ذلك عند السعدي

---

(٤٤) *A History of Islam in West Africa,* p.28.

(٤٥) *Ibid.*,pp.7,31, *Islam in West Africa,* p.25..

(٤٦) *A History of Islam in West Africa,* p.29.

(٤٧) *Ibid.*,pp.7,31, *Islam in West Africa,* p.23..

(٤٨) انظر **عز الدين موسى** ، " انتشار الإسلام . . " ، ص ٤٧ ، "On The Nature of Islamization.." , p.11 وقد بين الكاتب بوضوح ، (المقال الثاني ، ص ص ١١-١٦ ، ومقال آخر له : «الإسلام وإفريقيا »، العرب وإفريقيا : بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي ، ط١ ، بيروت يناير ١٩٨٤م ، ص ص ٧٩-٨٠) أن هذه الأقوال لترمنجهام وغيره من المستشرقين هي من المفاهيم الخاطئة لظاهرة انتشار الإسلام في إفريقيا والتي راجت من خلال دراسات هؤلاء المستشرقين وعلماء الإفريقيات والأنثروبلوجيا .

(٤٩) نقلا عن : ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩م، ج٤ ، ص٤٩٥ . وأورد ترمنجهام نص المهلبي (*A History of Islam in West Africa,* p.86.) ولكنه شك في أن يكون المقصود كوكو (جاو)، وعلل ذلك بأن ماذكره المهلبي لا ينطق على أهلها وهم سنغي Songhay، بل على شعب زغاوة Zaghawa. إلا أن هذا لا يغير من الأمر شيئا فسنغي وزغاوه كلاهما من شعوب السودان .

(٥٠) المغرب ، ص ١٨٣ .

(١٠٦٦هـ / ١٦٥٥م) الذي ذكر أن أهل كوكو كانوا مسلمين أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)(٥١) .

ويرى الأستاذ باسل ديفدسون Basil Davidson في الشواهد من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، والمكتوبة باللغة العربية على بعض القبور ، والتي كشفت قريبا من مدينة جاو الحديثة ، دليلاً على قدم الإسلام في المنطقة (٥٢) . وعلل الكاتب ذلك قائلا : إن هذا الحرص على التدوين حسب الآداب والمعارف الشائعة عند المسلمين لا يمكن إلا أن يكون له جذور قديمة(٥٣) .

وتحدث البكري عن المسلمين في بلاد غانة ، وهو أول من وصف هذه الإمبراطورية قبل سقوطها ، حيث كان معاصرا لقيام حركة المرابطين ، فذكر أن غانة كانت تنقسم إلى مدينتين ، واحدة خاصة بالمسلمين ، وفيها اثنا عشر مسجدا . أما الأخرى ، وهي قريبة من السابقة ، فيسكنها الملك ورعيته الوثنيون (٥٤) . وفي إشارات أخرى إلى تركزات المسلمين ذكر البكري أن مدينة غيارو Ghiyaru ، والتي كان يتوفر فيها أحسن الذهب ، يكثر فيها المسلمين ، وأن مدينتي كوغة Kugha ويرسني Yaresna خاصتان بالمسلمين وكل من حولهما مشركون (٥٥) .

وعند حديثه عن الممالك جهة النهر ، الذي سمي فيما فيما بعد السنغال ، ذكر البكري أن حكام مملكة سلا Silla والتي صارت مسلمة مثل مملكة تكرور Takrur ، كانوا في حرب متكررة مع العديد من القبائل الوثنية التي كانت تقطن المنطقة الواقعة بين مملكتهم ومملكة غانة (٥٦) .

وترمنجهام نفسه أشار إلى أن الإسلام انتشر في بلاد تكرور قبل أن يبدأ عبدالله ابن ياسين دعوته في الصحراء (٥٧) . وقد اعتمد ترمنجهام على نص صريح للبكري

---

(٥١) **عبدالرحمن بن عبدالله بن عمران السعدي**، تاريخ السودان، تحقيق هوداس، باريس، إيرنيه ليرو، ١٨٩٨م، ص٣ .

(٥٢) **باسل ديفدسون** ، إفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال محمد أحمد، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦١، ص١٥٦ .

(٥٣) إفريقيا تحت أضواء جديدة ، ص ١٥٦ .

(٥٤) المغرب ، ص ١٨٥ .

(٥٥) المغرب ، ص ص ١٧٧-١٧٩ .

(٥٦) المغرب ، ص ١٨٢ .

(٥٧) *A History of Islam in West Africa,* pp.43,45.

يقول فيه ، بعد أن ذكر جهود ملكهم في إقامة شرائع الإسلام في بلاده : " فأهل تكرور اليوم مسلمون " (٥٨) . وتحدث أحد الكتاب في هذا الصدد مقوما انتشار الإسلام في السودان الغربي في هذه المرحلة فقال إنه بالرغم من أن ماكتب في المصادر العربية عن غانة قليل جدا لايتعدي بضع صفحات ، إلا أن فيه مايدل على انتشار للإسلام في المنطقة . وقال أيضا إنه يوجد في بعض جوانب التراث الشعبي في بلاد السودان ، وما أجراه المنقبون الفرنسيون من حفائر في المنطقة ما يؤيد ذلك (٥٩) .

وذهب كاتب آخر ، وهو يتحدث عن مدى انتشار الإسلام في السودان الغربي ، إلى مايتفق مع هذا الرأي ، فذكر أن ماورد في المصادر الإسلامية من إشارات وملاحظات بخصوص بلاد السودان ، قبل سقوط غانة ، يؤكد ظهور أثر واضح للإسلام في المنطقة منذ وقت مبكر ، فاحتكاك أهل السودان بالتجار المسلمين الوافدين من الشمال لابد وأن ينتج عنه تأثرهم بالدين الجديد (٦٠) . ويؤكد كتاب آخرون ذلك الأثر بالقول إن المسلمين الذين كانوا في بلاد غانة قبل سقوطها لم يكونوا كلهم من الأجانب ، بل كان هناك مسلمون من السود أنفسهم (٦١) .

وينبغي التنويه هنا إلى أن المقصود بانتشار الإسلام كما يمكن أن يفهم من المصادر ، سواء في هذه المرحلة أو المرحلة التالية ، هو وجود الإسلام في المكان أو البلد ، وانتساب جماعات من الناس إليه . أما مدى معرفة أولئك الناس بالإسلام ، أو مدى صحة إسلام ذلك الفرد أو تلك الجماعة ، فأمور لا يمكن إعطاء قول فصل فيها . فالمهلبي ، على سبيل المثال ، فيما أورده عن كوكو ، يقول : " وملكهم يظاهر بالإسلام ، وأكثرهم يظاهر به " (٦٢) أيفهم من ذلك أن إسلام أهل كوكو كان مجرد مظهر ؟ أم أنهم كانوا يعلنون عن إسلامهم من باب إظهاره والافتخار به ، كما يمكن أن تعني الكلمة ؟! (٦٣) فهو في نفس

---

(٥٩) **J.D.Fage,** *"Some Thoughts on State Formation.."* pp.24,30

(٦٠) **M.Hiskett,** *op.cit.,* pp. 19,25.

(٦١) **إبراهيم علي طرخان** ، إمبراطورية غانة الإسلامية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ، ص ٤٧ ؛

N.Levtzion, "Patterns of Islamization in West Africa", in : **N.Levtzion** (ed), *Conversion to Islam* , New York and London, Holmes and Meier, 1979 , p. 209; **J.Hunwick,** *Islam and Africa* : Frind or Foe, Accra, Ghana University Press, 1975,p.9.

(٦٢) معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٩٥ .

(٦٣) راجع : **ابن منظور** ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، د.ت ، ج٤ ، ص ص ٥٢٦-٥٢٧ .

النص ، وكما رأينا في فقرات سابقة ، يقول : إنه كان لديهم مسجد للملك يصلي فيه وآخر للجماعة وأنهم جميعا مسلمون . والبكري ، كما أشير إليه في فقرة سابقة ، ذكر أن ملك كوكو كان مسلما ، وذكر أيضا أن أهلها إذا ولوا الملك عليهم دفعوا إليه خاتما وسيفا ومصحفا (٦٤) . ولكن البكري في نفس الوقت يشير إلى ممارسات وثنية وعبادة للأوثان عند هؤلاء (٦٥) . وهذه هي ظاهرة الخلط التي شاعت في بلاد السودان وتحدثت عنها مصادر متأخرة ، كما سيتضح معنا في صفحات تالية من هذا البحث .

ومما يلاحظ أن ترمنجهام بين بوضوح أنه في كل دراساته عن الإسلام في إفريقيا جعل مجرد إظهار الإسلام والانتساب إليه هو المعيار الذي يعتمد عليه في اعتبار وجود الإسلام من عدمه (٦٦) . ومع أن ماذهب إليه ترمنجهام هنا لايختلف في الغالب عما يمكن أن تعنيه المصادر ، وهي تتحدث عن الإسلام في هذه المنطقة أو تلك من بلاد السودان ، إلا أن ترمنجهام ، في ملاحظاته السابقة يجزم بعدم ظهور الاسلام بين عامة الناس ويحصره في حاشية الملك وفئة التجار .

والخلاصة أنه بالرغم من التضارب الذي ظهر على ملاحظات ترمنجهام حول المدى الذي وصل إليه انتشار الإسلام في السودان الغربي في هذه المرحلة ، وبالرغم من اطلاعه على المصادر ، إلا أنه واضح جدا أنه يختلف مع هذه المصادر ، وكذلك مع أكثر الكتاب ، ويذهب إلى أن وجود الإسلام في المنطقة كان محدودا ، وفي فئات معينة .

المرحلة الثانية : في إشارة عامة ذكر ترمنجهام أن هذه المرحلة شهدت انتشار سلميا بطيئا للإسلام عبر الصحراء إلى بلاد السودان (٦٧) . وأشار في موضع آخر إلى أن الإسلام استمر في الانتشار بالوسائل السلمية ، وأن سوننك Soninke (٦٨) لعبوا دورا في ذلك (٦٨) .

---

(٦٤) المغرب ، ص ١٨٣ .

(٦٥) المغرب ، ص ١٨٣ .

(٦٦) *The Christian Church and Islam in West Africa,* p.21.

(٦٧) " *The Phases of Islamic Expansion..*",p. 127.

(٦٨) سوننك وهم من الماندجو Mandingo ، أي من مجموعة الشعوب أو القبائل المتكلمة بلغة ماندي-Mande Speaking Peoples . لتفصيل أكثر عنهم انظر :

طرخان ، إمبراطورية غانة الإسلامية ، ص ص ١٨-١٩ ؛ **A.Mabogunje,**"the Land And peoples of Africa," in **J.Ajayi** and **M.Crowder** (ed), *History of West Africa,* London, Longman , 1976 , vol . 1 , pp.15-18.

(٦٩) *A History of Islam in West Africa,* p.13.

كما ذكر أيضا أن المدن التجارية في بلاد السودان كانت تمثل مجالا طبيعيا لانتشار الإسلام (٧٠) ولكن ترمنجهام في ملاحظات أخرى جاول التأكيد على محدودية انتشار الإسلام في المنطقة . فعلى سبيل المثال ، قال إن المزارعين في المنطقة الواقعة شمال نهر السنغال وعلى طول الامتداد الشاسع لمنحنى نهر النيجر احتفظوا بوثنيتهم ولم يتأثروا بالإسلام بالرغم من تغلغله في المدن واعتناق الحكام له(٧١) . وذكر منهم ولوف Wolof وسريرSerer ، وقال عنهم إنه بالرغم من احتكاكهم بالمسلمين إلا أنهم لم يتحولوا إلى الإسلام إلا في القرن الثالث عشر الهجري(التاسع عشر الميلادي) (٧٢) .

وقال أيضا ان الإسلام لم يمتد إلى الجنوب لوقوف شعب موسىMossi (٧٣) عقبة في سبيل ذلك (٧٤) .

كما استبعد ترمنجهام دول غينيا Guinea States من دراسته لانتشار الإسلام في غرب إفريقيا ، معللا ذلك بأنها كانت بمنأى عن التأثر بالإسلام ، إذ إنها لم تكن على اتصال بالممالك السودانية (٧٥) .

وعلى العموم فإن ملاحظات ترمنجهام التالية ممكن أن تمثل تلخيصا لرؤيته لمدى انتشار الإسلام في المنطقة في هذه المرحلة :

- إن الإنتشار الفعلي للإسلام في غرب إفريقيا يجب ألا يعطى حجما أكبر مما هو عليه(٧٦) .
- إن وجود الإسلام تركز في الحكام ورجال الدين (٧٧) ، وفئات التجار الأجانب (٧٨) ، انطلاقا من نظرته إلى المجتمع الإفريقي على أنه مجزأ تستقل فئاته عن بعضها البعض ، كما أشير إليه سابقا .

---

(٦٤) المغرب ، ص ١٨٣ .

(٧٠) *Ibid.*,p31 .

(٧١) *Ibid.*,p.32.

(٧٢) *Ibid.*,p.45.

(٧٢) نشأ شعب موسى في منطقة الفلتا العليا (دولة بوركينا فاسو في الوقت الحاضر) . وتوسعوا في بعض المناطق المجاورة لهم ، انظر :

E.P.Skinner, "Islam in Mossi Society", in :**Lewis(ed),***Islam in Tropical Africa,* p. 350 .

(٧٤) *A History of Islam in West Africa,* p.13.

(٧٥) *Ibid.,p.7, "The Phases of Islamic Expansion."*..,p.136.

(٧٦) *'slam in West Africa,* p.26.

(٧٧) هذا حسب تعبير الكاتب نفسه . ويقصد بهم الفقهاء والعلماء والأئمة . . إلى آخره .

(٧٨) *4 History of Islam in West Africa,* p.3,*"The Phases of Islamic Expansion.."*,p.128, *'The Expansion of Islam"*,p23..

- إن انتشار الإسلام انحصر في المناطق الجافة من السودان حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي (٧٩) .
- إن الإمبراطوريات السودانية لم تكن إسلامية بل كانت وثنية في جوهرها (٨٠) .

ولكن هذه الملاحظات تختلف تماما مع المصادر ، ومع ما ذهب إليه كثير من الكتاب المحدثين . ويكفي أن نشير هنا إلى نماذج مما جاء في المصادر ، وإلى آراء بعض الكتاب المعاصرين ، للتدليل على هذا الخلاف . وليتبين في نفس الوقت أن وجود الإسلام في السودان الغربي ، وامتداده إلى الجنوب ، في هذه الفترة ، لم يكن بالصورة المتشائمة التي حاول ترمنجهام إبراز ها للقارئ .

تحدث الإدريسي (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) عن غانة فوصف أهلها بأنهم كانوا مسلمين (٨١) . وقد أورد ترمنجهام حديث الإدريسي عن غانة (٨٢) . كما استشهد به الأستاذ فيج للإشارة إلى انتشار الإسلام بين أهلها (٨٣) . واتفق الكاتبان على أنه بالرغم من الغموض الذي اكتنف حديث الإدريسي عن غانة إلا أنه ليس فيه مايبرر رفضه (٨٤) .

وتحدث ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) عن منسا سليمان ، أحد ملوك مالي (٨٥) . فذكر أنه عمل على بناء المساجد والجوامع ، وحرص على إقامة الجمع والجماعات ، وجلب فقهاء المالكية إلى مملكته . فكانت له بذلك مكانة عظيمة في بلاد السودان (٨٦) . وإلى جانب كثرة الجوامع في مالي كان هناك كثرة المصلين

---

(٧٩) "*The Expansion of Islam*",p24.."The Phases of Islamic Expansion..".,p.136.

(٨٠) *A History of Islam in West Africa,* p.3.

(٨١) الإدريسي ، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ٦ .

(٨٢) *A History of Islam in West Africa,* pp.55-56.

(٨٣) " *Some Thoughts on State Formation...*",p.23.

(٨٤) *A History of Islam in West Africa* , p.56 ; " *Some Thoughts on State Formation ...* " ,p.23.

(٨٥) حكم منسا سليمان ، دولة مالي من سنة ٧٤٢ إلى ٧٦٢ هـ (١٣٤١-١٣٦٠م) ، ولمزيد من المعلومات عنه ، انظر : **إبراهيم على طرخان** ، دولة مالي الإسلامية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ م ، ص ص ٩٤-٩٥ ؛

N.Levtzion, " The thirteenth and fourteenth century kinges of Mali," *Journal of Africa History,* iv, **3**, 1963, pp. 347 - 348.

(٨٦) **أحمد بن يحى بن فضل الله العمري،** مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، فؤاد سزكين ، معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت ، ١٩٨٨ م ، ج ٤ ، ص ٣٤ .

أيضا، كما أشار إلى ذلك ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، عندما ذكر مواظبة أهلها على الصلوات والجماعات حيث قال: " وإذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الإنسان إلى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام " (٨٧).

وكتب ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) عن مالي، معتمدا على أقوال بعض الشخصيات من بلاد السودان مثل الحاج يونس ويمال التكروري، فذكر قدم الإسلام في أهلها وقال: " ودخلوا في دين الإسلام منذ حين من السنين وحج جماعة من ملوكهم " (٨٨).

ووصف الحسن الوازن - ليوالإفريقي -(ت في حدود ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م)أهل مالي بأنهم كانوا أكثر تحضرًا وذكاءً واعتبارا من بين جميع السودان، معللا ذلك بأسبقيتهم في الإسلام. كما ذكر أنه كان لديهم مساجد كثيرة، وأئمة، وأساتذة يدرسون في المساجد لعدم وجود مدارس (٨٩).

وتتواتر الأقوال عن اهتمام ملوك مالي ببناء المساجد فقد ذكر السعدي أن منسا موسى، أعظم ملوك مالي (٩٠). اعتاد بناء مسجد في كل موضع أدركته فيه الجمعة وهو خارج عاصمته (٩١).

ووصف السعدي مدينتي جنيJenne وتمبكتوTimbuktu، فقال عن الأولى: إنها كانت سوقا عظيما من أسواق المسلمين، وأن أهلها كانوا قد أسلموا في نهاية القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) عندما أسلم سلطانهم كنبر Kanbar (٩٢) وقال عن الثانية: إنها كانت مدينة إسلامية منذ أن أنشئت في أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي). وظلت مركزا للفقهاء والعلماء في بلاد السودان (٩٣). وأشار

---

(٨٧) **محمد بن عبدالله اللواتي المشهور بابن بطوطة**، *رحلة ابن بطوطة*، تحقيق علي المنتصر الكتابي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م، ج ٢، ص ٧٩٠.

(٨٨) **عبدالرحمن بن محمد بن خلدون**، *العبر وديوان المبتدأ والخبر*، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧١م، ج ٥، ص ٤٣٣.

(٨٩) **الحسن بن محمد الوزان** (ليو الإفريقي)، *وصف إفريقيا*، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م، ج ٢، ص ص ١٦٤ - ١٦٥.

(٩٠) حكم منسا موسى، دولة مالي من سنة ٧١٢ إلى ٧٣٨ هـ (١٣١٢-١٣٣٧م)، ولمزيد من المعلومات عنه انظر: **طرخان**، دولة مالي الإسلامية، ص ص ٨٦-٨١.
N.Levtzion, "The thirteenth and fourteenth century kinges of Mali ", pp. 347,349.

(٩١) تاريخ السودان، ص ٧.

(٩٢) تاريخ السودان، ص ص ١١-١٢.

(٩٣) تاريخ السودان، ص ص ٢٠-٢١.

السعدي أيضا إلى كثرة الفقهاء والعلماء فيها . فذكر أن حاكم تمبكتو لما سمع بقدوم سني علي (٩٤) لغزوها في سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م ، أحضر ألف جمل لترحيل الفقهاء والعلماء منها إلى بير Biru (٩٥) ، خوفا عليهم من هذا الحاكم (٩٦) ، الذي وصف بالظلم والفجور (٩٧) .

وعُرف عن أسكيا محمد (٩٨) ، أهم ملوك سنغي ، حرصه على إظهار الإسلام والتمكين له في البلاد (٩٩) . ومما يشير إلى ذلك جهاده ضد موسى Mossi (١٠٠) ، وتقريبه للفقهاء ، واهتمامه بتعيين القضاة في كل بلد تحتاج إلى قاض (١٠١) ، وكذلك اتصاله بالعلماء في مصر ، وشمال إفريقيا ، ومقابلة بعضهم أثناء أدائه فريضة الحج سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٤ م) (١٠٢) .

وقد أشار ترمنجهام إلى قوة إسلام أسكيا محمد ، وكذلك أسكيا داود ، أحد خلفائه . كما أشار إلى جهود هذا الأخير في نشر العلوم الإسلامية (١٠٣) .

كما أشار بعض الكتاب إلى أن هذا الاتجاه لدى أسكيا محمد أدى إلى قوة الإسلام في المنطقة ، وقوة الإمبراطورية نفسها ليس في الجانب السياسي فحسب بل وفي الجانب الثقافي أيضا (١٠٤) .

---

(٩٤) سني علي : مؤسس إمبراطورية سنغي ، توفي سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢ م . لمزيد من المعلومات عنه ، انظر : **محمود كعت بن الحاج ، المتوكل كعث** ، *تاريخ الفتاش* ، تحقيق هوداس وديلافوس ، باريس ، إرنيه ليرو ، ١٩١٣ م ص ص ٤٣ ، ٥٢ ؛ تاريخ السودان ، ص ص ٦٤ ، ٧١ .

(٩٥) بير اسم آخر لولاته ، وتقع إلى الشمال الغربي من تمبكتو ، انظر :
Trimingham, *A History of Islam in West Africa,* p.58; **J.Fage,** *An Atlas of African History,* Edward Arnold Ltd., Ist ed., 1958,p.19.

(٩٦) تاريخ السودان ، ص ٦٥ .

(٩٧) تاريخ الفتاش ، ص ٤٣ تاريخ السودان ، ص ص ٦ ، ٦٤ .

(٩٨) تولى أسكيا محمد السلطة في سنغي من ٨٩٨ هـ إلى ٩٣٥ هـ (١٤٩٢ - ١٥٢٨ م) لمزيد من المعلومات عنه : انظر : *تاريخ السودان* ، ص ص ٧١ - ٨٢ .

(٩٩) تاريخ الفتاش ، ص ٥٩ ؛ *تاريخ السودان* ، ص ٧٢ .

(١٠٠) عن جهاد أسكيا محمد ضد موسى ، انظر : *تاريخ الفتاش* ، ص ٧٠ ؛ *تاريخ السودان* ، ص ٧٤ .

(١٠١) *تاريخ الفتاش* ، ص ٥٩ .

(١٠٢) *تاريخ الفتاش* ، ص ص ٦٥ ، ٦٨ - ٦٩ ، *تاريخ السودان* ، ص ص ٧٢ -٧٣ .

(١٠٣) *A History of Islam in West Africa*, pp. 97,99

(١٠٤) **M.Hiskett,** *op.cit.*,pp. 34 - 45 ; **J . Hunwick,** "Religion and State in The Songhay Empire , "*in : Islam in Tropical Africa* , pp. 304 - 305 ; **P. B. Clarke** , op.cit.,p.50.

وقد سبقت الإشارة إلى أن الإسلام انتشر بين تكرور ، أحد شعوب منطقة نهر السنغال، وأصبح دينا للحكام والأغلبية الساحقة من الرعية . ويذكر الكتاب أنه استمر كذلك بالرغم من تمزق بلادهم وفقدهم لاستقلالهم (١٠٥) . ليس ذلك فحسب بل إن شعب تكرور عرف بحماسه وجهوده المتواصلة للعمل على نشر الإسلام بين الشعوب والجماعات الأخرى في غرب إفريقيا (١٠٦) . وقد أكد ترمنجهام ذلك في إشارة صريحة (١٠٧) .

وذكر الرحالة كادا مستو Cada Mosto (ت ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م) (١٠٨) أن حكام ولوف ، وهم من شعوب منطقة نهر السنغال أيضا ، كانوا على دين الإسلام ، وأنه كان يوجد في بلادهم كثير من دعاة المسلمين من السود والعرب القادمين من مناطق أخرى . وقال أيضا إن بعضا من أولئك الدعاة كانوا يقدمون خدماتهم الدينية للناس في المسجد الذي لا يكاد يخلو منهم (١٠٩) . ويبدو أن دور أولئك الدعاة لم يقتصر على المسجد بل تعداه إلى لعب دور في بلاط الحكام (١١٠) .

ويصف أحد الكتاب فترة النصف الثاني من القرن التاسع الهجري(النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي) بأنها كانت فترة طفرة شهدها الإسلام في مدى انتشاره

---

(١٠٥) **M.Hiskett,** *op.cit.*,p. 28; **N. Levtzion,** "The Early States of the.Western Sudan to 1500," In : *History of West Africa,* vol. 1, pp. 128 - 129 .

(١٠٦) **على الخاتم** ، *الإسلام في السودان الغربي - آثاره السياسية والثقافية* ، دراسات إفريقية ، المركز الإسلامي الإفريقي ، الخرطوم ، العدد الأول ، رجب ١٤٠٥ ، إبريل ١٩٨٥ ، ص ص ١٨٦ - ١٨٧ ؛

Umar Al-Naqar , *The Pilgrimage Tradition in West Africa* , Khartoum , Khartoum University Press,n.d.,p.4.

(١٠٧) *A History of Islam in West Africa*, p.47.

(١٠٨) وهو Alvise Da Ca da Mosto ، مواطن إيطالي ، سافر إلى البرتغال للبحث عن عمل . ومن هناك رحل إلى إفريقيا ضمن أسطول برتغالي . لذلك يتحدث عنه بعض الكتاب على أنه رحالة برتغالي انظر : *The Voyages of Cada Mosto* , Trans . By G.R. Crone , Hakluyt Society Series , 2 , No . 80 , 1937 , pp. xxx-xxxii.

(١٠٩) *The Voyages of Cada Mosto* , pp. 31,40.

ويورد رحالة أوروبي آخر ، كتب رحلته في أوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، مايتفق مع ماذكره كادا مستو بخصوص جنسيات الدعاة ، فيذكر أن بعض الدعاة ، ويسميهم Marabauts كانوا يأتون إلى بلاد الولوف من أماكن بعيدة وذكر فاس ومراكش . انظر : **P.B Clarke** , *op..cit* .,p.33.

(١١٠) *Ibid.*,p.34.

في بلاد السودان الغربي (١١١) .

ويورد نفس الكاتب ، في مقال آخر ، ملاحظة لها دلالتها في تقويم سدى انتشار الإسلام في بلاد السودان في هذه المرحلة . إذ يقول إن حركات الجهاد الإسلامية التي قامت في غرب إفريقيا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين (الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين) ظهرت في مجتمعات بعضها كان يضم أعداداً كبيرة من المسلمين ، وبعضها كانت الأغلبية الساحقة فيه من المسلمين ، وهدفها الأساس كان إصلاح المجتمعات التي كانت تنتمي إلى الإسلام ، ومحاربة مااعتقد المصلحون أنه مناف للإسلام ، هذه الحركات ماكان لها أن تقوم أو أن يتصور أحد قيامها بدون أن يكون هناك تواجد سابق للتراث الإسلامي والعلوم الإسلامية ، له جذوره وشموليته في المنطقة (١١٢) .

فالكاتب ، بمعنى آخر ، يرى ، وهو محق في ذلك ، أن قيام حركا ت الجهاد الاسلامية في غرب إفريقيا دليل على قدم انتشار الإسلام وثبات وجوده في المنطقة . بل إننا نجد عند ترمنجهام إشارة صريحة لا تختلف مع هذا الاستنتاج . فقد قال إن أهمية هذه المرحلة من مراحل انتشار الإسلام تتمثل في أن الإسلام نُقل من المحيط الخارجي إلى قلب الحياة العامة ، الأمر الذي أدى إلى تغيير في علاقة المجتمعات السودانية بالإسلام (١١٣) . وهذه في الحقيقة ، إشارة متفائلة من ترمنجهام بشأن انتشار الإسلام في المنطقة ، إلا أنها ، ولسوء الحظ لاتتفق مع مانقلناه عنه في بداية الحديث عن هذه المرحلة ، وبالأخص محاولته إظهار الإسلام على أنه كان دين طبقة معينة Class Religion حيث كرر في أكثر من موضع الزعم بأن الإسلام تركز في الحكام ورجال الدين والتجار الأجانب .

أما قول ترمنجهام إن شعب موسى منع امتداد الإسلام إلى الجنوب وإن دويلات منطقة غينيا لم تكن على اتصال بممالك السودان الغربي ، فإنه يحتاج إلى وقفة خاصة ،

---

(١١١) **J.O.Hunwick**, *Religion and State in The Songhay Empire* , p. 304 ; وانظر أيضا : **Skinner** , *op.cit*., p. 350

(١١٢) **J.O.Hunwick** , *Islam and Africa : Frind or Foe*, p. 9 .

(١١٣) "The Expansion of Islam" , p 24 .

لأن ترمنجهام بذلك ينكر أي أثر لبلاد السودان الغربي على دويلات غينيا ، ويزعم صراحة بانقطاع الصلة بينهما من الأساس بينما الأمر على عكس ما ذهب إليه . هذا علاوة على أن ترمنجهام تحدث في هذا الخصوص في مواضع أخرى ، بما ناقض به نفسه كما سيتبين في فقرات تالية .

والواقع أن شعب موسى لم يقف ضد امتداد الإسلام إلى الجنوب . فهؤلاء ، بالرغم من دخولهم في حروب مع مالي ثم سنغي ، ورفضهم اعتناق الإسلام في ذلك الوقت(١١٤)، إلا أنهم لم يمنعوا دخول التجار المسلمين إلى بلادهم . فقد تحدث الكتاب عن هجرات للتجار المسلمين إلى ممالك موسى الشمالية نتج عنها استقرار للمسلمين هناك . وهم الذين أطلق عليهم يارسي Yarse ويعود أقدم تلك الهجرات إلى تاريخ يتراوح بين القرنين التاسع والعاشر الهجريين (الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين)(١١٥) .

كما حدثت هجرات أخرى إلى ممالك موسى الجنوبية خلال القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) نتج عنها كذلك استقرار للمسلمين ، خاصة في مملكة داجومبا Dagomba (١١٦) . ومما يدل على أهمية تواجد المسلمين في هذه الأجزاء من بلاد موسى أنه مع بداية القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) أنشئ في بغايوغو Baghayughu ، إحدى مدن داجومبا ، مكتب لرئيس المسلمين في المنطقة (١١٧) .

والواضح أن مقاومة موسى للإسلام لم تكن بدافع من عداء للإسلام نفسه ورغبة في الوقوف في وجه زحفه إلى الجنوب . بل كانت تعبيرا ومظهرا من مظاهر رفضهم لهيمنة الكيانات السياسية الكبرى في السودان الغربي . ومما يشير إلى ذلك قبولهم الطوعي للدخول السلمي للإسلام في بلادهم من خلال الأعداد الكثيرة من التجار المسلمين واستقرارهم بين ظهرانيهم (١١٨) .

---

(١١٤) هاجم موسى مدينة تمبكتو أيام دولة مالي . ولما قامت دولة سنغي هزمهم سني علي سنة ٨٨٢ هـ / ١٤٧٧ م . ثم هزمهم أسكيا محمد في جهاده ضدهم سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م ، انظر تاريخ السودان ، ص ص ٨ ، ٢٧ ، ٦٩ ، ٧٤ .

(١١٥) **N.Levtzion,** *Muslims and Chiefs in West Africa,* Oxford, Clarendon Press, 1968, p.6; **E.P.Skinner**,op.cit.,p.354; **Hiskett,** op.cit.,pp.123-124.

(١١٦) **I .Wilks** , "The mossi and Akan States 1500 - 1800", in : Ajayi and Crowder (ed), *Hitory of West Africa,* vol.1,p.422; **Levtzion,** *Muslims and Chiefs*, p.86.

(١١٧) **I.Wilks,** "*The Mossi and Akan States*", p.422.

(١١٨) **N.Levtzion,** *Muslims and Chiefs*,p. 164; **M.Hiskett,** *op.cit.*,p.123.

وكذلك لم تكن دويلات غينيا في معزل تام عن الممالك الإسلامية في السودان الغربي كما زعم ترمنجهام . إذ إن هناك من الكتاب من أكدوا على أن هجرات التجار المسلمين من ديولا Dyula (١١٩) ، وغيرهم لم تقتصر على بلاد موسى ، وإنما تعدتها إلى بلاد أكان Akan (١٢٠) في منطقة الفلتا ، حيث وصلوا إلى هذه المنطقة وأصبحوا من العناصر الفعالة في كثير من البلدان والمراكز التجارية فيها منذ القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) (١٢١) . بل واخترقوا الغابات الاستوائية ووصلوا إلى ساحل غينيا نفسه (١٢٢) .

ومن هذه المراكز التجارية بيغو Bighu (١٢٣) التي كان المسلمون يسيطرون على تجارتها ، وكانت ترتبط مباشرة بمدينة جني في السودان الغربي (١٢٤) . ومنها أيضا جونجا Gonja (١٢٥) ، وبونا Buna (١٢٦) ، وكونج Kong (١٢٧) ، انظر الشكل رقم (١) .

ومما يؤيد ماقيل آنفا عن وجود المسلمين في منطقة غينيا ماقدمه الأستاذ ولكس Wilks

(١١٩) يعود أصل هؤلاء التجار ديولا إلى ماندي Mande ، لمزيد من المعلومات عنهم ، انظر :
M.Hiskett,*op.cit.*,p.45.

(١٢٠) لشعوب أكان ممالك شمالية في منطقة الفلتا ، وممالك جنوبية في منطقة الغابات ، ومن أهم شعوبهم أشانتي Ashanti ، انظر :
I .Wilks , "The mossi and Akan Stats," pp.413, 423,433;.**Mabogunje**,op.cit.,p.24.

(١٢١) **I .Wilks** , "The mossi and Akan Stats", **N.Levtzion**, *Muslims and Chiefs*, pp. 7-8,53-54; **I.M.Lewis**, *Islam in Tropical Africa*, Intro.,p17.

(١٢٢) **I.Wilks**, " The mossi and Akan Stats", **N.Levtzion**, *Muslims and Chiefs*, p..4; **M.Hiskett**, op.cit.,p.134.

(١٢٣) كانت بيغو من المراكز التجارية الهامة في بلاد أكان . وتدهورت في أوائل القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) . وتقع إلى الجنوب من نهر الفلتا الأسود ، انظر :
I .Wilks , " The mossi and Akan States ", pp.424-425 .

(١٢٤) Ibid.,p.425 .

(١٢٥) تقع جونجا إلى الجنوب الغربي من داجومبا ، آخر ممالك موسى الجنوبية ، انظر :
N.Levtzion *Muslims and Chiefs* p.50.

(١٢٦) تقع بونا إلى الغرب من نهر فلتا الأسود .
انظر : *Ibid.*,
انظر أيضا : **M.Hiskett**, *op.cit*.,p.133.
الذي ذكر أنها أصبحت في ذلك الوقت مركزا مهما للتعليم الإسلامي في بلاد أشانتي .

(١٢٧) تقع كونج إلى الشمال الغربي من بيغو .

من دراسة ارتكزت على أبحاث ميدانية ، أثبت فيها أنه بحلول منتصف القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) كان التراث الإسلامي قد تبلور وثبت وجوده في المنطقة . وقد دلل على ذلك بوجود عدد كبير من المخطوطات لكتب إسلامية بعضها مؤلف من قبل مثقفين محليين (١٢٨) .

وأكد الأستاذ هودكن Hodgkin ذلك ، وكان من المتابعين عن كثب لأعمال ولكس الميدانية في هذا الخصوص ، وقال إن المخطوطات الإسلامية في منطقة غينيا كثيرة جدا ولم يعرف منها إلا القليل (١٢٩) .

ومن هذا المنطلق حمل كل من هذين الأستاذين ، ولكس وهودكن ، على الكتاب الذين يتجاهلون أو ينكرون أثر الإسلام على منطقة غينيا (١٣٠) . ومن ذلك ما قاله هودكن من أن الاعتقاد بأن المنطقة التي تشغلها الآن دولة غانا كانت تقع خارج نطاق الإسلام ، وأن تأثير الإسلام عليها كان سطحيا جدا ، لا يعدو أن يكون أسطورة من تلك الأساطير التي ورثها الناس من فترة الاستعمار . ودعا الكاتب إلى التخلي عن هذا الاعتقاد (١٣١) .

وقد أشار ولكس إلى ترمنجهام كواحد من هؤلاء الكتاب واستشهد على ذلك باستبعاد ترمنجهام لمنطقة غينيا من دراسته لتاريخ الإسلام في غرب إفريقيا (١٣٢) .

وأكد الأستاذ لفتزيون Levtzion ، معتمدا على دراسة ميدانية أخرى في المنطقة ،

---

(١٢٨) انظر : **I. Wilks**, "The Growth of Islamic Learning in Ghana", *Journal of The Historical Society of Nigeria*,ii,4,,1963,p.412 - 413 .
وهي الأخرى أصبحت فيما بعد مركزا للتعليم الإسلامي ، انظر : **M.Hiskett**,*op.cit.*,p126.
انظر : **I .Wilks** , " The mossi and Akan States" , p.430.
وللأستاذ ولكس دراسات أخرى عن الإسلام في منطقة غينيا وعن علاقتها بمنطقة نهر النيجر منها : "The Northern Factor in Ashanti History : Begho and The Mande", *Journal of African History*,ii.1.1961, "Early Fante Islam", *Ghana Bulletin of Theology*, 1,7,,1959 and I,8, 1960. "A Note on The Early Spread of Islam in Dagomba", *Transactions of The Historical Society of Ghana* viii,1966. "A Medieval Trade Route from The Niger to The Gulf of Guinea", *Journal of Africal History*, iii,2,1962.

(١٢٩) **T.Hodgkin**, "The Islamic Literary Tradition in Ghana", in : *Islam in Tropical Africa*,p.442.

(١٣٠) انظر "The Growth of Islamic Learning in Ghana" , pp. 409 - 410 ; " The Islamic Literary Tradition in Ghana",p.443.

(١٣١) "The Islamic Literary Tradition in Ghana", p. 444.

(١٣٢) "The Growth of Islamic Learning in Ghana", p. 410.

أهمية التراث الإسلامي في منطقة الفلتا . وانتقد هو الآخر الكتاب الذين لا يلقون بالاً لأثر الإسلام فيها [١٣٣] .

ونخلص من هذا كله إلى أنه كان هناك اتصال بين دويلات غينيا والممالك الإسلامية في السودان الغربي ، وتواجد للإسلام والمسلمين فيها قبل القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) ، لأن مثل هذا التراث لا يمكن أن يظهر خلال فترة قصيرة من الزمن .

ومن الملفت للنظر أن ترمنجهام في الوقت الذي يرى فيه عدم وجود اتصال بين دويلات غينيا وبلاد السودان الغربي ، ووقوف موسى في وجه تقدم الإسلام إلى الجنوب ، نجده يتحدث في مواضع أخرى بما يتفق مع ساذهب إليه ولكس وهودكن ولفتزيون وغيرهم ، من أن التجار المسلمين وصلوا إلى منطقة الفلتا وأنشأوا لهم مراكز هناك . فقد تحدث ترمنجهام عن دور الديولا في نقل الإسلام إلى تخوم الغابات الاستوائية ، وقال إن هؤلاء التجار المسلمين كانوا يقومون برحلات إلى الجنوب فأصبح من عادتهم التغلغل داخل أطراف الغابات الاستوائية للمتاجرة مع أهل الجنوب الوثنين ، حتى أصبحت مراكزهم في منطقة السفانا الجنوبية تشكل دويلات صغيرة داخل مناطق الوثنيين . وذكر من هذه المراكز بيغو وكونج [١٣٤] . وقال في موضع آخر إنه بالرغم من حالتي الفوضى وقلة الأمن التي أعقبت الغزو المغربي للسودان إلا أن التجار المسلمين الديولا استطاعوا أن ينشئوا لهم آلافا من المستعمرات في الجنوب [١٣٥] .

وعلاوه على ذلك أشار ترمنجهام إلى شهادة بعض الرحالة البرتغاليين بأن

---

(١٣٣)ظهرت دراسة لفتزيون هذه في كتابه :

Muslims and Chiefs in West Africa : A Study of Islam in The Middle Volta Basin in The Pre - Colonial Period .

والمشار إليه في هوامش سابقة ، والذي أثنى فيه (ص ص ١٨ - ١٩ من المقدمة) على جهود ولكس وهودكن في هذا الشأن وقال : إن ماتوصلا إليه من نجاح في البحث عن المخطوطات الاسلامية في منطقة غينيا كان أكبر من المتوقع بكثير . ثم ذكر أنه خلال سنتين من عمل ولكس الميداني (من صيف ١٩٦٢إلى ١٩٦٤ م)تم جمع ٣٥٠ مخطوطة إسلامية . واستمر العدد في ازدياد خلال عملية البحث .

(١٣٤) *A History of Islam in West Africa*, pp.31,60.

(١٣٥) *Ibid*., P. 141 .

هؤلاء التجار المسلمين اخترقوا الغابات الاستوائية ووصلوا إلى ساحل غينيا (١٣٦) .

وتحدث ترمنجهام عن الفترة الواقعة بين سقوط دولة سنغي وقيام حركات الجهاد الإسلامية في غرب إفريقيا وكأنها مرحلة ثالثة تسبق مرحلة الجهاد ، ولكنه لم يعدها كذلك في تقسيمه لمراحل انتشار الإسلام في غرب إفريقيا (١٣٧) . وقد اعتمد ترمنجهام في دراسته لهذه الفترة ، إلى حد بعيد ، على القول بأن زوال الدول الإسلامية في غرب إفريقيا أدى إلى رجوع الناس إلى الوثنية أو الازدواجية الدينية التي حُيدت معها قوة الإسلام وفاعليته تماما (١٣٨) . فهذه الفترة ، عند ترمنجهام ، شهدت انتهاء قوة الإسلام السياسية المتمثلة في السلطة الغالبة ، الأمر الذي أدى إلى رجوع الناس عن الإسلام وانحساره عن المنطقة . وهذا يعني أن ترمنجهام من الذين يرون أن من أسباب تواجد الإسلام وانتشاره في غرب إفريقيا اعتماده على السلطة(١٣٩) . ولكن هذا المفهوم يتناقض مع استنتاجات سابقة لترمنجهام مثل ما ذكره عن الانتشار السلمي للإسلام ، وقوله عن المرحلة الثانية ، وهي التي تهمنا الآن ، إن الإسلام نُقل خلالها من المحيط الخارجي إلى قلب الحياة العامة ، الأمر الذي أدى إلى تغير في علاقة المجتمعات السودانية بالإسلام ، ووصفه الإمبراطوريات السودانية بأنها كانت وثنية في جوهرها . هذا بالإضافة إلى ما فيه من تعارض مع ما عرف وقيل عن الفترة المذكورة(١٤٠) . ويبدو أن ترمنجهام تحاشى إبراز هذا المفهوم كمرحلة قائمة بذاتها في محاولة منه لإخفاء هذا التناقض .

---

(١٣٦) *Ibid.*, P. 141 , Footnote no. 1.

(١٣٧) انظر ص ١٩١ من هذا البحث حيث أشير إلى المراحل الأربع التي ذكرها ترمنجهام

(١٣٨) انظر : *Ibid.*, pp. 141 , 144 - 145 , *The Expansion of Islam* , p. 17, *The Phases* of *Islamic Expansion..* , p. 128

(١٣٩) ناقش عز الدين موسى هذا المفهوم الخاطئ لظاهرة انتشار الإسلام في إفريقيا ، انظر : On *the Nature of Islamization..* , pp. 15-23, *الإسلام وإفريقيا* ، ص ص ٧٤ - ٧٥

(١٤٠) انظر ما ورد في الصفحات السابقة من هذا البحث عن امتداد الإسلام إلى بلاد موسى ومنطقة الغابات ، وانظر أيضا :

J. R. Willis, "The western Sudan From the Moroccan Invasion (1591)to the Death of Al-Mukhtar Al-Kunti (1811)" , *In : History of West Africa,* Vol. 1, pp. 539-552 ; **I.U. Musa** , "On the Nature of Islamization.. ' , p. 19 **M. Hiskett** , *op.cit.*, pp. 153 , 155

وبعد هذا التفصيل حول ما كتبه ترمنجهام عن انتشار الإسلام في السودان الغربي لابد من التساؤل لماذا اتجه ترمنجهام إلى محاولة إظهار انتشار الإسلام على أنه أقل مما كان عليه ؟ ولماذا هذا الاضطراب في ملاحظاته حول هذا الموضوع ؟ وللإجابة على هذا التساؤل يجب أن نأخذ في الاعتبار أن ترمنجهام ، كما سبق توضيحه ، كاتب جمع بين الاستشراق والتنصير وأنه أيضًا ارتبط بالتنصير في إفريقيا . ومعلوم أن هذه القارة غدت ساحة تنافس شديد بين الإسلام والمسيحية منذ القرن الميلادي السابق عندما تسابقت الإرساليات التنصيرية للمجيء إلى القارة مستغلة ما هيأه الاستعمار من ظروف ملائمة لها(١٤١) . ويكفي للتدليل على أهمية هذا التنافس بالنسبة لترمنجهام والإرساليات التنصيرية التي كان يمثلها الإشارة إل مناداته المتكررة إلى أن يكون هناك تمركز قوي للمسيحية في أعماق المناطق الداخلية في غرب إفريقيا ، وعدم الاكتفاء بالمناطق الساحلية ، ودعوته أيضًا إلى إنشاء كنيسة في كل قرية من قرى المسلمين في غرب إفريقيا (١٤٢) . وهذه لم تكن مناداة عابرة من ترمنجهام بل كانت نتيجة المسح الميداني للإسلام في غرب إفريقيا والذي قام به سنة ١٩٥٢ م والمشار إليه سابقا (١٤٣) . إذن من البديهي أن يكون سن الأهداف الأولية لمن هو في موقع ترمنجهام ألاّ يظهر الإسلام بأي صورة تميزه عن غيره من الأديان في نظر الإفريقي . فالخلفية التاريخية القوية الجذور للإسلام ، وارتباط الإفريقي المسلم بها ، وقوة أثرها على المجتمعات الإفريقية ، يجب أن يثور حولها الشك والشبهات . لذا نرى ترمنجهام يقول عن الإسلام إنه لم يكن واسع الانتشار في المنطقة ، فلم يكن دينا لعامة الناس

---

(١٤١) انظر : I. M. Lewis , *Islam in Tropical Africa* , Intro ., p. 3 . الذي يقول بصريح العبارة : إن الإسلام والمسيحية يتنافسان على الأتباع الجدد في إفريقيا وإن دراسة الإسلام فيها تمثل حقلاً خصبًا للدارسين المتخصصين ، جدير ببذل جهود أعظم وأدق مما هو مبذول الآن . وانظر **ساسي الحاج** ، *الظاهرة الاستشراقية* ، ص ص ٨٧ – ٩٠ ؛ **J. D. Fage** , *A History of West Africa* , pp. 128 - 129 .

(١٤٢) انظر : *The Christian Church and Islam in West Africa* , pp. 35-36, 47, 52 . يقول ترمنجهام (ص ٤٧) : « إن الحاجة الآن ماسة لدعم وتقوية إمتداد التنصير في غرب إفريقيا ، وذلك لسببين» ، وجعل تحدي الإسلام للمسيحية في إفريقيا أحد هذين السببين ، إذ يقول في ذلك :
"The Second is that Islam is to - day challenging Christianity as the religion of the Blacks" .

(١٤٣) انظر : ما كتب عن دراسات ترمنجهام في هذا البحث .

وإنما كـان خـاصًا بالتـجـار الغـرباء وأهل السلطة Class Religion وأنه لم يكن لـه أي تأثير على المناطق الجنوبية . إلى غير ذلك مما قاله ترمنجهـام وهو يكتب عن تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا .

ولكن ترمنجهـام لا يجد مناصًا من التـسليم أحيانًا لما جاء في المصـادر . لذا فـهـو يذكر في بعض المواضع ما يُشير إلى انتشار كبير للإسلام ، كما تبين من ملاحظاته السابقة . ويشير في مواضع أخرى إلى قوة أثر الإسلام ونفوذه بين أهل السودان(١٤٤) . والذي يبدو أن ترمنجهـام في هذه الدراسة حاول التـوفيق بين هدفـه كمنصـر وبين ما جابهه من حقائق في تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا لا تتماشى مع هذا الهدف . ومن هنا جاء عدم الانسجام في مرئياته وملاحظاته حول انتشار الإسلام في غرب إفريقيا .

وعموماً فإن عملية التوفيق هذه لم تنجح ، فترمنجهـام ، وإن تحدث عن انتشار للإسلام ، فإنه فسره تفسيراً منحرفًا يخدم هدفه التنصيري ، كما سنرى في الصفحات التالية .

ونخلص إلى القول أن ترمنجهـام ، سواء وهو يكتب عن انتشار الإسلام أو وهو يُفسر أسباب الانتشار ، يسعى إلى تثبيت الصورة المنفرة من الإسلام لأن من أشد ما واجهه المنصرون من عقبات في غرب إفريقيا وأثار نقمتهم ، هو الصعوبة البالغة التي تقف في وجه من يريد نزع الإفريقي من حظيرة الإسلام . وهذا واضح جداً مما كتبه ترمنجهـام نتيجة المسح آنف الذكر ، حيث أشار سراراً إلى رسوخ جذور الإسلام في المنطقة واستمرار غربة الكنيسة(١٤٥) . فمن المؤكد أن كاتب مثل ترمنجهام يُدرك ماذا تعني ملاحظات مثل تلك التي أوردها ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، وكان شاهد عيان ، عندما ذكر أن الواحد من أهل مالي كان يضع ابنه

(١٤٤) *A History of Islam in West Africa*, P. 4.

(١٤٥) *The Christian Church and Islam in West Africa*, pp. 12, 14, 22, 24, 46.

وعلى سبيل المثال ، يعلل ترمنجهام (ص ١٢) عدم حماس بعض المنصرين للعمل بين المسلمين ، فيذكر أن من الأسباب استحالة اجتذاب الإفريقي المسلم من حضارة وقيم الإسلام ، والتي قاومت التأثير الغربي المناهض لها . يقول في تعليله ما نصه :

".. because it was impossible to detach individuals from Islamic culture which resisted the destructive influence from the west "

في الأغلال إذا لم يحفظ ما وجب عليه حفظه من القرآن الكريم ، ولا يُطلقه حتى يفعل ذلك . وأن الواحد منهم كان شديد الحرص على توفير ثوب نظيف لصلاة الجمعة[١٤٦] .

تفسير ترمنجهام لانتشار الإسلام

تعرض ترمنجهام ، في حديثه عن انتشار الإسلام في غرب إفريقيا ، للطريقة التي انتشر بها الإسلام . فذكر في مواضع مختلفة أن الإسلام انتشر بالطرق السلمية [١٤٧] . ولكن يبدو أن ذلك في نظره لم يكن على الإطلاق ، إذ استثنى حالتين خصهما بالذكر . فقال عن الحالة الأولى : إن أول محاولة لنشر الإسلام في بلاد السودان عن طريق القوة جاءت من خلال بربر الصحراء الغربية الذين انضموا إلى حركة المرابطين[١٤٨] . ثم زعم أن المرابطين ، بعد أن أسقطوا غانه ، قاموا بإجبار جماعات كثيرة جداً من سوننك غانه على اعتناق الإسلام . وأن هؤلاء السوننك لم يتحولوا إلى الإسلام فحسب بل أصبحوا من الدعاة المتحمسين لتبليغه بين شعوب غرب إفريقيا الأخرى[١٤٩] .

ويبدو أن ما قاله ترمنجهام عن هذه الحالة نابع من موقفه السلبي تجاه المرابطين ، فقد قال عن حركتهم : إن الدين لم يمثل فيها سوى عامل مساعد فقط [١٥٠] . وإن التخطيط لها دُبر بكامله في رباط وجاج بن زلوى[١٥١] اللمطي ، الذي كان يعمل بدافع من العصبية ضد زناته[١٥٢] . ووصف المرابطين بأنهم كانوا يمثلون إسلام القوة والعنف[١٥٣] . وقلل من شأنهم في بلاد السودان ، فذكر أن دورهم بالنسبة للإسلام

---

(١٤٦) *رحلة ابن بطوطة* ، ج٢ ، ص ٧٩٠ .

(١٤٧) *A History of Islam in West Africa* , pp. 31 , 32 - 33 , "*The Phases of Islamic Expansion...*" , p. 127

(١٤٨) *A History of Islam in West Africa* , p. 29

(١٤٩) *Ibid*., p. 30 .

(١٥٠) *Ibid* ., p. 24 .

(١٥١) هكذا أورده **البكري** (ص ١٦٥) ، وكتبه **ابن خلدون** (ج٦ ، ص ٢٠٣) وكاك بن زريك اللمطي .

(١٥٢) *A History of Islam in West Africa* , p. 25.

(١٥٣) *Ibid*., p. 23 .

في المنطقة كان هامشيًا جدًا [١٥٤] . كما اتهمهم بارتكاب المذابح عند هجومهم على غانه[١٥٥] . ولا يستبعد أن يكون ترمنجهام في اتهامه للمرابطين بإجبار أهل غانة على الإسلام، وغير ذلك من التهم الجائرة متأثرًا ، بالإضافة إلى موقفه السلبي تجاههم ، بفهم سطحي لنص قصير لابن خلدون ، وصف به هجوم المرابطين على غانة [١٥٦] .

أما الحالة الثانية فقد أشار إليها ترمنجهام عندما ذكر أن الاستعمار الأوروبي أنهى مرحلة الإجبار على الإسلام[١٥٧] . وهويقصد حركات الجهاد الإسلامية التي قامت في غرب إفريقيا في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) . وهذه الفترة، وكما سبقت الإشارة إليه ، خارجة عن نطاق هذا البحث . إلاّ أن الأهم في نظر ترمنجهام هو الانتشار السلمي للإسلام الذي استمر عبر القرون . لذا نراه يركز جهده لتقديم تفسير لهذه الظاهرة .

ولنتابع الآن ترمنجهام في سعيه للوصول لبغيته ليتبين لنا مزيد من الخلل في منهجه وهو يكتب عن تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا . وليتضح بالتالي موقف هذا المستشرق من الإسلام والمسلمين .

إن ترمنجهام يرى أن الإسلام لديه الاستعداد والمرونة المتناهية للتعايش مع الوثنية، فهو يقول : "إن الإسلام لا يقتلع جذور الماضي بل يوفر قيمًا جديدة تتعايش مع القديم، ولا تلغيه " [١٥٨] . ويشير أيضًا إلى أنه لما جاء الإسلام إلى غرب إفريقيا لم يكن هناك أي شعور بأنه سيكون في تنافر مع نظرة الإفريقيين الدينية الوثنية [١٥٩] .

وفي موضوع الإسلام والدولة في بلاد السودان يقول ترمنجهام : إنه لما صار الإسلام دين الحكام لم يبرز لهم في ذلك إشكال سوى كون الإسلام دين ممكن أن

---

(١٥٤) *Ibid.*, p. 31 , *Islam in West Africa* , p. 24 .

(١٥٥) *A History of Islam in West Africa* , p. 55.

(١٥٦) انظر : *Ibid.*, pp. 57 - 58 . ، وعن سلابسات نص ابن خلدون بخصوص هجوم المرابطين على غانة ، راجع : **سعود الخثلان ،** الدافع الديني في هجوم المرابطين على غانة على ضوء كتابات المؤرخين المسلمين مع الإشارة على وجه الخصوص لتفسير ابن خلدون للهجوم ، مجلة *جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية* ، العدد ١٢ ، ١٤١٥، ص ص ٣٥٧ - ٣٦٢ .

(١٥٧) *A History of Islam in West Africa* , p. 225, "*The Phases of Islamic Exapsion* ..." , p. 130 .

(١٥٨) *Islam in West Africa* , pp. 33-34 .

(١٥٩) "*The Phases of Islamic Expansion* " .. , P. 128 , "*The Expansion of Islam* ", p. 23.

يجمع بين كل فئات المجتمع من الرقيق إلى الحاكم . أما الشعوب فلم تشعر بأي تغيير[١٦٠] . ويشير ترمنجهام في أكثر من موضع إلى أن الإسلام لا يُشعر معتنقه بتغير عنيف في حياته أو انقطاع جذري عن الماضي الوثني [١٦١] .

ويذهب ترمنجهام إلى أبعد من ذلك عندما يرى أن الإسلام يلتقي مع وثنية الإفريقيين في العديد من النقاط . بل وأن الإسلام فيه تشابه كبير مع وثنية الإفريقيين جعله يحظى عندهم بالرضى والقبول وقد اتضح ذلك من تعليله لاستيعاب الإفريقيين للإسلام ، حيث قال : إن استيعاب الإفريقيين للإسلام يعود في الأساس إلى نقاط الالتقاء بين الإسلام والوثنية وإلى العناصر الثقافية في الإسلام ، ولا يعود إلى كون الإسلام دينًا رفيع المستوى إلاَّ بقدر ضئيل [١٦٢] . ويقول أيضًا : «إن الإسلام فيه الكثير من نقاط الإلتقاء مع الوثنية الإفريقية . صحيح أن الإسلام يضم مجموعة من الأنظمة والتعاليم الاجتماعية التي تمس كل مناحي الحياة ، والتي محتمل تعارضها مع التقاليد الوثنية المحلية ، إلا أنه بالتدقيق في هذه الأنظمة الاجتماعية يتبين أن كثيراً منها يقع في إطار العرف والتقاليد الإفريقية الوثنية "[١٦٣] . ويؤكد ذلك في موضع آخر بقوله إن هناك عناصر وثنية يمكن دمجها في الإسلام ، وعناصر ، وإن أدخلت فيه ، تظل غير شرعية وتستمر كذلك حتى ينهض مصلح ليدفع الناس إلى رفضها[١٦٤] .

ويتضح تعنت ترمنجهام في هذا الشأن عندما يتحدث عن الأرواحية Animism[١٦٥] ، إذ يشير إلى أرواحية إسلامية وإلى أرواحية إفريقية أو قديمة . ويقارن

---

(١٦٠) *Islam in West Africa* , pp. 13 - 140 .

(١٦١) *A History of Islam in West Africa* , p. 29 , *Islam in West Africa* , p. 33 .
The Influence of Islam upon Africa , pp. 41 - 42 .

(١٦٢) *Islam in West Africa* , P. 36 .
ونجد مثل هذا التفسير الخاطئ عند المستشرق الألماني كارل بيكر Carl H. Becker (١٨٧٦ - ١٩٣٣م)، الذي ربط الانتشار السريع للإسلام في إفريقيا بنقطة الالتقاء بينه وبين القدرية البدائية السوداء . انظر : **ساسي سالم الحاج ،** *الظاهرة الاستشراقية* ، ص٢٢٩ .

(١٦٣) Islam in West Africa , pp. 30 , 42 .

(١٦٤) *Ibid* ., P. 41 .
وانظر أيضًا : ص ٣٠ ، حيث يقول إن في الإسلام أخلاقيات معقولة ومقننة ، ثم يدعي أن هذه الأخلاقيات ، مثل ما حدد في الإسلام من محظورات Taboos ، تتلائم مع عقلية الإفريقيين الوثنية .

(١٦٥) لتفضيل عن معتقد Animism ، انظر :
= *Encyclopaedia of Religion and Ethics* , Edinburgh , 1967 , vol. 1 , p. 535 .

بينهما فيصف الأرواحية الإسلامية بأنها عالمية وليست محلية كالأرواحية القديمة(١٦٦). ويتمادى ترمنجهام في تعنته عندما يزعم أن الإسلام يضفي صفة الدنيوية على الوظائف الدينية ليزيدها جاذبية، ويمثل لذلك فيدعي أن الإسلام يعتبر السحر جزءاً من البنية الدينية وفي نفس الوقت يضفي عليه الصفة الدنيوية، فالفقيه، في نظر ترمنجهام، مرشد ديني (مفتي ؟) وفي نفس الوقت ساحر(١٦٧).

وما من شك في أن ما قاله ترمنجهام عن الإسلام لا يعدو أن يكون تلبيسًا لعملية الخلط التي ظهرت في بلاد السودان بين الإسلام الصحيح وبين عادات الناس القديمة وطقوسهم الشركية. وقد تعرضت المصادر لهذه الظاهرة ووصفت ما شاع بين أهل السودان من أفعال وطقوس تتنافى مع الإسلام. ونستعرض الآن أمثلة من ذلك ليتضح المقصود من عملية الخلط هذه.

وصف ابن بطوطه، وقد كان شاهد عيان، أهل مالي بأنهم كانوا يحافظون على الصلاة ويهتمون باتباع السنة في يوم الجمعة من التبكير في الذهاب إلى المسجد، وارتداء الملابس النظيفة. كما أكد على عنايتهم الفائقة بتحفيظ أبنائهم القرآن الكريم(١٦٨). ولكنه أيضًا تحدث عما أسماه مساوئهم ومخالفاتهم للإسلام، فذكر

= وجاء في هذه الموسوعة وفي نفس الموضع أنه من وجهة النظر التاريخية للأديان، فإن هذا المعتقد يمثل دين وفلسفة الشعوب غير المتحضرة. ويقول ترمنجهام إن مصطلح Animism يدل على كل ما يدخل ضمن النظام الديني لشعوب غرب إفريقيا من اعتقادات وطقوس. انظر: *Islam in West Africa*, p. 21.

(١٦٦) *Ibid*., 30, 31, 36.

(١٦٧) *Ibid*., p. 31.

من المؤكد أن ترمنجهام يخلط هنا بين الدعاء المستجاب والكرامات الثابتة في الإسلام وبين ما يمارسه السحرة والمشعوذون وبعض المتصوفة باسم الإسلام. ويبدو أن ترمنجهام كان على علاقة مع بعض فئات من المتصوفة. فقد ذكر أنه كان يحضر احتفالات وتجمعات للموالد والذكر عندما كان في السودان. كما ذكر أنه سافر مرة في رحلة سعيدة مع طائفة من القرويين والدراويش من القدس إلى ما يسمى بضريح موسى في منطقة، في الصحراء الفلسطينية، تطل على البحر الميت.

انظر: *The Sufi Orders in Islam*, pp. 245 - 246.

(١٦٨) *رحلة ابن بطوطة*، ج٢، ص٧٩٠.

تعرى الفتيات والنساء[١٦٩] ، وأكل الميتة[١٧٠] ، وجعل التراب والرماد على الرأس ، وكذلك الركوع كمظاهر للتذلل والاحترام والتحية لأمرائهم ، والحلف بالملك[١٧١] ، إلى غير ذلك من الأفعال المنافية للإسلام . وكتب العمري عن منسا موسى ، سلطان مالي ، ووصفه بأنه كان محافظًا على الصلاة والقراءة والذكر ، ومع ذلك كان لديه الكثير من الزوجات ، وكان يجهل الحكم في ذلك . فلما علم به التزم بما أمر به الإسلام[١٧٢] .

وأشار الحسن الوزان ، وهو يتحدث عن مدينة تمبكتو ، إلى عادة الجثو على الركب ، وحثو التراب على الرأس والكتفين لمن أراد مخاطبة السلطان[١٧٣] . وأشار أيضًا إلى شيوع الجهل الشديد في أهل كاغو Kaghu [١٧٤] .

ويذكر أحد الرحالة الأوروبيين ، وهو يتحدث عن ولوف ، أن المرابط ، كما سماه هو ، أو الفقيه ، كما هو عند أهل السودان ، كان يكتب التعاويذ والتمائم باللغة العربية لتعلق على رقبة الشخص أو الفرس [١٧٥] .

ونجد أمثلة أخرى في ما أورده محمود كعث والسعدي ، وهما يؤرخان لدولة سنغي[١٧٦] ، . بل إن سلطان سنغي ، أسكيا محمد ، كان ممن تنبهوا لهذه الظاهرة . ويشهد بذلك أسئلته التي وجهها إلى الشيخ المغيلي (ت ٩٠٩ هـ/ ١٥٠٣م)[١٧٧] ، ففي أحد هذه الأسئلة ذكر أقوامًا وصفهم بأنهم كانوا يقولون لا إله إلا الله ، محمد

---

(١٦٩) *رحلة ابن بطوطة* ، ج٢ ، ص ص ٧٨٨ ، ٧٩٠ .
(١٧٠) *رحلة ابن بطوطة* ، ج٢ ، ص ٧٩١ .
(١٧١) *رحلة ابن بطوطة* ، ج٢ ، ص ص ٧٨٤، ٧٨٥ ، ٧٨٨ ، ٧٩٠ .
(١٧٢) *مسالك الأبصار* ، ج٤ ، ص ٤٢ .
(١٧٣) وصف *إفريقيا* ، ج٢ ، ص ١٦٦
(١٧٤) وصف *إفريقيا* ، ج٢ ، ص ١٧٠ .
(١٧٥) Clarke, *op.cit.*, p. 33 .
(١٧٦) انظر ، على سبيل المثال : تاريخ الفتاش ، ص ص ٤٣ - ٤٤ ؛ تاريخ السودان ، ص ص ١٤٣ - ١٤٤
(١٧٧) عن المغيلي ، انظر : الشيخ **محمد بن عبدالكريم المغيلي** ، أجوبة المغيلي عن أسئلة الأمين الحاج محمد أسكيا ، تحقيق جون هنويك ، لندن ونيويورك ، دار جامعة أكسفورد للنشر ، ١٩٨٤ ، المقدمة ص ص ٢٩ - ٤٨ ؛ **خير الدين الزركلي** ، *الأعلام* ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٤م ، ج٦ ، ص ٢١٦ .

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وهم معتقدون مع ذلك أن هناك من يضرهم وينفعهم غير الله عز وجل . ولهم أصنام ، ويعظمون بعض الأشجار ، ويذبحون لها . ولهم بيوت معظمة عندهم . وكان أسكيا محمد يريد معرفة الحكم في تكفيرهم بهذه الأفعال[١٧٨] .

ومن ذلك أيضًا ما ورد في إنفاق الميسور عن عملية الخلط قبل مرحلة حركات الجهاد الإسلامية . حيث تحدث المؤلف عنها بوضوح فبين الأفعال التي ناقض بها المخلطون الإسلام ، وذكر فئاتهم . يقول : «وقد انتشر الإسلام فيها انتشاراً بين سلاطينهم ووزرائهم وعامتهم بل لا يوجد في هذه البلاد عامة إلا معتنون بقراءة القرآن وتجويده وحفظه وكتابته . ولم تزل العامة هكذا حتى قام هذا الجهاد .

لكن حدثونا أن لسلاطينهم وأمرائهم مواطن يركبون إليها . ويذبحون بها ، ويرشون بالدماء على أبواب قريتهم ، ولهم بيوت معظمة فيها حيات وأشياء يذبحون لها . ويفعلون للبحر كما كانت تفعل القبط للنيل أيام الجاهلية ! ولهم في ذلك أعياد يجتمعون فيها هم وقراؤهم وسلاطينهم وعامتهم ، ولا يحضرها غيرهم ، ويسمون ذلك عادة البلد ، ويزعمون أن ذلك صدقات يستعينون بها على جلب المصالح ، ودرء المفاسد ، فإذا لم تُفْعل تلك العادة بطلت معايشهم ، وقلت أرزاقهم ، وضعفت شوكتهم . وتوارثوا هذه العوائد كابرا عن كابر .

ولم يبلغنا عن أحد من سلاطينهم وعلمائهم - بالغا ما بلغوا - أنهم أبطلوا تلك العوائد ، إلا ما كان من الموفقين ممن لا يشاركهم في أمورهم من العرب والفلاة ، فإنهم لم يزالوا ينكرون عليهم فعلها ويكفرونهم . ولاشك في كفرهم ، وإن كان علماؤهم يدعون أنهم لا يريدون بذلك الإشراك ، ولا يعتقدون التأثير . فهم كفار ، لأن هذه الأصنام من الأشجار والمياه والأماكن التي يذبحون لها كانت أصنام أجدادهم الذين لم يسلموا قبل ، فهم في ذلك مقلدون لهم ، وإن تظاهروا بالإسلام والخير بعد ذلك ، لأن الإسلام في هذه البلاد إنما ورد به التجار والمسافرون ، فأخذه من أخذه منهم .

---

(١٧٨) *أجوبة المغيلي* ، النص العربي ، ص ٢٢ .

فمن الناس من خلص دينه كما ينبغي ، ومن الناس من خلطه بما يناقضه . وكان غالب ملوك هذه البلاد من هذا القبيل ، لأنهم أخذوا بالإسلام وهم يقرون بالتوحيد ، ويصلون ويصومون ، ولكنهم لم يفارقوا أحوال أجدادهم الأولين ، ولم يتركوا من عوائدهم شيئًا ، فكل من خالطهم علم بالضرورة أنهم متلبسون بما لا يصدر إلا من كافر»(١٧٩) .

وكذلك يوجد من الكتاب المحدثين من تنبه إلى ما حدث في بلاد السودان من خلط بين الإسلام وبين الأنظمة والطقوس الدينية المحلية . فهؤلاء ذكروا عملية الخلط هذه وأشاروا إلى الانتشار الواسع للإسلام في المنطقة وتحدثوا عن ذلك بموضوعية أفضل مما هو الحال عند ترمنجهام(١٨٠) . بل إن بعضهم اعتبرها إحدى المراحل التي مر بها أهل السودان في تحولهم إلى الإسلام (١٨١) .

---

(١٧٩) **محمد بلو بن عثمان بن فودى** ، *إنفاق الميسور في تاريخ بلاد تكرور* ، القاهرة ، دار ومطابع الشعب ، ١٣٨٣ هـ ، ص ص ٣٤ – ٣٥ . ومن الملاحظ أن مؤلف إنفاق الميسور ركز في هذا النص على مسألة الاتصاف بالكفر ، سواء بالانسلاخ التام من الإسلام أو بما أسماه بالخلط أو التخليط . وفي صفحات أخرى من الكتاب أورد تفصيلات لتقرير مدى شرعية جهاد هذه الفئة أو تلك . والبحث الذي بين أيدينا ليس محل دراسة هذا الجانب من تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا ، لأن الهدف من التعرض لهذه المسألة ينحصر فقط في إثبات أن ترمنجهام استغل هذه الظاهرة ونسب الى الإسلام ماليس منه ، ولم يفرق بين ما هو من الإسلام وما هو دخيل عليه .

(١٨٠) انظر على سبيل المثال : **طرخان** ، *دولة مالي الإسلامية* ، ص ٥٢ ؛
H. Fisher , *The Cambridge History of Islam* , vol. 2, p. 345 ; **M. Hiskett,** *op.cit* ., pp. 31-32 ; **N. Levtzion** , *Patterns of Islamization in West Africa* " , pp. 214 - 215 .
– ويلاحظ أن الكاتبين الآخرين أشارا (في نفس المواضع) إلى أن العلماء ، خاصة في تمبكتو ، زمن دولة سنغي ، كانوا يعلنون معارضتهم للخلط بين الإسلام والوثنية ويعملون على إظهار الإسلام الصحيح .

(١٨١) انظر : **H. Fisher,** *The Cambridge History of Islam,* vol. 2, pp. 345-346 , "Conversion Reconsidered : Some Historical Aspect of Religious Conversion in Black Africa" , *Africa* . vol. 43 , 1973 . p. 31.
حيث قسم هذا الكاتب انتشار الإسلام وتحول الناس إليه في بلاد السودان إلى ثلاث مراحل وجعل المرحلة الثانية هي مرحلة الخلط Mixing . وانظر أيضا : **P.J. Ryan,** *op. cit.,* pp. 7-8 . الذي تابع فشر في ذلك ، وقال إن كلمة Mixing هي ترجمة للكلمة العربية «تخليط» الواردة في المصادر الإسلامية .

وإن هذا الوضع الذي عانى منه المنتسبون إلى الإسلام من أهل السودان في تلك المراحل لم يكن من المستغرب حدوثه . وما من شك في أن هناك شعوبًا وجماعات أخرى مرت بمراحل مشابهة في تحولها إلى الإسلام ، وإن اختلفت في ذلك لاختلاف الخلفيات الدينية لتلك الشعوب وعاداتها وتقاليدها . وإن أقرب مثال لذلك ما حصل في الصحراء الكبرى بين البربر . فبالرغم من بدء انتشار الإسلام بينهم خلال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)(١٨٢) ، إلا أن هناك من الكتاب من أشاروا إلى بقاء عادات وتقاليد جاهلية بينهم لفترة طويلة(١٨٣) .

فما دامت القضية بهذا الوضوح في المصادر التي رجع إليها ترمنجهام ، فلماذا لم يتجه في كتابته إلى التحدث عنها ليتضح الأمر للقارئ ؟ ولماذا خَلَطَ الأمور على هذا النحو ؟ إن ما قاله ترمنجهام في مقارنته بين الإسلام والوثنية جعل الإسلام يظهر بمظهر لا يختلف كثيرًا عنها . فقد سعى هذا المستشرق جاهدًا ، من خلال إشارات هنا وهناك صريحة أحيانًا وخفية أحيانًا أخرى ، لأن يُدخل في روع القارئ إلى أن هناك نقاط التقاء وتماثل قوية بين الإسلام والوثنية ، وأن الإسلام مرن من أجل استقطاب الأتباع إلى حد قبول ما يناقضه . وهذه الخاصية ، في نظر ترمنجهام ، هي التي مكنت الإفريقيين من تطويع الإسلام ليتناسب مع بيئتهم وتراثهم ، فلم يحدث انقطاع تام عن ماضيهم ودين أسلافهم . وهذا في رأي ترمنجهام هو السبب المباشر الذي دفع الشعوب الوثنية في غرب إفريقيا عبر القرون إلى تقبل الإسلام بكل يُسر وسهولة .

ومن المؤكد أن ترمنجهام مدرك لما يقول وأن هذا المفهوم الخاطئ عنده لم ينشأ عن سوء فهم أو مجرد وهم في هذه المسألة ، والأدلة التالية تبين ذلك بوضوح .

أولاً : إن عامل اللغة لم يكن مجالاً لإحداث سوء فهم عنده سواء في قراءة المصادر أو فيما يخص فهمه للإسلام ، سواء عند الإفريقيين أو بشكل عام . فقد سبقت الإشارة إلى أن ترمنجهام أقام في بلدان عربية في إفريقيا لفترات طويلة ، وقام برحلات إلى بلدان عربية أخرى في القارة ، وزاول التدريس في أقسام تُعني بالدراسات العربية والإسلامية . وهذا يؤكد أنه كان ملمًا باللغة العربية ، وعلى قدر كبير من ذلك . ولا

(١٨٢) انظر : **ابن خلدون** ، *العبر* ، ج٦ ، ص ١٨٢ .

(١٨٣) انظر : **ابن حوقل** ، *كتاب صورة الأرض* ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٩م ، ص٩٣ ، **البكري** ، **المُغْرب** ، ص ص ١٣٨ - ١٤٠ ، *رحلة ابن بطوطه* ، ج٢ ، ص ٧٧٧ .

أدل على ذلك من النصوص العربية المترجمة إلى الإنجليزية التي يزخر بها كتابة «تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا» . بل إن أحد الكتاب فضل ترجمته لأحد النصوص العربية على ترجمة مستشرق آخر (١٨٤) .

ثانيًا : إن ترمنجهام ، وهو يحاول تفسير أسباب انتشار الإسلام في غرب إفريقيا ، لم يتجه للاستفادة مما أوردته المصادر من معلومات عن ظاهرة الخلط لكي يتبين للقارئ أن الأمر لم يكن سوى اضافات إلى الإسلام من طقوس وعادات وثنية ليست منه . وليعلم القارئ أيضًا أن هناك أناس مدركون لهذا الشيء حتى من أهل السودان أنفسهم . هذا بالرغم من اطلاع ترمنجهام على ذلك في المصادر ، فقد أورد عرضًا ، نصًا لجبريل ابن عمر ، أحد أساتذة الشيخ عثمان دان فودي ، فيه توضيح لظاهرة الخلط (١٨٥) . وعليه يكون هذا التوجه من ترسنجهام متعمدًا ، وذلك لربط أسباب انتشار الإسلام في غرب إفريقيا بتشابه والتقاء مزعوم بينه وبين الوثنية .

ثالثًا : إن ترمنجهام ، في تقسيمه للمراحل التي مر بها الإسلام خلال انتشاره في إفريقيا ، يجعل لكل مرحلة نمطًا من الإسلام ، ويصنف أحد هذه الأنماط بأنه : الإسلام الإفريقي التقليدي . ويقول إن سمته كانت الإزدواجية الدينية (١٨٦) Dualism ، أو بمعنى آخر التعايش مع الوثنية . فهو إذن يرى أنها لم تكن عملية خلط بل ازدواجية دينية في الإسلام نفسه .

رابعًا : إن ترسنجهام ، في الحقيقة ، لا يتحدث عما أسماه بإسلام الإفريقيين بل عن الدين الإسلامي . والأمر عنده واضح لا لبس فيه ، فهو يقول ما نصه : «إننا في تناولنا للمجتمع الإسلامي يجب ألا نجعل مفاهيم الإسلام وتعاليمه الصحيحة هي الأساس ، وألاَّ نعتقد أن ما ظهر عليها من تغيير إنما هو تحريف لها من جراء ما دخل

---

(١٨٤) انظر : P. J. Ryan , *op. cit.*, P. 53 , Footnote. no. 72 ,
الذي ذكر أنه فضل ترجمة ترمنجهام لنص من تاريخ كانو على ترجمة المستشرق بالمر Palmer لنفس النص في كتابه *Sudanese Memoirs*

(١٨٥) *A History of Islam in West Africa* , p. 142 .
ويلاحظ أن ترمنجهام تحاشى إيراد كلمة مخلطين ، كما تلفظ في اللغة العربية بالرغم من ورودها في النص ، إنفاق الميسور ، ص ٢٠٧ ، وهو المصدر الذي نقل عنه ترمنجهام . وبالرغم أيضًا من اهتمامه الشديد في مؤلفاته بإثبات التعبيرات والمصطلحات بلغتها الأصلية زيادة في الإيضاح .

(١٨٦) "*The Phases of Islamic Expansion* "... , p. 130

عليها من التقاليد المحلية ، أو أن ننظر إلى سدى بعد الناس من الإسلام الصحيح . بل يجب أنّ نأخذ التقاليد القديمة لننظر كيف حورت وبُدلت من قبل الإسلام»[١٨٧] . ويقول أيضًا في جرأة واضحة على الإسلام : إن الأرواحية والممارسات السحرية في الإسلام استمدت قيمتها ومدلولاتها من عناصر في دين العرب الوثنيين[١٨٨] .

إذن يتضح من هذا العرض أن القضية عند ترمنجهام ليست مجرد دراسة لانتشار الإسلام في غرب إفريقيا ، بل التعرض للدين الإسلامي للوصول إلى أهداف معينة ، ولكن تحت ستار منهجه المزعوم الذي ادعى فيه أنه معني بالحديث عما أسماه بإسلام الإفريقيين . بينما راح كما رأينا ، وباسم هذا المنهج ، يقول عن الإسلام بغير علم فينسب إليه ما ليس منه ولا يفرق بينه وبين ما أحدثه المتسبون إليه من إضافات بحكم العادات الموروثة ، وبحكم ما جُبل عليه الإنسان من جهل وضعف وخطأ .

وترمنجهام ، ككاتب غربي ومستشرق ، ليس من المستغرب أن تظهر في كتاباته سلبيات ووجهات نظر تتعارض مع وجهة النظر الإسلامية ، ولكن تأثره بالتنصير ، كغيره من الكتاب ممن هم في نفس الوضع جعله يسلك في منهجه طريقًا ملتويًا ، وجعل كتابته أكثر استعدادًا للتحامل على الإسلام والمسلمين .

إن من أهم الأهداف التي تبين أنها كانت في حسبان ترمنجهام ، وهو يكتب عن انتشار الإسلام في غرب إفريقيا ، إظهار الإسلام بغير مظهره الحقيقي . إذ لابد وأنه يعلم أن هذا العرض للإسلام لن يمكن القارئ الغربي أو الإفريقي من تكوين صورة صادقة عن الإسلام بل على العكس سيراه من خلال صورة مشوشة مضطربة . فآراء ترمنجهام واستنتاجاته حول الإسلام ، والمشار إليها في فقرات سابقة ، خاصة ما ذكره عن أسباب الانتشار تُظهر الإسلام للقارئ مفرغًا من محتواه الصحيح وتجرده من المقومات الطبيعية التي هيأت له القبول الطوعي من الناس . فالإسلام في نظر

---

(١٨٧) *Islam in West Africa*, p. 125.

(١٨٨) *Ibid.*, p. 40.

ويلاحظ أن ما زعمه ترمنجهام بخصوص وثنية العرب ليس بالشيء الجديد ، فقد سبقه إليه مستشرقون آخرون ، نذكر منهم ، على سبيل المثال :

Brockelmann, *op.cit.*, pp. 38-41 ; **H.A. Gibb ,** *Islam* , London , Oxford University Press , 1975 , p. 47 ; **A. Guillaume ,** *Islam* , New York , Penguin Books Ltd., 1978 , p. 6.

ترمنجهام مرتبط في وجوده وانتشاره بالسلطة ، وهو وإن انتشر وظهر له أثر على أهل السودان ، إلا أنه لم يبتعد كثيراً عن الوثنية ، ولم يصل إلى المستوى الراقي الذي يجب أن يكون عليه الدين . وهي صورة تهدف ، بلا شك ، إلى زعزعة الثقة بجدوى الانتماء إلى الإسلام .

وإن ما يدلل على هذا التوجه عند ترمنجهام ، ويؤكد في نفس الوقت تأثره بالتنصير ، تلك المقارنات بين المسيحية والإسلام والتي أظهرت ، بالرغم من كونها قصيرة وعابرة ، عاطفته الدينية وبعده عن الموضوعية والإنصاف . ففي الوقت الذي يكرر فيه القول بالتشابه بين الإسلام والوثنية وكثرة نقاط الالتقاء بينهما ، يقول إن أوجه التعارض بين المسيحية والنظام الوثني الإفريقي كثيرة للغاية(١٨٩) . ويقول في موضع آخر إن الإسلام يتعايش مع الوثنية ، وتعارضه مع المجتمع الوثني غير محسوس ، فهو يتسلل إلى الناس بالتدريج ، أما المسيحية فهي في تعارض صارخ مع المجتمع الوثني(١٩٠) .

وذهب ترمنجهام أبعد من ذلك عندما امتدح مسيحية الحبشة وقال إنها لم تكن أبداً مرنة مع الوثنية ، ولم يحصل قط أي محاولة لاستيعاب أي عناصر وثنية في نظامها التعبدي الأرثوذكسي(١٩١) .

ويزعم ترمنجهام أيضاً أن إقبال الحاميين والزنوج الحاميين الرعاة على اعتناق الإسلام إنما مرده إلى مرونته من حيث مكان العبادة وإلى انخفاض مستوى نظمه وقيمه الاجتماعية بينما يزعم أن نفور هؤلاء من المسيحية إنما هو بسبب علو مستوى نظمها وقيمها الاجتماعية وإلى ارتباطها بنظام كهنوتي(١٩٢) .

---

(١٨٩) *Islam in West Africa*, p. 30 .

(١٩٠) *Ibid*., p. 42 .

إنه لمن الواضح أن ما قاله ترمنجهام وكرره عن وجود تشابه بين الإسلام والوثنية وتعايش معها ، لا يعدو أن يكون مزاعم لتحقيق هدفه التنصيري من الكتابة ، وإلاَّ فإن كاتبا في مثل اطلاع ترمنجهام يعلم علم اليقين أن القرآن الكريم والسنة المطهرة تحوي مالا حصر له مّن الشواهد التي توجب التوحيد الخالص وتُحذر مما يناقض ذلك من قول أو فعل . ولا أوضح من رفض الإسلام الرفض القاطع للتشبه بغير المسلمين .

(١٩١) *Islam in Ethiopia*, London, Frank Cass, 1976, p. 27.

(١٩٢) = *Ibid*., Intro., p. xiv.

ويتحدث ترمنجهام في بضعة أسطر عن مدى انتشار المسيحية في إفريقيا مقارنة بالإسلام فيكشف من خلال ذلك عن توجهه التنصيري إذ يقول : « . . . وبالمقابل هناك دين آخر قوي ، هو المسيحية الغربية التي جاءت مع التوسع الغربي (في إفريقيا) خلال القرن السابق ، وانتشرت في كل مكان جنوب خط الاستواء . وإن سرعة وصلابة توسعها ليؤكد أن المسيحية ، حتى ولو لم تتخلص من بعض المعالم التي هي في الواقع غربية وليست من جوهر المسيحية ، بإمكانها أن تحقق تطلعات الإفريقيين الروحية ، وتصبح قوة موحدة للجنوب والوسط من إفريقيا لتقف بذلك في وجه الاسلام الذي يمثل القوة التي وحدت الشمالي الإفريقي وبلاد السودان»(١٩٣) .

وإن مما يُدعم ما قلناه عن أثر التنصير على كتابات ترمنجهام وتوجهاته ، كون الجمعيات التنصيرية قد أدركت قيمة مجهوداته في إفريقيا وأهمية كتاباته عن الإسلام والمسلمين فيها . إذ ليس من باب الصدفة أن تكون الجمعيات التنصيرية هي الداعم الرئيس لأبحاثه الميدانية في إفريقيا . وليس من باب الصدفة أيضًا أن تقوم جمعيات التنصير بتكليفه وتمويله ، بعد فترة وجيزة من رجوعه إلى بريطانيا ، لكي يعود إلى غرب إفريقيا ويُجرى مسحًا للإسلام فيها ، كما سبقت الإشارة إليه (١٩٤) .

= إن هذا النظام الكهنوتي الذي ارتبطت به المسيحية ليؤكد عدم صحة ادعاء ترمنجهام خلو المسيحية (المحرفة) من الطقوس الوثنية . وهذا البحث ، بطبيعة الحال ، ليس مجالاً للتفصيل في هذه الناحية . ويمكن الاكتفاء بالإحالة إلى الكتاب التالي ، لأحد المختصين في تاريخ الأديان في جامعة باريس :

شارل جينيبير ، *المسيحية نشأتها وتطورها* ، ترجمة عبدالحليم محمود ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٥م . وعلى سبيل المثال ، يقول المؤلف (ص ١٣٩ - ١٤٠) ، وهو يتحدث عن محاولة بولس إيجاد تبرير لتقليد «تناول الخبز جماعة» : « ولم يكن قد قُدِّر لأي طقس من طقوس «الأسرار» الوثنية أن يزخر بمعاني وفيرة وبآمال جذابة ، مثل ما زخرت به الطقوس الخاصة بالقربان لدى بولس ، غير أنها كانت من قبيل عائلة الطقوس الوثنية ، ولم تكن نابعة من روح الدين اليهودي ؛ ولقد أدخلت في كنيسة الحواريين «قطعة من الوثنية» . ولكن المسيحيين تقبلوها أيضًا بصدر رحب لأنها أضافت إلى إيمانهم درجة أخرى من التسامي ، وإن أصبحت بعد ذلك موضوعًا أساسًا لتركيبات لاهوتية واسعة النطاق تولدت عنها عقائد كبرى عديدة» .

(١٩٣) *Islam in Ethiopia*, Intro., p. xv .

(١٩٤) راجع ما كتب عن هذا المستشرق في بداية البحث .

ويجيء تحامل ترمنجهام على المسلمين كوجه آخر لإظهار الإسلام بغير مظهره الحقيقي . فمعلوم أن ما يُتهم به المسلمون ينعكس ، في نظر من لا يعرف الإسلام ، على الإسلام نفسه . ويظهر هذا التحامل عند ترمنجهام من خلال تفسيرات واستنتاجات خاطئة بُني بعضها على قراءات واهية للمصادر . وقد سبق التلميح إلى خطورة هذا المسلك عند المستشرقين في دراساتهم الإسلامية .

والأمثلة التالية تؤكد هذا الاتجاه عند ترمنجهام :

١ - يقول ترمنجهام : «إن منطقة شمال إفريقيا كانت تقع ضمن العالم الإسلامي، بينما بقية إفريقيا ظلت خارج اهتمام المسلمين . وهم لا يفكرون فيها أصلاً، وحتى إن فعلوا ذلك فإنهم لا يرون فيها سوى ذلك الإقليم الغامض ، القابع خلف الصحراء ، والذي يُجلب منه العبيد والذهب» (١٩٥) . وهو يرى أن الحاجز الحسي والثقافي الذي فرضته الصحراء بين شمالها وجنوبها كان له دور في إحداث ذلك الانقطاع بين المسلمين في شمال إفريقيا والشرق الإسلامي من جهة وإفريقيا جنوب الصحراء من جهة أخرى (١٩٦) .

وفي إشارة إلى دور الإفريقيين في نشر الإسلام يقول ترمنجهام : إن إسهام المسلمين البيض في نشر الإسلام في غرب إفريقيا لم يكن بالقدر الذي ينسبه البعض إليهم . ويتهمهم بأنهم كانوا يزدرون المسلمين السود المتحمسين لنشر الإسلام(١٩٧) .

ولكن ترمنجهام يذهب في مواضع أخرى إلى ما يناقض هذه الأقوال . وهذا ما يثير الدهشة حقًا . فبينما هو يقول بانقطاع الصلة بين المسلمين في غرب إفريقيا وغيرهم من المسلمين ، ويقلل من دور المسلمين غير السود في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ، نراه ينفي أن تكون الصحراء قد مثلت عائقًا في وجه الحركة والتأثير القادم من الشمال إلى غرب إفريقيا(١٩٨) . ويؤكد على أنه كان هناك علاقات وتواصل دائمان بين مصر وبلاد المغرب من جهة وبلاد السودان من جهة أخرى(١٩٩) . ويشير سراراً إلى حج

---

(١٩٥) *The Influence of Islam Upon Africa*, Intro., p.2.

(١٩٦) *Ibid* .

(١٩٧) *Islam in West Africa*, p. 31.

(١٩٨) *The Influence of Islam upon Africa*, p. 10.

(١٩٩) *The Expansion of Islam* , p. 15.

المسلمين من غرب إفريقيا إلى الأراضي المقدسة ، خاصة السلاطين وحاشيتهم(٢٠٠) . وإلى اتصالات العلماء من شمال إفريقيا ومصر بالممالك الإسلامية في بلاد السودان ، وعلى رأسهم المغيلي والسيوطي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)(٢٠١) . هذا بالإضافة إلى ما قاله عن التجار الوافدين إلى بلاد السودان من أنهم كانوا يحملون الإسلام مع بضائعهم(٢٠٢)، وأنهم كانوا يمارسون شعائر دينهم والدعوة إليه في المنطقة بكل حرية ، وأنهم بذلك كانوا السبب في تغلغل الإسلام في مدن بلاد السودان على الحدود الجنوبية للصحراء(٢٠٣) .

٢ - حاول ترمنجهام استغلال اختلاف اللون لإبراز دواعي التنافر بين المسلمين . فقد اتهم المسلمين البيض ، كما رأينا ، بالكبرياء وإزدراء المسلمين السود . ونراه كذلك يتحدث ، أحيانًا ، عن إسلام السود أو الإسلام الإفريقي (٢٠٤). ويتحدث أحيانًا أخرى عن إسلام العرب وإسلام مصر والمغرب(٢٠٥) .

وعند ذكره للجغرافي والرحالة ابن حوقل اتهمه ، بطريق غير مباشر ، بأنه ينظر إلى السود نظرة دونية(٢٠٦) ، مستنتجًا ذلك من نص في كتابه «صورة الأرض» ، يقول فيه : «ولم أذكر بلدان السودان في المغرب والبجة والزنج ومن في أعراضهم من الأمم ، لأن انتظام الممالك بالديانات والآداب والحكم وتقويم العمارات بالسياسة المستقيمة . وهؤلاء مهملون في هذه الخصال ، ولاحظ لهم في شيء من ذلك فيستحقوا به إفراد ممالكهم بما ذكرت به سائر الممالك . غير أن بعض السودان المقاربين هذه الممالك المعروفة يرجعون إلى ديانة ورياضة وحكم ، ويقاربون أهل هذه الممالك كالنوبة والحبشة فإنهم نصارى يرتسمون مذاهب الروم»(٢٠٧) . فقد فسر ترمنجهام عدم ذكر ابن حوقل لهؤلاء بأنه

---

(٢٠٠) *A History of Islam in West Africa*, pp. 57, 62, 64, 67 - 68 , 81 , *Islam in West Africa*, pp. 85-88.

(٢٠١) *A History of Islam in West Africa*, pp. 98, 133.

(٢٠٢) *Islam in West Africa*, p. 28.

(٢٠٣) *A History of Islam in West Africa*, pp. 28,31.

(٢٠٤) *Islam in West Africa* pp. 30,31,33, *The Influence of Islam upon Africa,* preface, P.x...

(٢٠٥) "*The Expansion of Islam* ", p. 15 , "*The Phases of Islamic Expansion* ", p. 133.

(٢٠٦) *A History of Islam in West Africa*, pp. 1-2.

(٢٠٧) ص ١٩ .

انتقاص لهم من أجل سوادهم . بينما النص صريح في أن العلة في عدم ذكرهم هي افتقارهم إلى الديانات والآداب والسياسة . والدليل على ذلك أن ابن حوقل استثنى منهم النوبة والحبشة فأوردهم في كتابه المذكور وعلل ذلك بكونهم «نصارى يرتسمون مذاهب الروم» . ويلاحظ هنا أن ترمنجهام استشهد من النص بالجزء الذي ظن أنه يؤيد ما ذهب إليه ، ولم يورد النص كاملاً .

والذي يهمنا في هذا المقام ليس إثبات تحامل ترمنجهام على ابن حوقل أو تأكيد سلامة موقف هذا الأخير من السود . بل يهمنا الإشارة إلى ما يمكن أن تلعبه مثل هذه الآراء والتفسيرات غير العلمية من دور في تشكيل وإشاعة المفاهيم الخاطئة عن المسلمين. فعلى سبيل المثال ، ذهب كاتب آخر في هذه القضية أبعد مما ذهب إليه ترمنجهام إذ قال بصريح العبارة : «إن ابن حوقل كان أول من عبَّر عن إزدراء المسلمين التقليدي للسود» (٢٠٨) . وبما أن هذا الكاتب اعتمد على ترمنجهام في مواضع أخرى من نفس الكتاب الذي وردت فيه الإشارة إلى النص المذكور (٢٠٩) ، فلا يستبعد أبدًا أن يكون قد تأثر بما جاء فيه عن ابن حوقل .

٣ - اتجه ترمنجهام كذلك إلى استغلال الرق للإساءة إلى المسلمين ، فقد ربط حركةالحج من غرب إفريقيا إلى الأراضي المقدسة بتجارة الرقيق(٢١٠) . هذا مع أن ترمنجهام يذكر ، كما يذكر غيره بطبيعة الحال ، أن ظهور الرقيق كعنصر من عناصر التجارة بين شمال إفريقيا ومصر من جهة وإفريقيا جنوب الصحراء من جهة أخرى لم يكن قبل بدء الحج من غرب إفريقيا فحسب ، بل قبل مجيء المسلمين إلى المنطقة بقرون عديدة(٢١١) . فالربط بين الأمرين إذن ليس له مبرر إلا أن يكون للغاية التي أشرنا إليها . فهو قد خص الرق بالذكر لحساسيته ، بينما لم يذكر تجارة الذهب ، مع أن المصادر اهتمت بذكر كميات الذهب التي كانت مع قوافل حج السلاطين من غرب

---

(٢٠٨) **E. W. Bovill,** *The Golden Trade of the Moors,* Oxford , Oxford University Press , 1978, pp. 61 - 62.

(٢٠٩) انظر ، على سبيل المثال : *Ibid., pp. 73, 83, 96.*

(٢١٠) *A History of Islam in West Africa,* p. 32.

(٢١١) *Ibid.*, p. 13.

إفريقيا أكثر من اهتمامها بالرقيق(٢١٢) .

٤ - أساء ترمنجهام تفسير بعض المفاهيم الإسلامية . فقد فسر الدعاء عند المسلمين في غرب إفريقيا ، وما يحصل بعده من استجابة ، بأنه من أعمال السحر(٢١٣) .

وقد سبقت الإشارة إلى أن ترمنجهام يزعم أن الإسلام يعتبر السحر جزءاً من النظام الديني .

وأساء ترمنجهام مفهوم الختان ، وذلك عندما قال إن هذه العادة كانت تُمارس عند الوثنيين ، ولما أراد المسلمون إعطاءها بعداً دينيًا وصبغة إسلامية استغلوا ربطها بالأسطورة الإبراهيمية ، فتحول فعلها عند الإفريقيين من مجرد تقليد للسلف إلى تطبيق لتعاليم الإسلام(٢١٤) . وهذه في نظر ترمنجهام ، إحدى الطرق التي كيَّف الإسلام بها نفسه فانتشر بين الإفريقيين(٢١٥) .

الخاتمة

رأينا كيف أن ترمنجهام كانت لديه اهتمامات مبكرة بالأديان بما فيها الإسلام ، حيث قرأ عنها كثيرًا ، ودرس اللاهوت في كلية متخصصة . ثم توج ذلك بأن انخرط في سلك التنصير الذي أتاح له الفرصة للعمل في إفريقيا . فكان لذلك دوره في جذب ترمنجهام إلى الاستشراق ، والتخصص في الدراسات الإسلامية ، وجعل هذه القارة ميدانًا له لدراسة الإسلام والمسلمين .

وعلمنا أيضًا أن ترمنجهام جمع بين الاستشراق والتنصير ، فكان لذلك أثره وخطورته على منهجه وهو يكتب في تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا ، وأثره أيضًا

---

(٢١٢) انظر ، على سبيل المثال : **العمري** ، *مسالك الأبصار* ، ج٤ ، ص ص ٤٤ - ٤٦ ، **ابن خلدون** ، *العبر* ، ج٥ ، ص ٤٣٤ ، ج٦ ، ص ٢٠١ ، **السعدي** ، *تاريخ السودان* ، ص ٧٣ .

(٢١٣) *A History of Islam in West Africa*, p. 131.

(٢١٤) *Islam in West Africa*, p. 41.

ويبدو أن ترمنجهام يقصد بما أسماه بالأسطورة الإبراهيمية ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أحاديث تشير إلى اختتان النبي إبراهيم الخليل عليه السلام . انظر : **محمد بن إسماعيل البخاري** ، *صحيح البخاري* ، إستانبول ، المكتبة الإسلامية ، ١٩٨١م ، كتاب ٦٠ ، باب ٨ : (ج٤ ، ص ١١١) ، كتاب ٧٩ ، باب ٥١ : (ج٧ ، ص ١٤٣ - ١٤٤) .

(٢١٥) *Islam in West Africa*, p. 41 .

على موقفه من الإسلام والمسلمين بشكل عام .

وتبين لنا كذلك أن ترمنجهام كتب عن تاريخ الإسلام في إفريقيا من وجهة نظر المستشرق المنصر . فالإسلام في نظره كان محدود الانتشار في بلاد السودان ، فقد كان دين التجار الغرباء والحكام وحاشيتهم ، وهو يعتمد على السلطة ، وإذا انتشر فإن السبب في نظر ترمنجهام ، يعود لعيب في الإسلام وليس لتميز فيه . فهو يرى أن الناس في إفريقيا يقبلون على الإسلام لتشابهه مع الوثنية ولتعايشه معها . فمبادئ الإسلام وقيمه في نظره ليست بالمستوى الرفيع بل هي متدنية ملائمة لعقليات الوثنيين البدائية .

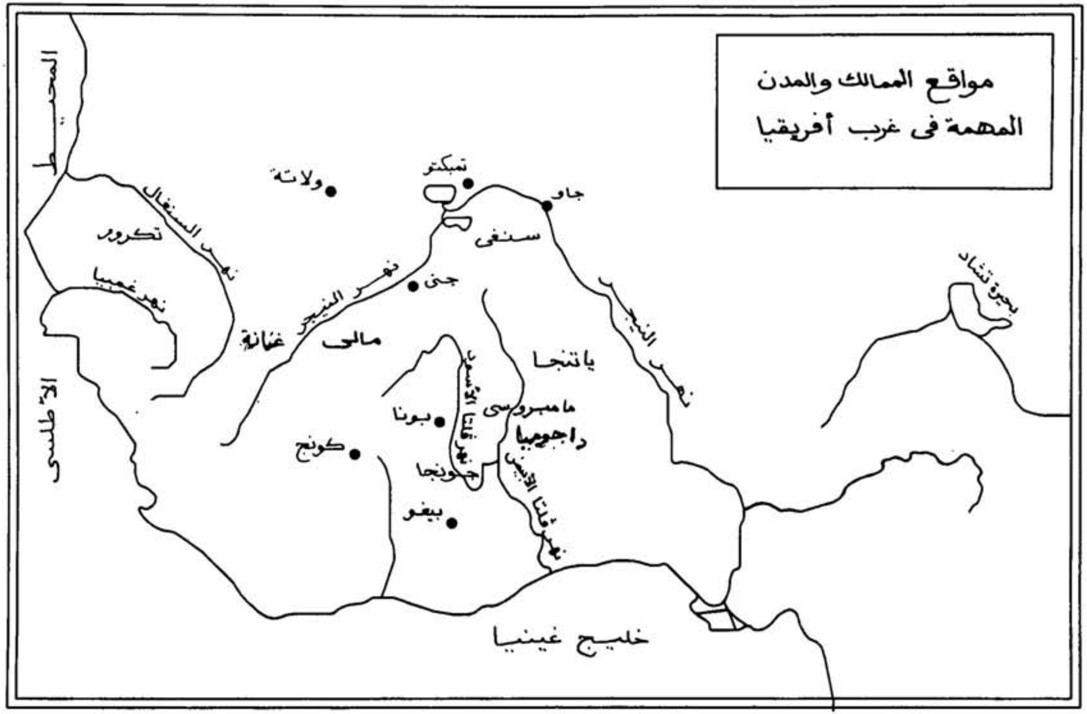
ولاحظنا أن ترمنجهام في اصطدامه بالحقائق الدامغة في تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا ، والتي لم ترق له ، لم يتمكن سن الموازنة بينها وبين منهجه في الكتابة وهدفه المبيت منها ، فبرز التضارب وعدم الانسجام في استنتاجات ومرئياته .

ورأينا أيضًا أن ترمنجهام لما قارن بين المسيحية والإسلام ، ضمن منهج غير علمي ، جاءت مقارنته جائرة ومتحيزة لأنها تلونت بنظرة المستشرق المنصر الذي سعى في كتابته إلى التقليل سن شأن الإسلام وإثارة الشبهات حول قيمه ومفاهيمه .

ومن هذا المنطلق أيضًا كان موقف ترمنجهام من المسلمين ، فقد حاول بطريق مباشر وغير مباشر أن يظهر أسباب الخلاف والتنافر بين المسلمين ، محاولاً استغلال بُعد غرب إفريقيا عن الأقاليم الأخرى المهمة من العالم الإسلامي ، وكذلك اختلاف اللون ، وقضية الرق . كما عمد إلى إساءة تفسير بعض المفاهيم الإسلامية .

وهكذا يتضح من البحث أن دراسة ترمنجهام لانتشار الإسلام في غرب إفريقيا افتقرت إلى الموضوعية والحياد . وعلى هذا الأساس لابد وأن تكون قد أخذت دورها في تشويه تاريخ الإسلام في المنطقة ، أخذًا في الاعتبار ما وجدته دراسات ترمنجهام من رواج في الأوساط الأكاديمية ، خاصة في الخمسينيات والستينيات والسبعينات من القرن الميلادي الحالي ، وهي فترة لها أهميتها بالنسبة للتنصير في القارة .

ولكن بالرغم من هذه السلبيات يظل ترمنجهام من الرواد في هذا الميدان ممن مهدت دراساتهم السبيل لمن جاء بعدهم من الباحثين والمختصين في الدراسات الإسلامية في إفريقيا .



المصدر : G. S. Freeman- Grenville, The New Atlas of African History, The Macmillan Press LTD., 1991, P. 77; Wilks, " The Mossi and Akan States" , p. 450.

المـراجــــع

أولاً : المراجع العربية

ابن بطوطة ، محمد بن عبدالله اللواتي ، *رحلة ابن بطوطة المسماة* : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق علي المنتصر الكتاني ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٢م .

ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي ، *كتاب صورة الأرض* ، بيروت دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٩م

ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد ، *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر* . . ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٣٩١ هـ .

ابن خياط ، خليفة ، *تاريخ خليفة بن خياط* ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، الرياض ، دار طيبة ، ١٤٠٥هـ .

ابن عبدالحكم ، عبدالرحمن بن عبدالله ، *فتوح مصر والمغرب* ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، القاهرة ، لجنة البيان العربي ١٩٦١م .

ابن منظور ، محمد بن مكرم ، *لسان العرب* ، بيروت ، دار صادر ، د. ت .

الإدريسي ، محمد بن محمد بن عبدالله ، *المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس* (مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ، ليدن ، بريل ، ١٩٦٨م .

البخاري ، محمد بن اسماعيل ، *صحيح البخاري* ، إستانبول ، المكتبة الإسلامية ، ١٩٨١م .

البكري ، عبدالله بن عبدالعزيز ، *المُغْرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ، باريس ، المكتبة الشرقية الأمريكية ، ١٩٦٥م .

البلاذري ، أحمد بن يحيى ، *فتوح البلدان* ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣م .

جينيبير ، شارل ، *المسيحية : نشأتها وتطورها* ، ترجمة عبدالحليم محمود ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٥م .

الحاج ، سباسي سالم ، *الظاهرة الإستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية* ، مالطه ، مركز

دراسات العالم الإسلامي ، ١٩٩١م .

الحموي ، ياقوت ، معجم *البلدان* ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٧٩م .

الخاتم ، علي ، *«الإسلام في السودان الغربي - آثاره السياسية والثقافية»* ، دراسات إفريقية ، المركز الإسلامي الإفريقي ، الخرطوم ، العدد الأول ، رجب ١٤٠٥هـ ، ابريل ١٩٨٥م .

ديفدسن ، بازل ، *إفريقيا تحت أضواء جديدة* ، ترجمة جمال محمد أحمد ، بيروت دار الثقافة ، ١٩٦١م .

السعدي ، عبدالرحمن بن عبدالله بن عمران ، *تاريخ السودان* ، تحقيق هوداس ، باريس ، ارنيه ليرو ، ١٨٩٨م .

طرخان ، إبراهيم علي ، *إمبراطورية غانة الإسلامية* ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م

العمري ، أحمد بن يحيى بن فضل الله ، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار* ، إصدار فؤاد سزكين ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت ، ١٩٨٨م .

كعت ، محمود كعت بن الحاج المتوكل ، *تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس* ، تحقيق هوداس وديلافوس ، باريس ، أرنيه ليرو ، ١٩١٣م .

المالكي ، عبدالله بن أبي عبدالله ، *رياض النفوس في طبقات علماء القيروان* ، ج ١ ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١م .

محمد بلو بن عثمان بن فودي ، *إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور* ، القاهرة ، دار مطابع الشعب ، ١٣٨٣هـ .

موسى ، عزالدين عمر ، *«انتشار الإسلام في غرب افريقيا حتى القرن السادس عشر الميلادي»* ، ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية (الخرطوم ٢٨/ ٣٠ يوليو ١٩٨٣م) ، بغداد ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م .

ـــــــــ *«الإسلام وإفريقيا»* ، *العرب وإفريقيا* : بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي ، ط١ ، بيروت ، يناير ١٩٨٤م .

نقره ، التهامي ، «القرآن والمستشرقون» ، في مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، الرياض ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م.

الوزان ، الحسن بن محمد (ليو الإفريقي) ، *وصف إفريقيا* ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٣م.

ثانيا : المراجع الأجنبية

African Encyclopaedia, Oxford, Oxford University Press, 1974.

Ajayi, J.F. Ade and **Crowder, M.** (eds), *History of West Africa*, London, Longman, 1976, Vol 1

Bovill, E.W., *The Golden Trade of the Moors*, Oxford, Oxford University Press, 1978.

Brett, M., "Islam and Trade in the Bilad Al-Sudan, 10th-11th Century A.D.", *Journal of African History*, **24,** 1983.

Brockelmann, C., *History of the Islamic Peoples*, Trans. by J. Carmichael and M. Perlmann, London, Routledge and Kegan Paul, 1980.

Cada Mosto, Alvis Da, *The Voyages of Cada Mosto*, Trans. by G.R. Crone, Hakluyt Society Series, 2, No. 80, 1937.

Clarke, P.B., *West Africa and Islam*, London, Edward Arnold, 1982.

Contemporary Authors, New Revision Series, ed. by A. Evory and Others, Michigan, Gale Research Company, 1981.

Encyclopaedia of Religion and Ethics, ed. by **J. Hastings, Edinburgh, T.** and **T. Clark,** 1967, Vol. 1.

Fage, J.D, *A History of West Africa*, Cambridge, Cambridge University Press, 1969.

——— *An Atlas of African History*, Edward Arnold Ltd., 1st ed., 1958.

——— "Some Thoughts on State Formation in the Western Sudan before the Seventeenth Century", *Boston University Papers In African History*, Vol. 1, 1964.

Fisher, H.J., "Conversion Reconsidered: Some Historical Aspects of Religious Conversion in Black Africa", Africa: *Journal of The International African Institute*, Vol. **43,** 1973.

Hiskett, M., *The Development of Islam in West Africa*, London and New York, Longman, 1984.

Hodgkin, T., "The Islamic Literary Tradition in Ghana", In: **I.M. Lewis** (ed.), *Islam in Tropical Africa*, Oxford, Oxford University Press, 1966.

Hogben, S.J. and **Kirk-Greene, A.H.,** *The Emirates of Northern Nigeria*, London, Oxford University Press, 1966.

Hunwick, J.O., *Islam and Africa: Friend or Foe*, Accra, Ghana University Press, 1975.

——— "Religion and State in The Songhay Empire, 1464-1591", In: **Lewis** (ed.), *Islam in Tropical Africa*.

Julien, C., *History of North Africa: Tunisia, Algeria, Morocco*, Trans. by J. Petrie, London, Routledge and Kegan Paul, 1970.

Kritzeck, J. and **Lewis, W.H.** (eds.), *Islam in Africa*, New York and London, Van Nostrand-Reinhold Company, 1969.

Levtzion, N. "The Early States of the Western Sudan to 1500" In: **Ajayi** and **Crowder** (eds.), *History of West Africa*, Vol. 1.

——— *Muslims and Chiefs in West Africa: A Study of Islam in the Middle Volta Basin in the Pre-colonial Period*, Oxford, Clarendon Press, 1968.

——— "Patterns of Islamization in West Africa", In: **Levtzion** (ed.), *Conversion to Islam*, New York and London, Holmes and Meier Publishers Inc., 1979.

——— "The Thirteenth and Fourteenth Century Kings of Mali", *Journal of African History*, iv, 3, 1963.

Lewis, I.M. (ed.), *Islam in Tropical Africa*, Oxford, Oxford University Press, 1966.

Mabogunje, A., "The Land and Peoples of West Africa", In: **Ajaji** and **Crowder** (eds.), *History of West Africa*, Vol. 1.

McCall, D. (ed.), *Boston University Papers on Africa*. Vol. **5**, 1971 (Introduction).

Musa, I.U., "On the Nature of Islamization and Islamic Reform in Bilad AsSudan up to Sokoto Jihad" . مجلة دراسات ، الجامعة الأردنية ، المجلد السادس ، مايو ١٩٧٩م ، العدد ١

Al-Naqar, Umar, *The Pilgrimage Tradition in West Africa*, Khartoum, Khartoum University Press n.d.

Ryan, P.J., *Imale: Yoruba Participation in the Muslim Tradition*, Missoula, Scholars Press, 1978.

Skinner, E.P., "Islam in Mossi Society" In: **Lewis** (ed.), *Islam in Tropical Africa*.

The Cambridge History of Islam. Vol. 2, ed. by P.M. Holt and Others, Cambridge, Cambridge University Press, 1970.

The Encyclopaedia of Islam, Vol. iv, Leyden, 1934.

The New Ency. Britanica, 15th ed., Chicago, London etc., 1986.

The New International Dictionary of The Christian Church, General ed., **J.D. Douglas,** Exeter, The Paternoster Press, 1974.

Trimingham, J.S., *Islam in West Africa*, Oxford, Clarendon Press, 1972.

——— *Islam in the Sudan*, London, Frank Cass and Co. Ltd., 1965.

——— *The Christian Church and Islam in West Africa*. I.M.C. Research Pamphlets, No. 3, Edinburgh, SCM Press Ltd., 1955.

——— *The Sufi Orders in Islam*, Oxford, Clarendon Press, 1971.

——— *The Influence of Islam upon Africa*. London, Longman, 1980.

——— *A History of Islam in West Africa*, 1st ed., London, Oxford University Press, 1962.

——— *Islam in East Africa*, Oxford, Clarendon Press, 1964.

——— *Two Worlds are Ours: A study of time and eternity in relation to the Christian Gospel Freed from the tyranny of the old Testament reference*, Beirut, Librairie Du Liban, 1971.

——— *Islam in Ethiopia*, London, Frank Cass, 1976.

——— "The Expansion of Islam", In: **Kritzeck** and **Lewis** (eds.) *Islam in Africa*.

——— "The Phases of Islamic Expansion and Islamic Culture. Zones in Africa", In: **Lewis** (ed.), *Islam in Tropical Africa*.

Who's Who in Europe, 4th ed., Bruxelles, 1980-1981.

Willis, J.R., "The Western Sudan from the Moroccan Invasion (1591) to the Death of Al-Mukhtar Al-Kunti (1811)" In: **Ajaji** and **Crowder** (eds.), *History of West Africa*, Vol. 1.

Wilks, I., "The Growth of Islamic Learning in Ghana", *Journal of The Historical Society of Nigeria*, ii, 4, 1963.

——— "The Mossi and Akan States 1500-1800", In: **Ajaji** and **Crowder** (eds.), *History of West Africa*, Vol. 1.

Trimingham and his Study of the Spread of Islam in West Africa and his Attitude towards Islam and Muslims

Saud Hamad Al-Khathlan
Assistant Professor, Department of History,
Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University,
Jeddah, Saudi Arabia

Abstract In this study Trimingham's opinion about the extent of the spread of Islam in West Africa and his interpretation of this phenomenon were discussed. This discussion is, in fact, necessary in order to detect the defects in his argument and to evaluate his attitude towards Islam and Muslims.

But our discussion will not be full unless an attempt is made to see how far his writings about the history of Islam and Muslims in West Africa have been influenced by his connection with missionary societies and his active role in serving and promoting Christian mission in Africa.

جغرافيا

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م٩ ، ص ص ٢٤٩-٢٨٠ (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م)

بعض مصادر تلوث الموارد المائية في الأردن

علي أحمد العنانزة

أستاذ مساعد بقسم الجغرافيا - كلية الآداب - جامعة مؤته - الكرك - الأردن

المستخلص . تركز هذه الدراسة على أبعاد موضوع بيئي مهم يتمثل في دور النفايات الصلبة والسائلة والمخلفات السائلة الناتجة من عصر الزيتون في تلوث موارد المياه السطحية والجوفية في الأردن ، مع مايعانيه الأردن من عجز واضح في تلبية الطلب المتزايد على هذه الموارد . وتشكل كمية النفايات التي تزيد عن ٢ مليون طن سنويًا المتجمعة في ٢٧ مكعبًا ، بالإضافة إلى المخلفات السائلة الناتجة من عصر الزيتون التي تزيد عن ١٠٠ ألف م^3 سنويًا والتي تطرحها ٩٠ معصرة ، تشكل مصدر تلوث خطير للموارد المائية في الأردن . وتتركز هذه النفايات والمخلفات في مساحات دون غيرها ، حيث تتأثر بها المياه المتجمعة من مساحة تصريف سطحي تبلغ نسبتها ١٨,٤٪ من المساحة الكلية للأردن ، وخاصة المناطق الشمالية والوسطى ، على الرغم من أن هذه المناطق هي أغنى مناطق الأردن مائيًا ، وتغذي الجزء الأكبر من موارده المائية السطحية والجوفية . لقد أكدت نتائج هذه الدراسة حدوث تلوث ملموس وبدرجات متفاوتة في المياه السطحية على شكل تغيرات واضحة في بعض عناصر ومركبات هذه المياه ، حيث وصلت بعض العناصر والمركبات إلى درجة فاقت الحدود القصوى المسموح بها في المياه الصالحة للاستخدامات البشرية ، مثل ارتفاع كميات ونسب كل من الأكسجين المتطلب كيميائيًا والأكسجين المتطلب حيويًا إلى ٢٠٦ ملجم / لتر و٣٦٤ ملجم / لتر على التوالي ، والنترات إلى ٧٣ ملجم/ لتر . والرصاص إلى ١,٠١

ملجم/ لتر ، والزئبق إلى ٠,٠٠٠٥ ملجم/ لتر ، والمجموع الكلي للمواد الذائبة الكلية إلى ٧٤١ ملجم/ لتر . والمجموع الكلي للمواد العالقة الكلية إلى ٣٦١ ملجم/ لتر ، ودرجة الحموضة إلى ٩,٨ . إن استمرارية هذه المشكلة تعني حرمان الأردن من جزء كبير من موارده المائية مستقبلاً ، حيث يتأثر بالتلوث مامجموعه ٦٨٦ مليون م^3 من المياه السطحية والجوفية سنويًا ، في الوقت الذي تبذل فيه جهود كبيرة لتقليل العجز في الطلب على هذه الموارد .

المقـــدمة

تعتبر المصادر المائية في الأردن من أكثر عناصر البيئة حساسية للظروف البيئية ، حيث إن زيادة عدد السكان وتنامي احتياجاتهم الغذائية ، وإرتفاع مستوى الحياة المعيشية يزيد الطلب على الموارد المائية المحدودة ، وبخاصة من قبل القطاع الخاص في الزراعة ومن قبل القطاع العام لتلبية احتياجات الشرب . واتجه القطاعان إلى المياه الجوفية إلى درجة أدت إلى أن أصبحت معدلات الضخ من الخزانات الجوفية أكبر من معدلات التغذية الطبيعية لهذه الخزانات . ويقدر معدل حجم مياه الأمطار الساقطة على الأردن بحوالي ٨,٤ مليار متر مكعب سنـويًا ، تشكل المياه السطحية والجوفية منها ١٢-١٥ ٪ والباقي يتم فقدانه بالتبخر والنتح (وزارة المياه والري ، ١٩٩٦) .

وقبل أن يبحث الأردن عن مصادر جديدة للمياه ، فإن من واجبه ضرورة المحافظة على مصادر المياه المتوافرة ، وفي مقدمتها المياه السطحية والجوفية ، وخاصة في المناطق المرتفعة الغزيرة مائيًا ، حيث تُعد الموارد المائية أساسًا رئيسيًّا للتطور الاقتصادي والاجتماعي في كل دولة ، كما أن قلة هذه الموارد في بعض الدول قد تؤدي إلى صراع إقليمي عليها كما هو الحال في منطقة الشرق الأوسط ، وقد أدت قلة الموارد المائية ، والصراع الدائر عليها ، إضافة إلى الزيادة السريعة في استهلاك المياه بسبب النمو السكاني والنمو الحضاري المضطرد إلى إيجاد مشكلة كبيرة في الأردن ، وستزداد هذه المشكلة تعقيدًا في المستقبل ، حيث يبين الجدول رقم (١) النمو السكاني والطلب المتوقع على الموارد المائية في الأردن حتى عام ٢٠١٠ ، ويظهر هذا الجدول بوضوح أن العجز

جدول رقم (١) النمو السكاني وتطور الطلب على المياه في الأردن من عام ١٩٩٠ - ٢٠١٠

السنة	عدد السكان (مليون م٣)	المصادر المتاحة (مليون م٣)	الطلب (مليون م٣)	العجز (مليون م٣)
١٩٩٠	٥.٣	٨٧٠	١٠٧٠	٢٠٠
١٩٩٥	١.٤	٩٥٠	١٤٣١	٤٨١
٢٠٠٠	٣.٥	٩٨٠	١٥١٥	٥٣٥
٢٠٠٥	٢.٦	١٠٥٠	١٥٩٤	٥٤٤
٢٠١٠	٢.٧	١١٠٠	١٦٨٣	٥٨٣

في الموارد المائية يتوسع من سنة لأخرى ، حيث سيصل عام ٢٠١٠ إلى حوالي ٥٨٣ مليون م^{٣} ، ويتوقع أن يصل إلى ١١١٤ مليون م^{٣} عام ٢٠٢٥ (شطناوي ، ١٩٩٥) . كما وصلت حصة الفرد من المياه في الأردن إلى مادون ٢٥٠م^{٣} / سنة ، ممايعني أن الأردن يواجه شحًا وفقراً مطلقًا في المياه (فياض وآخرون ، ١٩٩٥) .

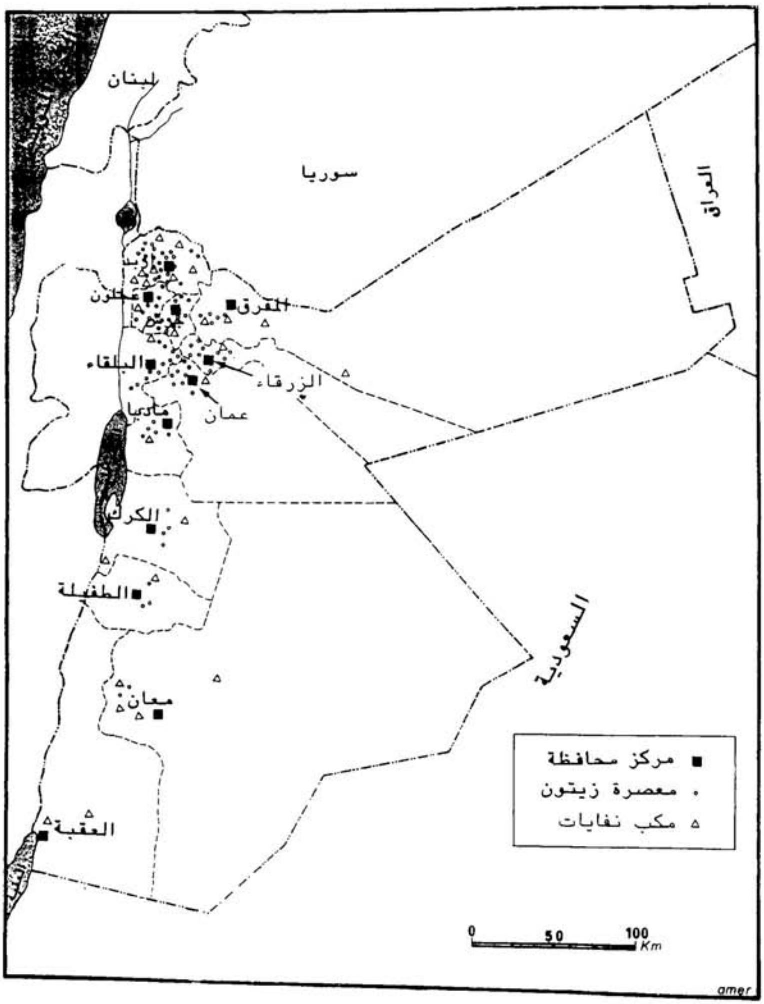
وعلى الرغم من المحاولات المستمرةالتي يبذلها الأردن لتطوير الموارد المائية ، إلا أننا ما زلنا نلاحظ وجود بعض المشاكل الصعبة التي قد تؤدي إلى تردي نوعية هذه الموارد ، مثل عشوائية التعامل مع النفايات الصلبة والسائلة ، والمخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون . حيث إن إلقاء هذه النفايات والمخلفات في أماكن تقع داخل المناطق المرتفعة الغزيرة مائيًا وداخل أحواض تغذية المياه الجوفية دون تخطيط سليم ومسبق ، سوف يؤدي إلى آثار سلبية خطيرة على هذه الموارد (خطاري وآخرون ، ١٩٩٥) .

وتهدد النفايات الناتجة عن النشاطات البشرية المختلفة الوضع البيئي لأية منطقة في العالم ، سواء أكانت هذه النفايات صلبة أم سائلة ، أم تلك المخلفات الناتجة عن عصر الزيتون . وقد أصبح التخلص من هذه النفايات موضوعًا من المواضيع البيئية الهامة عالميًا ، وعلى الأردن - كجزء من هذا العالم - أن يولي هذا الموضوع الأهمية اللازمة في المناطق المرتفعة الغزيرة مائيا على وجه الخصوص . ولقد أدى ازدياد عدد السكان والتقدم الصناعي والحضاري وارتفاع مستوى المعيشة في الأردن في السنوات

الأخيرة إلى بروز مشكلة النفايات الصلبة ، والتي تعد من أهم مشكلات التلوث في الوقت الحاضر ، وخاصة تلوث الموارد المائية السطحية والجوفية ، كما أن التوسع في إنشاء معاصر الزيتون دون دراسة مسبقة لمواقعها ، ودون معالجة فعالة لمخلفاتها أدى إلى زيادة فرص تلوث الموارد المائية . وسيؤدي استمرار الإلقاء العشوائي للنفايات الصلبة ومخلفات عصر الزيتون إلى تلوث جزء كبير من سوارد المياه المتاحة ، بحيث يصبح الوضع المائي في الأردن أكثر تعقيدًا ، مما يعني أن الأردن سينفق مبالغ مالية إضافية لإيجاد بديل للموارد الملوثة في الوقت الذي يُعاني فيه من ظروف اقتصادية صعبة ، ومن عجز مائي مزمن لوقوعه في منطقة جافة وشبه جــافة .

لقد قام الأردن بخطوات ملموسة في مجال الحفاظ على البيئة من خلال إنشاء دائرة مستقلة في وزارة الشؤون البلدية والقروية والبيئة ، هي المؤسسة العامة للبيئة ، والتي تتابع وبشكل مستمر الوضع البيئي ، وتشرف على المحافظة على نظافة البيئة . كما حدد أمكنة لمكاب النفايات ووضع طرق للتخلص من المخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون ، إلا أن اختيار مواقع المكاب ومعاصر الزيتون كان عشوائيًا وبشكل لايتناسب والحفاظ على البيئة ، ولم تراع عند إقامتها طرق مكافحة التلوث المتمثلة بعدم السماح لمصادر التلوث بأن تؤثر على المياه السطحية والجوفية . إن معظم هذه المكاب والمعاصر تقع في مناطق تسمح بالإتصال بين طبقات السطح والمصدر المائي ، وهذا الاتصال يؤدي إلى تلوث المياه الجوفية ، وعليه فإن المشكلة تصبح أكثر تعقيداً ، وخاصة إذا ما عرفنا بأن تلوث المياه الجوفية أخطر من تلوث المياه السطحية بسبب صعوبة معرفة مجال التلوث وحركته في باطن الأرض ، وحاجة تلوث المياه الجوفية إلى مهارات خاصة لتحديد طرق وسرعة مساره .

يوضح الشكل رقم (١) مواقع مكاب النفايات التي تم اختيارها عشوائيًا ، للتخلص من مخلفات النشاطات البشرية لمجموعة من التجمعات السكانية من خلال مجالس للخدمات المشتركة (تضم بلديات ومجالس قروية في الأردن) . وتتم عملية جمع النفايات من المنازل والشوارع والمؤسسات والمصانع المختلفة بواسطة الأكياس البلاستيكية ، والحاويات العامة والخاصة ، وهي عبارة عن حاويات بلاستيكية أو



·شكل (١) المواقع التقريبية لمعاصر الزيتون ومكاب النفايات في الأردن .
مصدر تثبيت مواقع المكاب والمعاصر هو المركز الجغرافي الملكي الأردني ، ١٩٩٣

معدنية ، وفي بعض الحالات تجمع النفايات في أكوام مكشوفة مما يزيد خطرها . أما عملية النقل فتتم أحيانًا بالسيارات (القلابات) المكشوفة ، مما يعني تناثر كميات كبيرة من النفايات على طول الطريق داخل اراض قد تشكل مصدراً للمياه السطحية ، وعند وصول النفايات إلى المكب ، فإن التخلص يتم عن طريق طرحها في العراء (open dumping) ، كما لايتم فرزها وتصنيفها وتُلقى مع النفايات في المكاب المخلفات السامة للمستشفيات ، وجزءاً من المياه العادمة المنقولة بصهاريج النضح سراً ودون مراقبة ، مما يعني زيادة تعقيدها وزيادة مضارها على موارد المياه . وفي بعض المكاب تستخدم طريقة الطمر الصحي بشكل غير فعال ، حيث يتسرب جزء من النفايات إلى الخزانات المائية الجوفية . كما لوحظ عدم وجود كوادر فنية مدربة على الأساليب العلمية للتخلص من النفايات في المكاب المنتشرة في المناطق الغزيرة مائيًا في الأردن ، مما يزيد المشكلة تعقيداً وخطورة . كما أنه في الوقت الذي تستنفد فيه عملية جمع ونقل النفايات مبالغ كبيرة من المال ، حيث تقدر تكلفة نقل الطن الواحد في المدن بحوالي ١٩ديناراً (وزارة الشؤون البلدية والقروية والبيئة ، ١٩٩٦) ، فإنها سوف تؤدي إلى تلوث خطير وتكلفة أكبر من خلال تدمير الموارد المائية .

إن المصدر الآخر لتلوث الموارد المائية في الأردن يتمثل في ماينتج عن صناعة عصر الزيتون من المخلفات السائلة (الزيبار) من المعاصر التي تم التوسع في إنشائها ، والمنتشرة بأعداد كبيرة في المناطق المرتفعة الغنية بالمصادر المائية المهمة في الأردن (شكل رقم ١) . وتشكل هذه المخلفات مصدر تلوث آخر عند اختلاطها بالمياه السطحية والجوفية . وتتم عملية التخلص من مخلفات عصر الزيتون في الأردن بطرق خاطئة ودون عناية ،وتتمثل الطريقة الأولي في إسالة المخلفات إلى أقرب مجرى مائي أو وادي أو نهر مجاور للمعصرة ، حيث تختلط مع المياه السطحية الجارية ويزيد خطر وصولها إلى الأنهار وتسربها إلى داخل التربة عند اختلاطها بالمياه المتساقطة في فترة الشتاء ، وخاصة أن صناعة عصر الزيتون في الأردن تتم في النصف الأول من هذه الفترة ، والتي تتم فيها عمليات غسل الطبقة السطحية من الأرض بما عليها من مخلفات بعد فصل الصيف الطويل والجاف ، أما الطريقة الثانية فيتم فيها التخلص من المخلفات السائلة

الناتجة عن عصر الزيتون عن طريق تجميعها في حفر ترابية مجاورة للمعصرة ،علمًا بأن هذه الحفر غير معدة بشكل سليم لمنع تسرب المخلفات إلى التربة والمياه ، وما يتبقى في هذه الحفر يجرى سحبه بصهاريج النضح ونقله وإلقاؤه في مكاب النفايات أو العراء ، وبطريقة عشوائية ، مما يعني أنه في كلتا الحالتين إما أن تختلط مخلفات عصر الزيتون مع المياه السطحية مباشرة أوتتسرب إلى جوف الأرض وتلوث الموارد المائية الجوفية ، والينابيع المنتشرة بكثرة ، والتي تشكل الجزء الرئيسي من موارد المياه في الأردن . ولابد من الإشارة إلى أن خطورة هذه المشكلة في تزايد مستمر بسبب التوسع السريع في زراعة أشجار الزيتون ، حيث بلغت مساحة الأراضي المزروعة بالزيتون في الأردن سانسبته ٨٤, ٠٪ من مساحة الأراضي المزروعة بالزيتون في العالم (الجمعية العملية الملكية ١٩٩٦) ، وأن برناج تطوير الأراضي المرتفعة الذي تحاول الدولة من خلاله توجيه المزارعين إلى زراعة أشجار الزيتون لحماية هذه الأراضي من خطر الانجراف من جهة ولعدم صلاحيتها لزراعة الحبوب من جهة أخرى ، يساهم في توسيع رقعة هذه الأراضي . وإذا لم يرافق هذا التوسع تخطيط سليم في إنشاء معاصر الزيتون ، وتطوير طرق معالجة النفايات السائلة الناتجة عن هذه المعاصر سيؤدي حتمًا إلى زيادة الخطر الناتج عن تلوث المصادر المائية في المناطق المختلفة في الأردن .

ولابد من الإشارة إلى أن الأردن قد وضع برامج ومشاريع مستقبلية تخص النفايات ومكابها من جهة ، ومخلفات عصر الزيتون من جهة أخرى ، ومازالت هذه البرامج والمشاريع مجرد دراسات نظرية لإيجاد وسائل سليمة لوقف التأثير السلبي لهذه النفايات والمخلفات حيث اقترحت وزارة الشؤون البلدية والقروية والبيئة إقامة ٢٠ مكبًا للنفايات الصلبة في المحافظات والألوية (وزارة الشؤون البلدية والقروية والبيئة ١٩٩٦) وهذه المواقع الجديدة المقترحة لهذه المكاب لاتبعد كثيرًا عن المواقع القديمة ، أي إن المكاب الجديدة المقترح إقامتها في بعض المناطق داخل المناطق الغزيرة مائيًا ، مما يعني حل المشكلة الناتجة عن المكاب القديمة جزئيًا وليس نهائيًا كما أن التقارير والخطط المستقبلية لمكاب النفايات ومخلفات عصر الزيتون لم توضح بشكل كاف ، ومحدد كيفية مواجهة أثرها على الموارد المائية السطحية والجوفية .

الدراســات السابقــة

تكمن أهمية هذه الدراسة في حساسية موضوع الموارد المائية في بلد يفتقر إلى هذه الموارد مثل الأردن من جهة، وندرة الدراسات السابقة المشابهة لها عن الأردن من جهة أخرى. لقد دلّ المسح المكتبي ومراجعة تقارير الدوائر المعنية على ندرة مثل هذه الدراسات، حيث اقتصرت على دراسات وتقارير عامة وغير منشورة لموضوع التخلص من النفايات الصلبة ومخلفات عصر الزيتون، وعلى سبيل المثال فقد قامت وزارة المياه والري بالتعاون مع الجمعية العلمية الملكية بإجراء بعض الاختبارات للتأكد من تأثير عصارة النفايات في مكب عمان على المياه الجوفية أسفل هذا المكب (وزارة المياه والري، ١٩٩٥ و ١٩٩٦). كما قامت وزارة التخطيط بدراسة اقترحت من خلالها موقعًا للتخلص من النفايات الصلبة والسائلة في المناطق الصحراوية جنوب الأردن، وذلك لبطء تسرب هذه النفايات إلى المياه الجوفية في هذه المنطقة ولإبعاد أثرها عن بقية المناطق (Ministry of Planning, 1992). كما أشارت دراسة التل وساره إلى طرق التخلص من النفايات الصلبة دون معالجة وأثرها على الموارد المائية (التل وساره، ١٩٩٠). كما أن دراسات كل من أبو قديس (Abu-Qudais) وأبو حسان (Abu-Hassan, 1988) وأبو العلا (أبو العلا، ١٩٨٨) تناولت طرق نقل وإدارة النفايات الصلبة في مناطق مختلفة من الأردن دون ربط ذلك بتلوث الموارد المائية بشكل مباشر وتفصيلي. ولكن لابد من الإشارة إلى أن دراسة الريماوي وآخرين (Rimawi *et al.*, 1992) تناولت موضوع تلوث المياه الجوفية بسبب تسرب مخلفات الأسمدة والمبيدات الزراعية في مناطق شمال الأردن، كما تناولت دراسة الريماوي (Rimawi , 1992) تملح وتدهور نوعية المياه الجوفية في منطقة الضليل والحلابات في الأردن بفعل تسرب المخلفات الزراعية إلى الخزانات الجوفية في هذه المنطقة، أما سلامة وبنايان (Salameh and Bannayan,1992) فقد تحدثا عن بعض مؤشرات التلوث بشكل عام في مياه الأنهار والأودية والمياة الجوفية في الأردن. ومن جانب آخر لم تدرس المخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون هي الأخرى دراسة توضح دورها الممكن في تلويث الموارد المائية، إلا أن الجمعية العلمية الملكية حاولت إيجاد طريقة لمعالجة هذه المخلفات (الجمعية العلمية

الملكية، ١٩٩٣) . كما حاولت دراسة حمدان وآخرين (حمدان وآخرون، ١٩٩٣) توضيح كيفية الاستفادة من المخلفات الصلبة (مادة الجفت) لعصر الزيتون وتقليل آثارها البيئية . أما على الصعيد العالمي فقد أخذت هذه المواضيع اهتمامًا كبيرًا في العديد من الدراسات التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وبعض دول الشرق الأوسط، منها على سبيل المثال لا الحصر دراسة عفيفي (عفيفي، ١٩٩٤) التي تناولت تلوث المياه الجوفية بوساطة النفايات الزراعية، وتناولت دراسة عبدل وآخرين تلوث التربة والمياه بالمخلفات البترولية (Abdul *et al.*, 1995)، كما حاول فليمنج وآخرون (Felming *et al.*, 1995) تحديد الوقت اللازم لوصول الملوثات إلى المياه الجوفية، في حين بحثت دراسة كيمبلوسكي و ون (Kemblowski and Wen 1993) سرعة تسرب المواد الملوثة إلى المياه الجوفية، أما دراسة وليامز وهيجو (Williams and Higgo, 1992) فقد بحثت بالطرق المخبرية والمبيدات انتقال الملوثات الناتجة عن المخلفات البشرية إلى التربة والمياه . وبالإضافة إلى ذلك يوجد العديد من الأبحاث والكتب التي تناولت مواضيع النفايات الصلبة والمخلفات الزيتية ودورها في تلوث موارد المياه ولا مجال لذكرها جميعًا .

مشكلة الدراسة وأهدافها

تبلغ مساحة المناطق التي تزيد أمطارها عن ٣٠٠ملم / سنويًا حوالي ٢.٣٪ فقط من المساحة الكلية في الأردن، ويعزى السبب في ذلك إلى موقع الأردن الجغرافي، ووضعه المناخي . وتشكل هذه المساحة المصدر الرئيسي للموارد المائية السطحية والجوفية المتجددة . وقد لاحظ الباحث أن هذه المساحة تعاني من تركز مكاب النفايات الصلبة ومعاصر الزيتون، ممايجعلها عرضة لمصدر تلوث خطير من نفايات ومخلفات هذه المكاب والمعاصر، حيث بلغ عدد مكاب النفايات ٢٧ مكبًا يُجمع فيها حوالي ١٥ . ٨٣ . ٢طن من النفايات سنويًا، كما بلغ عدد معاصر الزيتون ٩٠ معصرة ينتج عنها ١.٣٣٨٣ متر مكعب من المخلفات السائلة لعصر الزيتون سنويًا، ويتم التخلص من هذه الكميات الكبيرة في المساحة المذكورة أعلاه بدون معالجة صحيحة . وتفترض هذه

الدراسة إمكانية تلوث الموارد المائية السطحية والجوفية في الأردن نتيجة لاختلاط وتسرب عصارة النفايات الصلبة، ومخلفات عصر الزيتون إلى هذه الموارد. وإذا ما حدث ذلك فعلاً فإن الأردن سيواجه مشكلة صعبة ومعقدة، خاصة إذا ماعرفنا بأن تلوث مصادر المياه السطحية وخزانات المياه الجوفية بهذه النفايات والمخلفات يعني أن التلوث لايزول، وقد لاتنظف هذه الخزانات عبر عشرات أو ربما مئات السنين، كما لوحظ أن مكاب النفايات ومواقع إطلاق مخلفات عصر الزيتون غير مدروسة من قبل جيولوجيين وجغرافيين متخصصين لتحديد مدى تأثيرها على الموارد المائية في الأردن، كما أن هذه المكاب والمواقع لم يُراع في تصميمها وجود مياه جوفية أسفلها، ولم يتم تبطين أرضيتها بشكل يمنع تسرب المواد الخطرة، وذات السُمية العالية والحاملة للجراثيم. وبالرغم من خطورة هذه المشكلة، إلا إنها لم تُدرّس بالشكل الكافي حتى الآن، حيث تبين أن المكب الوحيد الذي تم تتبع آثاره البيئية هو مكب الرصيفة شرق مدينة عمان، وذلك من خلال مراقبة تلوث المياه الجوفية عن طريق حفر ثلاثة آبار مراقبة أسفل هذا المكب من قبل وزارة المياه والري والجمعية العلمية الملكية، وقد تبين وجود خطر على المياه الجوفية على شكل تلوث جرثومي وارتفاع قيم بعض مؤشرات التلوث، مثل كمية النترات التي وصلت إلى ٥٦ ملجم/ لتر بعد أن كانت ٩ ملجم/ لتر قبل بدء مدة المراقبة التي استمرت حوالي ثلاث سنوات (وزارة المياه والري، ١٩٩٥)، ولكن لابد من الإشارة إلى أنه لم تتم مراقبة أثر النفايات ومخلفات الزيتون على المياه السطحية في أي موقع في الأردن. وبناءً على ذلك فإن دراسة هذه المشكلة تشكل أمراً حيويًا لما لها من أخطار كبيرة على الموارد المائية في الأردن. حيث إن معالجة تلوث هذه الموارد أمر مكلف ماديًا، وعلى سبيل المثال بينت إحدى الدراسات أن رفع كفاءة مياه سد الملك طلال بسبب التلوث ستكلف مابين ٧, ٠-٥, ١ دولار لكل ١م^{3} من المياه (Bodur, 1994). وتسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

أولاً: تحديد مواقع مكاب النفايات ومعاصر الزيتون، وحصر التوزيع العددي لهذه المكاب والمعاصر في المناطق الغزيرة مائيًا، في الأردن.

ثانيًا: تقدير كميات النفايات المتجمعة في المكاب، وكمية المخلفات السائلة

الناتجة عن معاصر الزيتون في المناطق الغزيرة مائيًا في الأردن .

ثالثًا : تحديد بعض المركبات والعناصر الكيميائية لعصارة النفايات الصلبة ، والمخلفات السائلة لعصر الزيتون ، والتي يمكن أن تسبب تلوث الموارد المائية ، وتقدير كميا ت هذه المركبات والعناصر في المياه ، وهل عملت فعلاً على تلوثها في المناطق الغزيرة مائياً في الأردن ؟

رابعًا : حصر المساحة المتأثرة بالنفايات ومخلفات عصر الزيتون في مناطق شمال ووسط وجنوب الأردن ، وتحديد أي هذه المناطق أكثر تضررًا من حيث غناها بالموارد المائية ، وذلك لتوجيه الأنظار نحو مضاعفة العناية اللازمة لحمايتها .

خامسًا : تقدير كميات المياه السطحية والجوفية المتأثرة بالتلوث في الأردن نتيجة للنفايات الصلبة والمخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون .

منهجيــة الدراســة

ومن أجل تحقيق أهداف هذه الدراسة فقد اتبعت المنهجية التالية :

١- جمع البيانات والمعلومات اللازمة من التقارير المنشورة وغير المنشورة للجهات والدوائر المعنية من أجل الحصول على مواقع وأعداد مكاب النفايات ومعاصر الزيتون ومعرفة كمية النفايات والمخلفات في هذه المكاب والمعاصر .

٢ - استخدام الخرائط الطبوغرافية مقاس ١:٥٠٠٠٠ و ١:١٠٠٠٠٠ والعمل الميداني للتأكد من المواقع الحقيقية للمكاب والمعاصر في مناطق الأردن المختلفة وتحديد مدى قربها من المصادر المائية .

٣ - جمع عينات ميدانية من عصارة النفايات من بعض المكاب ، وعينات من المخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون من عدد من المعاصر وتحليلها مخبريًا ، حيث تم جمع ثلاث عينات من عصارة النفايات من ثلاثة مكاب ، وثلاث عينات من ثلاث معاصر مختلفة وحُللت مخبريًا للحصول على المركبات والعناصر الكيميائية لهذه

النفايات والمخلفات .

٤- جمع عينات ميدانية من المياه السطحية المتأثرة وغير المتأثرة بعصارة النفايات والمخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون ، وقد تم جمع ثلاث عينات من السيول المجاورة لمكاب النفايات ، حيث وصلت عصارة النفايات إلى مياه هذه السيول ، وثلاث عينات من السيول التي تقع في ارتفاعات أعلى من مواقع المكاب ، بحيث لم تصلها عصارة النفايات ، وذلك لتحديد الفارق في مؤشرات التلوث بين النوعين من العينات . كما طبق نفس الأسلوب على ثلاث عينات من مياه السيول التي وصلت إليها المخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون ، وثلاث عينات من السيول التي لم تصلها هذه المخلفات . إلا إنه لم تتوافر لهذه الدراسة من الناحية الفنية إمكانية تحليل عينات من المياه الجوفية المتأثرة وغير المتأثرة بالنفايات ومخلفات عصر الزيتون ، وبذلك اقتصر التحليل على المياه السطحية والتي إن تلوثت فقد تودي إلى تلوث المياه الجوفية .

٥ - عرض نتائج التحاليل في الجداول الواردة في هذا البحث ، ومناقشة هذه النتائج للتأكد من نوعية الموارد المائية من خلال مقارنتها مع المواصفة الأردنية لتحديد مدى صلاحية المياه للاستعمالات البشرية المختلفة .

التحليـــل والمناقشـــة

يتم جمع النفايات الصلبة و إلقاؤها في ٢٧ مكبّا للنفايات منتشرة في مناطق مختلفة من ا لأردن ، (شكل رقم١) ، ويتجمع في هذه المكاب حوالي ١٥ . ٨٣ . ٢ طنّا سنويًا ، ويضاف إلى ذلك مخلفات القطاع الزراعي التي تقدر بحوالي ١٧٦٨٨٥٠ طنّا تنتج عن تربية المواشي ، وزراعة الأشجار المثمرة والمحاصيل المختلفة (وزارة الشؤون البلدية والقروية ، ١٩٩٦) ، وجميع هذه الكميات تتعرض لزيادة سنوية مع تزايد عدد السكان وتطور مستواهم الحضاري والاجتماعي . ويقد ر معدل إنتاجية الفرد من النفايات في الأرْدن بحوالي ٣٨٣ كجم/ السنة ، ولكن المعدل في المنطقة الوسطى والتي تعتبر الأكثر تطورًا وخاصة في مدينة عمان ، يُقدر بحوالي ٥٩٠ كجم/ السنة ، وهذا

يقارب معدل ماينتجه الفرد من نفايات في الدول المتقدمة والذي يتراوح بين ٢١٩ و ٨٩٥ كجم/ السنة (Carra and Cossu, 1995) . ويبين الجدول رقم (٢) تركيب النفايات المنزلية في الأردن ، حيث يلاحظ احتواؤها على مواد مختلفة ، بعضها قابل للتحلل بشكل سريع مما يقلل آثارها البيئية ، والبعض الآخر غير قابل للتحلل ، وخاصة المواد البلاستيكية التي تشكل مابين ٤-١٣٪ من هذه النفايات ، كما تمتاز هذه النفايات بارتفاع كثافتها ، والتي تتراوح بين ١٤١ و ٤٢٤ كجم / م٣ . وعلي الرغم من أن غالبية نفايات الأردن عبارة عن مواد عضوية قد لاتكون ضارة بشكل مباشر ، إلا إنها إذا ساهمت في تحلل المركبات الكربونية والسولفايتة والكلورية في التربة واختلطت مع المياه السطحية والجوفية قد تقلل من صلاحيتها للاستخدامات البشرية والزراعية . كما أن المخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون في ٩٠ معصرة منتشرة في الأردن تقدر طاقتها الإنتاجية بحوالي ١٧١٤طنًا من الزيتون سنويًا ، تتعرض هي الأخرى لزيادة سنوية بسبب التوسع المستمر في زراعة أشجار الزيتون ، وذلك لملاءمة الظروف المناخية لهذا النوع من الأشجار ،حيث كانت المساحة المزروعة بالزيتون في الأردن عام ١٩٨٢ حوالي ٢٤٤٥٠٧ دونمًا، أنتجت حوالي ٣٢٣٢٢طنًا من الزيتون . وعندما تم عصر هذه الكمية أنتجت ٤٨٤٨٦ م٣ من النفايات السائلة . في حين ازدادت المساحة عام ١٩٩٥ لتصل إلى حوالي ٧٩٤٥٤١ دونمًا ، مما أدى إلى زيادة المحصول الكلي من الزيتون ، والذي بلغ في نفس العام حوالي ٨٦٥٢٣ طنًا ، نتج عنه عند عصره حوالي ١٠٣٣٨٣ م٣ من المخلفات السائلة (وزارة الزراعية والمياه ، ١٩٩٦) ، ولابد من الإشارة إلى أن هذا الإنتاج يتقلب من سنة لأخرى حسب الظروف المناخية ، حيث ينخفض في السنوات قليلة الأمطار إلى النصف تقريبًا .

كما تظهر خطورة النفايات الصلبة والمخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون - وغير المعالجة بطريقة فعالة - من خلال احتوائها على مواد عضوية ومعدنية وبكتيريا وفيروسات وغازات وأملاح ومواد كيميائية ذائبة مثل الأحماض والفوسفات والنترات والغرويات الزيتية والشحمية التي قد تشكل مصدر تلوث بيولوجي وكيماوي للمياه السطحية والجوفية . وإذا عملت فعلاً على تلويث المياه ، فإن التلوث سيستمر لفترة

جدول رقم (٢) تركيب النفايات الصلبة في الأردن

المـــــــــــادة	النسبـة المئـوية بالوزن
مادة عضوية	٥٠ - ٦٨ ٪
ورق كرتون	٥ - ٢٦ ٪
معادن	٥.٢ - ٦ ٪
زجاج	٢ - ٥ ٪
بلاستيك	٤ - ١٣ ٪
مواد أخرى	٤ - ٧ ٪

المصدر : وزارة الشئون البلدية والقروية والبيئة ، ١٩٩٦ .

زمنية طويلة بسبب بطء وصعوبة تحلل هذه المواد وخاصة المواد الكيماوية والزيتية والشحمية ، علمًا بأنه لايتم العمل على معالجة وإعادة استخدام وتصنيع معظم النفايات الصلبة والمخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون ، كذلك لايتم التخلص منها بالطرق العلمية الصحيحة .

إن مكاب النفايات ومعاصر الزيتون تؤثر سلبًا على الموارد المائية في المناطق المحيطة بها في الأردن ، وخاصة المناطق الأقل ارتفاعًا من مواقع المكاب والمعاصر بسبب نقل عصارة النفايات والمخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون من مواقعها الأصلية بوساطة مياه الأمطار والسيول ، ومن ثم اختلاطها مع الموارد المائية في تلك المناطق . ولقد قدرت مساحة التصريف المائي السطحي الذي يمكن أن تتأثر مياهه بالنفايات ومخلفات عصر الزيتون في الأردن بحوالي ١٦٣٤٠ كم٢ ، علمًا بأن هذه المساحة تعتبر الأكثر أمطارًا حيث تتراوح أمطارها مابين ٣٠٠ - ٦٠٠ ملم سنويًا . وتشكل هذه الأمطار المصدر الرئيسي والوحيد لتغذية معظم المياه الجوفية في الأردن . وبعد إلقاء النفايات في المكاب المشار إليها أعلاه ، تبدأ موادها العضوية بالتخمر وينتج عن ذلك عصارة سائلة على شكل محاليل تحتوي على مواد كيماوية مختلفة تنساب مع مياه الأمطار والسيول وتلوث المياه السطحية ، وقد تتجمع في برك سطحية ، ومن ثم تتسرب إلى الطبقات المشبعة بالماء من خلال الشقوق الصخرية ، وتلوث المياه الجوفية .

كما أن ارتفاع نسبة الرطوبة أصلاً في نفايات الأردن، والتي تتراوح بين ٥٦ - ٥٨٪ (وزارة الشؤون البلدية والقروية والبيئة، ١٩٩٦) وإلقاء بعض المياه العادمة من قبل صهاريج النضح في مكاب النفايات، يضاعف كميات العصارة المشار إليها سابقًا ويزيد المشكلة تعقيداً.

وافتقار الأردن لطرق عملية صحيحة فعالة لمعالجة النفايات يجعل هذه النفايات معرضة لأحوال الجو في منطقة المكب، وينتج عن ذلك تكاثر الحشرات الضارة مثل الذباب والفئران، وانبعاث الروائح الكريهة التي تعمل على تدمير البيئة، واختلاط عصارة النفايات مع المياه السطحية، وتسرب جزء آخر إلى المياه الجوفية. وفي بعض الأحيان يتم حرق النفايات داخل المكب، وخاصة في فصل الصيف، مما يؤدي إلى تلوث الجو بالدخان والغازات الناتجة عن تحلل النفايات في موقع المكب، مثل غازات أول وثاني أكسيد الكربون، وثاني أكسيد الكبريت، وبخار الماء والغبار الغني بالمواد المعدنية كالبوتاس والفسفور وغيرهما، ومع مطلع فصل الشتاء يتم غسل هذه الغازات وإيصالها إلى سطح الأرض مع مياه الأمطار مما يؤدي إلى تلويث المياه السطحية والجوفية، كما يتم أحيانًا رش النفايات بمبيدات الحشرات والقوراض، ويصل مايتخلف من بقايا كيماوية من هذه المبيدات إلى المياه السطحية والجوفية.

وللتعرف على بعض مكونات النفايات ومخلفات عصر الزيتون في الأردن تم تحليل عدد من العينات المجموعة من مواقع مختلفة في شمال ووسط وجنوب الأردن، ويبين الجدول رقم (٣) نتائج تحليل ٣ عينات من عصارة النفايات في المكاب الواقعة في عمان وكفرنجة والكرك، حيث يلاحظ بوضوح ارتفاع كميات كل من الأكسجين المتطلب كيميائيًا - والتي تراوحت بين ١٨١٠١٥ و ٢٠٨٨٠٠ ملجم/ لتر - والأكسجين المتطلب حيويًا - والتي تراوحت بين ١٦٢٣٠٠ و ١٩٧٥٠٠ ملجم/ لتر. أما مجموع المواد الذائبة الكلية فقد تراوحت هي الأخرى بين ٦١١٤٣ و ٧٨٤٥٥ ملجم/ لتر. كما يبين الجدول رقم (٣) احتواء العينات على كميات ملموسة من العناصر التي يمكن أن تشكل مواداً سامة فيما إذا اختلطت مع الموارد المائية، فعلى سبيل المثال لا الحصر تراوحت كمية الرصاص مابين ١,١ و ٥,١ ملجم/ لتر، كما تروراحت

كـميـة الزئبق مـابين ٠,٠٠٠٣ و ٠,٠٠٠٥ ملـجم/ لتـر ، والألومنيـوم بين ٠,٩ و ١ ملجـم/ لتـر . أمـا الجـدول رقم (٤) فـإنه يظهـر نتـائج تحليل مكونات ٨ عـينات من المخلفات السـائلة النـاتجة عـن عـصر الزيتـون والتي تم جـمعهـا من مناطق مـختلفة في الأردن ، حيث يبين هذا الجدول بـوضوح ارتفاعًا ملموسًا في معظم المكونات التي يمكن أن يكون لها آثار سامة عند اختلاطها مع الموارد المائية ، فكمية الأكسجين المتطلب حيويًا تراوحت بين ٣٦٥ و ٨٤١ ملجم/ لتر ، أما مجموع المواد الذائبة الكلية فتراوحت ما بين ٤٦٥٠ و ٨٢٠٦ ملجـم/ لتر ، في حين تراوحت كـمية النتـرات مـابين ٣١ و ٩١ ملجم/ لتر .

إن المكونات الفيزيائية والكيميائية والعضوية للنفايات والمخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون المشار إليها في الجدولين (٣ و ٤) سوف تؤدي إلى آثار سلبية خطيرة عند اختـلاطهـا وتفـاعلهـا مع مكونات النظام البيـئي في المناطق التي ستصل إليـهـا ، وخاصة الموارد المائية ، حيث إن اختلاطها مع هذه الموارد سيعمل على تحلل مكونات المياه وزيادة تركيز المواد السامة للكائنات الحية وعلى رأسها الإنسان . وكما هو معروف فإن النفايات ومخلفات عصر الزيتون كغيرها من المخلفات غير المرغوب فيها تشكل مصدر بيئي ملموس ، حيث يلزم لتحللها كميات كبيرة من الأكسجين ، تحصل عليها بكتيريا التحلل من مياه الأنهار والينابيع مما يقلل نوعية هذه المياه ،وتعمل البكتيريا والفيروسات على ظهور الأمراض المختلفة كالتيفوس والكوليرا واليرقان والدفتيريا . كما أن هذه النفايات والمخلفات عند ذوبانها في مياه الأنهار قد تساعد على نمو النباتات المائية بشكل سريع ، والتي قد تشكل مصدرًا آخر لتلوث المياه . وقد تتفاعل بعض المخلفات الزيتية السائلة الناتجة عن عصر الزيتون أو غيرها من المخلفات الزيتية مع رواسب الأنهار والمياه السطحية ، وتترسب بنسب تركيز عالية ضمن هذه الرواسب والمياه وتدمر البيئة الحيوية لمياه الأودية والأنهار . كما أنه من الصعب استخلاص المركبات الناتجة عن النفايات ومخلفات عصر الزيتون من المياه بالطرق التقليدية ، ولايتم هدمها وتحللها بشكل كلي ، وبالتالي تصل إلى المياه الجوفية بما فيها مياه الشرب (عفيفي ، ١٩٩٤) وفي بعض الأحيان فإن الجزيئات الناتجة عن تحلل بعض المكونات

جدول رقم (٣) مكونات عصارة النفايات في بعض المكاب في مواقع مختلفة في شمال ووسط وجنوب الأردن

اسم المكب	الموقع في الأردن	الحموضة pH	ملغم / لتر											
			الاكسجين المتطلب كيمائياً	الاكسجين المتطلب حيوياً	المواد الذائبة الكلية	نيتروجين	كلورايد	مغنيسيوم	كالسيوم	صوديوم	رصاص	زئبق	ألومنيوم	الحديد
كفرنجة*	شمال	٦,٩+	١٩١٠٠٣	١٧١٤٠٠	٦١١٤٣	٦١٢٠	١٣٢٥٠	٣٧٢٠	١١٢٤٥	٩٧٨٥	١,٢	٠,٠٠٠٤	٠,٩	٦٨
الكرك*	جنوب	٦,٥	١٨١٠١٥	١٦٢٣٠٠	٧٢٥٠٠	٤١١٤	١٦١٠	٣٥٤٠	١٤٥١٠	١٠٢٣١	١,١	٠,٠٠٠٣	٠,٩	٧١
عمان*	وسط	٦,٤	٢٠٨٨٠٠	١٩٧٥٠٠	٧٨٤٥٥	٥١١٧	١٥٨٩٩	٢٥٩٤	١٧٥٧٥	١١٠٠٠	١,٥	٠,٠٠٠٥	١	٨٠

* نتائج تحليل عينات جمعها الباحث وحُللت في المركز الوطني للبحوث الزراعية ، الأردن.

+ نتلئج تحليل عينات قامت بها وزارة الزراعة والمياه والجمعية العلمية الملكية ، الأردن ، ١٩٩٥ .

جدول رقم (٤) بعض مكونات المخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون في مواقع مختلفة في شمال ووسط وجنوب الأردن

رقم العينة	موقع العينة	الحموضة pH	الموصلة الكهربائية EC ms / mc	مجموع المواد الذائبة الكلية ملجم / لتر	الأكسجين المتطلب حيوياً BOD ملجم / لتر	النترات ملجم / لتر
١	كفرنجة / شمال	٤,٩	١٢,٤	٥١٨٠	٤٦٣	٩١
٢	عنجرة / شمال	٥,١	٩,٥	٦٧١٣	٤١٥	٥٦
٣	جرش / شمال	٥,٢	٩,١	٥٨٩٤	٣٩٢	٨٨
٤	إربد / شمال	٤,٩	٧,١	٨٢٠٦	٤٨١	٣١
٥	السلط / وسط	٥,٣	١٠,٣	٦٤٥٠	٤٠٩	٧٤
٦	مادبا / وسط	٤,٥	١١,٢	٦٢١٣	٣٦٥	٤٣
٧	الكرك / جنوب	٤,٦	٩,٨	٤٨٩١	٤٥١	٩٦
٨	الطفيلة / جنوب	. ٥,١	١٠,١	٥١٢٦	٤٤٦	٥٤

الخطرة وذات السمية العالية أو الحاملة للجراثيم تنساب مع المياه الجارية إلى الأودية والأنهار والخزانات الجوفية مسببة أضراراً بيئية بالغة الخطورة . كما أنه لم يتم التنبه إلى ضرورة تحديد الوقت الفاصل بين إطلاق النفايات إلى مناطق تجمع المصادر المائية مثلاً ، والوقت اللازم لوصولها إلى المياه الجوفية ، حيث إن إغفال هذا الفاصل الزمني قد يؤدي إلى نتائج خاطئة في تقليل أثر نفاذ هذه المخلفات إلى المياه الجوفية (Fleming *et al.*, 1995) .

وقد تكون أقوى المؤشرات التي تدل على وجود التلوث في المياه نتيجة لتأثرها بعصارة النفايات والمخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون . هي زيادة نسب وكميات كل من الأكسجين المتطلب حيوياً والأكسجين المتطلب كيميائياً والنترات والكلورايد والحديد والرصاص والزئبق والألومنيوم ، ومجموع المواد الذائبة الكلية ، ومجموع المواد العالقة الكلية والموصلية الكهربائية . ولذا فقد تم جمع العينات وتحليل هذه المؤشرات في مياه سطحية متأثرة ومياه غير متأثرة بعصارة النفايات . وتحليل بعضها في مياه متأثرة ومياه غير متأثرة بالمخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون .

ومن الملاحظ عند مقارنة نتائج تحليل عينات المياه السطحية المتأثرة والمياه غير المتأثرة بعصارة النفايات (جدول رقم ٥) ،وجود تلوث ملموس في المياه نتيجة لاختلاطها بعصارة النفايات ، وذلك من خلال التغير الواضح في مكونات هذه المياه ، حيث يبين هذا الجدول أن كمية الأكسجين المتطلب حيوياً تراوحت بين ٢١ و ٣٦ ملجم/ لتر ، وكمية الأكسجين المتطلب كيميائياً بين ١٥ و ٢٤ ملجم/ لتر على التوالي في المياه غير المتأثرة . إلا أنها قفزت لتصل بين ٢٩٤ إلى ٣١١ ملجم/ لتر و ١٥٨ إلى ٢٠٦ ملجم/ لتر على التوالي في المياه المتأثرة . كما يلاحظ وجود تغير ملموس في مجموع المواد الذائبة الكلية ، والمواد العالقة الكلية والتي تراوحت بين ٣٥١ و ٣٧١ ملجم/ لتر و ٢٨ إلى ٤١ ملجم/ لتر على التوالي في المياه غير المتأثرة ، في حين ارتفعت لتتراوح بين ٦٨٥ إلى ٧٠٢ ملجم/ لتر و ١٧٤ إلى ٣٦١ ملجم/ لتر على التوالي في المياه المتأثرة . وينطبق نفس الكلام على بقية المكونات ، حيث كانت أكبر كمية لكل من الرصاص والزئبق والألومنيوم والحديد والكلورايد والنترات هي ٠,٠٧ وصفر

جدول رقم (٥) نوعية المياه السطحية المتأثرة وغير المتأثرة بعصارة النفايات في مواقع مختلفة في شمال ووسط وجنوب الأردن

رقم العينة	موقع العينة	موقع العينة في الأردن	pH	مجموع المواد الذائبة الكلية T.D.S	مجموع المواد العالقة الكلية T.S.S	الأكسجين المتطلب حيوياً BOD	الأكسجين المتطلب كيميائياً COD	رصاص	زئبق	ألومنيوم	حديد	كلورايد	نترات
			ملجم / لتر										
١	غير متأثرة	كفرنجة / شمال	٧,٣	٣٥١	٣٨	٢١	١٧	٠,٠٣	صفر	٠,٠٥	٠,١٠	٥٩	٠,٣٦
٢	متأثرة	وادي كفرنجة	٩,٤	٧١٢	٢٧٠	٣١١	١٦٥	٠,٩٠	٠,٠٠٠٢	٠,١٠	٠,١٥	٢٠٤	٢,٨
٣	غير متأثرة	جرش / شمال	٧,٢	٢٧٠	٤١	٣٦	٢٤	٠,٠٧	صفر	٠,٠٨	٠,٨٠	٦٤	٠,٣٩
٤	متأثرة	سيل جرش	٩,٨	٧٤١	٣٦١	٣٠٢	٢٠٦	١,٠١	٠,٠٠٠٥	٠,٤٠	٠,٤٠	٢٨١	٢٥,١
٥	غير متأثرة	مأدبا / وسط	٧,١	٣٦٤	٢٨	٣٤	١٩	٠,٠٢	صفر	٠,٠٥	٠,٠٥	٤٢	٠,٢٩
٦	متأثرة	زرقاء الواله / مادبا	٧,٩	٦٨٥	١٧٤	٢٩٤	١٧٣	٠,٧٠	٠,٠٠٠٢	٠,٢٠	٠,٢٠	٢٠٩	٢,١
٧	غير متأثرة	الكرك / جنوب	٧,١	٢٧١٤	٣٩	٢٣	٥	٠,٠١	صفر	٠,٠٤	٠,٠٤	٣٥	٠,١٨
٨	متأثرة	وادي الذيه / الكرك	٩,١	٧٠٢	٣٦١	٢٨٦	١٥٨	٠,٦٠	٠,٠٠٠١	٠,١٧	٠,١٧	١٩٧	١,٧

و ٠,٠٨ و ٠,١ و ٠,٦٧ و ٠,٣٩ ملجم/ لتر على التوالي في المياه غير المتأثرة ، إلا أنها ارتفعت لتصل إلى ١,٠١ و ٠,٠٠٠٥ و ٠,٤ و ٠,٧ و ٢٨١ و ١,٢٥ ملجم/ لتر على التوالي في المياه المتأثرة . بالإضافة إلى ذلك فقد أظهرت درجة الحموضة تغيرات ملموسة بين المياه غير المتأثرة والمياه المتأثرة (جدول رقم ٥) .

أما الجدول رقم (٦) فيبين نتائج تحليل عينات مكونات المياه السطحية المتأثرة والمياه غير المتأثرة بالمخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون ، حيث يلاحظ وجود تلوث في المياه على شكل تغير في مكوناتها نتيجة لاختلاطها مع مخلفات عصر الزيتون . وعلى سبيل المثال ، فقد كان مجموع المواد الذائبة الكلية يتروح بين ٢٩٦ و ٣٨١ ملجم/ لتر في المياه غير المتأثرة ، إلا إنه ارتفع ليتراوح بين ٤٠٥ و ٦٤٣ ملجم/ لتر في المياه المتأثرة. كما أن كمية الأكسجين المتطلب حيويًا تراوحت بين ١٤ و ٢١ ملجم/ لتر في المياه غير المتأثرة ، إلا إنها قفزت لتتراوح بين ٢٠٩ و ٣٦٤ ملجم/ لتر في المياه المتأثرة . وينطبق نفس الشئ على كمية النترات ، والتي كانت تتروح بين ١٨ و ٣١ ملجم/ لتر في المياه غير المتأثرة . إلا إنها ارتفعت لتصل بين ٣٢ و ٧٣ ملجم/ لتر في المياه المتأثرة . كما يبين الجدول رقم (٦) وجود تغيرات ملموسة في درجة الحموضة والموصلية الكهربائية بين المياه غير المتأثرة والمياه المتأثرة في جمع العينات .

إن المناقشة الواردة أعلاه ، تظهر بوضوح تلوث الموارد المائية السطحية في الأردن نتيجة لاختلاطها مع عصارة النفايات ومخلفات الزيتون ، وسيتبع ذلك تلوث موارد المياه الجوفية التي تعتمد في تغذيتها على المياه السطحية . ويتأكد تلوث موارد المياه السطحية عند مقارنة كميات ونسب مؤشرات التلوث التي تم التوصل إليها من تحليل العينات في هذه الدراسة ، مع الكميات والنسب المسموحة لهذه المؤشرات حسب المواصفة الأردنية لتحديد مدى صلاحية المياه للاستخدامات البشرية . وعلى سبيل المثال فإن كمية الأكسجين المتطلب حيويًا وصلت في المياه المتأثرة بعصارة النفايات إلى ٣١١ ملجم/ لتر ، وفي المياه المتأثرة بالمخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون إلى ٣٦٤ ملجم/ لتر ، في حين أن نسبتها يجب أن لاتتجاوز ٥٠ ملجم/ لتر حسب المواصفة

جدول رقم (٦) نوعية المياه السطحية المتأثرة وغير المتأثرة بالمخلفات السائلة لعصر الزيتون في مواقع مختلفة في شمال ووسط وجنوب الأردن

رقم العينة	موقع العينة	موقع العينة في الأردن	درجة الحموضة pH	مجموع المواد الذائبة الكلية T.D.S ملجم / لتر	الأكسجين المتطلب حيوياً BOD ملجم / لتر	النترات NO_3 ملجم / لتر	الموصلية الكهربائية EC ms/ mc
١	غير متأثرة	كفرنجة / شمال	٧,١	٣٥١	١٥	٢٦	٠,٦٧
٢	متأثرة	كفرنجة / شمال	٧,٩	٦٤٣	٢٨٥	٧٣	١,٠١
٣	غير متأثرة	عجلوان / شمال	٧,٣	٣٥٨	١٦	٢٨	٠,٦٣
٤	متأثرة	عجلوان / شمال	٧,٧	٤١٨	٣٤٢	٦١	١,٨٣
٥	غير متأثرة	جرش / شمال	٧,٣	٣٨١	٢١	٣١	٠,٥٤
٦	متأثرة	جرش / شمال	٨	٦٣٢	٣٦٤	٦٦	٢,١٩
٧	غير متأثرة	السلط / وسط	٧,٤	٣٧٨	١٩	١٨	٠,٧٦
٨	متأثرة	السلط / وسط	٨	٤١٢	٢٣١	٣٢	١,١٨
٩	غير متأثرة	الكرك / جنوب	٧,٣	٢٩٦	١٤	٢١	٠,٦٢
١٠	متأثرة	الكرك / جنوب	٧,٩	٤٠٥	٢٠٩	٣٩	٢,١٩
١١	غير متأثرة	الطفيلة / جنوب	٧,١	٣٠٦	١٧	٢٠	٠,٥٧
١٢	متأثرة	الطفيلة / جنوب	٧,٩	٤٣١	٢٣١	٥٦	١,٠٩

الأردنية . ووصلت كمية المواد الذائبة الكلية إلى ٧,٢ ملجم/ لتر في المياه المتأثرة بالنفايات و٦٤٣ ملجم/ لتر في المياه المتأثرة بمخلفات عصر الزيتون، مع أن نسبتها يجب أن لاتتجاوز ٥٠٠ ملجم/ لتر حسب المواصفة الأردنية، كما وصلت كمية النترات إلى ٧٣ ملجم/ لتر في المياه المتأثرة بمخلفات عصر الزيتون، مع أن كميتها يجب أن لاتزيد عن ٤٥ ملجم/ لتر حسب المواصفة الأردنية . وينطبق نفس الكلام على عناصر كل من الرصاص والزئبق والألومنيوم والكلورايد، حيث تجاوزت كمياتها في معظم العينات المتأثرة بالنفايات (جدول رقم ٥)، حدود المواصفة الأردنية التي تبلغ ٠,٥ ملجم/ لتر للرصاص و ٠,٠٠١ ملجم/ لتر للزئبق و ٠,٢ ملجم/ لتر للألومنيوم و ٢٠٠ ملجم/ لتر للكلورايد .

وتُعتبر المناطق المتضررة التي جمعت منها عينات المياه المتأثرة، وعينات المياه غير المتأثرة بعصارة النفايات والمخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون، من أكثر المناطق أمطارًا في الأردن، حيث تترواح معدلات الأمطار فيها مابين ٣٠٠ - ٦٠٠ ملم وبمعدل تركيز يصل أحيانًا إلى ١٥ ملم/ ساعة، وإذا ما أضفنا إلى ذلك شدة الانحدار الذي يقدر بحوالي ١٥ - ٦٠ ٪ في هذه المناطق، وقرب مواقع مكاب النفايات من المسيلات والمجاري المائية بمسافة تترواح بين ٠,٢-٩,١ كم تقريبًا، فإنه سيتم نقل عصارة النفايات ومخلفات الزيتون بسرعة كبيرة في فصل الشتاء إلى المجاري والمسيلات المائية التي تغذي الأنهار والمياه الجوفية وتلويثها وتدمير نوعيتها . ويغلب على التكوينات الصخرية في المناطق المتضررة الصخور الصوانية والجيرية ذات النفاذية العالية بسبب كثرة الشقوق والمفاصل والفوالق والصدوع . كما تتميز الطبقات الصخرية بالميلان باتجاه مجاري الأودية وبمعدلات قدرت بين ٥ْ و٧ْ، مما سيسرع في تسرب الملوثات إلى المياه الجوفية . وأما بالنسبة للتربة فقد لوحظ أنها تفتقر إلى المواد العضوية والتي قدرت بحوالي ٤٪ فما دون (القضاة والريحاني، ١٩٩٥)، مما يعنى زيادة فرص وصول عصارة النفايات ومخلفات الزيتون إلى المياه الجوفية، حيث إن تدني نسبة المواد العضوية إلى مادون ٢٪ يساعد في زيادة قدرة التربة على امتصاص المواد الملوثة وسرعة انتقالها إلى الطبقات الحاملة للمياه الجوفية (عفيفي، ١٩٩٤) . بالإضافة إلى ذلك فإن

قلة سماكة التربة يقلل من فعاليتها في التنقية الطبيعية للمياه الملوثة المتسربة خلالها . كما أن التربة ذات طابع خفيف لانخفاض محتواها من معادن الطين ، وسيتبع ذلك انخفاض السعة التبادلية للتربة ، والتي تقدر بين ٦٨, ٠ و ٧٤, ٠ (القضاة والريحاني ، ١٩٩٥) . ممايعني زيادة فرص غسيل أجزاء عصارة النفايات ومخلفات الزيتون عن طريق التسرب إلى المياه الجوفية . وخاصة إذا ماعرفنا بأن المياه الجوفية قريبة من سطح الأرض وقدرت أعماقها في أغلب الأحيان بين ٣٠ - ٤٠م (وزارة المياه والري ، ١٩٩٦) .

ومن أجل التعرف على توزيع مكاب النفايات ومعاصر الزيتون وحصر مواقع تركزها وتحديد المساحات المتأثرة بها ، وربط ذلك بالموارد المائية السطحية والجوفية المتأثرة بهذه المواقع ، فقد تم في هذه الدراسة حصر المساحات المتضررة في ثلاث مناطق رئيسية ومناقشة حجم المشكلة في كل منطقة على الشكل التالي :

أ - المنطقــة الشمالية

يظهر تأثير مكاب النفايات ومعاصر الزيتون في هذه المنطقة في مساحة تصريف مائي سطحي محصورة بين نهر اليرموك شمالاً ونهرالزرقاء جنوبًا ، قدرت بحوالي ٥٥٣٣كم٢ ، ويقطنها حوالي ١١٣٤٠٧٧ نسمة (جدول رقم ٧) . وتضم هذه المنطقة كما يبين الجدول رقم (٧) ١٠ مكاب يتجمع فيها حوالي ٣٤٥٢٩٠ طنًا من النفايات سنويًا و ٤٩ معصرة للزيتون ينتج عنها ٦٠٧٠٨م٣ من المخلفات السائلة سنويًا ، وبذلك يتركز فيها عدد سن المكاب والمعاصر أكثر من غيرها من المناطق ، وتعتبر هذه المناطق الأكثر أمطارًا في الأردن وبمعدل يتراوح بين ٤٠٠ و٦٠٠ ملم سنويًا ، مما يعنى أن مكاب النفايات ومعاصر الزيتون تتركز في أغنى مناطق الأردن مائيًا من حيث تغذية المياه السطحية والجوفية . وعند ربط مكاب النفايات ومعاصر الزيتون بالمساحات المحيطة بها والتي تشكل مناطق تأثير هذه المكاب والمعاصر ، كما تشكل مصادر تغذية المياه السطحية والجوفية في المنطقة الشمالية ، نجد أن كمية المياه التي ستصلها مؤشرات التلوث بشكل أو بآخر - كما بينت نتائج تحليل عينات المياه من بعض المواقع في هذه المنطقة (جــدول ٧) - ستبلغ حوالي ١٦٤ م٣سنويًا على شكل مياه سطحية و٦٧ مليون م٣ سنويًا على

جدول رقم (٧) عدد مكاب النفايات وكمية النفايات المتجمعة فيها وعدد معاصر الزيتون وكمية المخلفات السائلة الناتجة عنها وكمية المياه المتأثرة بالنفايات ومخلفات عصر الزيتون في مناطق شمال ووسط وجنوب الأردن

المنطقة	عدد السكان	المساحة المتأثرة بالمكاب ومعاصر الزيتون (كم٢)	عدد مكاب النفايات	مجموع كمية النفايات طن / السنة	عدد معاصر الزيتون	كمية المخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون م٣ / السنة	كمية المياه السطحية المتأثرة بالمكاب ومعاصر الزيتون مليون م٣ / السنة *	كمية المياه الجوفية المتأثرة بالمكاب ومعاصر الزيتون مليون م٣ / السنة *
الشمالية	١١٣٤٠٧٧	٥٥٣٣	١٠	٣٥٤٥٢٩٠	٤٩	٦٠٧٠٨	١٦٤	٦٧
الوسطى	٢٥٧١٦٤٨	٣٣٣٧	٨	١٦٠٩٦٥٠	٣٢	٣٤٨٧٨	١١٥	٩٤
الجنوبية	٣٨٩٨٥٤	٧٤٧٠	٩	١٢٨٠٧٥	٩	٧٧٩٧	١١١	١١٧
المجموع	٤٠٩٥٥٧٩	١٦٣٤٠	٢٧	٢٠٨٣٠١٥	٩٠	١٠٣٣٨٣	٣٩٠	٢٧٨

المصدر : دائرة الإحصاءات العامة، ١٩٩٦ ، ووزارة الشؤون البلدية والقروية والبيئة، ١٩٩٦ ، ووزارة الزراعة، ١٩٩٦ .

* كمية المياه السطحية والجوفية المقدرة في كل منطقة تم الحصول عليها من ، الغزاوي والدجاني ، ١٩٩٥ ، ص٩ و ١٠ .

شكل مياه جوفية . أي إن ٢٣١ مليون م٣ من الموارد المائية في المنطقة الشمالية تعرضت للتلوث بدرجات مختلفة في الوقت الذي يعاني فيه الأردن من نقص حاد في هذه الموارد .

ب - المنطقـة الوسطى

يقطن المنطقة الوسطى والممتدة بين نهري الزرقاء شمالاً ووادي الموجب جنوبًا ، حوالي ٢٥٣١٦٤٨ نسمة (جدول رقم ٧) . وبذلك تعتبر الأكثر اكتظاظًا بالسكان في الأردن ، وغالبية سكانها يتركزون في العاصمة عمان . وتشكل مساحة تصريف مائي سطحي تقدر بحوالي ٣٣٣٧ كم٢ . وبالرغم من أن عدد المكاب في هذه المنطقة أقل من المنطقة الشمالية، إلا أنه يتجمع فيها مامجموعه ١٦٠٩٦٥٠ طنًا من النفايات سنويًا ، أي حوالي ثلاثة أرباع نفايات الأردن . كما يوضح الجدول رقم (٧) إن عدد معاصر الزيتون في هذه المنطقة بلغ ٣٢ معصرة ينتج عنها حوالي ٣٤٨٧٨م٣ من النفايات السائلة سنويًا ، أي إن المنطقة الوسطى تعاني هي الأخرى مما تعانيه المنطقة الشمالية من حيث تركز عدد كبير من مكاب النفايات ومعاصر الزيتون . ورغم أن عدد المكاب والمعاصر في هذه المنطقة أقل منها في الشمالية ، إلا إن كمية النفايات المتجمعة في مكابها أكثر من أربعة أضعاف النفايات المتجمعة في مكاب المنطقة الشمالية ، كما أن كمية الأمطار السنوية في المنطقة الوسطى تتراوح بين ٣٠٠ و٥٠٠ ملم ، وبذلك فهي تحتل المرتبة الثانية من حيث الأهمية كمورد للمياه السطحية والجوفية في الأردن . ولاشك أن عصارة النفايات ومخلفات عصر الزيتون في هذه المنطقة ستعمل على تلويث حوالي ١١٥مليون م٣ من المياه السطحية و٩٤ مليون م٣ من المياه الجوفية . أي مامجموعه ٩ , ٢ مليون م٣ ، يستغل الأردن الجزء الأكبر منها في الوقت الحاضر وخاصة المياه الجوفية ، مما يعنى فقدانه لكمية مهمة من موارده المائية فيما لو استمرت مشكلة التلوث كما هي عليه الآن في هذه المنطقة .

جـ - المنطقة الجنوبية

يبين الجدول رقم (٧) أن المنطقة الجنوبية والمحصورة بين وادي الموجب شمالاً

والبحر الأحمر جنوبًا ، قد تكون الأقل تضرراً بعصارة النفايات ومخلفات عصر الزيتون ، وذلك لقلة عدد معاصر الزيتون والبالغة ٩ معاصر ، ويتبع ذلك قلة الكمية السنوية المنتجة من الزيتون ، وقلة كمية المخلفات السائلة الناتجة عن عصره ، والتي تقدر بحوالي ٧٧٩٧م٣ سنويًا . وبالرغم من أن عدد المكاب في هذه المنطقة وصل إلى ٩مكاب ، أي نفس العدد في المنطقة الوسطى ، إلا أن كمية النفايات في هذه المنطقة أقل بكثير من المناطق الأخرى وتقدر بحوالي ١٢٨٠٧٥ طنًا سنويًا ، وذلك لقلة عدد السكان في هذه المنطقة والبالغ ٣٨٩٨٥٤ نسمة . وإن قلة كميات النفايات ومخلفات عصر الزيتون في هذه المنطقة وتأثيرها على مساحة تصريف سطحي كبيرة تقدر بحوالي ٧٤٧٠كم٢ (جدول رقم ٧) ، سيجعل تأثيرها السلبي على الموارد المائية في هذه المنطقة أقل من غيرها من المناطق ، كما ستكون الملوثات أقل تركيزاً في الموارد المائية في هذه المنطقة والمقدرة بحوالي ١١١ مليون م٣ مياه سطحية و١١٧مليون م٣ مياه جوفية . واستمرار تأثير النفايات ومخلفات عصر الزيتون على الموارد المائية في المنطقة الجنوبية سيرفع درجات تركيز المواد الملوثة لهذه الموارد ، وسيتبع ذلك فقدان جزء مهم من الموارد المائية في المنطقة ، وخاصة الجوفية ، والتي تشكل معظم الاحتياطي الاستراتيجي من المياه في الأردن .

النتائج والتوصيات

يمكن تلخيص نتائج هذه الدراسة على الشكل التالي :

١ - إن عصارة النفايات المتجمعة في المكاب ، والمخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون ، تعمل بوضوح على تلويث الموارد المائية السطحية والجوفية في الأردن ، وتدمر نوعيتها بدرجة قد تحول دون استخدامها للأغراض البشرية المختلفة ، حيث تبين أن وصول عصارة النفايات ومخلفات الزيتون إلى المياه السطحية أدى إلى ظهور مؤشرات على التلوث وبقيم متفاوتة في هذه المياه على شكل كميات ونسب مرتفعة من بعض المركبات والعناصر السامة والخطرة ، مثل ارتفاع كميات كل من الأكسجين المتطلب حيويًا إلى حوالي ٣٦٤ ملجم/ لتر والنترات إلى ٧٣ ملجم/ لتر والرصاص

إلى ١,٠١ ملجم/ لتر والزئبق إلى ٠,٠٠٠٥ ملجم/ لتر وجميع هذه القيم تفوق كثيراً قيم المواصفات الأردنية التي تحدد مدى صلاحية المياه للاستعمالات البشرية المختلفة .

٢ - تتركز مكاب النفايات البالغة ٢٧ مكبًا ومعاصر الزيتون البالغة ٩٠ معصرة بدرجات متفاوتة في ثلاثة مناطق تعتبر الأغزر مائيًا في الأردن ، وتشكل مساحة تصريف مائي سطحي قدرت بحوالي ١٦٣٤٠ كم٢ ، أي مانسبته ١٨,٤٪ من المساحة الكلية ، وتخلو بقية مناطق الأردن والتي تعتبر أقل أهمية من حيث الموارد المائية وخاصة السطحية منها من مثل هذه المكاب والمعاصر . وتركز المكاب في هذا الجزء المحدد من المساحة سيعمل حتمًا على زيادة تركيز المواد الملوثة في الموارد المائية ، فيما إذا استمر الوضع علي ما هو عليه الآن من سوء التعامل مع مايزيد على ٢ مليون طن من النفايات سنويًا ومايزيد على ١٠٠ ألف م٣ من المخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون سنويًا في الأردن .

٣ - إن المنطقتين الشمالية والوسطى هما الأكثر تضررًا من حيث تركز مكاب النفايات ومعاصر الزيتون ، مع أنهما الأغزر مائيًا في الأردن ، في حين أن حجم المشكلة أقل نسبياً في المنطقة الجنوبية ، وذلك لقلة السكان والنشاطات البشرية المختلفة .

٤ - تعمل النفايات ومخلفات عصر الزيتون وبدرجات متفاوتة من منطقة لأخرى على تلويث مامجموعه ٦٦٨ مليون م٣ من الموارد المائية في الأردن سنويًا ، منها ٣٩٠ مليون م٣ على شكل مياه سطحية و ٢٧٨ مليون م٣ على شكل مياه جوفية . وإن استمرار هذه المشكلة يعني فقدان جزء كبير من الموارد المائية المستغلة حاليًا ، وجزء آخر من الاحتياطي المائي الجوفي مستقبلاً ، في الوقت الذي سيبلغ فيه الطلب على المياه في الأردن عام ٢٠٠٠ حوالي ١٥١٥ مليون م٣ وبعجز يقدر بحوالي ٥٤٤ مليون م٣ لنفس العام .

وبناءً على نتائج هذا البحث ومن أجل وقف الأثر البيئي السلبي لمكاب النفايات ومعاصر الزيتون على الموارد المائية السطحية والجوفية في الأردن ، فإن الباحث يوصي بما يلي :

١ - ضرورة فرز الأنواع المختلفة من النفايات وخاصة البلاستيكية والكيميائية الخطرة ومعالجتها بطرق خاصة قبل وصولها إلى مكاب النفايات ، أو إعادة استعمالها ما أمكن .

٢ - إبعاد مواقع مكاب النفايات والمخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون عن الطبقات الحاملة للماء وذات النفاذية العالية ، وذلك بنقل النفايات والمخلفات إلى مكاب تُقام في المناطق الصحروابة الشرقية والجنوبية من الأردن ، حيث إن قلة الأمطار والعمق الكبير للمياه الجوفية في هذه المناطق يعني حاجة النفايات والمخلفات إلى فترة زمنية طويلة للوصول إلى المياه الجوفية .

٣ - وإذا تعذرت إزالة مكاب النفايات ومعاصر الزيتون من مواقعها الحالية ، فإنه لابد من تحويل مجاري ومسيلات المياه المحيطة بالمكاب والمعاصر ما أمكن لمنع اختلاط عصارة النفايات والمخلفات مع مياه هذه المجاري والمسيلات ، حيث إن اختلاطها سيلوث المياه السطحية ، وبالتالي المياه الجوفية ، كما أنه لابد من زيادة صلابة التربة وتبطين أرضية المكاب باستعمال صفائح غير منفذة للسوائل ، أواستعمال الطين والصلصال لمنع تسرب عصارة النفايات والمخلفات السائلة الناتجة عن عصر الزيتون إلى المياه الجوفية .

٤ - سن القوانين والتشريعات الصارمة التي تنظم طرق التخلص من النفايات ومخلفات عصر الزيتون ، وتمنع إلقاءها في المناطق التي تكون فيها إمكانية تلوث الموارد المائية واردة .

المراجـــــع

أولاً : المراجع العربية

أبو العلا ، محمد (١٩٨٨) ، هندسة *المدن والبيئة* ، جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية ، إربد ، الأردن .

التل ، سفيان و سارة ، ياسر (١٩٩٠) ، *حالة البيئة في الأردن* ، وزارة الشؤون البلدية والقروية والبيئة ، دائرة البيئة ، عمان .

الجمعية العلمية الملكية، (١٩٩٣ و ١٩٩٦)، *تقارير وأبحاث غير منشورة*، عمان. الأردن.

حجازين، سمير، (١٩٩٥)، موارد المياه التقليدية، *الأسبوع العلمي الأردني الثالث*، **المجلد الثالث**، الأوراق العلمية، المياه، عمان، الأردن، ص ١-٢٠.

حجازين، سمير، وريلماوي، عمر، ونعيمات، عبدالله، وجاموس، محمد، والمومني، محمد، (١٩٩٥)، حوض نهر الزرقاء، *الأسبوع العلمي الأردني الثالث*، **المجلد السادس**، الأوراق العلمية، حالات دراسية متداخلة المعارف. عمان. الأردن، ص١٣٧ - ١٧٣.

حمدان، محمد، والكيلاني، عدنان، والجبالي، سعد، وحمدان، بسام، (١٩٩٣)، جفت الزيتون كمصدر بديل للطاقة في الأردن، *مؤتة للبحوث والدراسات*، ٨ (٦): ١٠٥ - ١١٢.

خطاري، سيد، والعيسى، داوود، وحجازين، سمير، وعمرو، محمد، وجرادات، محمد، وشهبز، محمد، (١٩٩٥)، برنامج بحث وتطوير البادية الأردنية. *الأسبوع العلمي الأردني الثالث*، المجلد السادس، الأوراق العلمية، حالات دراسية متداخلة المعارف، عمان، الأدرن، ص ٥١ - ٧٥.

دائرة الإحصاءات العامة، (١٩٩٦)، *نشرة الإحصاءات البيئية*، عمان، الأردن.

شطناوي، محمد، (١٩٩٥)، الاحتياجات المستقبلية للمياه في الري، *الأسبوع العلمي الأردني الثالث*، **المجلد الثالث**، الأوراق العلمية، المياه، عمان، الأردن، ص٧٩ - ٩٤.

عفيفي، سمير عبدالفتاح، (١٩٩٤)، حركة ملوثات المياه الجوفية من سبيدات الآفات الزراعية في نظام التربة/ الماء، بحث غير منشور، *مؤتمر تنمية الأراضي الجافة وشبه الجافة*، *جامعة مؤتة*، *الكرك*، *الأردن*.

الغزاوي، علي والدجاني، هبة، (١٩٩٥)، *قطاع المياه في الأردن: حقائق وأرقام*، الجمعية العلمية الملكية، عمان - الأردن.

فياض، منار، وشطناوي، محمد، أبو شرار، طالب، والحسن، أيمن، والعلمي، نيفين، (١٩٩٥)، تلوث الماء والهواء والتربة، موارد الأرض نحو استخدام أمثل، *الأسبوع العلمي الأردني الثالث*، **المجلد الخامس**، الأوراق العلمية، البيئة، عمان، الأردن، ص١١٥-١٤٠.

القضاة، بكر والريحاني، أمجد، (١٩٩٥)، الترب في الأردن، أنواعها وتصنيفاتها، *الأسبوع العلمي الأردني الثالث*، **المجلد الخامس**، الأوراق العلمية، البيئة، عمان، الأردن ص ٦١-٩٨.

المركز الجغرافي الملكي الأردني، (١٩٩٣)، *الخريطة الطبوغرافية مقياس ١: ٥٠٠٠٠ و ١: ١٠٠٠٠٠ لوحات إربد*، الرمثا، الزرقاء، السلط، عمان، الكرك، عمان، الأردن.

وزارة الزراعة ، (١٩٩٤ و ١٩٩٦) ، *تقارير غير منشورة* . عمان . الأردن .

وزارة الشؤون البلدية والقروية والبيئة ، (١٩٩٥ و ١٩٩٦) ، *تقارير غير منشورة* ، عمان ، الأردن .

وزارة المياه والري ، (١٩٩٥ و ١٩٩٦) ، *تقارير وأبحاث غير منشورة* ، عمان ، الأردن .

ثانيًا : المراجع الأجنبية

Abdul, A.S., Gibson, T. and **Kia, S.** (1990) Contamination of soil and groundwater by automatic transmission fluid: Site description and problem assessment, *Journal of Hydrology*, **121:** 133-154.

Abu-Hassan, R. (1988) Routing of solid waste collection vehicles in Irbid, *Unpublished M.Sc. Thesis*, Dept. of Civil Engineering, Jordan University of Science and Technology, Irbid, Jordan.

Abu-Qudais, H. (1987) Solid waste management: An Evaluation and Possiblements for the city of Irbid, *Unpublished Ms.C. Thesis*, Department of Civil Engineering, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Bdour, J.M. (1994) *Socio-Economic and Environmental Study of King Talal Reservoir Region*, Royal Scientific Society, Computer, Technology, Training and Industrial Studies Center, Summary report, Amman, Jordan, Vol. V.

Carra, J. and **Cossu, M.H.** (1990) *International Perspectives on Municipal Solid Wastes and Sanitary Landfilling*, Suffolk, UK, p. 6.

Fleming, R., Adams, R. and **Kim, C.** (1995) Regulating groundwater pollution: Effects of geophysical response assumptions on economic efficiency, *Water Resources Research*, **31**(4): 1069-1079.

Kemblowski, M. and **Wen, J.** (1993) Contaminant spreading in stratified soils with fractal permeability distribution, *Water Resources Research*, **29**(2): 419-425.

Ministry of Planning (1992) Industrial Pollution Control Project in Jordan, Hazardous waste disposal facility, Amman, Jordan, *Project Component*, **3**(1): 67-84.

Rimawi, O. (1992) Salinization and deterioration of the groundwater resources in the Dhuleil-Hallabat Area, Jordan, *Dirasat*, **19B**(3): 131-158.

Rimawi, O., Naga, A. and **Salameh, E.** (1992) Hydrochemical characteristics of groundwater resources in the northeastern part of the Jordan Valley, Jordan, *Dirasat*, **19B**(2): 87-118.

Salameh, E. and **Bannayan, H.** (1992) *Water Resources of Jordan Present Status and Future Potentials*, Friedrich Ebert Stiftung, Amman, Jordan.

Williams, G.M. and **Higgo, J.** (1992) In situ and laboratory investigations into contaminant migration, *Journal of Hydrology*, **159:** 125.

Certain Sources of Water Pollution in Jordan

Ali Ahmad Ananzeh
Department of Geography, Faculty of Arts,
Mutah University, Karak, Jordan

Abstract. This study addresses the environmental effects of solid and liquid wastes as well as liquid effluents resulting from olive oil pressers that pollute the surface and underground water resources in Jordan. The amount of accumulated wastes exceeds 2 million metric tons annually, gathered in 27 dumping sites. The liquid effluents resulting from 90 olive oil pressers are estimated to be more than 100 thousand CM a year. These wastes and effluents pose a serious threat to water resources in Jordan. The wastes and effluents affect surface run-off draining from around 18.4% of the total area of Jordan, most of which located in the northern and middle parts of the country. These areas receive the highest amount of annual precipitation, and as such have the major watershed areas. Analysis of surface water samples reveals that contamination via a few elements occur, throughout the study areas at various levels. These constituents reach the maximum permitted limits for safe use of water resources. Results show that the levels of COD and BOD to be 206 mg/L and 364 mg/L respectively. It is also found that No3 is 73 mg/L, Pb is 1.01 mg/L, Hg is 0.0005 mg/l, TDS is 741 mg/L, TSS is 361 mgL and pH is 9.8. These levels represent a serious threat to water resources which will deprive Jordan in the long run of a total of 686 MCM a year.

القسم الإنجليزي

General

- A periodical issued by KAU in the fields of Arts and Humanities and annually published by the KAU Scientific Publishing Centre. Original works are published in this periodical, review articles, letters to editor and book reviews. Materials to be sent to:

Editor-in-chief, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University,
P.O. Box 9032 Jeddah 21413, Saudi Arabia.

- All materials are submitted to referees.
- Materials submitted should represent original works not previously published, not being considered for publication elsewhere, and if accepted not to be published in the same form in any language without written consent of the editor-in-chief.

Typescript

- TS should be submitted in triplicate, double spaced, on only one side of A4 size paper.
- Leave one inch margins on all sides.
- Consecutively number TS including tables and figures.
- Abstracts, footnotes, tables, captions and references should be submitted in separate sheets.

Writing

- Paper should include:

1) Title: Concise and expressive.
2) Author(s) name(s).
3) Affiliation of author(s) as a mailing address.
4) Abstract.
5) Text: to be divided to main sections each with its own heading, according to the method used (*e.g.*, Introduction, Results, Discussion, Conclusion, References), taking into consideration the levels of sub- and sub- sub-headings.

- Two Abstracts, one in English, the other in Arabic, each not exceeding 200 words should be submitted. An Abstract should summarize the main facts and conclusions of the work. International rules for Abstract writing should be followed. Abstract should be self-contained and understandable in isolation.
- The metric system and standard abbreviation following (SI), avoiding full stops after abbreviations, should be used.
- Footnotes: These should be consecutively numbered through the text. Any source cited for the first time should be given a full reference. When cited later, use the proper cross-reference terms (op. cit., loc. cit., ibid., id.). An alphabetically list of references is mandatory. Some authors are entitled to use Name/Date/Page system. Rules of the usage of this system should be thoroughly followed.
- References: The list of references should be alphabetically arranged according to author(s) surnames. References to the same author(s) should be chronologically arranged. All the bibliographic elements of a reference should be complete, following the standard rules of writing and arrangement. Never use *et al.* in the list. Make sure that all the sources cited in text are listed. References other than those cited in the text should not be listed.

Tables

- Tables should be consecutively numbered, each having a short self-explanatory title above. Indicate the position of each in pencil in the margin. Avoid unnecessary or too detailed data.

Illustrations

- Original illustrations should be submitted flat in protective envelopes and not folded.
- Indicate, in pencil, the position of each in the margin of the text, and stick a copy of each in the right position of the text.
- Line drawings should be drawn in Indian ink on calc paper, not exceeding 12 × 18 cm or half or double that size.
- Photographs, black & white, should be of high quality glossy original prints of maximum size 13 × 18 cm or half or double that size.
- Coloured figures are not acceptable, unless colours have a scientific indications.

Proofs

- Two sets of proofs, one galley and one page proof, have to be checked by the corresponding author, in 72 hours at maximum.
- No alteration is allowed, especially on the page proofs.

Reprints

- 50 free reprints per paper will be supplied.
- Additional reprints could be ordered on returning page proofs, according to the rates of the Publishing Centre.

بسم الله الرحمن الرحيم

IN THE NAME OF ALLĀH,
THE MERCIFUL,
THE MERCY - GIVING

■ Annual Subscription ■

- Local : SR 5
- External : US 5

■ Subscription ■

Scientific Publishing Centre, King Abdulaziz University
P.O. Box 1540, Jeddah 21441, Saudi Arabia

■ Exchange ■

Deanship of Library Affairs, King Abdulaziz University
P.O. Box 3711, Jeddah 21481, Saudi Arabia

English Section

JKAU: Arts & Humanities, vol. 9, pp. 3-18 (1416 A.H. / 1996 A.D.)

The Social Functions of 'Formal' Kinship Distinctions in Hijazi Arabic

SABAH SAFI-STAGNI and LAMIA M.S. BAESHEN
Assistant Professor (Linguistics), Department of European Languages & Literature, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

ABSTRACT. Language as used by a speech community reflects the social structure and value systems of the members of this speech community, and as such, the members evaluate different linguistic structures or "varieties" in different ways. Part of the sociolinguistic competence of native speakers is the knowledge of the 'appropriateness' of a particular linguistic form for a particular social context. This study examines the sociolinguistic rules that govern the use of lexicalized kinship distinctions in 'address' or 'reference' to a kin by members of nine extended Hijazi families from Jeddah, Saudi Arabia. The paper will show that, in addition to encoding sociolinguistic information, kinship forms reflect two other important linguistic phenomena; linguistic variation and linguistic change.

Introduction

The fact that language is recognized as a very *variable* phenomenon, and that this variability may have as much to do with society as with language itself was one of the main factors that led to the growth of sociolinguistic research. The traditional approach used by pioneers in the field such as Gumperz, Labov and Trudgill is (1) to identify a certain linguistic variable, (2) collect data concerning its variants and then (3) draw conclusions about the social distribution of these variants. The ultimate goal, therefore, is to be able to relate the linguistic variant in some way to certain factors in society, such that if you know certain things about one, you can predict certain things about the other.

The correlation between the linguistic *variation* and the social factors is what interests sociolinguists working with the linguistic 'variable'. Within sociolinguistics, the variation in the code, originating in diachronic 'changes', often reflects choices made by speakers based on extra linguistic criteria such as age, sex, socioeconomic and regional

background, status, and so on. The choices link the linguistic code to its 'appropriateness' within a context based on presuppositions of knowledge of earlier uses and connotations. The use of one 'appropriate' variant versus another is very much determined by the *variation* in the context of use.

One of the interesting ways in which people use language in daily living is in reference to various kinds of kin. The linguistic Kinship system was deliberately chosen by the authors since it met three selectional criteria: (a) Kinship systems are attractive since they are a *universal* feature of languages and an important factor in social organization; (b) the 'formal' or linguistic system of kinship constitutes a small *finite* set that is easily discernible; and (c) the *relationship* between the linguistic system and social distinctions is readily ascertainable.

Unlike the traditional treatment of kinship forms that relies heavily on the anthropological comparative approach (see, for example, Ayoub 1964, Geertz 1979, and Yassin 1975, 1977), this paper intends to demonstrate that 'formal' kinship distinctions encode a lot more than what they have been given credit for. We will show that the choices made by native speakers in using kinship forms are based on factors other than the kin relationship itself. The 'formal' kinship systems often reflect the relationship between society and language in that they reflect the physical environment in which a society lives, the social environment, and the value system of that particular society all of which can have an effect on its language.

Additionally, kinship forms presented and analyzed in this study exhibit considerable *variation* triggered by changes occurring in the social environment; the use of one variant versus another is very much determined by the variation in the social context where the form is used.

Similarly, we want to argue that kinship forms are a valuable source of investigating linguistic *change*. Most linguists, following the example of two of the founders of modern linguistics – Saussure (1959) and Bloomfield (1933), have maintained that linguistic *change* cannot be observed while actually occurring; all one can hope for is to observe the consequences of change. Only recently, have some linguists seen linguistic 'variation' as a possible key to understanding not only how languages are distributed in society, but also how that distribution may help us understand how change occurs in language.

Kinship forms, observed over four generations spanning 60 years allow us a glimpse of language in flux and help us document change as it occurs. The distribution of kinship forms within a speech community over an extended period of time allows us a change to investigate the possible triggers of change as it happens rather than document it after it is completed.

Data and Analysis

The Data

Typically, kin terms are divided into two types; one that applies to kin and one that is composed of extended metaphors and applies to non-kin. Both kin and non-kin terms

are in turn divided into two sets; a consanguineal set (used to address or refer to blood kin) and an affinal set (used to address or refer to kin through marital relationship). The final division concerns the structure of the linguistic form itself and is divided into monolexemic forms and descriptive phrases (Figure 1).

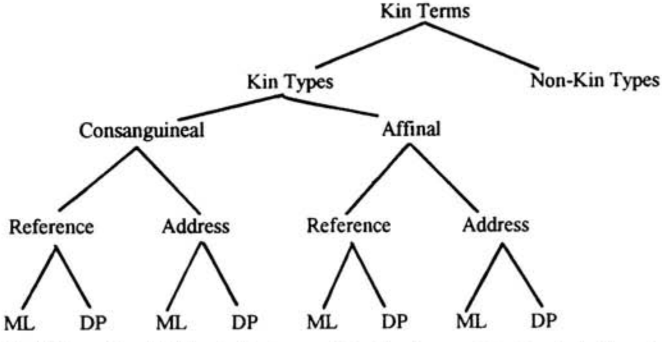


FIG. 1. The traditional kinship classification tree (ML = Monolexemes, DP = Descriptive Phrases).

The data examined here covers kinship forms used by four generations; G-1, G0, G+1 and G+2. G0 (often referred to as ego) represents the current author's generation. Although born in the early sixties, this generation of users is considered a competent and reliable source in the 70s (after the age of ten). Therefore, they are also referred to as the 70s generation. G+1 and G+2 refer to the two generations above ego and they represent the researchers' parents and grandparents, respectively. G+1 and G+2 are also referred to as the 50s and 30s generations for the same reason mentioned above. G-1 represents the generation of the researchers' children. G-2, the researchers' grandchildren's generation, a group born in the 90s, is not included in this study since this age group was deemed too young to be reliable informants (their ages ranging from 5-7 years old).

With the exception of /ho/, a phonological mutate of /huwa/ *he* which eventually acquired a neutral second person plural meaning equivalent to the well-known *y'all* observed in the southern dialects of the United States, the distinction between address and reference terms in the speech of the nine families included in this study is neutralized. While all the kinship forms are used similarly for both functions, /ho/ is used in address but not in reference to kin. Consideration in this paper is given only to monolexemes or wholistic compounds since the meaning of descriptive phrases such as /walad ?uxti/ *'my sister's son'* is obtainable from the meaning of their constituents.

Nine extended families are included in this study averaging 126 members per family with a ratio of 30% females to 70% males ranging in age from 11-86 years for the females and 10-77 years for the males. The oldest participant is an 86 year old female while the youngest informant is a 10 year old male. All males in the family over the age of 27 (64% of the males) are married, whereas most females who were not married before the age of 27 (32% of the females) remain celibate. Intermarriage is high between

these nine families. Nowadays, most married male and female members of the family prefer to live within close range of the family's household, but not in the same house.

Data Collection

The investigators began the study by locating two informants representing each generation within each family, one male and one female, bringing the total of informants to 72 (36 females and 36 males). Each informant or participant was intensively interviewed twice and then observed over an eight month period. The data was then verified with the other members of the same generation.

To elicit the data, Goodenough's (1956, 1964) approach of the controlled questions "what kin relationship is he/she to you?" and "Is he/she your ________?' was used. One of the investigators developed the questionnaire form and interviewed members of the families included in this study.

The second investigator adopted an alternative approach similar to the one used by Milroy & Milroy (1978) in which the modified technique of participant friend-to-friend observation was used. Over a period of eight months, she made detailed notations of who said what to who, the occasion, the participants as well as people present within hearing range.

Although the actual kin relationship exists for all four generations, the number of linguistic distinctions elicited varied tremendously between generations with the highest possible number of 57 used by G0 or the 70s generation and the lowest number of 23 used by G-1 or the 90s generation.

Data Analysis

One of the ways of addressing kin in Hijāzi is through the use of a title (T) such as /'ammi/ *uncle* or /xaala/ *maternal aunt.* A second possibility requires the usage of a compound form of title + first name (TFN) such as /'ammi Hamad/ *uncle Hamad* or /xaala hind/ *maternal aunt Hind,* or title + title (TT) such as /sitti Habiibi/ *father's aunt* or /'amma Habiibi/ *father's eldest sister.* The third alternative available to speakers and users of these kin terms uses first name (FN) only. Of 57 possible kinship forms found in the speech of these nine Hijazi families, there are 28 single forms (T) and 29 compound forms 20 of which are title + first name (TFN) and 9 title +title (TT).

In addition to four borrowed forms, there are eight basic kin terms (/ʔab/ *father,* /ʔum/ *mother,* /'am/ *father's brother,* /xaal/ *mother's brother,* /sit/ *grandmother,* /siid/ and /jadd/ *grandfather* and /ʔax/ *brother*) of which 23 titles are phonologically or morphologically derived (/sit, sitti, sittu, ʔisteta, ʔisti teeta/). These derived lexical forms are not synonymous since they signal a different kin relationship from the original basic form. For example, while /sitti/ is used to address one's grandmother, the derived form of /ʔisteta/ is used to address one's older sister, and /ʔisti + FN/ is used to address elder brother's wife and so on.

As mentioned above, the number of basic and derived forms (single titles or compounds) varies tremendously based on generation (+/– ego). For example, the 30s gen-

eration (G+2, two generations older than ego) uses 34 forms while the 90s generation (G-1, one generation younger than ego) uses only 23 forms with the highest number of 57 used by G0. This tremendous variation in number over several generations will be explored in details in the following sections.

There is also significant variability within the ratio of forms used to address or refer to female kins in relation to forms used to address or refer to male kins across generations. For example, 22:12 is the female:male ratio for the 30s generation as opposed to 12:11 for the 90s generation, with the highest at 35:22 for the 70s generation (Fig. 2).

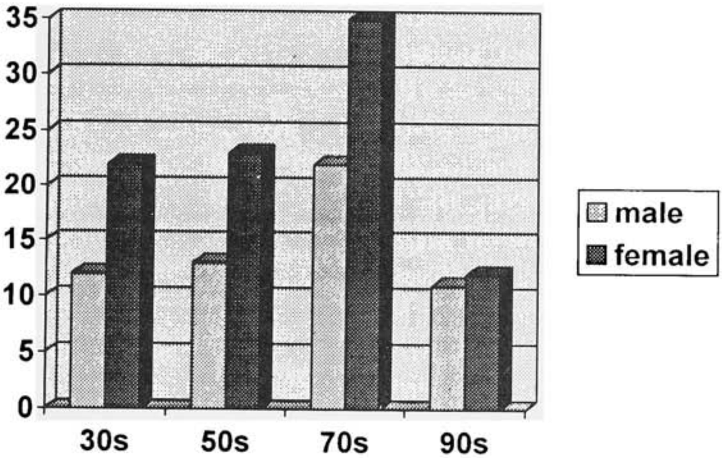


FIG. 2. Ratio of female:male kinship forms over the four generations.

If we look at what is involved in the kinship forms used in address or reference in these families, it seems that a number of non-linguistic factors govern the usage or choice of term; the kin relationship, the status of addressee in the hierarchy of the family, sex, age, proximity of habitat, respect and power, and intimacy and endearment. The following section will explore the six most important ones.

1. Social Factors

Sex

We found no significant differences in the usage of kin forms based on the sex of the speaker. With the exception of 'mother-in-law', male and female speakers used the same forms to address or refer to the same kin relation. For 'mother-in-law', male speakers have the added form /Hamaati/ which is observed in the speech of one G0 male (who spent a number of years in Egypt).

Naturally, however, the sex of the addressee plays an important role. With the exception of /ho/ *y'all*, which is zero marked for gender and which is used to address family

members in the presence of strangers, six of the 27 single forms of titles (T) are semantically marked. These include four of the basic forms and two of their derivatives. For example, /baaba/ *father*, /maama/ *mother*, /walad/ *son*, /bint/ *daughter*, /?abu/ *father of*, and /?um/ *mother of*. The other 21 forms are morphologically marked for gender, such as /?am/ *paternal uncle* and /?amma/ *paternal aunt*, /xaal/ *maternal uncle* and /xaala/ *maternal aunt*, as well as forms such as /siidi/ *grandfather* and /sitti/ *grandmother*. This gender marking distinction holds across all four generations spanning over 60 years. As for the neutral /ho/, it is used in variation with two other forms; /?um/ *mother of* or /?abu/ *father of* plus first name of oldest male child, in addition to first name (FN). The use of one variant versus another is context sensitive and very much dependent on the presence or absence of strangers (particularly males) within the physical context of the speech event. /ho/ is used to address male or female kin in the presence of absolute strangers while /?um/ and /?abu/ plus first name are used in the presence of acquiantance, and (FN) alone is reserved for use within the circle of family and close friends. /ho/, however, disappeared from the speech of G-1.

Side

The data shows a significant bias towards females with more lexical forms available for addressing females than males. This bias towards female kin is observed throughout the four generations. The ratios are 22:12, 23:14, 35:22 and 12:11 females to males for the 30s, 50s, 70s, and 90s, respectively. It is important to point out that this bias appears to be a function of side (forms that refer to female members of the husband's side) and, interestingly enough, seems to be triggered by the social organization of families in Hijaz.

After marriage, brides move in to join the husband's household (not the other way around), acquiring new relations that are not consanguineal. Marriage creates additionally unfamiliar relationships not experienced before, such as husband's mother, husband's sister, husband's brother's wife, and husband's uncle's wife, and so on. These additionally acquired kin and the close contact one has with them create the need to have distinctive forms to address the newly acquired kin from those used to address old kin and forms for kin with whom one has more contact than others. In the shared household, brides become part of the female beehive with little or often no contact with the equivalent males of the new family. Knowing how to address these newly acquired female relatives is often a problem since existing titles may either indicate extreme power (e.g., /sitti/ *grandmother* or *mistress*), or are unnatural (e.g., /maama/ *mother*), or too familiar (e.g., using first name (FN)).

The ratio, however, did not remain significant over the four generations. Within the shared household, the organizational structure of the large family is hierarchical with the oldest and most powerful members residing at the top of the pyramid. Address or reference forms placed members of the beehive at significant places, /sitti/ meant at the top of the pyramid, /?isteta/ a bit lower, /?isti+FN/ even lower, and first name being the lowest. As the shared household structure disappeared and newly married couples opted for separate housing, the contact between the young female and her husband's family

lessened. Consequently, the relationship became more and more distant and first name bases (FN) eventually replaced titles (T).

Respect/Power

Almost 50% of the forms (26 terms, single forms as well as compounds) are loaded with respect. Forms such as /sitti/ *grandmother*, /siidi/ *grandfather*, and derived forms such as /?isteta/ *older sister*, /?isti/ *older brother's wife*, etc., are used to address members in order to show respect and reverence and are often accompanied by plural markers of the predicate – verb or adjective (similar to the Tu/Vous distinction in French). For example, /keef Haala**kum** ya-sitti/ *How are you grandmother?*, -kum is the possessive second person plural marker.

These forms are morphologically derived from equivalent classical forms meaning master and mistress and are often used by servants to address their employers. They are non-reciprocal and age determined (the younger uses it to address the older). They indicate a one-way power relationship embodying a high level of submission, reverence and obedience.

Other forms that are not derived from /siid/ *master* or /sit/ *mistress* but which are also used to show difference and respect, although not necessarily reverence, include /?uxti/ and /?abla/ *older sister*, and /?axuuya/ and /?aabi/ *older brother* and their phonological variants. /?abla/ and /?aabi/ appeared in the speech of the 70s generation and must have been borrowed from Egypt since their appearance coincided with the introduction of television, education and travel particularly to Egypt.

It is also interesting to point out that with the shared household in the 30s and 50s the power structure had to be established and the hierarchy of the members of the family had to be identified. It was necessary then to use forms that indicate respect and power. The wife of the 30s generation, for example, addressed her husband using /siidi/ *my master*. This gave way to /ho/ for the 50s generation which is still marked + *respect* (often accompanied by the plural predicate) but less powerful and demands less obedience or submission. Today, where two people agree that the relationship is based on sharing common interests, *i.e.*, they have to indicate solidarity, power becomes less significant and solidarity replaces it. The70s and 90s wife replaced the power and superiority loaded forms with (FN). Similarly, previous forms that reflected non-reciprocal relationships are now shifting to more familiar reciprocal ones, using (FN). Where previously /siidi/ was also used to address one's oldest brother, a less powerful one /?aabi/ replaced it, which in turn is now replaced by the reciprocal form of address of first names. Likewise, where /sitti/ addressed or referred to grandmother, a less powerful form such as /sittu/ or a friendlier form of /tatta/ or /teeta/ replaced it. Although respect in the relationships still holds, the feature +/– *power* has been slowly replaced by +/– *solidarity*. /tatta/ is – *power* + *solidarity* although still respectful. Note: The /-i/ versus /-u/ forms are discussed in more details in section 33 below.

Age

Perhaps the most dominant factor that determines the choice and use of kinship terms is age, oftentimes overshadowing the actual kin relation. A three way age-graded sys-

tem seems to operate in this data; 0-5 years older than speaker, 5-10 years older, and more than 10 years older than speaker. Father's brothers are addressed differently depending on the age difference between them and the speaker. For example, /siidi/ is used to refer to the oldest uncle, /'ammi/ to the 5-10 years older than speaker uncle, and (FN) for an uncle who is of the same age or up to five years older than speaker. The same holds true for brother, sister, father's sister, brother's wife, etc. Much older brothers, for example, are also addressed by /siidi/ while relatively older ones are addressed by /?aabi/ and somewhat older or of the same age are addressed by (FN).

A general tendency observed in the data is that the use of a title alone (T), such as /'amma/ *aunt*, /xaala/ *maternal aunt*, /?isteta/ and /?uxti/ *sister* and so on, without first name usually singles out the eldest member of that kin relation, while (TFN) designates the relatively older one and the (FN) designates same age or slightly (less than five years) older. /?uxti/, for example is used to address the oldest sister, /uxti ?amiira/ is used with the relatively older sister, and /?amiira/ as first name is used with a sister who is less than five years older than speaker.

+ *Age* marked titles or compound forms often override the actual kin relationship. When /siidi/ is reserved to one's grandfather, /siidi + FN/ is used to address brother, older cousin, sister's husband, husband's father, father's brother, father's male cousin, aunt's husband, father's cousin's husband, wife's brother, wife's sister's husband, and so on, as long as these members are marked by +10 or more years older.

For the 90s generation, age as a factor seems to have lost some of its importance. The three way age-graded system is now replaced by a binary system of + *age* for much older than speaker (fifteen years or more) or – *age* for less than fifteen years older than speaker. Here again, it seems that often times power/solidarity combines with age to determine which particular kinship form applies. In the shared household of the 30s and 50s and all the way through the 70s older kin are marked by + *power* – *solidarity*, while younger kin are marked by the opposite values – *power* + *solidarity*. Thus, within the traditional hierarchical structure of these families, the feature + *age* translated into + *power* and – *solidarity*. With the advent of modern times and the loss of the traditional hierarchy of the family, the feature + *age* indicated only that, + *age*. Relatively older kin, particularly females, are often offended by the use of the age marked forms and prefer to be addressed by (FN). Modern women, seeking eternal youth, opt more often than not for + *solidarity* with the young generation and demand first name bases over titles loaded with + *age*. This covers a wide spectrum of kin relationships including maternal aunts, paternal aunts, sisters, brother's wife, uncle's wife, etc.

Endearment

Six terms in this data are governed by the feature + *endearment*. Again, they are either single forms, such as /Habiibi/ or /biibi/, both literally meaning, *my love* and /'eeni/ *my eyes*, or compounds of a basic kin form + these terms, such as /sitti Habiibi/ which literally translates to *my beloved mistress* but which is used to address or refer to father's aunt. These softer terms seem to be used to address extremely gentle and loving female members of the family. They reflect feminine characteristics and indicate ten-

derness of the heart. They also seem to reflect an age distinction since these forms do not apply to young (close to speaker) members of equivalent kin relation. A younger father's aunt is addressed or referred to by /sitti/ only rather than /sitti Habiibi/.

The terms do not combine with forms that address relatively younger kin either, such as /'ammati/ *paternal aunt,* or /'able/ *older sister.* Therefore, there are no /?abla Habiibi/ nor /'ammati 'eeni/ (/'ammati/ is younger than /'amma/). When it does combine with /'amma/ *father older sister* resulting in /'amma Habiibi/ *father oldest sister,* it is only to designate a family member who is softened with age and mellowed with kindness. These forms grant the addressee love, care and respect but not power. Although the members addressed by these forms are usually the oldest in the family, they are certainly not the most powerful and their position in the family structure does not demand submission. Interestingly enough, these combinations are never used to refer to or address males.

For most of these families, /biibi/ applies to a much older kin than /Habiibi/ and the title (T) has combined with family name + feminine marker (-a) and completely replaced (FN). For example, the linguistic form /biibi darwiish-a/ singles out in reference or address the oldest female of the House of Darwish even though the kin relationship between her and different speakers may be different (father's oldest sister, uncle's oldest sister, grandfather's oldest sister, and so on).

Proximity of Habitat

The physical environment of +/– *shared household* seems to directly influence the choice and variation of usage of kin forms. The structure of the extended family household necessitated more close relations which dictated more status oriented terms. These terms were important since they established the hierarchy within the large family which governed all interactions. It was not only important to know which kin relation a particular person is to the speaker but also crucial to know how to address him/her. Calling someone /sitti/ or /siidi/ placed them at the top of the hierarchy. This granted them ultimate decision making and the final say in family matters. The wives of older brothers, for example, who lived within the same household received the respectful title of /?isteta/ while the ones who lived outside the walls of the family compound received the phonologically reduced form /?isti + FN/ or (FN). As the household structure changed and young male members moved out of the family compound with their wives and children, less and less situations arose that demanded addressing that particular kin since they did not belong to the same hierarchy anymore.

The lack of opportunity for contact and therefore less need to create or use address forms are not necessarily limited to the extended family structure. Modern houses are built to accommodate the privacy of each member of the nuclear family so that even the closest members of the nuclear family, brother and sister, or sister and sister, have separate quarters. The women who cemented the family ties, kept the household together, and preserved tradition have suddenly exceeded their physical limits. All young girls go to school, and older unmarried sisters as well as mothers are mostly working; and group family functions are occasional. The large daily get-togethers for lunch and dinner also

disappeared making it even more difficult to meet. The shared family room is not the only one equipped with televisions or other forms of entertainment. As kin become more mobile, moving in another house in the same neighborhood, a different neighborhood, a different district, and even a different city, contact is limited to visits and family members are treated as guests rather than close kin.

As situations of contact become more scarce and the hierarchy dissolves into smaller flattened matrices of family structures, 'kin-ly' bridges previously established by the lexical form crumbled and first names replaced kinship forms particularly those loaded with respect or endearment. With less contexts where forms like /siidi/, /?aabi/, /?isteta/, /?isti +FN/ would be applicable, family members relied heavily upon (FNs) to address kin with whom there is little contact.

2. *Linguistic Variation*

Linguists have always been aware that individual language users speak one way on one occasion and other ways on other occasions and that this kind of variation occurs even within the most localized groups. Such variation, however, was ascribed to either a *dialect mixture* or random *free variation* of no significance. Close analyses, beginning with Labov (1963), revealed that complex linguistic and social factors are responsible for much of this free variation. Consequently, sociolinguists have focused mainly on linguistic variables that are classified as *markers* (see Labov 1972 for a discussion of the different classifications of linguistic variables), *i.e.*, those variables that are potent carriers of social information.

Throughout the last two to three decades, researchers interested in the linguistic variable have been mostly concerned with the phonological component of language (see Labov 1966 for New York City, Trudgill 1974, 1983 for Norwich, Macaulay 1977 for Glasgow, Milroy 1980, 1987 for Belfast, and Jahangiri 1980 for Tehrani Persian to name only a few). Few other studies have investigated variation on the morpho-synctatic level (see Shuy *et al.*, 1968, Sankoff and Vincent 1977, and Cheshire 1978 also to name only a few). What is interesting in variation studies, nevertheless, is not the linguistic variable alone but any relationship one finds between these variants and the social class to which each speaker belongs or the circumstances which bring about one variant vs. another.

In what follows, we would like to argue that lexical variation observed in the usage of kinship forms by speakers of the same social class and within the same family can also serve as potent linguistic markers that carry and deliver important social information. Analysis of data is limited – at this stage – to lexical variation for the most basic kin relationships such as sons and daughters, parents, and grandparents.

The terms for daughters and sons remained the same during the last 60 years. There are two terms /?ibni/ and /waladi/ to address *son,* and one term /binti/ to address *daughter.* These terms, *i.e.*, /waladi/ and /?ibni/ for son and /binti/ for daughter are used in variation with the most common way of using (FN) to address son and daughter. The same speaker can address son by either one of the two terms available or resort to (FN).

This is the same for daughter. The alternation between /?ibni/ and /binti/ on one hand and first name on the other may appear on first glance as a case of random free variation. Interviews with family members, however, showed the subtle differences in usage that are very rule governed. The usage of /?ibni/ and /binti/ to address one's son and daughter signifies to the addressee the nature of the relationship between the speaker and addressee (not the kin relationship since this remains constant with either variant) by placing the speaker at the top of the pyramid in the family structure and forces the addressee to acknowledge a relationship within the particular linguistic interaction based on submission to the speaker's will and wishes. The usage of (FN), however, allows the negotiation of the relationship. Although /waladi/ is derived from /wild/ or /wilaada/ giving birth, /?ibni/ is derived from /bunuuwa/ or rearing and nurturing. Parents appear to use /?ibni/ when giving advice or showing parental emotions and /waladi/ when the appeal to the kinship tie or parent-son relationship is not deemed necessary.

Different generations in the same family vary in their usage of the terms for mother, father, grandmother, and grandfather. For the30s and 50s generation, only one term is available for mother /?ummi/ and one for father /?abuuya/. The 70s generation borrowed two new terms to be used side by side with /?ummi/ and /?abuuya/; these are /maama/ and /baaba/. Here again, the use of one variant vs. another is determined by the nature of the relationship desired in the interaction. For a more traditional relationship with mother and father with all its filial obligations of obedience and submission /?ummi/ and /?abuuya/ are used, while for a relationship marked by *– power, + solidarity* /maama/ and /baaba/ are used. The borrowed forms of /maama/ and /baaba/ grant the speaker the liberty to take license with the addressee and lessens the level of expectations implied in the use of the older forms /?ummi/ and /?abuuya/. For the 90s' generation only the borrowed terms are in use. If this trend persists we are bound to witness the disappearance of /?ummi/ and /?abuuya/ in the future.

The data shows that the four generations under study within each family vary in their usage of address key kin terms to refer to grandparents. Four terms are used for grandfather, only one of them is used by all generations and that is /siidi/. The 70s generation has the added variant; /siidi baaba// *father's father* or /siidi maama/ *mother's father* to distinguish paternal from maternal grandparents. For this generation, /siidi/ accompanied by (FN) is often reserved for the brothers of grandfather. For example, /siidi musTafa/, /siidi ?aHmad/ and /siidi maHamad/ apply to brothers of /siidi baaba/. /siidi baaba/ and /siidi maama/ both disappeared from the speech of the 90s generation who derived two new kin terms for grandfather in addition to /siidi/ and these are /siidu/ and /jaddu/ (the -i versus -u variants are discussed in section 33. Linguistic Change). Similarly, in the case of grandmother the kinship term /sitti/ is used by all four generations. While /jadda 'eeni/ is used only by the 30s generation, the 70s generation uses two terms to differentiate between grandmother (father's mother) and grandmother (mother's mother). They use /sitti baaba/ for the former and /sitti maama/ for the latter. The 90s generation introduced new terms, /sittu/ and /teeta/ or /tatta/ and uses them as variants of /sitti/. /sitti baaba/ and /sitti maama/ disappeared from the speech of the 90s generation.

Bickerton (1971) and Bailey (1973) insist that variability in language can be explained if we look closely at the environments in which variation occurs. Both Bickerton and Bailey suggest that all variation in language results from changes in progress, *i.e.*, variation is the mark of linguistic change, a change that may come about due to social and environmental changes.

In this data, the observed linguistic variation may have very well been triggered by changes in the social structure that influence or determine the linguistic behavior. The 1950s-1970s are economically recognized as the Years of Abundance/Affluence 'sanawaat aT-Taffra'/. Jeddah before the 1950s was a simple fishing town that started to achieve its importance because of the development of its port. The few major families that established trade lived in the city center (consisting of one main street and a cluster of houses) surrounded by a major wall known as the /suur/ *the wall* (constituting one major compound) and intermarriage between these families was high. The nine families included are part of the within-the-wall group. Throughout the 1960s and 1970s, these families became economically powerful, they traveled abroad, married from outside the wall (often from Egypt and Lebanon but sometimes from the West), sent their children to schools abroad (again to Egypt, Lebanon or the West), and had access to the world through the visible media – the television.

The correlation between the kinship forms (the linguistic variable) and the social context cannot be ignored. For the 70s generation, newly derived as well as borrowed kinship forms existed side by side with older forms to accommodate the growing and changing society. This correlation is also evident in the last fifteen years. With increasing wealth, these same families moved into bigger accommodations (outside the walls) with separate quarters for individual members. Young married couples becoming more and more economically independent moved into their own living quarters, whether in the same compound or in separate villas. Jeddah spread out over an area of 45 kilometers from one end to another. As Jeddah moved from the small fishing town into the cosmopolitan city it is today and family structure changed from the extended shared household to the smaller nuclear families, first names replaced the lexicalized kinship forms whether titles or compound forms.

3. *Linguistic Change*

Studies of linguistic change, whether *external* in the form of borrowing between two different varieties or *internal* in the form of presence or absence of a linguistic contrast (e.g., the coalesced vowels in *week* vs. *weak*), have mostly focused on the consequences of change since change itself cannot be observed as it is happening. In this paper, we maintain that kinship forms serve as a valuable indicator of linguistic change. Kin relationships remain constant across generations, exist for both sexes and for all social classes. They can be observed across time to monitor linguistic change and the factors that may trigger it. Throughout this paper, we have shown how kinship terms observed over several generations document changes as they happen. We have cited examples of external change such as lexical borrowing of terms like /ʔabla/ *older sister* and /ʔaabi/ *older brother* as well as /baaba/ *father* and /maama/ *mother;* the latter forms slowly re-

placing the original /?abuuya/ and /?ummi/. A speech community can borrow or create particular lexical items, experiment with them, expand their original meanings to accommodate rising social distinctions, and then narrow their application or lose them completely. To accommodate the introduction of female education in the 1960s and 1970s, /?abla/ was borrowed with the meaning of female teacher. Male education existed decades before and the classical form of /?ustaaz/ or /?astaad/ is still in use today. /?abla/, however, underwent semantic extension to cover *older sister* in addition to *female teacher* and is slowly undergoing narrowing. The same group that uses /?abla/ to indicate *older sister* is using /mis/ to address *female teacher*. /?aabi/ *big brother*, on the other hand, was borrowed by the 70s generation to avoid using /siidi/, experimented with by expanding its applications to males who are relatively older than speaker, and eventually was completely replaced by first name. Similarly, /sitti maama/ and /sitti baaba/ and their male counterparts were created and used by the 70s generation only. The forms are absent from the 90s generation's stock of kinship forms.

The internal phonological change of /-i/ to /-u/ observed in forms such as /sitti/-/sittu/, /siidi/-/siidu/, /jaddi/-jaddu/, /xaali/-/xaalu/, and /ʕammi/-/ʕammu/ deserves comment. The /-u/ form observed in these affluent families coincided with the increased wealth in the 1960s and 1970s and the move into bigger houses and separate quarters. The 'kinly' bridges established by the use of the first person singular possessive /-i/ fell and a distancing /-u/ homophonous with the third person singular possessive is used instead. While /-i/ ensures group identity, /-u/ guarantees distance and individualism. It is interesting to point out that the /-u/ variant applies to kinship forms that address or refer to males (not females) who often exercise power and authority in the household. Although /sittu/ *grandmother* is the only exception to this rule, grandmothers are often the highest in the female hierarchy and exercise the same level of power as the male members of the family. The /-u/ version of these forms distances the speaker and eases off the authority and power of the addressee.

There is a certain consensus among researchers in the domain of linguistic change that it is always associated with young speakers, women or a lower working class. Age has always been of great importance as a trigger of linguistic change where younger speakers are observed to use the language differently from older speakers. Certainly, in this data, we have shown that the creation, adoption, experimentation and loss of lexicalized kinship forms are all generation bound.

As pointed out earlier, one of the most interesting changes occurring within kinship terms concerns the system of female address particularly when it is tied in to status. As social and family structures change, problems arise in knowing how to address one's mother-in-law which has often been a problem to the females in this society. In the 1930s the young bride was absorbed as a member of the husband's extended household and expected to refer to the mother-in-law as /sitti/, a term which we already explained is highly marked for power and respect. By the 1950s, with more exposure to the world through the media or travel, females began to resent addressing their in-laws as /sitti/ and /siidi/. The presence of grandchildren usually offered a way out, referring to the in-laws as /sittik/ and /siidik/ *your grandmother* and *your grandfather*, respectively. This,

however, did not solve the young female's address issue who often opted for a phonological null and waited until she has achieved eye contact.

The first generation of educated females in the 1940s and 1950s learned only to read and very few learned to write as well. Their growing self-esteem made them reject these terms which were often used by slaves in addressing their masters and mistresses. The young women refused to be equated with slaves and felt that the term /xaalti/ *mother's sister* may guarantee them some rights around their shared household. With the advent of formal education in the 1960s and 1970s, young women learned a multitude of things most important of which is their own self-worth. Accordingly, they began to assert themselves and demand respect and equal treatment. In the separate household of the 1980s and 1990s the young woman shares her life with an equal partner and his mother no longer can exert the same power of status and hierarchy. Since she is no more than a mother to her too, she uses the term /maama/ to address both her mother and his mother.

Prevalent in the data is the difference in the weight of the extra-linguistic factors that govern the usage of the lexical kinship terms over time. Clearly, a whole society which is undergoing social change is more than likely to reflect this change in the language if the language already has a complex system of address. We have already pointed out how each factor mentioned above is treated differently by the different generations over a period of 60 years. It seems that nowadays the use of title (T) or title + first name (FN) indicates inequality of power, whereas first name (FN) indicates equality and solidarity. These two factors (power and solidarity) both treated simultaneously as something to achieve and something to resist exert a considerable influence on the linguistic choices that many people make. Solidarity often entails familiarity and a high level of informality, whereas power demands submission to authority without question. We have seen the loss of power marked kinship forms and the increased use of more reciprocal informal forms corresponding to social changes over a period of sixty years and the life span of four generations.

Conclusion

In this paper, we have used a sociolinguistic framework to analyze kinship terms used by nine extended families in Jeddah, Saudi Arabia. We have shown how this formal linguistic system is sensitive to social factors such as age, sex, proximity of habitat, differential status, respect and role of participants in any linguistic interaction. The observed variation in the formal linguistic items examined here is not a function of social class (a view favored by Labov and Trudgill) as much as it is a function of the context and the goal of the participants in the interaction (most often overriding the kin relationship itself). It also appears that factors as simple as the physical environment or as complex as solidarity and intimacy or power and respect drive the choice between one variant of kin forms versus another. Changes in the linguistic system has corresponded to the social changes in Saudi Arabia and the rise of much smaller nuclear families. It remains to be seen whether this analysis can be extended to other families in Jeddah, particularly to families that did not originate within the /suur/ *wall, i.e.*, families of different social status and socioeconomic background.

References

Ayoub, M.R. (1964) Bi-polarity in Arabic Kinship Terms, *In:* **Horace Lunt** (ed.) *Proceedings of the Ninth International Congress of Linguists.* Cambridge, Mass., 1962. Janua Linguarum, Series 12. The Hague, Mouton.

Bailey, C-J. N. (1973) *Variation and Linguistic Theory,* Washington, DC: Center for Applied Linguistics.

Bickerton, D. (1971) Inherent variability and variable rules, *Foundations of Language,* **7:** 457-92.

Bloomfield, L. (1933) *Language,* New York: Henry Holt.

Cheshire, J. (1978) Present tense verbs in reading English, *In:* **Trudgill** (ed.) *Sociolinguistic Patterns in British English,* London: Edward Arnold.

Geertz, H. (1979) Moroccan kinship terms of reference, *In:* **Clifford Geertz, Hildred Geertz** and **Lawrence Rosen** (eds.) Annex A, *Meaning and Order in Moroccan Society: Three Essays in Cultural Analysis,* Cambridge, Cambridge University Press.

Goodenough, Ward, H. (1956) Componential Analysis and the Study of Meaning, *Language,* **32:** 195-216.

——— (1964) Componential Analysis of Konkama Lapp Kinship Terminology. *In:* **Ward H. Goodenough** (ed.) *Explorations in Cultural Anthropology,* New York, McGraw-Hill.

Jahangiri, N. (1980) *A Sociolinguistic Study of Tehrani Persian,* London University, Ph.D. Thesis.

Labov, W. (1963) The Social Motivation of a Sound Change, *Word,* **19:** 293-309.

——— (1966) *The Social Stratification of English in New York City,* Washington, DC, Center for Applied Linguistics.

——— (1972) *Sociolinguistic Patterns,* Philadelphia, University of Pennsylvania Press.

Macaulay, R.K.S. (1977) *Language, Social Class, and Education: A Glasgow Study,* Edinburgh, Edinburgh University Press.

Milroy, J. and **Milroy, L.** (1978) Belfast: Change and Variation in an Urban Vernacular, *In:* **P. Trudgill** (ed.) *Sociolinguistic Patterns in British English,* London, Arnold.

Milroy, L. (1980) Social Network and Language Maintenance, *In:* **A.K. Pugh, V.J. Lee** and **J. Swann** (eds.) *Language and Language Use: A Reader,* London, Heinemann.

——— (1987) *Language and Social Networks,* 2nd ed., Oxford: Basil Blackwell.

Sankoff, G. and **Vincent, D.** (1977) L'Emploi Prductif du Ne dans le Francais Parle a Montreal, *Le Francais Moderne,* **45;** 243-56.

De Saussure, F. (1959) *Course in General Linguistics,* New York, McGraw-Hill.

Shuy, R.W., Wolfram, W.A. and **Riley, W.K.** (1968) *Field Techniques in an Urban Language Study,* Washington DC, Center for Applied Linguistics.

Trudgill, P. (1974) *The Social Differentiation of English in Norwich,* Cambridge, Cambridge University Press.

——— (1983) *Sociolinguistics: An Introduction to Language and Society,* Harmondsworth, England, Penguin Books.

Yassin, M. (1975) *A Linguistic Study of Forms of Address in Kuwaiti Colloquial Arabic,* University of Leeds, Ph.D. Thesis.

——— (1977) Kinship Terms in Kuwaiti Arabic, *Anthropological Linguistics,* **19:** 126-132.

الوظائف الاجتماعية لأشكال ألفاظ القرابة في اللهجة الحجازية

صباح محمد صافي ولمياء محمد صالح باعشن

قسم اللغات الأوروبية وآدابها ، كلية الآداب والعلوم الانسانية

جامعة الملك عبدالعزيز – جدة – المملكة العربية السعودية

المستخلص . تعكس استعمالات اللغات في أي مجتمع لغوي البناء الاجتماعي والقيم الأخلاقية التي تربط أفراد هذا المجتمع ، وعلى ذلك فإن هؤلاء الأفراد يقيمون أنواعا من التركيبات اللغوية بطرق مختلفة . وجزء من الكفاءة اللغوية الاجتماعية للناطقين الأساسيين بلغة ما هو معرفة أنسب شكل لفظي يمكن استعماله في وضع اجتماعي معين . تتولى هذه الدراسة فحص القوانين اللغوية الاجتماعية التي تحكم استعمالات مفردات القرابة المتعددة في صيغة «المخاطب» وصيغة «الغائب» في التحدث مع أو عن أحد الأقرباء بين أفراد تسعة عائلات حجازية ممتدة من مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية . وسوف تظهر هذه الورقة أن صيغ القرابة تعكس ظاهرتين لغويتين أساسيتين هما التعدد والتغيير اللغوي ، إلى جانب كون هذه الصيغ محملة بمعلومات لغوية اجتماعية .

JKAU: Arts & Humanities, vol. 9, pp. 19-35 (1416 A.H. / 1996 A.D.)

John Fowles's *The French Lieutenant's Woman:* As a.Metafiction

HIND REDA JAMAL AL-LEIL
Assistant Professor, English Department,
Girls' College, Jeddah, Saudi Arabia

ABSTRACT. This research aims at the studying of metafiction as a new literary phenomenon in the contemporary world to test its validity and suitability to it through the application of its theories to John Fowles's *The French Lieutenant's Woman.* It is a satisfactory example of metafiction under the guise of a Victorian novel, which enables it to analyze the evils of that age together with the futility of its fictional conventions. In this novel, Fowles presents his theory of metafiction through his concepts of reality, history and freedom and their relations to fiction.

Introduction

As a new term, metafiction is used to describe a kind of fiction that started in the 1960s and while it has been coined recently, its practice has much older roots as it goes back to seventeenth century Spain. But William H. Gass (1924-) a contemporary American novelist and critic is the one who has recently defined it as:

> terms like 'metarhetoric' and 'metatheatre' are a reminder of what has been, since the 1960s a more general cultural interest in the problem of how human beings reflect, construct and mediate their experience of the world[(1)].

This means that the meta-art phenomenon, which characterizes the western culture in the second half of the twentieth century, and "turns its attention upon the work of art itself, is prevalent in all media and art forms"[(2)]. This reflects the importance of the meta-phenomena, that is not only restricted to fiction, but extends to envelop all fields of art and literature in the contemporary world. On facing the term of metafiction for the first time, it arouses the reader's curiousity, as no definition of it can be found even in the latest dictionaries of literary terms or any literary anthology. Moreover, the few specialized critical studies of it mark its difficulty for any researcher. Such qualifications make metafiction deserve an analytical study to define it, trace its history, introduce its con-

stituents and examine its validity and suitability to the contemporary world. This is what the present study aims at through the application of the metafictional theories to John Fowles's (1926-) *The French Lieutenant's Woman* (1969).

In 1970 Robert Scholes was one of the first to use this term, and he defines it as a fiction "about the possibilities and the impossibilities of fiction itself"[3]. Hence metafiction is an interpretation and a commentary on the process of creating fiction; it is "fiction about fiction"[4]. 'Narcissistic narrative' is another term used to describe it, but the adjective 'Narcissistic' is used here not to describe the novelist, but the narrative work itself; to imply and stress its "textual self-awareness'[5].

According to Inger Christensen in *The Meaning of Metafiction*, these definitions and others are too sweeping to mark the distinctive nature of metafiction, and they ignore what "is an essential aspect of metafiction – the novelist's message"[6]. Thus, he defines metafiction as "fiction whose primary concern is to express the novelist's vision of experience by exploring the process of its own making"[7]. If the novelist is only exercising his technical ability without conveying a certain message to his readers, one cannot consider his novel as a metafiction. To accomplish this message, the metafictionist does not only concentrate on the fundamentals of the narrative technique, but also on the important issues related to human life in general. His attitude to such fundamentals of the narrative technique is based on his views of existence; hence analyzing them will "reveal not only the writer's relation to art, but to reality as a whole"[8]. This indicates that the novelist's message is basically related to the form of his writing. The metafictionists' opinions upon the important issues of human life may differ, but this difference can only be revealed through their various attitudes to the narrative, narrator and narratee in their fictional works. One can say that "ultimately the meaning of metafiction depends on the novelist's vision of experience"[9].

Analysis

The first critical studies of metafiction were undertaken by Jean Recardou and Lucien Dallenbach in France, and Robert Scholes in America, but it was only with Robert Alter's *Partial Magic: The Novel as a self-Conscious Genre* (1975) "that the critical implications of narrative narcissism began to be confronted"[10]. He bases his study on the hypothesis that fiction is fiction, and not reality. From the Renaissance to the present time, realism has been qualified and complicated by the novelists' belief in this hypothesis. Alter's framework depends on a dialectic between fiction and reality taking Cervantes's (1547-1616) *Don Quixote* (1605 & 1615) as a basis for the realization that fiction is fiction; and then developing to trace that in the eighteenth and the twentieth century novels. It is only in the realism of the nineteenth century that the novelistic self-consciousness is lost. Alter believes that this is due to "the imaginative involvement with history"[11]. Bergonzi has a different point of view and he attributes the loss of the self-consciousness in the nineteenth-century novel to its novelists' concern with their own vision of life. They were primarily concerned with the impact of human experience on manners and morals; and they reflected the materialistic points of view of their age in their examination of man's relation to others. But in my opinion, the critic who best

articulates the exact reason of the loss of self-consciousness in the nineteenth century is Gabriel Josipovici. He asserts that the reason of the self-consciousness is the eighteenth and the twentieth-century novelists' "dominant conception of art as artifact in contrast to the nineteenth-century view of art as imitation"[12]. The victorian readers expected a representation of their daily life in any novel; and it was this strong impulse to read about daily life by ordinary people that helped to create the English novel and sustain it during the nineteenth century. Consequently and for the sake of popularity, the Victorian novelists identified themselves with their age, and were its spokesmen; and what they aspired to achieve was to present a picture of their life to amuse their readers and gain their approval.

According to Alter, Cervantes, Henry Fielding (1707-54) and Laurence Sterne (1713-68) are the first self-conscious novelists. His evidence is their usage of

> the ostentatious narrator, beginning with Cervantes' mitotic multiplication of narrators and commentators, through to Fielding's urbanly ironic contriver to the Zany Jugglers of narrative Convention in Sterne[13].

In *Tristram Shandy* (1759-67), Sterne stresses that literary conventions mean misrepresentation of reality, but without them literary product will be a "mere word-Salad"[14]. For him, the only remedy for that is to keep his readers all the time conscious of the limitations and falsity of these conventions while reading his text. Though Sterne is influenced by the self-consciousness of Cervantes and Fieldings' novels, he adds something of his own. With him self-consciousness becomes "no longer a device or a technique but a fundamental problematic both literary and philosophical"[15]. Fielding's narrators in *Joseph Andrews* (1742) and *Tom Jones* (1749) appear as "artificers in a variety of ingenious and elegantly ironic ways"[16], but with Sterne's narrator in *Tristram Shandy* "the stumbling chase of a self trying to catch its own or any experience through an act of written communication becomes the true plot of the novel"[17]. Within his text, the discussion of different kinds of critics and readers, of fictional conventions and the black and blank pages "make us aware of novel-writing as a highly complicated activity of construction with the materials of conventions'[18].

Concerning the twentieth-century self-conscious novelists, Alter claims that they do not form a school or a movement; even the influence on them from their predecessors is unclear. "Scattered over the continents they are an odd mixture"[19].

On the other hand, Linda Hutcheon starts her study of metafiction with the hypothesis that *Don Quixote* is not only the first realistic novel, but also the first self-reflective one. Her study differs from Alters' in relation to nineteenth century realism. Her framework depends on "dialectical literary progression from one kind of mimesis to another"[20]. As the narrative being a part of the novel action, Hutcheon stresses her rejection of any kind of "split between process (the story telling) and product (the story told)"[21]. While metafiction is a mimesis of process, the nineteenth century realism is a mimesis of product, and for this reason Linda Hutcheon's literary dialectic

> Rather than positing a break in novelistic self-consciousness in the last century and then a modern revival of it ... would suggest a continuum but a gradually evolving one that has logically culminated in metafiction[22].

According to her, the loss of self-consciousness in the nineteenth-century novel has paved gradually and logically the way for the emergence of metafiction.

As metafiction involves both "interpretation' and 'deconstruction'"[23], writing fiction and commenting on it, it "breaks down the distinction between 'creation' and 'criticism'"[24]. In accomplishing this, metafiction helps both novelists and critics to understand not only the main elements of fiction in a better way, but also its relation to their contemporary world as well.

> Novelists and critics alike have come to realize that a moment of crisis can also be seen as a moment of recognition: recognition that although the assumptions about the novel based on an extension of a nineteenth-century realist view of the world may no longer be viable, the novel itself is positively flourishing[25].

Moreover, metafiction exposes the reason for the instability of the novel in general as it depends in its construction on the presentation and apprehension of everyday forms of communication. There is no particular language of fiction.

> languages of memoirs journals, diaries, histories, conversational registers, legal records, journalism, documentary ... compete for privilege. They question and relativize each other to such an extent that the 'language of fiction' is always if often covertly, self-conscious ... [it is] referred to this process of relativization as the 'dialogic' potential of the novel[26].

But the realism of the eighteenth and the nineteenth centuries has not helped this 'dialogic' nature of the language of fiction to come into being. The conflict of languages is not there due to the presence of the omniscient narrator. Metafiction is against this as it "hinders the emergence of the real identity of the novel as a genre"[27].

To reach its goal, metafiction never abandons the conventions of the novel; on the contrary, it depends on them in the process of its construction. Following this strategy, metafiction indirectly encourages its readers to discover its identity by presenting to them some of the traditional conventions of the novel with which they are familiar. In other words, metafiction aspires to reach "defamiliarization" by having a "familiar base"[28]. It uses old forms to reach a new result. The techniques of nineteenth century realism and old romance, like the omniscient narrator and the final ending are there to be defamiliarized by presenting "counter-techniques to undermine [their] authority"[29], such as the multiple narrators and the alternative endings. In this way the reader can understand metafiction easily through its use of old techniques and at the same time enjoys its innovation. While it never ignores the realistic conventions, dissects and reexamines them; in addition to that it uses them as a "background against which the experimental strategies can foreground themselves"[30]. It takes as its main responsibility the establishment of a form that is "culturally relevant and comprehensible to contemporary readers"[31]. Each metafictional novel presents its individual innovation against the conventions of the novel tradition to shed light on the ultimate difference between the sense of chaos and alienation of the contemporary world, and the traditional forms of realism, which are irrelevant to contemporary experience. Metafictional writers concentrate on this attitude and strategy for they know perfectly well that "redundancy"[32] is essential for any literary text to function properly and find its place in our memory. And the only means to achieve redundancy is through the presence of such familiar conventions.

"Without redundancy texts are read and forgotten. They cannot unite to form a literary 'movement' because they exist only at the moment of reading"[(33)].

All metafictional novelists reach the conclusion that their reality is completely different from nineteenth century reality, and that the novel's realistic conventions are no longer relevant to contemporary experience. They come to believe that if fiction goes on using its traditional forms, it will die. But "far from 'dying', the novel has reached a mature recognition of its existence as writing, which can only ensure its continued viability in and relevance to a contemporary world"[(34)]. To the majority of critics, even the work of the metafictionists in the early seventies has represented the death of the novel as a genre. This negative attitude did not last long due to the fact that eventually these critics "have a name for such works. [and] labels are always comforting"[(35)]. Such labels as metafiction, self-conscious novel, self-reflective novel or narcissistic-narrative help them to assign and discuss this kind of fiction. In spite of this, the experimental metafiction has been vulnerable to criticism because of its self-reflective nature and its lack of a particular self-identity all through the different changes in the modern and contemporary world. In fact, "it is this ... openness and flexibility which has allowed the novel remarkably to survive and adapt to social change for the last 300 years"[(36)]. Critics fail to see the positiveness of self-conscious fiction, and regard it "as a form of the self-indulgence and decadence characteristic of the exhaustion of any artistic form or genre"[(37)]. Contrary to that, metafictional writers presume that the only solution to the dilemma of contemporary fiction is to create a form that "theorizes about itself"[(38)]. In this way, the genre will have its new identity and validity in a new society, whose cultural reality is no longer capable of being expressed by the old conventions of the novel. Thus, as mentioned before, metafiction shows self-consciousness not only of its own being, but also of its culture as a whole.

During the eighteenth and the nineteenth centuries novelists were blessed with a stable society to a certain extent, and they "always finally integrated into the social structure"[(39)]. However, at the beginning of the twentieth century, they couldn't attain their individuality without struggling and opposing their social institutions and conventions, and were ultimately faced with "alienation ... and mental dissolution"[(40)]. Hence while the nineteenth century novels depended on the established beliefs and values of a stable society, modern fiction of the early twentieth century had a different reaction to the loss of such beliefs and values in their actual world. Virginia Woolf (1882-1941), James Joyce (1882-1941) and others abandoned the traditional conventions. According to modernism, the plot, the chronological order, the omniscient narrator ... etc. became old fashion, but again some conventional critics and novelists of that time wrongly prophesied that this was the end of the novel.

The loss of order at the beginning of the twentieth century led modernists to search for it at a deeper level of the mind. In contemporary society, novelists are beset by greater problems and they cannot identify the objects of opposition, that confront them due to the fact that they are "more diverse and more effectively concealed or mystified"[(41)]. The only solution for them is to turn to the novel itself and to examine and dissect it in order to find out its valid relationship to reality. Thus, the self-conscious writers have a

specific attitude, and through creating novels, they believe that they are re-establishing order in their real world and creating another better reality. Consequently, it is the process of writing that is the main concern of the metafictionists. They abandon the stream of consciousness and the interior monologue, because "contemporary reflexibility implies an awareness both of language and metalanguage, of consciousness and writing" (42). Thus, though post-modernism shares some of the philosophies of modernism, yet it does not concentrate on the mind as the basis of the novel. This quick survey of the history of fiction in the last three centuries clarifies that "The permanent changes in fiction ... more often have been, and are more likely to be, modifications of sensibilities and attitudes rather than dramatic innovations in form and technique"(43).

In spite of the fact that metafiction is one form of post-modernism, nearly all the contemporary experimental novels have metafictional tendencies by explaining in one way or another the process of their creation and suspending their readers' conventional expectations. Though the anti-novel is another term used to describe contemporary experimental fiction written as a protest against fictional accepted norms, yet it is "too wide to serve as a description of metafictional works because not considerable number of novels appear as protests against established artistic norms without possessing metafictional characteristics"(44). This means that the anti-novel may deal with the making of fiction, but it is not its primary concern. John Fletcher and Malcolm Bradbury use the term "the introverted novel" to describe some of the contemporary novels of Vladimir Nabokov (1899-1977), Muriel Spark (1918-) and Gunter Grass (1922-). They differentiate between the twentieth century narrative introversion, and the self-consciousness of Cervantes and Sterne in the seventeenth and the eighteenth centuries. While the later concentrates on the autonomy of each fundamental of the narrative situation: the narrator, the narratee, the narrative ... etc...., the narrative introversion of the twentieth century draws "attention to the autonomy of the fictive structure itself"(45). But Igner Christensen, in *The Meaning of Metafiction,* thinks that these two terms are both applicable to such novels in the different centuries. Surfiction, fabulation and self-begetting novels are also different terms of self-conscious fiction. Similarly to metafiction all these terms refer to kinds of fiction that concern themselves with their own structure and language in spite of their minor distinctions. Metafiction has most of the strategies of these terms as it is

> not so much a sub-genre of the novel as a tendency within the novel which operates through exaggeration of the tensions and oppositions inherent in all novels: of frame and frame-break, of technique and counter-technique, of construction and deconstruction of illusion(46)

Though this tension is clear in most of the contemporary novels, it is the main concern of metafiction. For example, in the self-begetting novel, as "an account, usually first person, of the development of a character to the point at which he is able to take up his pen and compose the novel we have just finished reading"(47), the emphasis is on the development of the narrator and his consciousness rather than on the novel writing. Iris Murdoch's (1919-) *Under the Net* (1954), Lawrence Durrell's (1912-) *The Alexandria Quartet* (1961) and Doris Lessing's *The Golden Notebook* (1962) are good examples in proving this.

The French Lieutenant's Woman by John Fowles, the contemporary English novelist, is the first solid representative of metafiction. Fowles produces his innovation under the guise of a Victorian novel, that enables him to dissect the cruel hypocrisy and the repressed sexuality of that age as well as its fictional conventions. While Sarah Woodruff, the heroine and the woman of the title, "recalls the 'forbidden woman' of a number of Victorian novels"(48), the hero, Charles Smithson, "an upright and honourable man", is "an archetypal Victorian hero"(49). Even the minor characters, the dialogue, the plot development and the omniscient narrator are all taken from the Victorian novel in general. The hero and the heroines' struggle against their age's hypocrisy and tyranny is similar to their creator's struggle against the literary conventions of the novel to achieve a new one representing the contemporary world and not far from its realities. In *The French Lieutenant's Woman,* Fowles's theory of metafiction is manifested in his concepts of reality, freedom and history and their relation to fiction.

As the metafictional writers' goal has been to "explore a theory of fiction through the practice of writing fiction"(50), this exploration involves the studying of the relationship between fiction and reality. Metafiction stresses that uncertainty marks this relationship due to the effect of the novelist on his work in general. Since "the observer always changes the observed"(51), novelists, as human beings, cannot present an identical and objective reality. Like all metafictional writers, John Fowles is engaged with the problem on whether telling a story is telling lies, and this engagement draws him to examine the relation of fictional world to the real world. Concerning this, philosophers fall into two categories in defining the ontological status of fiction. First, "the falsity theorists, for whom fiction is clearly lies"(52). Second, "the non-referentiality theorists ... who argue that it is simply inappropriate to talk about the truth status of literary fiction"(53). Some metafictional writers adopt these attitudes, but John Fowles has created a third category by referring to fiction as "world as real as, but other than the world that is. Or was"(54). This means that metafiction is not an imitation of reality, and instead of hiding the disparity between fiction and reality, it exposes it.

Sterne's *Tristram Shandy* reveals this disparity in the characters' various ways of interpreting realities, and in their different uses of language, that give rise to endless misunderstanding. While Toby draws a map to describe exactly what has happened on the Seige of Namur, Walter, on the other hand, uses names and words to represent reality. But it is only Tristram, who knows perfectly well that the gap between fiction and reality cannot be bridged, and he accomplished this by satirizing the literary conventions. Though Sterne's attitude toward the relation between fiction and reality is identical with John Fowles and other contemporary metafictionists, yet he does not "consider his fictional world as a universe in its own right, of equal worth to that of a Supreme Creator. His fiction is a means to escape and mitigate the evils of the world, but no alternative to it"(55). The reason behind this is that while Sterne's world was stable and quiet, the metafictionists' contemporary world is marked by restlessness, instability and conflict. As a result of seeing their actual world "Crumbling around" them, they create metafiction as "an alternative and no copy of [it]"(56). Hence the construction of metafiction means a construction of different universes, and the establishment of worlds other than

the common-sense world of everyday reality. Fowles reaches a conclusion that this can only be achieved "by preventing the reader from settling into any given context and by making him or her aware of possible alternatives to this 'commonsense' reality"[57]. He is absolutely right, as this is actually what one faces in real life; infinite possibilities are always there to suggest the futility of any kind of imitation.

Modernists as well as post-modernists believe that everything, whether in life or fiction, is framed. But metafiction "foregrounds 'framing' as a problem, examining frame procedures in the construction of the real world and of novels"[58]. It tackles many questions such as what precisely a frame is and how it separates reality from fiction. The conventions of the novels are their frames, and "frames in life operate like conventions in novels: they facilitate action and involvement in a situation"[59]. Hence when we analyze frames of life, we analyze life's conventional organization. Modernism demonstrates that nothing can be finished and that life goes on, but metafiction exposes "the arbitrary nature of beginnings of boundaries", and since life and novels are constructed through frames "it is finally impossible to know where one frame ends and another begins"[60]. In other words, metafiction stresses that nothing in life or fiction is "'fluid' or 'random'"[61]. Through metafiction, "we have become aware that neither historical experiences nor literary fiction are unmediated or unprocessed"[62]. It is clear that through all the literary developments, from realism to modernism, frames are essential in all novels, but they "are explicitly laid bare in metafiction"[63], to stress that even the difference between content and form cannot be discovered without a frame. In the novels of Anthony Trollope (1815-82) and George Eliot (1819-80), there is a frame-break in having the voice of the narrator commenting and directing the actions and characters of the novel. But we cannot consider them as metafictions, because their frame-break suggests that there is a connection between the real and the fictional worlds, and that one is a continuation of the other. The frame-break of metafiction suggests the distinctness of the real and the fictional worlds, and "expose[s] the literary conventions that disguise this distinctness"[64].

The presentation of the minutest details is one aspect of the frame-break in metafiction, and John Fowles accomplishes this in *The French Lieutenant's Woman.* By having these details mentioned by his narrator to the extent of describing the small contents of the heroine's handbag, Fowles destroys the illusion of reality, and the reader cannot sustain that, what he is reading, is reality. In fact, "we can read novels only because of our suspension of disbelief"[65], and the reader usually knows that what he is reading is not reality, but he suppresses this knowledge to increase his enjoyment. But by handling fiction as a historical document, Fowles breaks our illusion of reality and opens the door of fiction. Hence "the frame-break while appearing to bridge the gap between fiction and reality, in fact lays it bare"[66].

Another aspect of the frame-break in Fowles's novel is that its narrator acknowledges that "the characters [he creates] never [exist] outside [his] own mind"[67]. Consequently, the reader becomes sure that the teller of the story is its inventor and not a recorder of events that really happen. In this way, the metafictional writer "occupies an ontological level superior to his world; by breaking the frame around his world, [he] foregrounds

his own superior reality. The metafictional gesture of frame breaking is, in other words, a form of superrealism"(68). And the reader, in his turn, finds himself reconsidering his idea of what is assumed to be reality, and at the same time will go on living in a world built out of common sense and routine. As a metafictionist, what John Fowles aspires to in *The French Lieutenant's Woman,* is that his readers will do this with a new realization of how the meaning and values of that world have been constructed and how they can be changed or challenged. Thus, this novel "aims to unsettle our convictions about the relative status of truth and fiction"(69).

A third aspect of metafictional frame-break is the presentation of alternative and untraditional endings for the same novel. As "fiction is primarily an elaborate way of pretending, and pretending is a fundamental element of play and games"(70), Fowles, like other metafictionists, makes his reader aware of his role as a player in that game; and to choose an ending for the novel is an example of that role for the reader as a player. *The French Lieutenant's Woman* has three endings; the first one is imagined by Charles Smithson, the hero, and does not belong to the actual world of the text; the other two belong to the novel's "real world, and have the same ontological status. They are mutually exclusive"(71). In one of them the hero and heroine are reunited, while in the other they are separated. The outcome of this duplicity is that "Fowles's world flickers, apalesces at precisely the point where we conventionally expect either maximum clarity and definition (a closed ending) or total opacity (an open ending)"(72). The second ending is more convincing as "it fulfils a deep narrative logic forbidding easy consoletation"(73), but it dissatisfies the reader's expectations. Peter Conradi appreciates this ending more, because it "seduces and betrays us exactly as Sarah seduces and then betrays Charles," and though, as readers, we are "disappointed ... perhaps but [we become] freer and better men(74). No one argue about the happy reconciliation as a desirable ending for any reader, but when it is unbelievable or unsuitable to the whole design of the novel, and when it does not correspond or respect its readers' minds, it becomes undesirable and disgusting. Hence, what determines the effectiveness of any ending is its ability to educate and change its readers into better human beings with enlighted minds and refine feelings. And according to me, this is what John Fowles has accomplished in this ending of his novel.

Human freedom poses a problem for all metafictionists including Fowles; and his preoccupation with it is clear in his theory of fiction to the extent of "retain[ing] modified forms of realism"(75). What interests Fowles in presenting three alternative endings for *The French Lieutenant's Woman,* is how they are related to his enjoyment of the idea of freedom. By doing that, he determines "to establish his right not to satisfy the expectations that his use of Victorian conventions has raised"(76). Though he presents his readers with three endings, yet he believes that life has an infinity of possible endings.

Fowles's exploration of the idea of freedom is accompanied by his assumption that characters in fiction cannot be free. According to him, the pretence of the novelists that their characters are free is just a game, because every novelists is still the God of his universe, but "what has changed is that [they] are no longer the Gods of the victorian

image ..., with freedom [their] first principle, not authority"[77]. In spite of Fowles's acknowledgement that his characters cannot be free, because they are trapped within his text, he believes that they are free to be reconstructed in other people's imagination or texts. In *The French Lieutenant's Woman,* Fowles adopts both the realistic and Victorian conventions, and he has two choices of mystification and revelation, but his characters do not have this choice especially those who are labelled and defined. For example, Charles Smithson," the dilettante palaeontologist and leisured aristocratic hero"[78], is led by Sarah Woodruff, the heroine, to a recognition that "each minute requires a fresh choice, a new direction"[79]. It is a difficult lesson for such a passive personality like Charles, who is "trapped within both the script of history and the script of the fiction we are reading"[80]. Though the characters of the novel enjoy different degrees of freedom, yet Charles, the hero,

> moves between the pole of unfreedom represented by the public and fixed subjection ... to historical values on the one hand, and the pole of freedom, suggested by the secret but equally fixed 'autonomy' of Sarah, on the other[81].

But, in my opinion, his passivity determines his actions and reactions to those around him especially Sarah, who, in a moment of frustration, runs away from him.

The third-person narrative with the first-person intrusion gives Fowles more freedom within the historical context of *The French Lieutenant's Woman* than the first-person narrative, with which he begins his novel. In spite of its "omniscient ... [and] nondemocratic nature[82], right from the first chapter, the narrator establishes a strong relation with his reader by using the pronoun " I & you' without mentioning any other human personality. his "voice is the book's true hero"[83]. In such third-person/first person narrative, the fictional world is suddenly broken by the narrator who is in fact from a different world. For example, though they belong to different ontological levels, and in spite of the narrator's acknowledgement that he is "working in the age of Alain Robbe Grillet and Ronald Barth ... the theoriticians of the nouveau Roman"[84], yet in chapter fifty-five the narrator and Charles Smithson, the hero of the novel, share the same compartment on a train journey. This confrontation between the author and his characters is "a topos of postmodernist writing: the topos of the face to face interview"[85], and it may be either pronounced or muted. The muted confrontation is presented in *The French Lieutenant's Woman* when the self-conscious narrator, on looking at his protagonist during that train journey "wonders how he should dispose of the poor fellow as he weighs the conventions of the Victorian novel, which he is recreating against the critical strictures of the French New Novelists"[86].

Moreover, Fowles, as a narrator, breaks the illusion by intruding his views as a twentieth century individual in a text representing the nineteenth century. For example, he declares that "Charles called himself a Darwinist, and yet he had not really understood Darwin. But then, nor had Darwin"[87]. Another example is when Charles, after making love with Sarah, is described as "a city struck out of a quiet sky by an atom bomb"[88], though the atom bomb has not yet been invented. Hence in *The French Lieutenant's Woman,* "many of effects play on the gap between historical explanation and secrecy, with the folly of narrative wisdom itself on display"[89], and finally the "the effect is a

startling mixture of prospect and retrospect"[90]. Even the landscape of Lyme Regis, Dorset, the setting of the novel, is described as viewed from the air, in spite of the fact that the usage of aircraft is confined to the twentieth century. In addition to that, Lyme's evenings are characterized by the absence of television and cinema. This means that Fowles's novel "practices another form of self-flaunting creative anachronism in its allusions to various twentieth-century refrents: ... but ... the narrator, being our contemporary is perfectly justified in making such allusions"[91]. But the illusion is completely shattered when Fowles refers to twentieth-century personalities in his nineteenth-century text. For example Charles Smithson works in the same library with Karl Marx, and Sarah Woodruff lives with the Rossettis. In this way, "the fictional characters ... are given the same ontological status as the 'real' characters [and] the 'real' characters who exist or existed are fictionalized"[92]. In my estimation, the first person intrusion of his twentieth-century perspective, the confrontation between him as a narrator and his character within the text, and the reference to the twentieth-century real personalities in a nineteenth-century text are the most prominent achievements of Fowles's *The French Lieutenant's Woman.* Readers of traditional novels are shocked by them, but the amusement and enjoyment they get out of experiencing them for the first time surpass their shock.

Being oriented by the contemporary French theories, but having the gifts of a historical novelist, leads Fowles to write *The French Lieutenant's Woman* as a parody of a historical novel set in the Victorian period, only to stress his objection to it by "ironizing and exposing its conventions"[93]. The historian usually takes his readers to a past world without referring to his own contemporary perspective in his text, but Fowles, both as a historian and metafictionist, violates this rule. As a result, "the research necessary for historical fiction is laid bare by extensive quotations from sources, rather than being invisibly woven into the narrative"[94]. In spite of that, one should not ignore the fact that Fowles relies on epigraphs at the beginning of each chapter in his novel to show his knowledge of the Victorians keeping in mind that such epigraphs are a true comment on the age from its ow perspective. These multiple perspectives, his own and others prove that he knows the Victorians in a way which they could not possibly know themselves. The setting of the novel in time is 1867, eight years after the publication of Darwin's (1809-82) *Origin of Species (1859).* This allows the hero, Charles Smithson, to be identified with the revolutionary theory. He analyzes his society depending on this theory, and accordingly finds out that the class of gentlemen, to which he himself belongs, is in danger because of the development of science and trade.

Through the character of the heroine, Sarah Woodruff, the theme of history and freedom is thoroughly explored. She presents "Fowles's philosophy of freedom and fiction. She is 'mythical': she stands outside 'history' and outside fiction ... But she achieves this condition in the novel through deliberate artifice"[95]. She introduces herself to others as an outcast: – 'a fallen Woman' – in order to be outside conventional Victorian society, but, in fact, she is a virgin. She is similar to Fowles, who achieves fictional freedom by being outside, and at the same time exploiting the conventions of Victorian realism. In spite of the fact that Fowles admits that "she is possibly an aspect of his psy-

chic creativity, his anima, yet it is in the presentation of Sarah that Fowles, perhaps unintentionally, violates his own principles of freedom"[96]. This exactly corresponds to Carl Jung's (1875-1961) psychological theory; Sarah is Fowles's anima, his female consciousness, his shadow, the dark depth of his unconscious, which violates his being at certain moments. To mark the relation of fictional possession and fictional freedom, Fowles asserts that Sarah's character has haunted him; and one can say that she possesses him while he is unconscious just as he possesses her while he is conscious.

Mystery surrounds Sarah as the reader cannot enter her mind, and is not permitted to read her thoughts. Fowles, as a narrator of his novel, does not allow her voice to be heard through his own. Sarah "is a figure signifying the postmodern future and the defeat of systematic thought"[97]. While other characters in the novel are defined and known like Charles Smithson, Ernestina Freeman and Mrs. Poulteney, Sarah's "resistence to interpretation is connected .. with her capacity to educate"[98]. According to her presentation in the novel, our reaction to Sarah is confused, because she is not only 'a fallen woman' of the Victorian novel, but also a victim of the social forces and pressures which are exposed and dissected by the contemporary perspective of John Fowles. Poor but educated, Sarah is taken under the patronage of the rich, pious but domineering Mrs. Poulteney after leaving her job as a governess due to her scandal with the French soldier. Having no friends makes her choose Charles as her confidant, and she confesses to him how she has lost her virtue in her relation with that soldier. But even this consolation of Charles's friendship is not allowed by Mrs.. Poulteney, who eventually dismisses her from her household.

As Charles characterizes the only help for her, Sarah manipulates him, and this is clear in her preparations for his visit to her in Exeter. The buying of a new nightgown and a bandage of the seemingly sprained ankle is a good evidence. Dr. Gorgan warns Charles by referring to her as "mentally diseased"[99]. Gorgan's judgement of Sarah is based on the opinion of Lyme Regis society, but the modern reader, similarly to the author, can explain her condition as a result of her "social powerlessness"[100] depending in that on the studies of Darwin and Freud. Her hysterical behaviour gives her a kind of control over her fate, but places her out of the moral sphere of the Victorian world. She becomes "the author of her own life. The lies that she tells Charles may be seen as necessary fictions, embodying truths if not conveying facts"[101]. Later on, when Charles visits her at Endicott Family Hotel in Exeter and they make love, he is shocked to discover that she is still a virgin. This revelation marks the climax of the novel, that fixes Sarah as a "tricksterfigure, deliberately deceiving, confusing, seductive ... existing necessarily in a state of 'alienation'"[102]. After seducing Charles, Sarah disappears, and consequently Charles's social position is destroyed by this seduction and the breaking of his engagement to the rich Ernestina Freeman. A few years later, he finds Sarah together with their baby-girl. Now she is no longer 'the fallen woman' of the Victorian age; she is a respectable member of the Rosetti household, "the New Woman, in dress, attitudes and independence"[103]. She has been helped to be so by people "who distance themselves successfully from the social conventions of their time"[104].

Conclusion

Finally, by reference to its few critical studies, metafiction can be regarded as the novel of the future, that theorizes about itself while being written to convey not only its technical innovations but its writer's message as well. Consequently, it is of great help to its readers to understand both the main constituents of fiction and the realities of contemporary world, to which the nineteenth century fictional conventions are no longer relevant. In achieving this, metafiction has an original strategy, it never abandons the old conventions of the novel, but it depends on them to establish its innovations. It dissects and re-examines them to prove their uselessness in expressing the sense of chaos and alienation of the contemporary world. In spite of all its merits, metafiction is met with harsh critical reactions, that anticipate it as a step towards the death of the novel as a genre. Its self-reflectiveness together with its lack of a particular self-identity all through the different changes in the contemporary world help to create such negative critical reactions. In fact, metafictionists prove that theorizing about itself is the only outlet for the novel out of its dilemma in the second half of the twentieth century. The loss of order, the sense of loneliness and alienation and the human struggle in their actual world make the writing of novels, for them, a means to re-establish order and to recreate other better realities.

By the application of the metafictional theories to John Fowles's *The French Lieutenant's Woman,* this study proves that it is a satisfactory example of metafiction as it produces its innovations under the guise of a Victorian novel. Through it, Fowles explores his concepts of reality, freedom and history and their relations to fiction. This metafictional novel successfully exposes the difference between fiction and reality by breaking its frames and laying them bare. Moreover, it is clear that in *The French Lieutenant's Woman,* Fowles enjoys a considerable amount of freedom as a metafictionist. The first-person intrusion and the alternative endings prove that. Having the gifts of a historical novelist, leads Fowles to write *The French Lieutenant's Woman* as a parody of a historical novel set in the Victorian period to express his objection to it by exposing its conventions. Fowles violates the rule of historical writing by inserting his own contemporary perspective within it. Through his heroine, Sarah Woodruff, the theme of history and freedom is thoroughly explored. She signifies the new woman of the contemporary world, who can overcome her status as a victim of social forces and pressures. Her hysterical behaviour and lies give her a kind of control over her fate in spite of the fact that they place her outside the normal sphere of the Victorian world. Finally, she succeeds in becoming a respectable independent member in a new social surrounding, where the useless social conventions of that period are discarded.

In addition, this study proves that metafiction effectively succeeds in changing the conventional roles of writers and readers, as they no longer entertain their former traditional functions in fictional creation. While the reader is "the one who extracts, invents, creates a meaning and an order for the people in fiction," the writer "stands[s] on equal footing with [his] readers in their efforts ... to give sense to the fiction of life"(105). Consequently, such contemporary readers, who miss the conversation with someone else in their actual life, will eventually satisfy this need by the enjoyment of reading

metafiction; and in this way, one can prophesy that metafiction will gain more popularity in the future. Thus

> This form of fiction is worth studying not only because of its contemporary emergence but also because of the insights it offers into both the representational nature of all fiction and the literary history of the novel as genre. By studying metafiction, one is, in effect, studying that which gives the novel its identity[106].

Notes

1. **Patricia Waugh,** *Metafiction: The Theory and Practice of Self-Conscious Fiction,* London: Routledge, (1988), p. 2.
2. **Inger Christensen,** *The Meaning of Metafiction,* Bergen,Universitets Forlaget, (1983), p. 9.
3. **Robert Scholes,** The Fictional Criticism of the Future, *Triquarterly,* XXXIV: 237, 1975.
4,5. **Linda Hutcheon,** *Narcissistic Narrative: The Metafictional Paradox,* London, Methuen, (1985), p. 1.
6. **Inger, Christensen,** *op. cit.,* p. 10.
7. *Ibid.,* p. 151.
8, 9. *Ibid.,* p. 14.
10. **Linda Hutcheon,** *op. cit.,* p. 4.
11. **Robert Alter,** *Partial Magic: The Novel as a self-Conscious Genre,* Berkeley, University of California Press, (1978), p. 89.
12. **Gabriel Josipovici,** *The World and the Book: A Study of Modern Fiction,* London, (1971), p. 289.
13. **Robert Alter,** *op. cit.,* p. 30.
14. *Ibid.,* p. 33.
15-18. *Ibid.,* p. 40.
19. . *Ibid.,* p. 219.
20-22. **Linda Hutcheon,** *op. cit.,* p. 5.
23,24. **Patricia Waugh,** *op. cit.,* p. 6.
25. *Ibid.,* p. 9.
26. *Ibid.,* p. 5.
27. *Ibid.,* p. 6.
28,29 *Ibid.,* p. 13.
30,31. *Ibid.,* p. 18.
32,33. *Ibid.,* p. 12.
34. *Ibid.,* p. 19.
35. **Linda Hutcheon,** *op. cit.,* p. 2.
36,37. **Patricia Waugh,** *op. cit.,* p. 9.
38-41. *Ibid.,* p. 10.
42. *Ibid.,* p. 24.
43. Interview with John Barth in Joe David Bellamy, *The New Fiction: Interviews with Innovative American Writers,* Chicago, University of Illinois Press, (1978) p. 2.
44. **Iger Christensen,** *op. cit.,* p. 10.
45. **John Fletcher** and **Malcolm Bradbury** (ed.), The Introverted Novel, *Modernism 1890-1930,* Harmondsworth; (1976), p. 395.
46. **Patricia Waugh,** *op. cit.,* p. 14.
47. **Steven G. Kellman,** *The Self-Begetting Novel,* New York, Columbia University Press, (1980), p. 3.
48,49. **Marguerite Alexander,** *Flights from Realism,* London, Edward Arnold, (1990), p. 128.
50. **Patricia Waugh,** *op. cit.,* p. 2.
51. *Ibid.,* p. 3.
52,53. *Ibid.,* p. 90.
54. **John Fowles,** *The French Lieutenant's Woman,* London, Trial Panther, (1985), p. 86.
55,56. **Inger Christensen,** *op. cit.,* p. 155.
57. **Patricia Waugh,** *op. cit.,* p. 90.
58. *Ibid.,* p. 28.

59. *Ibid.*, p. 30.
60. *Ibid.*, p. 29.
61-63. *Ibid.*, p. 30.
64. *Ibid.*, p. 32.
65,66. *Ibid.*, p. 33.
67. *The French Lieutenant's Woman* (FLW), p. 85.
68. **Brian Mc.Hale,** *Postmodernist Fiction,* London: Methuen, (1987), p. 197.
69,70. **Patricia Waugh,** *op. cit.*, p. 34.
71,72. **Brian McHale,** *op. cit.*, p. 110.
73. **Peter Conradi,** *Contemporary Writers: John Fowles*, London, Methuen, (1983), p. 67.
74. *Ibid.*, p. 68.
75,76. **Marguerite Alexander, p. 131.**
77. The French Lieutenant's Woman (FLW), p. 86.
78-80. **Patricia Waugh,** *op. cit.*, p. 124.
81. **Peter Conradi,** *op. cit.*, p. 73.
82. *Ibid.*, p. 68.
83. *Ibid.*, p. 67.
84. *The French Lieutenant's Woman* (FLW), p. 85.
85. **Brian McHale,** *op. cit.*, p. 213.
86. **Robert Alter,** *op. cit.*, p. XIII.
87. The French Lieutenant's Woman (FLW), p. 47.
88. *Ibid.*, p. 305.
89. **Peter Conradi,** *op. cit.*, p. 72.
90. *Ibid.*, p. 74.
91. **Brian McHale,** *op. cit.*, p. 93-94.
92. **Alison Lee,** *Realism and Power: Postmodern British Fiction*, London, Routledge, (1990), p. 46.
93. **Marguerite Alexander,** *op. cit.*, p. 127.
94. *Ibid.*, p. 128.
95. **Patricia Waugh,** *op. cit.*, p. 125.
96. *Ibid.*, p. 126.
97. **Edmund J. Smyth,** *Postmodernism and Contemporary Fiction*, London, Batsford, (1991), p. 146.
98. **Peter Conradi,** *op. cit.*, p. 64.
99. *The French Lieutenant's Woman* (FLW), p. 196.
100. **Marguerite Alexander,** *op. cit.*, p. 130.
101. *Ibid.*, p. 132.
102. **Patricia Waugh,** *op. cit.*, p. 126.
103,104. **Marguerite Alexander,** *op. cit.*, p. 132.
105. **Raymond Federman** (ed.), *Surfiction: Fiction Now and Tomorrow*, Chicago, The Swallow Press, (1975), p. 14.
106. **Patricia Waugh,** *op. cit.*, p. 5.

References

Fowles, J., *The French Lieutenant's Woman*, London, Trial Panther, 1985.

Alexander, M., *Flights from Realism*, London, Edward Arnold, 1990.

Alter, R., *Partial Magic: The Novel as a Self-conscious Genre*, Berkeley, University of California Press, 1978.

Bellamy, J., *The New Fiction: Interviews with Innovative American Writers*, Chicagos, University of Illinois Press, 1978.

Conradi, P., *Contemporary Writers: John Fowles*, London, Methuen, 1983.

Christensen, I., *The Meaning of Metafiction*, Bergen, Universitets Forlaget, 1983.

Federman, R., (ed.) *Surfiction: Fiction Now and Tomorrow*, Chicago, The Swallow Press, 1975.

Fletcher, J. and **Bradbury, M.,** The introverted novel, *In:* **Malcolm Bradbury** and **James McFarlance** (ed.), *Modernism 1890-1930*, Harmondsworth, 1976.

Hutcheon, L., *Narcissistic Narrative: The Metafictional Paradox*, London, Methuen, 1985.
Josipovici, B., *The World and The Book: A Study of Modern Fiction*, London, 1971.
Kellman, S., *The Self-Begetting Novel*, New York, Columbia University Press, 1980.
Lee, A., *Realism and Power: Postmodern British Fiction*, London, Routledge, 1990.
McHale, B., *Postmodernist Fiction*, London, Methuen, 1987.
Scholes Robert, The Fictional Criticism of The Future, *Triquarterly* XXXIV, 1975.
Smith, E., *Postmodernism and Contemporary Fiction*, London, Batsford, 1991.
Waugh, P., *Metafiction: The Theory and Practice of Self-Conscious Fiction*, London, Routledge. 1088.

إمرأة الملازم الفرنسي « چون فاولز » :
كنموذج لما وراء الرواية

هند رضا جمل الليل

أستاذ مساعد الأدب الإنجليزي ، قسم اللغة الإنجليزية
كلية التربية للبنات بجدة ، الأقسام الأدبية

المستخلص . يهدف هذا البحث إلى دراسة «ما وراء الرواية» كظاهرة أدبية حديثة في العالم المعاصر لاختبار مدى فعاليتها وملائمتها لهذا العصر من خلال تطبيق نظريات هذه الظاهرة على رواية *إمرأة الملازم الفرنسي* لجون فاولز ، والتي تعتبر نموذجا مثاليا لما وراء الرواية فهي تقدم تجديداتها تحت ستار الرواية الفكتورية ، مما مكنها من تحليل شرور ذلك العصر وعدم جدوى تقاليده الروائية في عالمنا الحاضر . وفي هذه الرواية أيضا يقدم فاولز نظريته حول ما وراء الرواية من خلال مفهومه للحقيقة والتأريخ والحرية وعلاقتهم جميعا بالرواية .

JKAU: Arts & Humanities, vol. 9, pp. 37-65 (1416 A.H. / 1996 A.D.)

The Representation of Islam in E.M. Forster's *A Passage to India*

Omar Abdullah Bagabas
Department of European Languages & Literature, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

Abstract. The paper attempts to trace the ways Islam is represented in Forster's *A Passage to India* to see whether Forster's method of representation is in conformity with preconceived ideas that portray Islam in a negative light or there is an attempt to depart from the norm. The paper argues that Islam, as it existed in India under British rule, is more represented as a culture, required to give individuals a sense of social belonging, rather than a religion that such individuals are bound to practice. The ways Forster deals with various Islamic practices, such as the veil, reveal his views of Islam. He sees the veil as a social convention rather than a religious obligation. He also regards other practices as remnants of the past that do not fit into the present, and for that Aziz eventually has to reject the practicality of Islam. While the novelist traces the fading phases of a practical religion reflected in the diffusion of its adhan and in Forster's imposition of a secular stand, the paper argues that, contrary to Forster's expectation that Islam is dying out, it is becoming more forceful due to the current spirit of revival. The West has to deal with Islam now in a way that differs from the past. That will require a faithful look at methods of representation of Islam by Muslims themselves first and Westerners too. The paper therefore sees correct representation of Islam as one of the means to remove misconceptions, eliminate threat and build bridges of communication between Islam and the West.

Introduction

This paper attempts to shed light on E.M. Forster's conception of Islam in *A Passage to India*. It seeks to trace the different ways Islam is represented as part of a culture and as a religion. Culture in this case refers to the pattern of life within the Indian community[1]. It comprises systems of shared ideas, concepts, rules and meanings[2]. The objective behind the exploration of the above is to see whether Forster's representation of Islam is in conformity with stereotypical notions and preconceived ideas which can be traced to the medieval polemic tradition or whether his conceptions show a divorce from the norm and an earnest attempt to understand Islam in a new light away from the prevalent

spirit of hostility and prejudice rooted in crusading literature and the epic romances, when "epic poetry ... from *The Song of Roland* down to the fifteenth century (was) the happy hunting-ground for Saracen"[3]. Of equal importance to this paper is the contrast made between Forster's views of Islam and the current situation as far as the relationship between Islam and the West stands. The paper addresses a wide range of issues related to certain Islamic practices covering Forster's views of the purdah or the veil, the *adhan,* i.e., the call to prayer, the *Shahada,* i.e., the declaration of faith and the building of tombs outside mosques though the latter is considered as a Muslims' mispractice. This naturally leads us to talk about some of the Mogul emperors mentioned in the novel and their role in spreading Islam and what kind of Islam they encouraged people to follow.

Before we delve into Forster's views of Islam, it may be appropriate to allude briefly to some of the historical factors which were directly responsible for the creating of unfavourable images about Islam. The conflict between Islam and Christianity, the Crusades and millenarianism[4] are among the factors which led to the association of Muslims with anti-Christian activities, devilish practices and demonically-inspired crimes against Christians. Ever since the rise of Islam, the expansion of Islamic conquests and the annexation of more territories at the expense of losing the glory of the "heavenly thrones" (Byron's *The Giaour,* 64)[5] had a bearing on the formation of negative pictures of Islam as a militant and an aggressive religion associated with a darkness which "has dawned in the East" (Shelley's *Hellas,* 1023)[6] and caused the degradation of the Christian West, which saw in the infidels' occupation of Jerusalem the most frustrating and disturbing element of Islam's rapid advance. Consequently, writers like Tasso and Ariosto felt the need to call on Christian princes to unite their powers to confront the aggressive nature of the 'Saracens'. In their call for unity, the above writers of Crusade literature appealed to the emotions and aroused the sentiments. Ariosto, for example, in *Orlando Furioso*[7] writes that "Christians now, to their undying shame, /Leave (Jerusalem) in the hands of pagans of ill fame" (XVII, 73, 7-8). In stanza 75, the Christians are severely reproached in the following lines:

> Why do you leave in dire captivity
> Jerusalem, by infidels polluted?
> Why do you let the unclean Turk command
> Constantinople and the Holy Land?
>
> (5-8)

The first Muslim attack on Constantinople was in 668 A.D., after the Arabs overran Asia Minor from Tarus to Bosphorus. By 711, Arabs had already advanced through Spain. The Roman Catholic Church was aware of the increasing power of the sole enemy of Christendom from the time of its rise, and more precisely "from the death of the prophet in 632 to the collapse of the last Ottoman offensive before Vienna in 1632". Thus M.W. Baldwin concludes that "for nearly a thousand years ... Christendom, or at least important sections of it, was forced to deal with the menace of a hostile Islamic world"[8]. Can those thousand years like the *Thousand Nights* be sent into oblivion *or* are they to remain fresh in the Western mind even until modern times? Before we seek to

answer this question, we need to investigate the various methods employed by Forster in representing Islam.

Symbols of Islam: Mosque & Purdah

The first contact we have with Islam in the novel is through one of its most and powerful symbols of greatness: the mosque. It provides Aziz with a sense of tradition and an ancient past and accounts for a feeling of security and strength inside a place of worship that offers him more than just a shelter and a rest from physical fatigue. A contrast is drawn between the effects of the mosque and a temple on Aziz:

> The temple of another creed, Hindu, Christian, or Greek, would have bored him and failed to awaken his sense of beauty. Here was Islam, his own country, more than a Faith, more than a battlecry, more, much more ... Islam, an attitude towards life both exquisite and durable, where his body and his thoughts found their home (p. 20)[9].

Thus Aziz finds himself placed in a natural environment that gives rise to cultural strength and turns upside down the position of the weak. What we see in the scene is a reversal in the scale of the relationship between the superior and inferior, the strong and the weak, the oppressor and oppressed. Aziz ascends to fill the space of the strong while the Westerner is relegated to take up the lot of the defenceless under the authority and hegemony of the appropriator of the role of the powerful. The harmony he experiences should be contrasted with Mrs. Moore's initial sense of dislocation inside a place from which she is naturally excluded just as Indians are not permitted into the club where they do not belong. The mosque sets up a boundary, a demarcation with segregates people of different cultures just as the purdah lowers down a partition between what is permissible and not permissible to be seen. When Aziz shows Fielding his dead wife's photograph, he removes the physical purdah that creates a barrier toward understanding and creation of mutual brotherly affection. It is an attempt to bridge gaps, establish friendly ties and become intimate with Fielding. Aziz's belief in the purdah is shattered when he relates its necessity or application to a social convention rather than a religious obligation.

According to Aziz, "as soon as one behaves as (a brother) he may see (his) wife (p. 114) and consequently the purdah will have to be dropped. Fielding's gaze into the photograph symbolizes the destruction of a barrier that sets the European aside from a private scene into which he has no right to intrude[10]. Aziz allows him to enter, if not trespass, into that region which excludes aliens. Aziz demolishes the distance between the private and the public[11] and by showing the photograph to Fielding, the distinction that Islam sets up between the two through the creation of the veil or purdah is demolished. What breaks down that barrier or obstacle between what can and what can not be viewed is Aziz's justification that brothers in Islam are allowed to see Maharem[12], *i.e.*, relatives who are not excluded behind the purdah but permitted to see ladies as they normally appear without the restrictions of Hijab. His interpretation of the word 'brother' is not in the literal Qur'anic sense but is motivated by bitter feelings of disappointments over what colonial authority has created. The feelings of racial discrimination and the artificial classifications among ruler and ruled and the psychological imbalance and frus-

tration that follow make it almost impossible for any friendly ties to be established[13]. While the purdah is a religious institution that isolates two opposed worlds from each other, a similar partition or veil is constructed mentally to separate people of different cultures from each other. The differences which exist in the social system of stratification invented by British authority widen the gaps between colonizer and colonized and make an attempt at a reconciliation or an achievement of an understanding an impossibility. This becomes the most difficult of all 'purdahs' to knock down. Aziz's purdah is easily done away with in the presence of a brother whether in terms of blood relations enumerated in the *Qur'an* as close relatives in front of whom purdah is no longer needed or in the broad sense of a brother who feels for others and shares their miseries. Out of nostalgic feelings for the destruction of the artificial differences which colonial authority has created as this is evidenced in discriminations among various classes in Indian society that the British have imposed, Aziz breaks down what is more accessible and close at hand. His destruction of the Islamic tradition comes to symbolize a hidden frustrating desire to demolish an impregnable system that sets boundaries and thwarts attempts at communication. While the purdah symbolizes the rigidity of Islam for Aziz, he comes to link it later on with anything that frustrates liberation and hampers the creation of an independent nation. In Mau, where Aziz manages to "escape from the English" (p. 288), he thinks about the topic for his future poems:

> Oriental womanhood. 'The purdah must go' was their burden, 'or we shall never be free.' And he declared (fantastically) that India would not have been conquered if women as well as men had fought at Plassey. 'But we do not show our women to the foreigner' - (p. 289).

The victory of Plassey in 1757 laid the foundation of British supremacy in India. If women had participated in the battle, the British would not have conquered India. Thus Aziz sees independence and an assertion of power demonstrated in throwing away the yoke of servitude to the West in terms of rebelling against rigid and binding religious traditions that hinder movement, thwart change and impede progress. While Fielding can travel light, Aziz "himself was rooted in society and Islam. He belonged to a tradition which bound him" (p. 118). He has to conform to certain social norms and among them are arranged Islamic marriages[14]. Though Aziz (was)

> touched by Western feelings, he disliked union with a woman whom he had never seen; moreover, when he did see her, she disappointed him, and he begat his first child in mere bestiality. The change began after its birth. He was won by her love for him, by a loyalty that implied something more than submission, and by her efforts to educate herself against that lifting of the purdah that would come in the next generation if not in theirs (p. 55).

This is a stereotypical image of a submissive, naive and conservative woman in Islam who resists change and fights against modernity and what it may bring at the expense of losing the Islamic dress and all the goodness it means to an obedient and religious lady once exposed out of the safe shelter, the protected harbour of the veil. But as the quotation stresses, social change is bound to win over conservatism. But that does not necessarily mean that it will happen. While the veil is considered as a religious obligation, Forster presents it more as a social convention. It is a remnant of the past that gives Aziz a dosage of spiritual uplifting reflected in the kind of poetry he recites and the great Islamic history with all its heroic and splendid achievements that he reminisces over.

While the themes which Aziz prefers for his poetry are "the decay of Islam and the brevity of love" (p. 16), we see Aziz revolting against the traditional role of literature in Islamic society because the kind of poetry he recites is sentimental and it confirms the weakness of Muslims who can only indulge in past memories to escape from painful present realities and possibly the "culturally collusive present" of Bhabha (*LOC*, p. 9). When Aziz recites Ghalib in the company of his friends who come to visit him when he is shamming, the congregation is "overwhelmed by its pathos; pathos, they agreed, is the highest quality in art". Forster's ironic remark that "a poem should touch the hearer with a sense of his own weakness, and should institute some comparison between mankind and flowers" (p. 102) comments on the traditional role of poetry in Islamic culture where poets are inclined to divorce themselves from present decadence by too much immersion into the ancient past. The romantic world of 'bulbuls' (*i.e.*, nightingale) and the emotional language of lofty poetry "voiced (Muslims') loneliness nevertheless, our isolation, our need for the Friend who never comes yet is not entirely disproved" (p. 103). When Aziz is confronted with the bitter present reality of suffering racial discrimination in the trial, he changes his view of what role poetry should play in people's lives. After his acquittal, he medidates over the kind of language that he will choose to fit the new vein of poetry he intends to write. Thus

> He vowed to see more Indians who were not Mohammedans, and never to look backward. It is the only healthy course. Of what help, in this latitude and hour, are the glories of Cordova and Samarcand? They have gone, and while we lament them the English occupy Delhi and exclude us from East Africa. Islam itself, though true, throws cross-light over the path of freedom. The song of the future must transcend creed (p. 261).

In the light of the quotation above, Islam is represented as a religion that looks back at past glories while failing to cope with the present. In his earnest attempt to relate to the contemporary scene where he feels that he has been marginalized because his Islamic thoughts lead only to the past that he must free himself from, Aziz turns to the current issues that poetry must handle if it is to play a decisive role in the present. Islam cannot endow Aziz with a spirit that allows him to find a fitting role in the modern scene. He therefore rejects it as a religion in that it does not harmonize with the present. He may not reject it as part of a culture, but in its removal from the arena of contemporary affairs, Islam as a religion is kept within the premises of the mosque were Aziz first experienced cultural strength and exercised hegemony in his confrontation with Mrs. More. According to Forster, Islam has lost vitality and appeal beyond the prayer-mat and ablution tank. For that Aziz rebels and seeks to liberate himself from it. He also rebels against the veil that must be done away with for the same reason. It belongs to a tradition that finds itself out of tune with modern times. It is interesting that Hamidullah's suggestion of a topic for a poem comes immediately and in the same chapter where Aziz revolts against the traditional role of poetry as if a rebellion against the purdah is strongly affiliated with a rebellion against a religion that he perceives to be opposed to change. Thus Hamidullah suggests writing about "The Indian lady as she is and not as she is supposed to be". If that were to be done, we would return to the previous stereotyped picture of Aziz's wife. Hamidullah draws a picture of the same lady with whom "for fifteen years, my dear boy, (has he) argued ... and never gained a point,

yet the missionaries inform us our women are downtrodden" (p. 264). Thus women are reluctant to change their old inherited religious beliefs and social customs. The missionaries' views confirm Islam's subjugation of women through the symbol of the veil.

But the Indian society as Forster observes, is also responsible for the oppression of women. Ladies come second or last in everything. In the introductory dinner scene, Hamidullah Begum has to wait for the men to finish their meal before "she would begin hers, and consequently prolonged her remarks in case they should suppose she was impatient" (p. 15). While Hamidullah Begum tries strenuously to convince Aziz that polygamy is justifiable as it is for the good of women who are not denied the pleasures and "joys God had intended (them) to receive" (p. 16), Aziz keeps to his view that "One is enough" (p. 15) though women keep him dreaming of going to Calcutta to enjoy licentious relations in a brothel-house (p. 98). We see Aziz torn between two polar opposites: acceptance of a promiscuous institution that allows more than one relationship with one woman but in a very binding and organized manner and a rejection of the above because of its restrictions. He rejects polygamy on an official level only to dream of its practice in the manner of Westeners behind closed doors. He unites both the Western mentality which seeks a liberation from restrictions in indulgence in sexual relations and the "licentious Oriental imagination" (p. 267) that works as an evidence against him which he is more than likely not to have spared an English lady as the photographs taken out of his drawers prove that he keeps a lady's picture and as the contents of 'Aziz' pocket-case are not "edifying" (p. 166). It is also established during the trial that colored people or "darker races are physically attracted by the fairer, but not vice versa" (p. 213). Aziz is caught by the 'pull' and 'push' factors of an Islamic institution[15]. Like the civilized European who can give his heart to only one, he rejects polygamy, but following the Westerner's steps, he does not mind having a 'Harem' or a 'Turkish seraglio'[16] if only he could get away with it and if his boss, Major Callendar, would allow him "to spend an evening with some girls, singing and all that, the vague jollity that would culminate in voluptuousness" (p. 98). The same girls occupy his mind as he discusses the widow with his English guests in Fielding's house. What lies in the back of his mind speaks of a frustrated sexual desire he seeks to release when he says "'and in the evening, we will give a great banquet with a nautch and lovely girls shall shine on every side of the tank with fireworks in their hands and all shall be feasting and happiness until the next day" (p. 70). The preoccupation of Aziz's mind with women becomes an obsession. Like a person who is frustrated in dreams, such dreams point to a reality that the subconscious mind suppresses when awake. Dreams become the vehicle through which such frustrations are given vent or release[17].

An Identity Crisis

Aziz is torn between desire and restriction. Simultaneously, Aziz attempts to liberate himself from a tradition that almost paralyses his movement or mesmerizes him in the past. He is torn between a feeling of security he derives out of a sense of belonging to an ancient tradition that he "liked to hear (his religion) praised" in stark contrast to the tirade against Hindus as 'a source of infection' (p. 102) on one hand and a hidden desire

or, to borrow Bhabha's phrase "interdictory desire" (*LOC*, p. 89), to rid himself of the cuffs of antiquity to be able to live in the present. Aziz faces an identity crisis that splits him into two. Such a crisis is experienced by many Muslims exposed to Western culture as they are never immune to its disastrous effects. Halliday, for example, exposes the fragmentation that occurs within Islam due to vital changes in perspectives that accompany emigration. the inevitable result of such changes is that Muslims in the West particularly the young "have multiple identities"[18]. A Muslim scholar like Nadwi voices the same concern as Halliday when he says that

> Islam cannot assimilate ideas and institutions which are alien to it, obviously the dangers for those who live in an un-Islamic environment, like those living in Europe and America are serious. They are constantly in danger of being lost in the sea of an alien culture. Their Islamic identity is always susceptible to changes[19]

Aziz's identity faces a similar crisis. We see his mental transformation from a Muslim into a Westener in the course of the novel. Probably Bhabha's remark is worth noting that the most difficult time for any people to formulate an independent identity away from external pressures comes at the time of liberation. No wonder Aziz becomes very concerned with a new role for poetry rather than poetry of ancient times and themes. He rejects the latter in favour of the former because it relates to contemporary issues while the poetry of antiquity is more related to a past that does not harmonize with the present and possibly connected to an impractical religion. Thus Bhabha says:

> The time of liberation is, as Fanon powerfully evokes, a time of cultural uncertainty, of significatory or representational undecidability ... the constant principles (of national art) which acted as safeguards during the colonial period are now undergoing extremely radical changes (*LOC*, p. 35).

We observe such changes in Aziz's personality. He is both attracted to Islam as a culture which gives him a sense of identity that he needs only to distinguish himself from others on one hand but he also rejects certain practices in Islam that hinder movement and keep everything fastened to the past on the other. Thus he fights against the rigid aspects of the religion. He recites the poetry that recounts the glory of Islam. Hence the poetry of Hafiz, Ghalib and Iqbal are pleasant to memorize. He and his circle of friends "regained their departed greatness by hearing its departure lamented" (p. 17). But this kind of poetry does not relate to current issues. It belongs to by-gone times that can never be retrieved. It deepens his sense of a loss of control over the present and therefore he finds himself dislocated or culturally displaced like all other inferior or weaker nations. Thus this kind of poetry and all it stands for should be sent to the archives of the ancients. Aziz ends rejecting those aspects of Islam that tie it with a system that does not function in the present. For that reason, Aziz is forced to search for an alternative. He finds it in the motivation he feels for writing the kind of poetry that creates feelings of nationalism and go beyond issues related to faith. For that he must attempt to love India for "not until she is a nation will her sons be treated with respect" (p. 262). Aziz can achieve this by expressing "what is deepest in (his) heart" (p. 263). This is an element without which poetry can never be written. It is also the same element that he needs to build relations with others. He feels most secure and powerful to build them inside the mosque.

Reuben A. Brower comments on the scene in the mosque where Aziz and Mrs. Moore had their first contact. He says that "the mosque comes to symbolize the possibility of a communication between Britons and Indians, and more generally the possibility of understanding relationships between any two persons"[20]. Shahane draws the contrast between the successful achievement in the mosque and the failure of the Bridge Party as the mosque "aims at bringing about a sense of unity and equality and partly succeeds in it"[21]. The experience in the mosque brings Aziz to that soaring feeling of excitement and strength that the mere presence in the house of Allah entails and that feeling accounts for a spiritual uplifting and ascent, similar to that which comes with poetic inspiration where he rises to sublime thoughts and feels the connection with the great Mogul emperors and also justifies the feeling of superiority that explains his outburst at Mrs. Moore and gives rise to a religious fervor. Consequently, Aziz feels the greatness of Islam and that balances the feelings of dejection and despair experienced earlier when the Major snubs him. There, in a secure place, he has a sense of belonging comparable to what he has experienced in the company of his friends in Hamidullah's house. But such a mood of gaeity and cheerfulness and a sense of connection with intimate friends are shattered once the Major humiliates Aziz. Inside the mosque, he is able psychologically to leap over a point in time the desperate and downtrodden may be inclined to shun or brush aside only to regain a sense of connection with another though remoter point in time they feel most comfortable with.

Aziz's subconscious mind in the mosque tramples over a more immediate moment in terms of clock time in order to retreat to a remoter moment in psychological time only because he chooses to evade the unpleasant present of racial prejudice and hostility and to make a trip inside the deep recesses of his mind to feel the affiliation with a more favourable moment in the past not necessarily because his mind makes the association with the topic of discussion at that time in Hamidullah's house but due to amiable feelings of being in the company of close friends which create instinctive happy sensations that his expected call on the Major, who is an enemy, certainly expels and causes to evaporate. No wonder he suppresses that moment that springs up later on, but inside the mosque where he can shout at an alien intruder, it is kept under a vigilant eye. Aziz's wish to turn the recent incident of degradation into oblivion is the way the Oriental mind operates to shun the painful present and retreat to the pleasant past. Muslims nowadays dream of past glories to make up for failure in the decadent present. Aziz's initial experience of wanting to jump over the present only to enjoy the security of the past can explain why the past is so essential for Islam. Aziz has no choice but to retreat to that past because the 'Knouter' is waiting with his whip stretched at full length in an expectancy of his getting out of his cave where he feels like a hermit most secure and well-protected for he is in the house of Allah after all.

A Sacred Or a Desecrated Place!

In the history of Islam, even outlaws and criminals cannot be followed across the threshold of the mosque. When the prophet entered Makkah victorious in Ramadan in the year 7 A.H., he is reported to have said:

> He who takes refuge in Abu Sufyan's house is safe; whosoever confines himself to his house, the inmates thereof shall be in safety, and he who enters the Sacred Mosque is safe [22].

The sanctity of the mosque and similar holy places should therefore be observed. Once even criminals are in, no power on earth, be it that of the Oriental despot or Western arrogant can drive them out. The Westerner who claims to be a torch-bearer wants to have complete freedom to move wherever he likes. He desires to unravel the aura of mystery that shrouds the inaccessible Orient. The purdah and at times a hostile environment constrain his movement and force him to lower his gaze. The veil places a wall in front of which he stands puzzled as he is excluded from admission into a private feminine world. Thus he seeks to break the barrier and intrude into the secluded region he is prohibited to enter. He aims at moving in everywhere on God's free land, be it Africa, India or even Makkah, which is never to be mentioned in an assembly of the faithful in connection with a Kafir (unbeliever) daring to get close unless he exposes his life to an inevitable fate. One wonders what would have happened to Fielding had he happened to be in the mosque and not in the club. Would the vicious Turton have dared to kick him out! Aziz's feelings of belonging in the mosque have their parallel in the feelings of connection he enjoys in the company of his people who belong to the same race. In fact, such strong feeling stem out of his Islamic faith because Islam is a social religion that derives power from gatherings and collective communal acts as the term applies to a group of people who share common practices and habits and who feel dependent on each other[23]. The social link that constantly weaves Indians, particularly Muslims, together is distinctive feature of an Islamic society. The British attempt to break it apart as "Caste 'or something of the sort' would prevent" (p. 54) Muslims from forming such a solid bond. Thus a Muslim has to be part of a group or a large social circle in order to feel unity and power particularly in India where a consolidated front is required to oppose foreign rule. The fact that Aziz skips a point in time is therefore understandable and justifiable on grounds of instinctive feelings of repulsion over the aftermath of the preceding unpleasant incident with the Major. Thus it is the cruelty, inhumanity, carelessness and utter nonchalance of the insensitive West that forces the Islamic world to retreat into the safe shelter of the heroic past when Islamic domination posed a real threat to Europe.

In retreating to the mosque, Aziz in fact is fleeing for his life from the grip of the tyrant who, if he manages to catch his quarry alive, he will never set him free. It is therefore better to run and shun regardless of the direction the escapee is heading. If he were to seek shelter in a cave, the cave will expel the intruder by virtue of the hidden power inherent in the hostile Indian land. If he were to find protection in the mosque or better still, make *I'tikaaf* (religious term describing the condition of a recluse who shuns active life for the pleasure of the pursuit of the contemplative life leading to eternal happiness in paradise) and stay there in a safe haven, would a Turton or Burton or Callendar dare get any close, unless any of the three is reckless enough to sell his life that cheap to a Muslim? How come that the Westerner violates the sanctity of places of worship and of such a holy Islamic shrine! The British are then caught in a dilemma. How can they handle the case! They are cornered into a stance where emotions are with the British but sound judgement should be in favour of the Muslim. But eventually, it turns out that the

British have to express disapproval not of the real criminal who has trespassed into the shrine, but rather they express indignation, in case of an attack by the Muslim side, at the militant aspects of Islam when in fact Muslims retaliate for grievances. They are made to appear as if they launch attacks on innocent victims to throw them into a bad light. The contemporary scene is a witness of this very fact. As an example, when the massacre took place in Hebron mosque in Ramadan 1414 H. corresponding to February 1994 and the victims were Palestinians, the West changes perspectives. Here it does not side with the victims as expected, but ironically with the aggressor. Muhammad Sid Ahmed, an Egyptian journalist, comments on Western double perspectives and concludes that such a policy is clearly evident in "enforcing UN resolutions against a Muslim state". But "when UN resolutions are on behalf of Muslims, they carry little more weight than the paper they are printed on"[24]. Muslims are therefore disappointed over the unjust ways Western policies are conducted. They feel that they are continuously being 'shafted' and victimized by the West. In the above example where the sanctity of the Hebron Mosque has been violated, the West comes to play the role of the pacifier who preaches an exercise of self-discipline for the aggressor and the oppressed. What an injustice! The sanctity that Islam has given to a mosque is most gruesomely violated to allow Muslims to be caught utterly defenceless in the pre-dawn prayer[25].

Foster draws such a picture of the believers in complete freedom and full security not due to the efforts of peace-keeping forces but rather owing to the inward serenity believers feel when facing Makkah, where the Sacred House of Allah known as Ka'aba, is situated. There "a few of (Aziz's) co-religionist had come to the Maidan, and were praying with their faces towards Mecca" (p. 58). Aziz does not join them which once more confirms the argument that Islam for Aziz exists as part of a culture and not as a practiced religion. He needs it to feel connected to a tradition and feel a sense of security derived from a stable source that gives the back-up required not to lose a distinct identity. But as a religion that governs daily life and regulates man's affairs, Aziz seems to have given hope in its applicability or practicality. It hovers back to ancient customs and obsolete traditions that do not fit into the modern scene. The previous description of believers offering regular prayer in congregation shows that the mosque is not needed for religious ceremony. Any clean place is good enough to perform prayers be it on board a ship or in an aeroplane. This confirms a tradition by prophet Muhammad that he has been given five distinctive attributes that no prophet before him has been assigned. Among them is that any land, as long as it is clean, is just as good as an established mosque for prayer which is not restricted to a purpose-built mosque[26]. By raising formal restrictions on specific worship areas that followers of other religions are strict to observe, Islam invades a larger slice of society. Even in the West now the sight of a Muslim or a group of Muslims in Regent's Park or any other turning to Makkah in devotion and contemplation is not as unusual as it used to be.

The West is exposed to Islam in that way and the prayer comes to symbolize the call to a practical and spiritual religion. The fact that Forster pays attention to such minute details is evidence that the prayer with its serenity and meditation commands attention. The inquisitive eye of the Westerner surveys and reports everything like the lens of a

camera which sees without being seen. It does not escape Western observation that Muslims perform five daily prayers because such religious rites are practiced in the open Maidan. Ironically, what is depicted by the West and seen by Forster as a dead religion turns out to be the most lively and most practical because it is not kept behind doors like Muslim women hidden from sight and seen through bars in M. Alloula's *Colonial Harem*[27]. Thus Islam gives its rituals a taint of practicality by allowing the West to view and scrutinize them. An external application of Islam functions as an impressive method that sends the message that Islam is a peaceful and spiritual religion that connects man with his Creator anywhere and everywhere without the artificial need for bricks or holy men or Hindu 'saddhus'. All that is needed is a clean piece of land enough to stretch the limbs in meekness in front of Allah and nothing more of a ceremonial nature is required. This is the simplicity and practicality of a faith that remains a mystery for many Westerners. This may explain why Mrs. Moore feels a bit shaky and tense as she enters a place she knows in the bottom of her heart that she has no right to enter and also one in which she cannot attune herself. Aziz is in command and in a position of power.

But unfortunately, the mosque at certain times and places, as has already been mentioned, can only offer a limited retreat or protection. One is not as immune in it as one should be even though a criminal cannot be dragged out of a mosque since he is under the protection of the roof of the House of Allah. The feeling of security where the mosque works as a haven cannot be kept forever as the boiling external strife puts too much pressure on its dilapidated walls [for the mosque is entered "through a ruined gate" and "the courtyard was paved with broken slabs" (p. 20) till they can not hold out any more and as they eventually collapse, they allow the external world with all its severity, agitation and violence to intrude upon the scene till all feelings of security are utterly dispersed. Thus the mosque proves to be a fragile construction that cannot offer everlasting security for its visitors. Consequently, Aziz is bound to come out of his hiding-place which offers a temporary asylum from the racial prejudice and injustice he sees everywhere his eyes turn. The retreat into Mau or the mosque has to end because an active participation in the conflict in India is a necessity particularly for the educated intellectuals who fight for freedom and pose a threat to colonial authority in front of which in the past, "they used to cringe, but the younger generation believe in a show of manly independence" (p. 33). Consequently, they are dragged into the political struggle.

The mosque is further linked with muddle and unclarity. It stands in stark contrast to "Italian churches" (p. 275) and the beautiful architectural design observed in European buildings where there is complete "harmony between the works of man and the earth that upholds them". (p. 275). As Fielding leaves India, he reflects on his whole experience in an alien land and its impact on him. He says:

> Everything echoes now; there is no stopping the echo. The original sound may be harmless, but the echo is always evil. This reflection about an echo lay at the verge of Fielding's mind. He could never develop it. It belonged to the universe that he had missed or rejected. And the mosque missed it too. Like himself, those shallow arcades provided but a limited asylum. 'There is no God but God' does not carry us far through the complexities of matter and spirit; it is only a game with words, really, a religious pun, not a religious truth (p. 269).

The quotation makes it clear that Fielding on his way home leaves the muddle and confusion behind represented both by the evil echo of the caves and the elusiveness of the call for prayers emanating from the high minarets of the mosque distinguished for its fragility, insubstantiality and lack of beauty. Such a beauty intrigues the European who finds in cathedrals the finished touch and delicate harmony. Once more the shelter offered by the arcades of the mosque is momentary. The mosque can not stand on its own away from the encompassing struggle and prevalent conflict. Fielding's experience in India links him with Mrs. Moore's as she too fails to comprehend the real mystery imbedded in the natural Indian landscape and as the palm-trees wave a mocking farewell to her for having thought that the "echo was India" (p. 205).

Fielding's Rejection of India

The fact that the quotation says that Fielding's reflection "about the echo lay at the verge of (his) mind" as "He could never develop it (since) it belonged to the universe that he had missed and rejected" (p. 269) points to two important things: first, at this stage Fielding is once more brought to side with the English to some extent, for if he rejects the above muddle caused by the echo, he must change sides to let things run their more natural and normal course which leads him to be deposited on the English side. This is evident from the private correspondence between him and Ronny that Aziz comes across in his "inquisitive, and malicious" search in Fielding's private room in the European Guest House (p. 302). Second, the quotation pays equal attention to what Fielding has missed as if his experience does not reap all its desired fruits. In his rejection of India, Fielding ends on the British side as the private correspondence illustrates. This confirms that the British, unlike Arabs and other Oriental nations, know when they have to bury their ill-feelings toward each other, when to overlook differences in order to appear united and when to put public duty above personal affairs especially at times that require a disregard of petty insignificant matters for ones of a heavier import.

Ronny therefore addresses the same Fielding who refuses to stand for him in chapter 20 (p. 185) as follows in the private letter: "I'm relieved you feel able to come into line with the *Oppressors* of India to some extent. We need all the support we can get." Besides its being a confessional, and yet a confidential letter that throws off the mask that covers up Ronny's outburst at his mother, in chapter 5, that they (the British) are in India for something more important to do which is "to do justice and keep the peace" (p. 49) as the above letter contradicts such a claim since it describes the British as the 'Oppressors'. The letter may be seen as a probe into the subconscious by virtue of its being written in secrecy which naturally excludes discovery of its contents unless "the sanctity of private correspondence (that) has never been ratified by the East" (p. 302) allows Aziz to throw out its secret contents out in a way that gives an inside picture of what is hidden. But Aziz here pays the British back as McBryde previously goes "through the contents" (p. 166) of 'Aziz' pocket case' and while he sends "a faint, incredulous smile" as he "started rummaging in the drawer" to think that the found picture is an evidence of licentiousness when Fielding comes to Aziz's defence and says "that's his wife" (p. 169) as Aziz has shown him the photograph before. So what we have here is Shakespeare's *Measure for Measure* but unfortunately, it is the one who reacts to injustice,

and not the one who initiates it, who is to be blamed and punished.

Returning to the letter, it shows how British people can quickly forget animosities and any malevolent feelings. They are willing to ignore them for the sake of protecting their strength and interests. They try to appear cordial and restore amicable relationships which promptly heal up any past injuries. Thus Aziz realizes why the British are strong: "These five people were making up their little difficulties, and closing their broken ranks against the alien. Even Heaslop was coming in. Hence the *strength* of England," (p. 303) and by contrast, the *weakness* of the Islamic world, because of failure to use common sense and apply the Qur'anic verse "to hold fast, all together, by the Rope which God (stretches out), and not to be divided" (III, 103). It is this realization that causes Aziz "in a spurt of temper to hit the piano" in frustration and anger.

Fielding therefore ends up on the side of the British. Early in the novel, we are aware of the initial difficulty Fielding faces due to his peers' unjust treatment of Indians and consequently, he is led to side with the Oppressed though he attempts to "slink through India unlabelled" (p. 172). But in coming to terms with Ronny and in spite of the ill-feeling that existed between the two antithetical characters as they have different temperaments, views and objectives behind their stay in India, it is beyond doubt that eventually Fielding favours the Western way of life over the Oriental with all its clutter, muddle and unclarity reinforced through the symbolism of the cave and echo. That accounts for his rejection of India and all it stands for. In numerous other examples, the demarcation between East and West is immediately felt as the ship goes through the Suez canal where "there is always a social change: the arrangements of Asia weaken and those of Europe begin to be felt even in terms of the remakable change of weather as it is reported that "At Port Said the grey blustery north began" (p. 249). When Adela leaves for England, again the change in weather and atmosphere are felt with Egypt where "the clean sands, heaped on each side of the canal, seemed to wipe off everything that was difficult and equivocal, and even Port Said looked pure and charming in the light of a rose-grey morning" (p. 258).

The foregoing quotations confirm the early point that Fielding rejects India and feels the great relief that he has turned his back to a universe characterized by muddle while he heads for another distinguished by its clarity. But Fielding's reflection on the meaning of the echo leaves him in a position where he realizes that it "belonged to the universe that he had missed or rejected" (p. 269). As has already been mentioned, his rejection of it confirms that eventually he comes to side with his peers and to favour the European clarity and definitiveness to Eastern confusion and lack of clarity. But how can it be explained that there is something else that he has missed in India! Thus the quotation serves a double purpose: it indicates that Fielding rejects the confusion of India in favour of his own culture, but still, the quotation points out that Fielding has missed something out as if India remains beyond his capacity to understand all of its mysteries. Like Mrs. Moore who has only seen the caves and thus feels she has seen India as if she "took the Marabar caves as final?" (p. 205) when in fact the beauty and splendour of Asirgarh and other places have escaped her as she passes by them on her train journey to Bombay where the leaves of coconut palm trees wave her a mocking

farewell, similarly, it can be concluded that India keeps her own treasures away from inquisitive European eyes and therefore certain secrets are inaccessible to the European mind which thinks that everything is open to inspection when in fact, the mystery of the land defeats the European imagination.

Meaning & Impact of Adhan

Fielding's reflection on his experience in India is incomplete without a reference to the meaning and the impact on him of the *adhan,* the call for prayer. Going back to Fielding's reflections as he leaves India, it is obvious that Fielding connects the *adhan*, strangely enough, with the Indian echo and its devastating and penetrating influence that has done Adela and Mrs. Moore so much harm. One possible reason why the *adhan* is connected with the echo is its vibration in the air. Probably the same quotation is best analyzed in conjunction with the following to get a clearer meaning. In chapter 35 which begins with the legend of the two shrines of the Head and the Body of the saint who offers his life as a sacrifice for the freedom of prisoners, Forster has this to say on the meaning of the *adhan* which is also part of the declaration of faith: "'There is no God but God" that symmetrical injunction ... (that) belongs to pilgrimages and universities, not to fuedalism and agriculture" (p. 292). The two quotations studied together establish the fact that the words reiterated in the call for prayers which attest to the dividing line between Muslims and non-Muslims are ambiguous, incomprehensible and utterly meaningless to the Western mentality that sees it in poetic terms as another game with words. This may explain why the West fails to understand Islam for the simple reason that the words by which any person becomes a Muslim are a mystery themselves beyond European comprehension. Bhabha shows that there are things that certain people can only understand in a particular context and in their own language. But they remain almost impossible to translate beyond a private circle because "the migrant culture of the 'in-between', the minority position, dramatizes the activity of culture's unstranslatability" (*LOC,* p. 224).

To illustrate the point that certain matters are only understood within a particular context and within the limits of a certain culture, a reference is made to the Nawab Bahadur's car accident while Ronny and Adela accompany him for the night ride. The Nawab Bahadur is so distressed by the accident that he is visited by the past. But he can only communicate his feelings particularly in matters related to traditions and ancient beliefs in superstitions and magic within a limited circle of people who share his views and get a sense of what he is trying to say. Thus races are distinct and some experiences can not shared with others. They need the privacy of their own race to get the message across because "it was a racial secret communicable more by blood than speech" (p. 96). One may convincingly argue that Muslims themselves are partly to blame for the erroneous translation of the meaning of the most important pillar of Islam. It is translated too literally so that it fails to communicate fully. It cannot reach a larger audience and hence it remains only comprehensible within a narrow circle. The way it is translated is indeed puzzling, confusing, contradictory and muddled up like the whole Indian experience and environment where nothing is definite or clear. Things are left vague and

inexplicable without giving a satisfactory and convincing answer to the mysteries involved. We are confronted here with terminologies too mysterious to explain in simple language. Such mysteries found in the writings of the ancients are equated by Sir John Harrington in his preface to the translation of *Orlando Furioso* referred to in the introduction with the figurative meanings found in the allegory that

> the ancient poets have indeed wrapped ... in their writings diverse and sundry meanings, which they call the ... mysteries thereof ... that comprehend so excellent knowledge we call the Allegorie[28]

Murrin in *The Veil of Allegory* defines allegory as something that

> can be described as a figure of speech, complete in itself, which, for this reason, makes certain demands on an audience. The hearer by analogy must fill in the proper meaning to complete the figure. It follows that allegorical figures presuppose a certain cooperation between a speaker and an auditor; the former makes a statement and the latter completes it by his interpretation[29]

The reader is therefore expected to arrive at an understanding of the hidden meaning behind the literal surface. Since the translation of the declaration of faith is too literal, an understanding of the deeper meaning behind what Forster sees as a symmetrical arrangement of mere words is required. This may explain why Islam remains obscure in spite of its apparent simplicity. The repetition of the words of the *adhan* as it is rendered in English is naive and incomprehensible. The translation, as it is fails to let the deep religious meaning of the words of the *adhan* get across, can be regarded as one form of suppression in the sense that the simple meaning of the declaration of faith is kept obscure. By committing the grave and unpardonable sin of misrepresentation of such crucial and vital words, Muslims have not represented Islam accurately. Hence the purity of Islam is tarnished and confused by such an erroneous literal and naive translation of words when it can take the whole life of a Muslim to comprehend the enormous volumes of excellent scholarly works that expound, explain and elaborate on the same words. One therefore wonders how a few translated words could carry such a huge weight of knowledge and how the Muslim scholar would be expected to render in few words and in haste the declaration of faith and on a small piece of paper or a pamphlet when the hidden treasures of the ancient scholars explain them profusely and abundantly in volume after volume! How could one imagine the whole wisdom of the ancients to be compressed into mere incomprehensible words as they seem so to the West! How could one be imagined to digest the profound and unfathomable knowledge of any field be it medicine or rhetoric eventually contracted into a single page! How could such allegorical meanings of a deeply-religious Truth, lodged in the mouths of the most discreet, be reduced into a few words! It is therefore utterly unacceptable to the West to present Islam as if it were a small tablet or a dosage that the spiritually sick can take when strenuous efforts are really needed to explain it convincingly and brilliantly. Here lies a problem of what may be titled the failure of 'the rhetoric of Otherness'. It refers to the failure of certain words put in a religious context and related to religious Truth to reach the heart of the distant Other. As the mistake lies in the translation's failure to draw in the Western mind the same religious concept with its deep meaning that exists in its Islamic counterpart, the mere symmetrical arrangement of words or the religious pun of Foster is beyond comprehension.

To expect the Western mentality to understand the declaration of faith in the same way Muslims digest it is like asking for impossible feats that require utmost intrepidity from the utterly powerless such as the crippled or infants. To achieve the Islamic objective, Islamic terminology has to have the linguistic power to let the garb that clothe the Western word fall away to allow the Islamic interpretation of certain terms to come about. Muslims may be at fault as they deprive the Islamic voice of a chance to be heard and correctly represented. They keep it behind a Western mask and conceal its identity in a Western dress. Only by a process of sloughing off can the artificial coverings and outer garments, which are Western, be cast aside. It is only then that the Islamic voice may stand on its feet to truly send an Islamic message in an Islamic attire. This is the natural healthy course for anything to produce fruit, but it is preposterous to expect the comprehension of an Islamic concept when it is attired in a Western robe.

An outer dress deceives the eyes. One can not be Oriental or Occidental by a mere hypocritical outward appearance. How many Westerners have managed to penetrate into the deep secrets about the Arab world like Lawrence of Arabia or Richard Burton[30] by resort to the trick of appearing like an Oriental! But does that make him so! Is disguise that conceals true identity the means through which an alien is accepted into other people's cultures! It may work to deceive and achieve ends particularly if the opponent is gullible. This is where the shrewd Western mentality knows the weakness of an adversary who can be easily fooled into thinking that whoever wears an Oriental dress is on his side when in fact, he is a Western agent in an Eastern garb. Thus outer garments are not the criteria that decide the issue of social belonging. One can wear an Eastern dress when in fact, he is deeply immersed and thoroughly versed in Western thoughts and outlooks. An outward garment does in no way make one an Easterner unless this is the new updated version of the Oriental intellectual as we see in Aziz who has a Western head and an Eastern covering or mask, or who is internally a Westerner and externally an Easterner, which is then the essence of hypocrisy that the Islamic world in particular has to live up with. That does not exclude the West from this sin as it is the Islamic world's mentor in that respect. It has taught its catechism to the haunted East that speaks Western thoughts in an Oriental tongue of a *'gennii'* or *'afrit'*.

Similarly, an Islamic concept can assume Western trappings but it remains Western in essence. Thus the Islamic rendering of the declaration of faith and other terms to the West can never be interpreted in the way Muslim scholars see them. Language or rhetoric ironically widens the gap and creates the splits between the actual intended meaning and the one provided; and in that lies the misrepresentation. Language too fails to achieve its desired objective of bridging the cultural gap between the Islamic world and the West due to a failure to render a religious Truth in a clear and easily-comprehensible way. Hence the West's failure to understand Islam may be justified on grounds of its inability to comprehend Islam's basic tenets since such essential and significant words in Islam are erroneously rendered. All of the above does not in any way mean that the West is impeccable. It may well suit the West that Islam is misrepresented by its followers themselves which would in that case justify (*i.e.*, the West's) rejection of it as it is beyond comprehension as the translation fails to communicate fully.

The West is not illiterate in failing to know what true Islam is. In some areas, Islam is exposed to it in a way better than methods of representation utilized by Muslims themselves. Here we reach Foucault and Said on the strong link that exists between knowledge and power. Without the first, the West could not have been in a position to render Islam and Oriental cultures utterly powerless. The West is so naive as not to know the meaning of the declaration of faith. In fact, Forster reveals his profound knowledge of what correct Islam is as far the purity of the Creed that reiterates the firm and unshakable belief in the Oneness of Allah is concerned. He says in chapter 35 where he starts with the story of the two shrines that these shrines are "worshipped by the few Mohammedans who live near, and by Hindu also ... When Aziz arrived and found that even Islam was idolatrous, he grew scornful, and longed to purify the place, like Alamgir. But soon he didn't mind like Akbar. After all, this saint had free prisoners and he himself had lain in prison" (p. 292).

Indian Rulers & Islam

This quotation sheds light on a number of issues. In India, as in many other Muslim countries, there are those known as *'Guburiyyoon'* meaning worshippers of buried saints and Waliis whose graves are erected within the mosque's precincts as Forster rightly says. In many parts of India, hardly a mosque is built without a grave in it. When Aziz enters the mosque early in the novel, his thoughts turn to building a mosque "and near it, under a low dome, should be his tomb, with a Persian inscription" (pp. 20-21). Indians perform this anti-Islamic practice in accordance with custom rather than belief. This supports the previous argument that Islam in India is more followed and respected as part of a culture. Strict observance of certain religious rules seldom happens or else no tombs would be allowed in mosques. Such a practice is indeed anti-Islamic as the prophet is reported to have said: "The most evil of mankind are those who will be alive when the Last Day arrives and those who take graves as places of worship"[31]. These people like the Christians have a high regard for those pious Waliis (i.e., intermediaries) believing them to intercede for them, answer their calls, grant their wishes and get them closer to Allah. Thus they have the firm conviction that they can reach Allah through these dead priests. According to the pure faith, that Forster is again not that naive to be in total ignorance of, the above practice contradicts the purity of the monotheistic creed that regards the above as Aziz rightly perceives as 'idolatrous'. By associating others with Allah, the whole concept of *Tawheed,* that is the belief in the Oneness of Allah, is negated. Those who seek to purify Islam of such erroneous conceptions that misrepresent Islam are known as *'Salafis'*. The word *'Salafiyya'*[32] is defined by Sylvia Haim as "a return to the ways of the prophet, his companions, and the Muslims of the early centuries, when Islam was in its pure state and the Arab Caliphate in the heyday of its glory'[33]. The *'Salafis'* are ironically the 'Fundamentalists'[34] who seek to purify the Creed, but the West, particularly its media, uses the term in a negative sense to link them with fanatics and extremists adding still more to the complexity of many entangled issues, blurring the dim vision of many Westerners and misrepresenting an Islam that cries for a true voice that neither the Muslims communicate fully as true Islam is suppressed nor the West is willing to receive or represent rightly. It suits it to keep Islam distorted.

Such a distortion is at times encouraged by the state as was the case in India where some of Mogul emperors, supposedly Muslims, directed their attacks at Islam. Jalal ad-Din Akbar founded his own religion known as "Din-e-Ilahi" which ridiculed Islam. His courtiers held Islam in contempt "as the religion of the nomads of Arabia". Akbar was greatly challenged by the revivalist in the subcontinent Shaikh Ahmad Sirhindi (1563-1624) who defied the authority of the emperor and fought to revive Islamic law. His strenuous efforts eventually pressured the government to submit[35]. Thus what Forster tells us about the way some of the Mogul emperors look at the issue with a mixture of derision and playfulness is an evidence of his familiarity with historical issues. Almagir, whom Aziz sees earlier in Chapter 14 as "the more pious", though he takes Babur to be his 'ideal' as he has never betrayed a friend in his life and because he "laid down his life for his son" (p. 142) catching the fever that has caused his death only to let his son survive, so Almagir has longed to purify the place and eradicate such anti-Islamic traditions, an action which is consistent with his apparent righteousness. But it seems that the Indian ruler lacks the strictness to erase such practices. He just winks his eye at it as if he has not taken notice of it and yet he pretends to be pious himself. Thus the power of State is therefore needed here to rectify a major Islamic mis-conception lest people put all different religions in India into one large melting pot where the obvious link between these common forms of idolatrous practices relates to raising the status of the dead *Waliis* to that of intercessors and mediators between the living and Allah. Thus slackening in carrying out the courageous initiative to eradicate such practices by the Mogul emperors and their lax approach to the whole issue has resulted in the continuation of such forms of worship. The irony is apparent as Akbar, who is "not a true Muslim" as he used to drink wine, and unlike Babur who "always repented afterwards ... never repented of the new religion he invented instead of the Koran" (p. 143) which is none other than a 'universal religion' that 'embrace(s) the whole of India' (pp. 143-44), has therefore done more harm to Islam by his secular approach than the poor grave worshippers and the like.

The above illustrates the clash between State and Religion. The Mogul emperors encouraged the existence of a false Islam and were opposed by the *Mujaddidin, i.e.,* those who want to revive the true spirit of Islam and see true revival through a return to the purity of the Creed[36]. Some other *Mujaddidin* see the present decline of faith as a result of the overtly influential role of the West to the extent that matters related to the creed and more precisely to the declaration of faith are at times challenged leaving many poor Muslims in doubt and even intellectuals in a state of hesitancy. According to Forster, Islam is losing its hold on people as this is evident in the evaporation of its message reiterated day and night through the loudspeakers of the minarets of its mosques. Such a message eventually "melt(s) in the mild airs of Mau" (p. 292). Islam, seen from a Western perspective here, is getting weak. The fact that the words that repeat the declaration of faith so essential to Muslims as they become the fine, delicate and yet sharp demarcation between Islam and any other religion, eventually melt, diffuse, evaporate and get blown away by their vibration that causes them to fade away, become fainter and fainter as a dim light that gradually disappears the farther the distance between it and the viewer becomes is an indication that the further Muslims are removed from the cen-

tre of Islam, the less religious and pious they become. Such a rule is more felt by Muslims than Europeans. One is struck at times that some Muslims who are born into the faith lead dissolute lives while those born in Europe lead righteous and virtuous lives. Faraway Muslims sometimes give a right picture of a modern believer with *Qur'an* in his heart, education and technology in his head, honesty in his hands and vitality and vigorousness all over the body of an athlete. They differ from Muslims brought up in an Islamic environment and who bear certain resemblances to Jacques' Justice in Shakespeare's *As you Like It.*

An Islamic Spirit of Revival

The strangeness and mystery of the whole issue lies in the contradiction that expects those closest ones to the cradle of Islam to be the most religious and the ones further away to indulge in pleasures: this is the irony of the situation. It proves that it is difficult to predict the direction from which danger directed at the West may come: from the ones born into the faith or the ones educated in Europe who have sophisticated mentalities and carry the enlightened brains of the lively and vital West! Whether we look at the impact of Islam on its followers in spatial terms or if it is viewed in a temporal perspective taking into account the inevitability of change with the progression of time, as the West perceives, Islam's impact is bound to get weaker and weaker. This is based on the analogy that its call for prayers eventually dies out in the infinite space that mocks its echoed words which turn to be hollow by virtue of their disappearance. If that is so, as far as Forster is concerned, the tendency is that with the passage of time and the increase in distance away from the cradle and heart-beat in Makkah, the chances are in favour of a future decline of Islam.

But while it is true that many Muslims in Europe face an identity crisis and have numerous problems to struggle with as they are at a distance from the cradle of faith, yet on the other side, there is a great hope that such Muslims are the saviours of the *Ummah* as they lead it out of its current stagnation and decline. Thus Halliday predicts:

> If there is to be any hope of an intellectual and cultural breakthrough within the Islamic world, one that goes beyond the minority of brave, if at times imprudent, writers and thinkers who have always challenged doctrinal powers, then it may well come from the *Ummah* in exile ...[37]

What we therefore see in the West is both a negative and a positive sign of what may be regarded as the future of Islam. Pessimism comes from Forster's prediction that Islam is weakened as the call for prayer evaporates in the air. But simultaneously, it is getting stronger as Muslims in the West fear a loss of identity and thus they become a unified front that presses for more rights and asks for more freedom. A Muslim in the West feels at times a stronger need to assert his identity and stand firm in the midst of a turbulent Western culture. Even among students and some holiday makers, the chances of a cultural shock that forces them to recoil back to Islam out of fear of too much absorption of and exposure to a dangerous and materialistic civilization can be supported by evidences confirmed by active callers to Islam. For them the West is viewed as a fertile ground to spread Islam a they see the advantage of an exposure to an alien culture rather than its threat. They justify that it is advantageous for Muslims to be exposed to

Western culture on grounds that it is better for the Muslim individual to arrive at the conclusion that Islam is the solution by himself as Western culture, by contrast, destroys the spirit and creates confusion. Thus what happens to some Muslims in the West and what they see with naked eyes can be the reason for a nostalgic return to Islam.

A leader like Sayyid Qutb who travelled to America in 1949 and returned in 1951 was highly critical of a promiscuous American society so "primitive in (its) sexual life" and so biased against Arabs and so removed from religious ethics[38]. A cultural shock can therefore bring a person closer to a better understanding, if not admiration, of his own culture. In Tawfiq al-Hakim's *Usfur min al-Sharq* (1938), Ismail's experience in England allows him the chance to be reconciled with his own culture from which he was initially estranged. He comes back as a more enlightened Oriental who looks more deeply into things and more with an open mind. Now he comes to realize that "There can be no science without faith"[39] and eventually his harmonious relationship with his original Oriental environment where he has experienced a cultural displacement is restored with his marriage to Fatima. Thus a departure from one's native land with a sense of dislocation may very well end with a reconciliation with and integration into the culture that becomes like skin, impossible to divest the self from. It is only by distancing oneself from the culture that one sees faults. Then one becomes aware of the faults of other cultures and alienation is replaced by a yearning to be part of the native culture that is discovered to surpass alien cultures.

The Biblical story of the prodigal son who departed from his home country where he led a dissolute life only to return with better chances for his moral reform has its analogy in al-Hakim's novella as a repeated pattern of alienation felt in one's own native land and then a reconciliation to that original environment is brought about through a removal or a departure which allows for a deeper insight and a more balanced perspective. A cultural shock resulting from an exposure to a different culture can be the instrument that brings about a better understanding of one's own. The initial feeling for undertaking the journey is that one feels that he does not "belong in the intellectual, social, and political milieu of (his) oppressive and crisis-ridden age"[40]. But as Abrams shows, the circular journey which emanates from one's native land and ends with his return to the same place where he feels the displacement is performed with the intention to search for the true home where his identity can dwell safely and where he feels that he has finally discovered the right place where he belongs[41]. It is the self's desire to be well culturally placed that forces the expulsion out of a native land and it is the self's discovery that there is not a better place or haven than home that accelerates the drive to return. This may well explain why many Muslims have a better chance to become reconciled with the Islamic faith once they are distanced from it in Europe and contrary to Forster's assumption that Islam is weakened, it can be the turning point that causes Western anxiety and fear. With a distance from Makkah comes eagerness and desire to practice Islam while with a close proximity to the Sacred shrines of Islam, many can be lenient, careless and devious.

An Incorrect Prophecy

One therefore wonders if Islam, as Forster predicts, is becoming weaker or stronger with this spatial and temporal distance from the cradle of Islam. Now the call from the

minarets from the Grand Mosque in Makkah is transmitted live and dormant Islamic feelings of a connection to a remote centre are aroused. Does that call, as Forster claims, "belong to pilgrimages and universities, not to feudalism and agriculture?" (p. 282). The meaning behind the quotation is subtle and shrewd. Forster sets up a binary opposition here between various activities in life. Pilgrimage is a religious undertaking. Universities sharpen intellects and allow research to be carried out. How are these two lumped together unless we think of universities as religiously oriented which in England was the case until mid nineteenth century or thereabout! Nowadays, most universities give very little attention to theology in terms of instruction, and not in terms of research. This therefore explains that on one side of the scale, Forster places activities which are purely religious or have a religious element in them. On the other side, he has two secular activities related to land, labour, production as they have a hierarchial relationship between lord and vassal, between landowner and workers where the law has to intervene to regulate all above matters. Being anti-religious himself leads him to think in such a secular way as if he says that religion and politics are incompatible and thus should be kept apart. The first belongs to the Church and the second is regulated by the State that sets up its own laws and disregards the divine law that Muslims highly esteem as they see the inseparability of religion from the activities of daily life including economics, banking systems, laws for the family, marriage, divorce, inheritance, adoption, dealings, commerce and education[42].

What deserves a close scrutiny here is that by making the two above groups where Islam is claimed to be good and applicable to the first but impractical with the second, Forster is imposing his Western mentality on a purely Islamic issue as it remains beyond his power to pass a judgement on such complicated matters since they are beyond the periphery of his limited vision. Had Forster lived long enough, he would have seen that much of the agitation and conflicts in the region are due to a split between religion and politics and a secularization of everything including education and media as the two most important channels through which the greatest impact comes. Since Muslims see Islam as a whole system that organizes all aspects of life, and as they see the obvious split between faith viewed by secular intellectuals as a personal matter on the one hand and an application of Islamic Shari'ah meaning the devine law of Allah on the other, problems are likely to arise, and contrary to Forster's expectations, the Islamic declaration of faith in practicality is not getting weaker nor is Islam losing its hold on people's lives. The opposite is true as the West is aware of the spiritual drive of Islam that gains momentum as more people, whether ertswhile believers or new converts, join its fold. It is beyond the scope of this paper to probe into the causes but it should be clear that what the West really fears can come from one of two directions: the Islamic Fundamentalists who are dissatisfied with existing secular governments which bow down to the West in servility or Organized Muslim Minorities living in the West who have cultivated their talents and intellect in a way that they can compete with the West particularly if we keep in mind the fact that the West will go to any extreme to protect its security and remain as the only policeman in the yard. For that, it sends the Islamic world on another route just to keep it away from any possible meeting point.

Forster's prophecy that Islam is doomed to be in a weaker position in the sense that social change in Islamic countries will lead people to do away with religion as is the case in the West proves to be wrong since what is going on now attests to the reverse. Forster anticipates the decline of Islam with the passage of time in an imagery of slipping as if it is continuously falling downhill when he says: "The funny little thing didn't even stand straight, for the rock on which it had been put was slipping down the hill. It, and the shrine, were a strange outcome of the protests of Arabia." (p.293). The novelist is referring here to the mosque that has been visited by Aziz and his children after visiting the shrine. He may express his hostility toward Islam the way it pleases him, he may repeat his conviction that Islam is likely to lose in the long run, but his opinion does not mean that it will become true. In recent years, Europe is expressing deep concern over the rise of fundamentalism that the media links with terrorism and violence. This has led Clare Hillingworth to write under the title "Another Despotic Creed Seeks to Infiltrate the West" that

> Muslim fundamentalism is fast becoming the chief threat to global peace and security as well as a cause of national and local disturbance through terrorism. It is akin to the menace pose by Nazism and fascism in the 1930s and then by communism in the '50s[43].

Contrary to Western expectations, Muslims are becoming more and more convinced that correct and true Islam, and not a misrepresentation of it by Western media or Muslims themselves, is the only left solution for them. This is the reality the West must live with as more Muslims are utterly dissatisfied and disgruntled over the way Western policy is exercised over a wide section of the Islamic world with all its arbitrariness, unfairness and ugliness. Western double perspectives in recent years is as obvious as the sun under a clear blue sky. The more pressure the West places on the Islamic world, the more suppression will be felt inside until the people will not be able to take it any more. It is therefore feelings of injustice that breed animosity and rejection of the powerful like the colonizer in *A Passage to India*. It is also natural that the oppressed like Aziz will feel a natural antipathy against the oppressors. Just as it is impossible to arrive at a reconciliation between oppressor and oppressed in the novel, it is equally impossible for the Islamic world and the West to reconcile as the same feeling of injustice that simmers in Aziz's chest is shared by many Muslims today since they are fed up with Western exercise of power over a weak Islamic world. One therefore wonders how long the current situation can go on and how it can be altered!

Solution and Conclusion

The situation will not be altered unless serious attempts are taken to represent Islam in its true light and once both the Islamic world and the West are willing to hear the Islamic voice that has been suppressed and denied recognition for so long. As this paper shows, Islam is misunderstood by the West because in the first place, it is erroneously represented by its followers. The translation of certain Islamic concepts fail to communicate the Islamic message across to a different audience that should be addressed in such a way that Islam transcends "culture's untranslatability' and proves its universality and appeal to people worldwide. Muslims, are obliged to present the profoundly hidden,

though mysterious and inexplicable religious truth buried in the treasures of ancient scholars and in past lore in a lucid and comprehensible way not only to Murrin's special reader with whom the allegorical writer in *The Veil of Allegory* establishes such a specific relationship, but also to the whole West and for the entire world to see in broad day light. In that case, not only those who have been initiated into the inner truths of rituals and those who understand specific terminology will be addressed, but the Western mentality also so that it can grasp the simple meaning in a straightforward and accessible way. Muslims are therefore blamed for suppressing the Islamic voice which, contrary to Forster's expectations, is not evaporating in the air but rather becoming the vehicle through which Muslims are brought into the fold of Islam. Non-Muslims are attracted as Islam reveals itself rather than hides behind harem bars. Just as Forster observes the prayer performed in the open *Maidan*, Islam needs clarity and space to be seen and then be judged. It has to be given the chance to appear in its true garb and not under masks or in disguise and hypocritical shows.

But while this paper blames Muslims for unclear translations of certain Islamic concepts which may explain why the West fails to appreciate Islam, it does not free the West from blame as it deliberately at times distorts Islam. It perfectly suits its aspirations to retain stereotypical notions and preconceived ideas. Western media, for example continues to represent Islam in a negative way and the situation is not likely to change unless strenuous efforts are exerted to offer a more authentic picture of Islam whilst not mixing what Islam is with what Muslims do because Muslims misrepresent Islam. Their actions and behaviours cannot be taken as an excuse to blame Islam for things it is completely free from. Not until the West understands this separation between Islam and Muslims and strives to understand Islam in a new light will there be a possibility for the removal of the current ambiguity that exists in the Western mentality. Islam needs to be exposed right. It has to come to the surface before an explosion brings it up. Thus the paper calls for the dire need to remove sources of obscurity shrouding Islam and keeping it hidden like an Algerian lady of Alloula behind bars and windows with an apparent look of frustration and oppression. Genuine understanding of Islam, currently needed more than any time before, and serious efforts to represent it right both by Muslims and Westerners, are the safety valves that will ensure that no possible catastrophies, clashes or eruptions are likely to take place between the West and Islam.

The picture which Forster draws of Islam in the novel at the time when India was under British rule clearly illustrates the various misrepresentations of it reflected in anti-Islamic practices that run into opposition with the true spirit of the Islamic creed. But such idolatrous practices are encouraged by some of the Mogul emperors who enter into a clash with *Mjuaddidin* who seek to purify the creed and return to the original roots of the religion. But in spite of their efforts and judging from the novel, the Islam that existed in India then is only part of a culture needed to create a sense of belonging and offer a feeling of security. Islam becomes an integral part of traditions, customs and social norms rather than a religion that regulates daily affairs and applies to life. Aziz at times likes to hear his religion being praised. But his link with Islam is needed as an essential measure to preserve his identity. To that Islamic identity he retreats at times to derive

power and ascertain hegemony particularly in places where he is likely to feel secure under the protection of the roof of the house of Allah. But that security is temporary. The peace and strength Aziz experiences in the mosque are shattered just as the external strife exercises pressure on the mosque's 'ruined gate' and 'broken slabs' and proves that such a sacred place can only provide a 'limited asylum'. Thus Aziz's link with Islam is just as fragile as the construction of the mosque is. The privacy of a tranquil and heroic world inside the walls of the mosque are bound to give in to the struggle without. Islam is therefore confined within the mosque's walls as far as Aziz is concerned, though Forster's observation of it in the *'Maidan'* is wider. Once Aziz is outside his hermitage, he loses strength because in the mosque he is wrapped in memories and reminiscences over a heroic and splendid past. But when he goes out of this secure haven, he confronts a present where Islam does not belong or fit. The security Aziz derives out of an Islamic identity is dispersed once he faces the contemporary scene. He loses the fragile link with a great religion that he feels in his heart that it does not synchronize with the present. Aziz is therefore torn between nostalgic feelings for a splendid Islamic past and a revolt against that very past if India is to attain its freedom. Hence Islam emerges as a religion that impedes progress, hankers back to an ancient past and brings about stagnation. As Forster views it too, it is a rigid religion that ought to be brushed aside.

As Aziz hovers between acceptance and rejection of Islam as a religion, he comes finally to reject its various institutions like the purdah and polygamy as they belong to a past he attempts to divest himself off in order to live the present moment where his thoughts are devoted to the creation of an Indian nation and where he feels that Islam cannot help him in that regard for it pulls him back to the past away from the present moment he must live through. In his rebellion against Islam, Aziz's is transformed into a Westerner by mentality but a Muslim by countenance and birth. While "suspicion and belief could in his mind exist side by side" (p. 272), in the process of metamorphosis inside the brain from a Muslim to a Westerner, belief is utterly shattered to be planted by skepticism and suspicion of the applicability of Islam in his present predicament. His stage of hesitancy or what Bhabha calls 'in-betweeness' or 'hybridity' where he is pulled between polar opposites ends up by depositing him on the Western camp as his rejection of Islam is final. But that rejection that Forster shows in various ways does not necessarily mean that Islam is losing its hold on people. Contrary to such expectations and to Aziz's final assessment of Islam, Islam is becoming a force that poses a threat at the West. The speed with which it spreads and the spirit with which it is revived constitute a threat directed at the West. Indeed "Islam's resurgence in Muslim politics reflected a growing religious revivalism in both personal and public life that would sweep across much of the Muslim world and have a substantial impact on the West in world politics"[44]. The West is therefore alarmed but it has to deal with Islam or combat it only to delay its inevitable eruption. Logic and common sense say that it is for the best interests of the West to deal peacefully with Islam and live with it rather than shun it and turn its back to it. To do that, the West needs to change its methods of representation of Islam. Muslims too have to represent Islam faithfully and accurately. Islam has to be allowed the chance to emerge. The Islamic voice ought to be recognized and heard if mis-

representations are to be eliminated. All of the above requires genuine understanding and a deeper look into sources of conflicts in an attempt to make a better connection between Islam and the West.

Notes

1) **R. Kessing,** *Cultural Anthropology: A Contemporary Perspective* (New York: Holt, Rinehart & Winston, 1981), p. 521.
2) *Ibid.*, p. 68.
3) **William W. Comfort,** The Saracen in The French Epic, *PMLA* 55 (1940), p. 628.
4) See: **Norman Cohn,** *The Pursuit of the Millenium: Revolutionary Millenarians and Mystical Anarchists of the Middle Ages* (New York: Oxford University Press, 1970).
5) In the same poem Byron asks why darkness has settled over this "fair domain?" (*The Giaour*, 61). Darkness in this case refers to Turkish rule and the 'fair domain' is naturally Greece. See *The Works of Lord Byron: Poetry*, ed. Ernest Hartley Coleridge, 7 vols (London: John Murray, 1898-1903) Or *Lord Byron: The Complete Poetical Works*, ed. Jerome J. MacGann, 5 vols (Oxford: Clarendon Press, 1980-1986.
6) **Thomas Hutchinson,** (ed.), *The Complete Poetical Works of Percy Bysshe Shelley* (London: Oxford University Press, 1905), pp. 446-482.
7) Lodovico Ariosto, *Orlando Furioso*, translated with an introduction by Barbara Reynolds (New York: Penguin Books, 1975).
8) **Marshall W. Baldwin,** Western Attitudes Toward Islam, *The Catholic Historical Review*, 28 (1942): 403.
9) **E.M. Forster,** *A Passage to India* (Harmondsworth: Penguin, 1979). Henceforth all page numbers are to this edition.
10) See; **Judy Mabro,** *Veiled Half-Truths: Western Travellers' Perception of Middle Eastern Women* (London: I.B. Tauris & Co Ltd, 1991).
11) Mernissi, for instance, sees the Hijab as a partition that separates between two opposed worlds: the private and public. See: **F. Mernissi,** *Women and Islam: An Historical and Theological Enquiry*, trans. M.J. Lakeland (Oxford: Basil Blackwell Ltd, 1991), pp. 161-187.
12) The *Qur'an* specifies the men in front of whom a woman may appear without the restriction of the Hijab in verse 31 of Sura XXIV (Nur). Others are considered strangers who should not be allowed into a private feminine circle.
13) See: *Homi K. Bhabha, The Location of Culture* (London & New York: Routledge, 1994), pp. 89-90 where Bhabha talks about the desire of the colonized to break artificial boundaries set up by the colonized. The book is referred to as *LOC* in the discussion.
14) G. Tillion offers a good discussion of Islamic arranged marriages and their objectives in *The Republic of Cousins: Women's Oppression in Mediterranean Society*, trans. Quintin Hoare (London: Zed Press, 1983).
15) I have borrowed the 'pull' and 'push' terms from Muhammad Anwar, *The Myth of Return* (London: Heinemann, 1979). Anwar discusses the reasons that force many Muslims to leave their home countries and what attracts them to the West.
16) Westerners think that the 'seraglio' allows Muslims to indulge in unlimited sexual pleasures. See Mabro, pp. 139 and 151 respectively. Norman Daniel draws attention to erroneous Western conceptions of the institution of concubinage as many Westerners seldom think that this practice is regulated by law, it is not a 'licensed promiscuity'. See: *Islam and the West: The Making of an Image* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1960), p. 140.
17) See: **Sigmund Freud** on *The Interpretation of Dreams in Complete Psychological Works*, ed. James Strachey (London: Hogarth, 1953-74), vol. 5, pp. 612-3.
18) **Fred Halliday,** Islam is in Danger: Authority, Rushdie and the Struggle for the Migrant Soul, in: **Jochen Hippler** and **Andrea Lueg** (eds), *The Next Threat: Western Perceptions of Islam* (London: Pluto Press, 1995), p. 75.
19) **Syed Abul Hasan Ali Nadwi,** *Muslims in the West: The Message and the Mission* (Leicester: The Islamic Foundation, 1983), p. 133.
20) **Reuben A. Brower,** The Twilight of the Double Vision: Symbol and Irony in *A Passage to India*, in Mal-

colm Bradbury (ed.) *E.M. Forster, A Passage to India: A Selection of Critical Essays* (London: Macmillan Press, 1970), p. 117.

21) **Vasant A. Shahane,** *E. M. Forster: A Study in Double Vision* (New Delhi: Arnold Heinemann, 1975), p. 103.

22) **Safi ur-Rahman al-Mubarakpuri,** *AR-Raheeq Al-Makhtum (The Sealed Nectar): Biography of the Noble Prophet* (Riyadh: Dar-us Salam Publications, 1996), p. 392.

23) **M. Harris,** *Culture, People, Nature: An Introduction to General Anthropology* (4th ed.) (New York: Harper & Row, 1985), p. 114.

24) **Muhammad Sid Ahmed,** Muslim World between Two Fires, *Balkan War Report, Bulletin of the Institute for War and Peace Reporting,* No. 17, January 1993, p. 1.

25) After the massacre at Hebron Mosque, the following poem appeared in a Saudi newspaper named *The Saudi Gazette.* The poem is by Anne Fairbairn. Here it is in full:

Side by side in the mosque,
Men of Hebron bow in prayer.
In gentle submission, side by side.
Soon the vicious hiss of death,
Splits the pious soul of dawn.
Struck down, the son of Adam
screams,

"Oh murderer, oh man of hate,
Take the burden of our sins,
Take our shame with your own,
To the shadow of the lost."
Above this sacrificial floor,
Above the dying and the dead,
Beak bloodied with shredded flesh,
Claws clutching a pulsating heart.

26) **Muhammad Ali al-Sabuni,** *The Abridged Commentary of Ibn Katheer,* 2nd vol (Beirut: Dar al-Qur'an al-Kareem, 1973), p. 324.

27) **Malek Alloula,** *Colonial Harem,* trans. Myrrna Godzich & Wlad Godzich (Minneapolis: Univ. of Minnesota Press, 1986).

28) **Lodovico Ariosto,** *Orlando Furiosa,* (ed.) Robert McNulty and trans. John Harington (Oxford: Clarendon Press, 1972), p. 5.

29) **M. Murrin,** *The Veil of Allegory: Some Notes Toward A Theory of Allegorical Rhetoric in English Renaissance* (Chicago: University of Chicago Press, 1979), p. 58.

30) Among the books that describe life among the Arabs are Charles Doughty's *Arabia Deserta,* T.E. Lawrence's *The Seven Pillars of Wisdom,* Richard Burton's *Personal Narrative of a Pilgrimage to Al-Madina and Mecca* (1855) and Lord Dunsany's play *The Tents of the Arabs.*

31) Quoted in Abu Ameenah Bilal Philips, *The Fundamentals of Tawheed [Islamic Monotheism]* (Riyadh: Tawheed Publications, 1990), p. 197.

32) 'Salafiyyah' was promoted by Imam Muhammad Ibn Abdul-Wahhab (1703-1798) in the Arabian Peninsula.

33) **Sylvia Haim,** *Arab Nationalism: An Anthology* (Los Angeles: University of California Press, 1962), p. 21.

34) See: **John L. Esposito,** *The Islamic Threat: Myth or Reality?* (New York: Oxford University Press, 1995), pp. 7-8 for the negative connotations of the word 'fundamentalist' "often equated with political activism, fanaticism, terrorism and anti-Americanism".

35) **Syed Habibul Haq Nadvi,** *Islamic Fundamentalism: A Theology of Liberation and Renaissance* (Durban: The Centre for Islamic, Near and Middle Eastern Studies, Planning and Publication, 1995), pp. 42-3.

36) For a good discussion of Islamic movements, their objectives and struggle, see: **Esposito,** *The Islamic Threat,* pp. 122-133. See in particular, what Hasan al-Banna says regarding a possible change of the current decline of the Ummah, pp. 122-23.

37) **Fred Halliday,** Islam is in Danger: Authority, Rushdi and the Struggle for the Migrant Soul, in: **Jochen Hippler** and **Andrea Lueg** (eds), *The Next Threat: Western Perceptions of Islam* (London: Pluto Press, 1995), pp. 79-80.

38) **Gilles Kepel,** *Muslim Extremist in Egypt: The Prophet and Pharaoh* (London: Al-Saqi Books, 1985), p. 41.

39) **Tawifiq al-Hakim,** *Bird of the East,* trans. R. Bayly Winder (Beirut, 1966), p. 36.

40) **M.H. Abrams,** *Natural Supernaturalism: Tradition and Revolution in Romantic Literature* (New York: W.W. Norton & Company, 1971), p. 172.

41) *Ibid.,* pp. 190-92 where Hegel's 'Circuitous journey' or 'the spiral journey back home' is discussed.

42) Muslim scholars like Mawdudi see Shari'ah as an integrated homogenous whole. Shari'ah is not merely a system of a divine law, but a comprehensive code of behaviour that encompasses both private and public

activities. Thus it covers the whole system of life including the economic, social, political and educational spheres of activity. It further includes "religious rituals, personal character, morals, habits, family relationships, social and economic affairs, administration, rights and duties of citizens, judicial system, laws of war and peace and international relations' (p. 17). Thus the conflict between Islamic movements and State is due to the State's secular approach while leaders of such movements demand implementation of Shari'ah in all of the above. See: **Mawlana Abu Ala Mawdudi,** *Islamic Law and its Introduction in Pakistan,* trans. K. Ahmad (Lahore, 1970), pp. 17-19.

43) **Fred Halliday,** *Islam & The Myth of Confrontation: Religion & Politics in the Middle East* (London: I.B. Tauris, 1995), p. 185.

44) **Esposito,** *The Islamic Threat,*-pp. 11-12.

Bibliography

al-Ahsan, A., *Ummah or Nation? Identity Crisis in Contemporary Muslim Society,* Leicester: The Islamic Foundation, 1992.

Abrams, M.H., *Natural Supernaturalism: Tradition and Revolution in Romantic Literature,* New York: W.W. Norton & Company, 1971.

Ahmed, M.S., Muslim World between Two Fires, in: *Balkan War Report, Bulletin of the Institute for War and Peace Reporting.* 17 (January 1993).

Ali, A.Y., *The Meaning of the Glorious Qur'an: Text, Translation and Commentary,* Cairo: Dar Al-Kitab Al-Misri, 1934.

Alloula, M., *Colonial Harem,* trans. Myrrna Godzich & Wlad Godzich. Minneapolis: Univ. of Minnesota Press, 1986.

Anwar, M., *The Myth of Return,* London: Heinemann, 1979.

Ariosto, L., *Orlando Furioso,* Trans. B. Reynolds, New York: Penguin Books, 1975.

———, *Orlando Furioso,* Ed. Robert McNulty and trans. John Harington. Oxford: Clarendon Press, 1972.

Baldwin, M.W., Western Attitudes Toward Islam, *The Catholic Historical Review,* **28** (1942): 403-11.

Bhabha, H.K., *The Location of Culture,* London & New York: Routledge, 1994.

Bradbury, M. (ed.), *Forster: A Collection of Critical Essays.* New Delhi: Prentice Hall of India Private Ltd, 1979.

Byron, G.G. Lord, *The Works of Lord Byron: Poetry* (Ed.) **Ernest H. Coleridge,** 7 vols. London: John Murray, 1898-1903; rpt. New York: Octagon Books, 1966.

Cohn, N., *The Pursuit of the Millenium: Revolutionary Millenarians and Mystical Anarchists of the Middle Ages,* New York: Oxford Univ. Press, 1970.

Comfort, W.W., The Saracean in The French Epic, *PMLA.* 55 (1940): 628-659.

Daniel, N., *Islam and the West: The Making of an Image,* Edinburgh: Edinburgh Univ. Press, 1960.

Esposito, John L., *The Islamic Threat: Myth or Reality?* New York: Oxford Univ. Press, 1995.

———, *Islam: The Straight Path,* New York: Oxford Univ. Press, 1991.

Forster, E.M., *A Passage to India,* Harmondsworth: Penguin, 1979.

Freud, S., *Complete Psychological Works* (Ed) **James Strachey,** London: Hogarth, 1953-74.

Haim, S., *Arab Nationalism: An Anthology,* Los Angeles: Univ. of California Press, 1962.

al-Hakim, T., *Bird of the East,* Trans. R. Bayly Winder, Beirut, 1966.

Halliday, Fred., *Islam & The Myth of Confrontation: Religion and Politics in the Middle East,* London: I.B. Tauris, 1995.

Harris, M., *Culture, People, Nature: An Introduction to General Anthropology,* (4th edition), New York: Harper & Row, 1985.

Hippler, J. and **Lueg, A.** (eds.), *The Next Threat: Western Perceptions of Islam,* London: Pluto Press, 1995.

Hutchinson, T. (Ed), *The Complete Poetical Works of Percy Bysshe Shelley,* London: Oxford University Press, 1905.

Kepel, G., *Muslim Extremist in Egypt: The Prophet and Pharaoh,* London: Al-Saqi, 1985.

Kessing, R., *Cultural Anthropology: A Contemporary Perspective,* New York: Holt Rinehart & Winston, 1981.

Mabro, J., *Veiled Half-Truths: Western Traveller's Perception of Middle Eastern Women,* London: I.B. Tauris, 1991.

Mawdudi, M.A.A., *Islamic Law and its Introduction in Pakistan*. Trans. K. Ahmad. Lahore, 1970.

Mernissi, F., *Women and Islam: An Historical and Theological Enquiry*. Trans. M.J. Lakeland. Oxford: Basil Blackwell Ltd, 1991.

al-Mubarakpuri, S.R., *Ar-Raheeq Al-Makhtum (The Sealed Nectar): Biography of the Noble Prophet*. Riyadh: Dar-us-Salam Publications, 1996.

Murrin, M., *The Veil of Allegory: Some Notes Toward A Theory of Allegorical Rhetoric in English Renaissance*. Chicago: University of Chicago Press, 1979.

Nadvi, S.H., *Islamic Fundamentalism: A Theology of Liberation and Renaissance*. Durban: The Centre for Islamic, Near and Middle Eastern Studies, Planning and Publication, 1995.

Nadwi, S.A.H.A., *Muslims in the West: The Message and the Mission*. Leicester: The Islamic Foundation, 1983.

Philips, A.M.B., *The Fundamentals of Tawheed [Islamic Monotheism]*. Riyadh: Tawheed Publications, 1990.

al-Sabuni, M.A., *The Abridged Commentary of Ibn Katheer*. Beirut: Dar Al-Qur'an Al-Kareem, 1973.

Shahane, V., *E.M. Forster: A Study in Double Vision*. New Delhi: Arnold Heinemann, 1975.

Tillion, G., *The Republic of Cousins: Women's Oppression in Mediterranean Society*. Trans. Q. Hoare. London: Zed Press, 1983.

صورة الإسلام من خلال رواية فورستر !
الطريق إلى الهند

عمر عبدالله باقبص
قسم اللغات الأوروبية وآدابها - كلية الآداب والعلوم الانسانية
جامعة الملك عبدالعزيز - جدة - المملكة العربية السعودية

المستخلص . يهدف هذا البحث إلى تتبع الطرق المختلفة التي تعرض من خلالها فورستر تصوره عن الإسلام في روايته المعروفة *الطريق إلى الهند* ؛ وذلك لرؤية عما إذا كانت تلك الصورة تتفق مع النمطية والأفكار الخاطئة والمشوهة المنطبعة في المخيلة الغربية عن الإسلام ، أو أن هناك محاولة للانفصال عن المألوف والمتوارث . ويظهر البحث أن الصورة التي يبرز بها الإسلام الموجود في الهند أثناء الإستعمار البريطاني إنما هو جزء من ثقافة تعطي الأفراد شعورا بالانتماء الاجتماعي لا على أنه دين قابل للتطبيق . ويظهر ذلك من خلال معالجة فورستر لكثير من الممارسات الدينية كالحجاب مثلا ، فهو عادة اجتماعية في طريقها للتغيير الحتمي مع مرور الزمن . وبالتالي فالإسلام الذي يتصوره فورستر لا يتفق مع الحاضر لأنه دين مرتبط بالماضي الغابر ، مما يجعل عزيز يرفضه كدين لا كثقافة . وفي الوقت الذي يتتبع فورستر ضعف الإسلام وانحساره حسب تصوره ، فإن الباحث يرى أن الواقع يحدث بخلاف ما توقعه الروائي ، حيث أن الإسلام يبرز الآن كقوة تلفت إنتباه الغرب وقد أتى ذلك نتيجة حتمية للصحوة الإسلامية في كثير من بلاد الإسلام وحتى الغرب . ولذلك فإنه من الضروري تغيير الوسائل التي يصور من خلالها الإسلام . ويدعو البحث لتمثيل صحيح للإسلام من قبل المسلمين أولا والغرب ثانيا ، وهذا ما يضمن إزالة سوء الفهم ، وخطأ التصور ، ويستبعد الخطر ، ويُبني العلاقات ووسائل الاتصال التي ستتمكن من فهم أوسع وتبادل أشمل بين الإسلام والغرب .

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م٩ ، ص ص ١ - ٢٨٠ بالعربية ، ص ص ١-٦٥ بالإنجليزية (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م) ردمد ٠٩٨٩ - ١٣١٩
رقم الإيداع : ١٤/٠٢٩٤

مجلة
جامعة الملك عبدالعزيز
الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ٩

١٤١٦هـ

١٩٩٦م

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبدالعزيز
ص ب ١٥٤٠ - جدة ٢١٤٤١
المملكة العربية السعودية

JKAU: Arts and Humanities, **Vol. 9**, pp. 1-65 Eng., pp. 1-280 Arabic (1416 A.H. / 1996 A.D.) **ISSN : 1319-0989**
Legal Deposit 14/0294

Journal of

KING ABDULAZIZ UNIVERSITY

Arts and Humanities

Volume 9

1416 A.H.
1996 A.D.

Scientific Publishing Centre
King Abdulaziz University
P.O. Box 1540, Jeddah 21441
Saudi Arabia

المحتـــــويات

« القســـم العـــربي »

﴿ القسم الإنجليزي ﴾

■ لغة

Contents

English Section

Arabic Section